

جامع البيان

عن
تأويل آي القرآن

تأليف

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري
المتوفى سنة ٣٢٠ هـ

الجزءان

١٤ - ١٣

دار الفكر

جَامِعُ الْبَيَّانِ

عَنْ

تَأْوِيلِ آيِ الْقُرْآنِ

تَأَلَّفَ

أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ

الْمُتَوَفَى سَنَةَ ٢١٠ هـ

الجزء الثالث عشر

دار الفكر

نَيْلِيَا وَوَلَدِيَا

حقوق الطبع محفوظة

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م

نفيت

بمستطاب من مستطاب

١٢٥٠ قسماً

مكتبة الناظرية

حفظها

المكاتب : البناية المركزية - هاتف ٢٤٤٧٣٩ - ص.ب. ١١/٧٠٦١
المطابع والمعمل : حارة حريك - شارع عبد النور - هاتف ٢٧٣٦٥٠ - ٢٧٣٤٨٧
بَيرُوت } لَبْنَان



بَرقِيَا ، فِكْسِي - تَلِكْس ٤١٣٩٢ فِكْر FIKR 41392 LE

الآية	الفهرس الأول	الآيات المفصلة
١٤	١٤	١٤
١٥	١٥	١٥
١٦	١٦	١٦
١٧	١٧	١٧
١٨	١٨	١٨
١٩	١٩	١٩
٢٠	٢٠	٢٠
٢١	٢١	٢١
٢٢	٢٢	٢٢
٢٣	٢٣	٢٣
٢٤	٢٤	٢٤
٢٥	٢٥	٢٥
٢٦	٢٦	٢٦
٢٧	٢٧	٢٧
٢٨	٢٨	٢٨
٢٩	٢٩	٢٩
٣٠	٣٠	٣٠
٣١	٣١	٣١
٣٢	٣٢	٣٢
٣٣	٣٣	٣٣
٣٤	٣٤	٣٤
٣٥	٣٥	٣٥
٣٦	٣٦	٣٦
٣٧	٣٧	٣٧
٣٨	٣٨	٣٨
٣٩	٣٩	٣٩
٤٠	٤٠	٤٠
٤١	٤١	٤١
٤٢	٤٢	٤٢
٤٣	٤٣	٤٣
٤٤	٤٤	٤٤
٤٥	٤٥	٤٥
٤٦	٤٦	٤٦
٤٧	٤٧	٤٧
٤٨	٤٨	٤٨
٤٩	٤٩	٤٩
٥٠	٥٠	٥٠
٥١	٥١	٥١
٥٢	٥٢	٥٢
٥٣	٥٣	٥٣
٥٤	٥٤	٥٤
٥٥	٥٥	٥٥
٥٦	٥٦	٥٦
٥٧	٥٧	٥٧
٥٨	٥٨	٥٨
٥٩	٥٩	٥٩
٦٠	٦٠	٦٠
٦١	٦١	٦١
٦٢	٦٢	٦٢
٦٣	٦٣	٦٣
٦٤	٦٤	٦٤
٦٥	٦٥	٦٥
٦٦	٦٦	٦٦
٦٧	٦٧	٦٧
٦٨	٦٨	٦٨
٦٩	٦٩	٦٩
٧٠	٧٠	٧٠
٧١	٧١	٧١
٧٢	٧٢	٧٢
٧٣	٧٣	٧٣
٧٤	٧٤	٧٤
٧٥	٧٥	٧٥
٧٦	٧٦	٧٦
٧٧	٧٧	٧٧
٧٨	٧٨	٧٨
٧٩	٧٩	٧٩
٨٠	٨٠	٨٠
٨١	٨١	٨١
٨٢	٨٢	٨٢
٨٣	٨٣	٨٣
٨٤	٨٤	٨٤
٨٥	٨٥	٨٥
٨٦	٨٦	٨٦
٨٧	٨٧	٨٧
٨٨	٨٨	٨٨
٨٩	٨٩	٨٩
٩٠	٩٠	٩٠
٩١	٩١	٩١
٩٢	٩٢	٩٢
٩٣	٩٣	٩٣
٩٤	٩٤	٩٤
٩٥	٩٥	٩٥
٩٦	٩٦	٩٦
٩٧	٩٧	٩٧
٩٨	٩٨	٩٨
٩٩	٩٩	٩٩
١٠٠	١٠٠	١٠٠

**فهارس الجزء الثالث عشر
من
جامع البيان عن تأويل آي القرآن
لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري**

- الفهرس الأول : للآيات المفصلة**
- الفهرس الثاني : مواضع الآيات المفصلة**
- الفهرس الثالث : للقوافي**
- الفهرس الرابع : للأحاديث النبوية**

١ - فهرس الآيات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٥٣	وما أبرئ نفسي . . .	١	٧٦	فبدأ بأوعيتهم . . .	٢٣
٥٤	وقال الملك ائتوني به . . .	٣	٧٧	قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له . . .	٢٨
٥٥	قال اجعلني على خزائن الأرض . . .	٤	٧٨	قالوا يا أيها العزيز . . .	٣١
٥٦	وكذلك مكنا ليوسف في الأرض . . .	٦	٧٩	قال معاذ الله أن نأخذ . . .	٣٢
٥٧	ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا . . .	٧	٨٠	فلما استياسوا منه خلصوا نجيا . . .	٣٢
٥٨	وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه . . .	٧	٨١	ارجعوا إلى أبيكم . . .	٣٥
٥٩	ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني . . .	٨	٨٢	واسأل القرية التي كنا فيها . . .	٣٧
٦٠	فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي . . .	٨	٨٣	قال بل سئلت لكم أنفسكم أمرا . . .	٣٧
٦١	قالوا سنراود عنه أباه . . .	٨	٨٤	وتولى عنهم وقال . . .	٣٨
٦٢	وقال لفتياناه اجعلوا بضاعتهم . . .	٨	٨٥	قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف . . .	٤٠
٦٣	فلما رجعوا إلى أبيهم . . .	٩	٨٦	قال إنما أشكو بثي . . .	٤٥
٦٤	قال هل آمنكم عليه . . .	١٠	٨٧	يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف . . .	٤٨
٦٥	ولما فتحو متاعهم وجدوا بضاعتهم . . .	١١	٨٨	فلما دخلوا عليه . . .	٤٩
٦٦	قال لن أرسله معكم . . .	١٢	٨٩	قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف . . .	٥٤
٦٧	وقال يا بني لا تدخلوا من باب . . .	١٣	٩٠	قالوا أثنتك لأنت يوسف . . .	٥٥
٦٨	ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم . . .	١٤	٩١	قالوا تالله لقد آثرك الله علينا . . .	٥٥
٦٩	ولما دخلوا على يوسف . . .	١٥	٩٢	قال لا تريب عليكم اليوم . . .	٥٦
٧٠	فلما جهزهم بجهازهم . . .	١٦	٩٣	اذهبوا بقميصي هذا . . .	٥٧
٧١	قالوا وأقبلوا عليهم . . .	١٨	٩٤	ولما فصلت العير قال أبوهم . . .	٥٧
٧٢	قالوا نفقد صواع الملك . . .	١٨	٩٥	قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم . . .	٦١
٧٣	قالوا تالله لقد علمتم . . .	٢١	٩٦	فلما أن جاء البشير . . .	٦٢
٧٤	قالوا فما جزاؤه . . .	٢٢	٩٧	قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا . . .	٦٤
٧٥	قالوا جزاؤه من وجد في رحله . . .	٢٢	٩٨	قال سوف أستغفر لكم . . .	٦٤

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٩٩	فلما دخلوا على يوسف . . .	٦٥	١٤	له دعوة الحق والذين يدعون . . .	١٢٨
١٠٠	ورفع أبويه على العرش . . .	٦٥	١٥	ولله يسجد من فى السموات . . .	١٣١
١٠١	رب قد آتيتنى من الملك . . .	٧٢	١٦	قل من رب السموات والأرض . . .	١٣٢
١٠٢	ذلك من أنباء الغيب نوحىه إليك . . .	٧٥	١٧	أنزل من السماء ماء . . .	١٣٤
١٠٣	وما أكثر الناس ولو حرصت . . .	٧٦	١٨	للذين استجابوا لربهم الحسنى . . .	١٣٨
١٠٤	وما تسألهم عليه من أجر . . .	٧٦	١٩	أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك . . .	١٣٩
١٠٥	وكأين من آية فى السموات . . .	٧٦	٢٠	الذين يوفون بعهد الله . . .	١٣٩
١٠٦	وما يؤمن أكثرهم بالله . . .	٧٧	٢١	والذين يصلون ما أمر الله به . . .	١٣٩
١٠٧	أفأمنوا أن تأتيم غاشية . . .	٧٩	٢٢	والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم . . .	١٤٠
١٠٨	قل هذه سببى أدعوا إلى الله . . .	٧٩	٢٣	جنات عدن يدخلونها . . .	١٤١
١٠٩	وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا . . .	٨٠	٢٤	سلام عليكم بما صبرتم . . .	١٤١
١١٠	حتى إذا استيأس الرسل . . .	٨١	٢٥	والذين ينقضون عهد الله . . .	١٤٣
١١١	لقد كان فى قصصهم عبرة . . .	٨٩	٢٦	الله يبسط الرزق لمن يشاء . . .	١٤٣
سورة الرعد					
١	المر تلك آيات الكتاب . . .	٩١	٢٧	ويقول الذين كفروا . . .	١٤٤
٢	الله الذى رفع السموات . . .	٩٣	٢٨	الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم . . .	١٤٥
٣	وهو الذى مد الأرض . . .	٩٥	٢٩	الذين آمنوا وعملوا الصالحات . . .	١٤٥
٤	وفى الأرض قطع متجاورات . . .	٩٦	٣٠	كذلك أرسلناك فى أمة قد خلت . . .	١٥٠
٥	وإن تعجب فعجب قولهم . . .	١٠٣	٣١	ولو أن قرآنا سيرت به الجبال . . .	١٥١
٦	ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة . . .	١٠٥	٣٢	ولقد استهزئ برسل من قبلك . . .	١٥٨
٧	ويقول الذين كفروا . . .	١٠٦	٣٣	أفمن هو قائم على كل نفس . . .	١٥٨
٨	الله يعلم ما تحمل كل أنثى . . .	١٠٩	٣٤	لهم عذاب فى الحياة الدنيا . . .	١٦١
٩	عالم الغيب والشهادة . . .	١١٣	٣٥	مثل الجنة التى وعد المتقون . . .	١٦١
١٠	سواء منكم من أسر القول . . .	١١٣	٣٦	والذين آتيناهم الكتاب يفرحون . . .	١٦٣
١١	له معقبات من بين يديه . . .	١١٤	٣٧	وكذلك أنزلناه حكما عربيا . . .	١٦٤
١٢	هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا . . .	١٢٣	٣٨	ولقد أرسلنا رسلا من قبلك . . .	١٦٥
١٣	ويسبح الرعد بحمده . . .	١٢٣	٣٩	يمحو الله ما يشاء ويثبت . . .	١٦٥
			٤٠	وإما نرينك بعض الذى نعدهم . . .	١٧٢
			٤١	أو لم يروا أنا نأتى الأرض . . .	١٧٢

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٤٢	وقد مكر الذين من قبلهم . . .	١٧٥	٢٥	توتى أكلها كل حين باذن ربها . . .	٢٠٣
٤٣	ويقول الذين كفروا لست مرسلا . . .	١٧٦	٢٦	ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة . . .	٢١٠
تفسير سورة إبراهيم عليه السلام					
١	الر كتاب أنزلناه إليك . . .	١٧٩	٢٧	يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت . . .	٢١٣
٢	الله الذي له ما في السموات . . .	١٧٩	٢٨	ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله . . .	٢١٩
٣	الذين يستحبون الحياة الدنيا . . .	١٨٠	٢٩	جهنم يصلونها وبئس القرار . . .	٢١٩
٤	وما أرسلنا من رسول . . .	١٨١	٣٠	وجعلوا لله أندادا . . .	٢٢٣
٥	ولقد أرسلنا موسى بآياتنا . . .	١٨٢	٣١	قل لعبادي الذين آمنوا . . .	٢٢٤
٦	وإذ قال موسى لقومه . . .	١٨٤	٣٢	الله الذي خلق السموات والأرض . . .	٢٢٥
٧	وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم . . .	١٨٥	٣٣	وسخر لكم الشمس والقمر . . .	٢٢٥
٨	وقال موسى : إن تكفروا . . .	١٨٦	٣٤	وآتاكم من كل ما سألتموه . . .	٢٢٥
٩	ألم يأتكم نبي الذين من قبلكم . . .	١٨٧	٣٥	وإذ قال إبراهيم رب اجعل . . .	٢٢٧
١٠	قالت رسلهم أفي الله شك . . .	١٩٠	٣٦	رب إنهن أضلان كثيرا من الناس . . .	٢٢٧
١١	قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر . . .	١٩٠	٣٧	ربنا إني أسكنت من ذريتي . . .	٢٢٩
١٢	وما لنا ألا نتوكل على الله . . .	١٩١	٣٨	ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن . . .	٢٣٥
١٣	وقال الذين كفروا لرسولهم . . .	١٩١	٣٩	الحمد لله الذي وهب لي على الكبر . . .	٢٣٥
١٤	ولنسكننكم الأرض من بعدهم . . .	١٩١	٤٠	رب اجعلني مقيم الصلاة . . .	٢٣٥
١٥	واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد . . .	١٩٣	٤١	ربنا اغفر لي ولوالدي . . .	٢٣٦
١٦	من ورائه جهنم . . .	١٩٤	٤٢	ولا تحسبن الله غافلا . . .	٢٣٦
١٧	يتجرعه ولا يكاد يسيغه . . .	١٩٤	٤٣	مهطعين مقنعي رؤوسهم . . .	٢٣٦
١٨	مثل الذين كفروا بربهم . . .	١٩٦	٤٤	وأندر الناس يوم يأتهم العذاب . . .	٢٤١
١٩	ألم تر أن الله . . .	١٩٨	٤٥	وسكنتم في مساكن الذين ظلموا . . .	٢٤٣
٢٠	وما ذلك على الله بعزيز . . .	١٩٨	٤٦	وقد مكروا مكروهم . . .	٢٤٤
٢١	وبرزوا لله جميعا . . .	١٩٩	٤٧	فلا تحسبن الله مخلف وعده . . .	٢٤٨
٢٢	وقال الشيطان لما قضي الأمر . . .	٢٠٠	٤٨	يوم تبدل الأرض غير الأرض . . .	٢٤٩
٢٣	وأدخل الذين آمنوا . . .	٢٠٣	٤٩	وترى المجرمين يومئذ مقرنين . . .	٢٥٤
٢٤	ألم تر كيف ضرب الله مثلا . . .	٢٠٣	٥٠	سرابيلهم من قطران . . .	٢٥٤
			٥١	ليجزى الله كل نفس ما كسبت . . .	٢٥٤
			٥٢	هذا بلاغ للناس . . .	٢٥٨

٢ - فهرس الموضوعات

الصفحة	الصفحة
٨٢	١
تأويل قوله تعالى « حتى إذا استأس الرسل »	تأويل قوله تعالى « وما أبرئ نفسي » . . .
... الآية ، وما كان عليه الرسل وأتباعهم .	الآية ، وسبب قول يوسف لها .
٨٩	٤
العبارة التي في قصص يوسف وإخوته .	منزلة يوسف عند الملك وتسليمه أهله إليه .
٩١	٧
تفسير سورة الرعد	الأسباب التي دعت إخوة يوسف لدخول
٩٣	مصر حتى عرفهم ولم يعرفوه .
تأويل قوله تعالى « الذي رفع السموات »	١١ ما فعله يوسف بإخوته من الإكرام ليحملهم
... الآية ، وبيان أن السموات لا عمد لها	على العود إليه ثانيا .
تري .	١٣ ما كان يخشاه يعقوب على بنيه ولأجله أمرهم
٩٧	بالتفرق في الدخول .
تأويل قوله تعالى « وفي الأرض قطع » . . .	١٥ ما أكرم به يوسف أخاه عند مجيئه .
الآية ، وما في ذلك من الدلالة على واجب	٢٢ جزاء السارق في شريعة يعقوب .
الوجود .	٢٨ ما فعله يوسف وسماه إخوته به سارقا .
١٠٥	٣٣ ذكر كبير إخوة يوسف ، وبيان أن كبيرهم
ما كانت تطلبه قريش من نزول العذاب .	في العقل غير كبيرهم في السن .
١٠٩	٣٩ فضيلة الاسترجاع .
تأويل قوله تعالى « الله يعلم ما تحمل كل	٤٦ ما بلغه حزن يعقوب ، وما له عليه من الأجر .
أنثى » . . . الآية ، والسبب في زيادة	٤٩ تأويل قوله تعالى « فلما دخلوا عليه » ... الآية .
الحمل ونقصه .	٥٠ معنى مزجاة .
١١٥	٥٣ شيء مما يتعلق بأمر الصدقة .
الملائكة التي تتعاقب على الإنسان .	٥٧ المسافة التي شتم منها يعقوب ربيع يوسف .
١٢٤	٦٤ الوقت الذي أحر يعقوب الاستغفار إليه .
ما ينبغي أن يقال عند سماع الرعد .	٦٩ ما كان بين الرؤية وتحقيقها من الأزمنة .
١٢٦	٧٣ ما جمعه الله ليوسف من العلم والملك ، وما سأله
ما تم لعامر بن الطفيل وأربد مع رسول الله .	ربه من تعجيل موته .
١٣٤	
تأويل قوله تعالى « أنزل من السماء ماء »	
... الآية ، وما فيها من الأمثال .	
١٤٣	
بيان أكبر الكبائر ، وأن منها طبيعة الرحم .	
١٤٥	
ما ورد في شجرة طوبى .	
١٥٥	
تأويل قوله تعالى « ولا يزال الذين كفروا »	
... الآية ، وأن وعد الله هو فتح مكة .	

الصفحة

- ٢٠٣ تأويل قوله تعالى « وأدخل الذين آمنوا » . . .
 الآية ، وبيان الكلمة الطيبة وضدّها .
- ٢١٣ تثبيت المؤمن في القبر وتزول الكافر .
- ٢١٩ من هم الذين بدلوا نعمة الله من قريش ؟
- ٢٢٩ أمّ إسماعيل أول من سعى بين الصفا والمروة
 وما تمّ لها هي وابنها حين تركهما إبراهيم
 عليه السلام بمكة .
- ٢٣٦ تأويل قوله تعالى « إنما يؤخرهم ليوم » الآية .
- ٢٤٠ معنى كون الأفتدة هواء ، والشواهد في ذلك .
- ٢٤٤ قصة الذي حاج إبراهيم في ربه .
- ٢٤٩ بيان معنى تبدل الأرض يوم القيامة . . .
- ٢٥٤ تأويل قوله تعالى « وترى المجرمين » . . .
 الآية ومعنى الأصماد . . الخ ، والشواهد
 على ذلك .

الصفحة

- ١٦٥ تأويل قوله تعالى « يمحو الله ما يشاء » . . .
 الآية ، والاختلاف في المحو والإثبات .
- ١٧٦ بيان أن بعض اليهود والنصارى كانوا مقرّين
 برسالته .
- ١٧٩ تفسير سورة إبراهيم عليه السلام
- ١٨٢ بيان أن الأيام يعبر بها عن النعم ، وذكر
 الشواهد .
- ١٨٧ بيان أنه مضت أمم لا يعلمها إلا الله ، وقول
 النبي صلى الله عليه وسلم : كذب النسابون .
- ١٨٤ تأويل قوله تعالى « من ورائه جهنم » . . .
 الآية ، وحال أهل النار .
- ٢٠٠ بيان أن إبليس وعيسى يقومان خطيبين يوم
 القيامة ، وشفاعة النبي عليه الصلاة والسلام .

۳- فہرس القوافی

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
۲۱۹	بُورُ		ح		
۳۰	الصَّدْرُ	۴۲	قَادِحُ	۱۸۵	الشَّوَاءُ
۱۰۴	سَائِرُ	۲۵۶	والمُسُوْحَا	۲۴۱	هَوَاءُ
۲۴۱	مُكَاسِرُهُ	۲۴۲	فَنَسْتَرِيحًا	۹۴	وَتَنَكَّوْهَا
۹۶	بِالْفِهْرِ		د	۲۵۶	تَجْرَاهَا
۱۶۳	كَافِرِ				ب
۶۹	العَمَارَا	۱۶۲	مُرْصَدُ		أَرْغَبُ
۱۹۲	بِقَيْصَرَا	۳۳	شُهُودُ	۱۸۹	نَدَبُ
۱۹۲	فَنَعْدَرَا	۱۲۱	لَا تَقْعُدِ	۱۹۸	مُشَدَّبُ
	س	۱۲۹	بَالِيْدِ	۲۳۸	الذَّيْبِ
۱۹۷	تَشْمَا	۱۲۶ ، ۱۲۰	النَّجْدِ	۱۸۰	قَرِيْبِ
۱۵۲	أَنْفَسَا	۲۵۵	بِالصَّفْدِ	۱۱۳	وَتَعْقِيْبِ
	ض	۹۳	وَالْعَمْدِ	۱۲۲	عَوَازِبِ
۴۳	مَرِيضِ	۸۷	المُسْرَدِ	۵	الكَوَاكِبِ
۴۳	مُحْرَضَا	۵۹	بِمَرْدُوْدِ	۱۸۳	وَحَابَا
	ع	۲۵۶	قَائِدَا	۵۵	الصَّعَابَا
۴۱	تَرْفَعُ	۵۹	أَفْنَدَا	۲۲۸	ث
۴۱	وَتَقَطَّعُ	۶۱	التَّفْنِيْدَا		تُغِيْثُ
۲۳۸	مُمْنَعُ		ر	۱۱	ج
۲۴۸	أَجْمَعُ	۱۲۲	مُرُ		النَّجِي
۱۳۷	المَمْتَاعُ	۱۶۲	مُنْهَمَرُ	۳۳	

الجزء الثالث عشر

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
٢٢٨	مَلَثْمَةٌ	١٦٣	الشَّمَال	٢٣٨	الوَقِيعِ
١٥٣	زَهْدَمِ	١٥٩	أَمِ عَالِ	١٩٢	صَنَعَا
٥٠	صِرَمَا	١٥٩	تَنْبَالِ	١٥٢	مَدْفَعَا
٢١	زَعِيمَا	١٥٩	السَّرْبَانِ	٢٣٨	أَطْسَعَا
		١٥٩	اللِيَالِي	١٩٧	مُضَاعَا
		١٥٩	مَالِ		
١٩٤	دُونِي	١٣٢	بِالأَصَائِلِ		ف
١٢٩	دُونِي	٤٢	وَأَوْصَالِي	١٩٧	كَاسِفُ
٨١	هَجِينِ	٢٥٥	سِرْبَالِي		ك
٨١	اليَقِينِ	٥٠	أَرْمَلَا		
١٥٨	المَلَكُونِ	١٢٧	وَالْمَحَالَا	١٦٢	عَايِكَمَا
١٥٨	المُنَاطِينِ	٥٠	أَطْفَالَهَا		ل
١٨٣	نَدِينَا			٢٤٩	الكَسَلُ
٢٥٤	مُصَفَّدِينَا	٩٢	المُزْدَحِمِ	١٢٩	أَنَامِلُهُ
		٤٢	السَّقَمِ	٢٤٨	بِعَسِيلِ
		١٢٢	المُظْلُومِ	١٢٧	المِحَالِ
٩٤	وَاللِيَالِيَا	٢١	زَعِيمِ	٢٢٤	قَالِي
٩٤	آلِيَا	١٥٤	أَعْصَامُهَا	١٦٣	الهِلَالِ
١٥٣	نَائِيَا				

٤ - فهرس الأحاديث

الصفحة	مطلع الحديث	الصفحة	مطلع الحديث
٢٥٢	سألت رسول الله ﷺ عن ذلك ...	٢٥٤	أتى النبي ﷺ حبر من اليهود ...
٢٥٣	سألت رسول الله ﷺ عن قول الله	٢٥٧	أخبروني بشجرة كمثل الرجل المسلم ...
٢٥٣	﴿ يوم تبدل الأَرْضُ غير الأَرْضِ ﴾ ...	١٤٣	إذا لم تمش إلى ذي رحمك برجلك ...
٢٣٢	سأل حبر من اليهود رسول الله ﷺ ...	١٨٥	اقتلوا شيوخ المشركين ...
١٤٩	طلبوا النزول معها وقد أحببت ...	١٤٩	أن رجلاً قال له: يا رسول الله ما طوبى؟
١٩٦	﴿ طوبى لهم وحسن مآب ﴾ شجرة غرسها الله ...	٢٠٥	أن رسول الله ﷺ أتى بقناع بسر فقال ...
٤٨	في قوله ﴿ ويسقى من ماء صديد ﴾ ...	٤٠٥	أن رسول الله ﷺ أتى بقناع فيه بسر ...
٢١٧	قال أخي يعقوب: سوف استغفر لكم ربي ...	٢٢٩	أن رسول الله ﷺ تلا قول إبراهيم
٢١٥	قال رسول الله ﷺ وذكر قبض روح المؤمن ...	٢١٤	﴿ رب إنهن أضللن كثيراً ﴾ ...
٢١٨	قال رسول الله ﷺ وذكر الكافر ...	١٥٠	أن رسول الله ﷺ قال وذكر قبض روح المؤمن ...
٢٥٢	قلت يا رسول الله، إذا بدلت الأَرْضُ ...	١٥٠	أن نبي الله ﷺ زمن الحديبية ...
١٤٢	كان النبي ﷺ يأتي قبور الشهداء ...	١٢٤	أنه كان إذا سمع الرعد ...
١٣٩	لا إيمان لمن لا أمانة له ...	٢٣٦	إن الدعاء هو العبادة ...
١٠١	لا تؤذوني في العباس ...	٢٠٦	إن شجرة من الشجر لا يطرح ورقها ...
٢١٢	لا تلعنها فإنها مأمورة ...	١٧٠	إن الله يفتح الذكر في ثلاث ساعات ...
٢٢٩	اللهم أمّتي، اللهم أمّتي ...	١٧٠	إن الله ينزل في ثلاث ساعات ...
١٢٤	اللهم لا تقتلنا بغضبك ...	٢١٤	إن المسلم إذا سئل في القبر ...
٢٥٣	لقد سألتني عن شيء ما سألتني عنه أحد ...	٢٠٧	إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها ...
٢٣٢	لما دعا لها أن يبارك لهم في اللحم ...	١٢٥	بعث النبي ﷺ مرة رجلاً ...
١٠٨	لما نزلت ﴿ إنما أنت منذر ولكل قوم هاد ﴾	٢١٥	تلا رسول الله ﷺ ﴿ يثبت الذين آمنوا
٤٨	وضع ﷺ يده على صدره فقال ...	١٤٩	بالقول الثابت ... ﴾ ...
٢٠٦	من بث لم يصبر ...	١١٥	جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال ...
٢٥٠	من الشجر شجرة مثلها مثل الرجل المسلم .	٢١٤	دخل عثمان بن عفان على رسول الله ﷺ فقال ...
	هل تدرون لم أرسلت إليهم؟ ...	٢٣٠	ذكر النبي ﷺ المؤمن والكافر فقال ...
			رحم الله أم اسماعيل لولا أنها عجلت ...

مطلع الحديث

الصفحة

مطلع الحديث

الصفحة

٢٥٢	يبدل الله الأرض غير الأرض...	٢٠٦	هل تدرون ما الشجرة الطيبة؟ ...
١١٦	يجتمعون فيكم عند صلاة العصر...	٢٣٢	ولذلك طاف الناس بين الصفا والمروة...
٢٥١	يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء...	٢١٤	يا أيها الناس إن هذه الأمة تبتلئ...
١٠١، ١٠٠	يرحمك الله، إن عم الرجل صنو أبيه.	٢٥٣	يا رسول الله، أرأيت إذا بدلت الأرض...
٢٣١	يرحمها الله لو تركتها لكانت عيناً سائحة...	٢٥٣	يا رسول الله فأين الناس يومئذ؟ ...
٢٠١	يقول عيسى: ذلكم النبي الأمي، فيأتوني...	٢٥٣	يا رسول الله ﴿يوم تبدل الأرض محموداً﴾ قال ...
١٥٩	... والله ما أعلم...	١٥٩	... والله ما أعلم...
٧٠٢	... والله ما أعلم...	٧٠٢	... والله ما أعلم...
٦٣٢	... والله ما أعلم...	٦٣٢	... والله ما أعلم...
٥٨٢	... والله ما أعلم...	٥٨٢	... والله ما أعلم...
٦٣١	... والله ما أعلم...	٦٣١	... والله ما أعلم...
٥٠٢	... والله ما أعلم...	٥٠٢	... والله ما أعلم...
٥٠٣	... والله ما أعلم...	٥٠٣	... والله ما أعلم...
٢٧٧	... والله ما أعلم...	٢٧٧	... والله ما أعلم...
٢٢٢	... والله ما أعلم...	٢٢٢	... والله ما أعلم...
٢١٢	... والله ما أعلم...	٢١٢	... والله ما أعلم...
١٥٢	... والله ما أعلم...	١٥٢	... والله ما أعلم...
٣٦٢	... والله ما أعلم...	٣٦٢	... والله ما أعلم...
٢٦٢	... والله ما أعلم...	٢٦٢	... والله ما أعلم...
٢٠٢	... والله ما أعلم...	٢٠٢	... والله ما أعلم...
٢٧٢	... والله ما أعلم...	٢٧٢	... والله ما أعلم...
٢١٢	... والله ما أعلم...	٢١٢	... والله ما أعلم...
٧٠٢	... والله ما أعلم...	٧٠٢	... والله ما أعلم...
٥٢١	... والله ما أعلم...	٥٢١	... والله ما أعلم...
٥١٢	... والله ما أعلم...	٥١٢	... والله ما أعلم...
٢١٢	... والله ما أعلم...	٢١٢	... والله ما أعلم...
٥١١	... والله ما أعلم...	٥١١	... والله ما أعلم...
٥١١	... والله ما أعلم...	٥١١	... والله ما أعلم...
٥١٢	... والله ما أعلم...	٥١٢	... والله ما أعلم...
٢٢٢	... والله ما أعلم...	٢٢٢	... والله ما أعلم...

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تاويل قوله تعالى :

وَمَا أُبْرِي نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَرَحِمٌ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٦﴾

يقول يوسف صلوات الله عليه (وَمَا أُبْرِي نَفْسِي) من الخطأ والنزّل فأزكّيتها (إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ) يقول: إن النفوس نفوس العباد تأمرهم بما تهواه وإن كان هواها في غير ما فيه رضا الله (إِلَّا مَرَحِمٌ رَبِّي) يقول: إلا أن يرحم ربي من شاء من خلقه، فينجيه من اتباع هواها، وطاعته فيما تأمره به من السوء (إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ). و«ما» في قوله (إِلَّا مَرَحِمٌ رَبِّي) في موضع نصب، وذلك أنه استثناء منقطع عما قبله، كقوله (وَلَا هُمْ يُنْقَدُونَ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا) بمعنى: إلا أن يرحموا، وَأَنَّ إِذَا كَانَتْ فِي مَعْنَى الْمَصْدَرِ تَضَارِعُ «مَا».

ويعنى بقوله (إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ): إن الله ذو صفح عن ذنوب من تاب من ذنوبه، بتركه عقوبته عليها، وفضيحتة بها، رحيم به بعد توبته أن يعذبه عليها. وذكر أن يوسف قال هذا القول من أجل أن يوسف لما قال (ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَتَى لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ) قال مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: ولا يوم هممت بها؟ فقال يوسف حينئذ (وَمَا أُبْرِي نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ). وقد قيل: إن القائل ليوسف: ولا يوم هممت بها فحللت سراويلك، هو امرأة العزيز، فأجابها يوسف بهذا الجواب. وقيل: إن يوسف قال ذلك ابتداء من قبيل نفسه.

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لما جمع الملك النسوة، فسألهن: هل (رَأَوْدَتُنَّ يَوْسُفَ عَنْ نَفْسِهِ؟ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ، قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ) . . . الآية، قال يوسف (ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَتَى لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ) قال فقال له جبرئيل: ولا يوم هممت بما هممت، فقال (وَمَا أُبْرِي نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ).

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن سِيَاك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما جمع الملك النسوة ، قال لهن : أنتن راودتن يوسف عن نفسه ؟ ثم ذكر سائر الحديث ، مثل حديث أبي كُريب ، عن وكيع .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عمرو ، قال : أخبرنا إسرائيل عن سِيَاك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما جمع الملك النسوة ، قال : أنتن راودتن يوسف عن نفسه ، ثم ذكر نحوه غير أنه قال : فغمزه جبرائيل ، فقال : ولا حين همت بها ؟ فقال يوسف (وَمَا أُبْرَى نَفْسِي إِنْ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن مسعر ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، قال : لما قال يوسف (ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَتَى لَمْ أَخْنُهِ بِالْغَيْبِ) قال جبرئيل ، أو ملك : ولا يوم همت بما همت به ؟ فقال (وَمَا أُبْرَى نَفْسِي إِنْ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ) .

حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا وكيع ، قال : ثنا مسعر ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير بنحوه ، إلا أنه قال : قال له الملك : ولا حين همت بها ؟ ولم يقل : أو جبرئيل ، ثم ذكر سائر الحديث مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بشر وأحمد بن بشير ، عن مسعر ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير (ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَتَى لَمْ أَخْنُهِ بِالْغَيْبِ) قال : فقال له الملك ، أو جبرئيل : ولا حين همت بها ؟ فقال يوسف : (وَمَا أُبْرَى نَفْسِي إِنْ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبي سنان ، عن ابن أبي الهذيل ، قال : لما قال يوسف (ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَتَى لَمْ أَخْنُهِ بِالْغَيْبِ) قال له جبرئيل : ولا يوم همت بما همت به ؟ فقال : (وَمَا أُبْرَى نَفْسِي إِنْ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي سنان ، عن ابن أبي الهذيل ، بمثله . حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عمرو ، قال : أخبرنا مسعر ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، مثل حديث ابن وكيع ، عن محمد بن بشر وأحمد بن بشير سواء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا العلاء بن عبد الجبار ، وزيد بن حباب ، عن حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن الحسن (ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَتَى لَمْ أَخْنُهِ بِالْغَيْبِ) قال له جبرئيل : اذكر همك ، فقال (وَمَا أُبْرَى نَفْسِي إِنْ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ) .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا حماد ، عن ثابت ، عن الحسن (ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَتَى لَمْ أَخْنُهِ بِالْغَيْبِ) قال جبرئيل : يا يوسف اذكر همك ، قال (وَمَا أُبْرَى نَفْسِي إِنْ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ) .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن إسماعيل بن سالم ، عن أبي صالح ، في قوله (ذَلِكَ لِيَعْلَمَ

أَتَى لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ) قال : هذا قول يوسف ، قال : فقال له جبرئيل : ولا حين حللت سراويلك ؟ قال : فقال يوسف (وَمَا أُبْرَى نَفْسِي ، إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ) . . . الآية .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن إسماعيل بن سالم ، عن أبي صالح ، بنحوه . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَتَى لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ) ذكر لنا أن الملك الذي كان مع يوسف ، قال له : اذكر ما هممت به ، قال نبي الله : (وَمَا أُبْرَى نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : بلغني أن الملك قال له حين قال ما قال : أتذكر همك ؟ فقال : (وَمَا أُبْرَى نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة ، قوله (ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَتَى لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ) قال الملك : وطعن في جنبه يا يوسف ، ولا حين هممت ؟ قال : فقال : (وَمَا أُبْرَى نَفْسِي) .

ذكر من قال قائل ذلك له المرأة

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي (ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَتَى لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ) قال : قاله يوسف حين جيء به ليُعَلِّمَ العزيز أنه لم يخنه بالغيب في أهله (وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ) فقالت امرأة العزيز : يا يوسف ، ولا يوم حللت سراويلك ؟ فقال يوسف (وَمَا أُبْرَى نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ) .

ذكر من قال قائل ذلك يوسف لنفسه ، من غير تذكير مذكر ذكره ،

ولكنه تذكير ما كان سلف منه في ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَتَى لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ) ، وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ) هو قول يوسف للملك حين أراه الله عذره ، فذكره أنه قد هم بها وهمت به ، فقال يوسف (وَمَا أُبْرَى نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ) . . . الآية .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالَ الْمَلِكُ أَتَنُوتَنِي بِهِ اسْتَخَاصَهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾

❖ يقول تعالى ذكره: وقال الملك: يعنى ملك مصر الأكبر، وهو فيما ذكر ابن سحاق: الوليد بن الريان. حدثنا بذلك ابن حميد، قال: ثنا سلمة عنه: حين تبين عذر يوسف، وعرف أمانته وعلمه، قال لأصحابه (اِثْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي) يقول: أجعله من خاصائى دون غيرى. وقوله (فَلَمَّا كَلَّمَهُ) يقول: فلما كلم الملك يوسف، وعرف براءته، وعظم أمانته، قال له: إنك يا يوسف لدينا مكين أمين: أى متمكن مما أردت، وعرض لك من حاجة قبيلنا، لرفعة مكانك ومنزلتك لدينا، أمين على ما أوتمنت عليه من شىء.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عمرو، عن أسباط، عن السدى، قال: لما وجد الملك له عذرا، قال: (اِثْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي).

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي) يقول: أتخذه لنفسى.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن أبي سنان، عن ابن أبي الهذيل، (قال الملك اِثْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي) قال: قال له الملك: إني أريد أن أخلصك لنفسى، غير أنى أنف أن تأكل معى، فقال يوسف: أنا أحق أن أنف، أنا ابن إسحاق، أو أنا ابن إسماعيل «أبو جعفر شك»، وفى كتابى: ابن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن أبي سنان، عن ابن أبي الهذيل بنحوه، غير أنه قال: أنا ابن إبراهيم خليل الله ابن إسماعيل ذبيح الله.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن أبي سنان، عن عبد الله بن أبي الهذيل قال: قال العزيز ليوسف: مامن شىء إلا وأنا أحب أن تشركنى فيه، إلا أنى أحب أن لا تشركنى فى أهلى، وأن لا يأكل معى عبدى، قال: أتأنف أن آكل معك؟ فأنا أحق أن أنف منك، أنا ابن إبراهيم خليل الله، وابن إسحاق الذبيح، وابن يعقوب الذى ابيضت عيناه من الحزن.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا سفيان بن عقبة، عن حمزة الزيات، عن ابن إسحاق، عن أبي ميسرة، قال: لما رأى العزيز لسبق يوسف وكيسه وظرفه، دعاه فكان يتغدى ويتعشى معه دون غلماناه؛ فلما كان بينه وبين المرأة ما كان، قالت له: تدنى هذا، مره فليتغدى مع الغلمان، قال له: اذهب فتغدى مع الغلمان، فقال له يوسف فى وجهه: ترغب أن تأكل معى، أو تنكف؟ أنا والله يوسف بن يعقوب نبي الله، ابن إسحاق ذبيح الله، ابن إبراهيم خليل الله.

القول فى تأويل قوله تعالى:

قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾

❖ يقول جل ثناؤه: قال يوسف للملك: اجعلنى على خزائن أرضك، وهى جمع خزانة، والألف واللام دخلتا فى الأرض خلفا من الإضافة، كما قال الشاعر:

والأحلامُ غيرُ عَوَازِبِ

وهذا من يوسف صلوات الله عليه مسألة منه للملك أن يوليه أمر طعام بلده وخراجها، والقيام بأسباب

بلده، ففعل ذلك الملك به فيما بلغنى.

كما حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، فى قوله (اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ) قال: كان لفرعون خزائن كثيرة غير الطعام، قال: فأسلم سلطانه كله إليه، وجعل القضاء

إليه، أمره وقضاؤه نافذ.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا إبراهيم بن المختار، عن شيبه الضبي، فى قوله (اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ

الْأَرْضِ) قال: على حفظ الطعام.

وقوله (إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ) اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله، فقال بعضهم: معنى ذلك: إني

حفيظ لما استودعتنى، عليم بما وليتنى.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق (إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ) إني حافظ لما استودعتنى،

عالم بما وليتنى، قال: قد فعلت.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ) يقول:

حفيظ لما وليت، عليم بأمره.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا إبراهيم بن المختار، عن شيبه الضبي فى قوله (إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ) يقول:

إني حفيظ لما استودعتنى، عليم بسنى المجاعة.

وقال آخرون: إني حافظ للحساب، عليم بالألسن.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عمرو، عن الأشجعي (إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ): حافظ للحساب، عليم

بالألسن.

❖ وأولى القولين عندنا بالصواب، قول من قال: معنى ذلك: إني حافظ لما استودعتنى، عالم بما

(١) هذا جزء من بيت للناطقة الذبياني فى شعره (مختار الشعر الجاهلى، بشرح مصطفى السقا، طبعة الحلبي ص ١٦٢) والبيت بتمامه:

لَهُمْ شِيْمَةٌ لَمْ يُعْطِهَا اللَّهُ غَيْرَهُمْ مِّنَ الْجُودِ، وَالْأَحْلَامُ غَيْرُ عَوَازِبِ

وهو من قصيدة فى مدح بعض آل جفنة غسانة الشام. والأحلام: جمع حلم بالكسر وهو العقل. وعوازب جمع عازب، وهو الفصال. والشاهد فيه نيابه آل عن المضاف إليه: أى وأحلامهم.

أوليتني ، لأن ذلك عقيب قوله (اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ) ومسألته الملك استكفاه خزائن الأرض ، فكان إعلامه بأن عنده خبرة في ذلك ، وكفايته إياه ، أشبه من إعلامه حفظه الحساب ، ومعرفته بالألسن .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ أَهْلَهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾

✠✠✠ يقول تعالى ذكره : وهكذا وطأنا ليوسف في الأرض : يعنى أرض مصر (يَتَّبِعُونَ أَهْلَهَا حَيْثُ يَشَاءُ) يقول : يتخذ من أرض مصر منزلا حيث يشاء بعد الحبس والضيق (نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ) من خلقنا ، كما أصابنا يوسف بها ، فمكنا له في الأرض بعد العبودة والإسار ، وبعد الإلقاء في الحب (وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) يقول : ولا نبطل جزاء عمل من أحسن فأطاع ربه ، وعمل بما أمره وانتهى عما نهاه عنه ، كما لم نبطل جزاء عمل يوسف إذ أحسن فأطاع الله .

وكان تمكين الله ليوسف في الأرض ، كما حدثنا ابن حميد ، ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما قال يوسف للملك (اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ لِأَنِّي حَفِيزٌ عَلَيْهِمْ) قال الملك : قد فعلت ، فولاه فيما يذكرون عمل إطفير ، وعزل إطفير عما كان عليه ، يقول الله (وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ أَهْلَهَا حَيْثُ يَشَاءُ) . . . الآية ، قال : فذكر لي والله أعلم أن إطفير هلك في تلك الليالي ، وأن الملك الريان بن الوليد زوج يوسف امرأة إطفير راعيل ، وأنها حين دخلت عليه ، قال : أليس هذا خير مما كنت تريدن ؟ قال : فيزعمون أنها قالت : أيها الصديق لا تلتمنى ، فإنني كنت امرأة كما ترى حسنا وجمالا ، ناعمة في ملك ودينا ، وكان صاحبي لا يأتي النساء ، وكنت كما جعلك الله في حسنك وهيئتك ، فغلبتني نفسي على ما رأيت ، فيزعمون أنه وجدها عذراء ، فأصابها ، فولدت له رجلين : إفرايم بن يوسف ، وميشا بن يوسف .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي (وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ أَهْلَهَا حَيْثُ يَشَاءُ) قال : استعمله الملك على مصر ، وكان صاحب أمرها ، وكان يلي البيع والتجارة ، وأمرها كله ، فذلك قوله (وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ أَهْلَهَا حَيْثُ يَشَاءُ) . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (يَتَّبِعُونَ أَهْلَهَا حَيْثُ يَشَاءُ) قال : ملكناه فيما يكون فيها حيث يشاء من تلك الدنيا ، يصنع فيها ما يشاء ، فوضت إليه . قال : ولو شاء أن يجعل فرعون من تحت يديه ، ويجعله فوقه لفعل .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو ، قال : أخبرنا هشيم ، عن أبي إسحاق الكوفي ، عن مجاهد ، قال : أسلم الملك الذي كان معه يوسف .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَا جُرْأَآخِرَةَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾

❖ يقول تعالى ذكره : ولثواب الله في الآخرة خير للذين آمنوا : يقول : للذين صدقوا الله ورسوله مما أعطى يوسف في الدنيا من تمكينه له في أرض مصر (وكانوا يتقون) يقول : وكانوا يتقون الله فيخافون عقابه في خلاف أمره ، واستحلال محارمه ، فيطيعونه في أمره ونهيه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٨﴾

❖ يقول تعالى ذكره : (وجاء إخوة يوسف ، فدخلوا عليه فعرفهم) يوسف ، (وهم) ليوسف (منكرون) لا يعرفونه .

وكان سبب مجيئهم يوسف فيما ذكر لي ، كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما اطمأن يوسف في ملكه ، وخرج من البلاء الذي كان فيه ، وخلت السنون المخصبة التي كان أمرهم بالإعداد فيها للسنين التي أخبرهم بها أنها كائنة ، جهد الناس في كل وجه ، وضربوا إلى مصر يلتمسون بها الميرة من كل بلدة . وكان يوسف حين رأى ما أصاب الناس من الجهد ، قد أسا بينهم ، وكان لا يحمل للرجل إلا بعيرا واحدا ، ولا يحمل للرجل الواحد بعيرين تقسيطا بين الناس ، وتوسيعا عليهم ، فقدم إخوته فيمن قدم عليه من الناس يلتمسون الميرة من مصر ، فعرفهم وهم له منكرون ، لما أراد الله أن يبلغ ليوسف عليه السلام ما أراد .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : أصاب الناس الجوع ، حتى أصاب بلاد يعقوب التي هو بها ، فبعث بنيه إلى مصر ، وأمسك أخا يوسف بنيامين ؛ فلما دخلوا على يوسف عرفهم وهم له منكرون ؛ فلما نظر إليهم ، قال : أخبروني ما أمركم ، فإني أنكر شأنكم ؟ قالوا : نحن قوم من أرض الشام ، قال : فما جاء بكم ؟ قالوا : جئنا نمتار طعاما ، قال : كذبتم ، أنتم عيون ، كم أنتم ؟ قالوا : عشرة ، قال : أنتم عشرة آلاف ، كل رجل منكم أمير ألف ، فأخبروني خبركم ، قالوا : إنا إخوة بنو رجل صديق ، وإنا كنا اثني عشر ، وكان أبونا يحب أخالنا ، وإنه ذهب معنا البرية فهلك منا فيها ، وكان أحبنا إلى أبينا ، قال : فإلى من سكن أبوكم بعده ؟ قالوا : إلى أخ لنا أصغر منه ، قال : فكيف تخبروني أن أباكم صديق ، وهو يحب الصغير منكم دون الكبير ؟ ائتوني بأخيكم هذا حتى أنظر إليه (فإن لم تأتوني به فلا كيئل لكم عندي ، ولا تقربون . قالوا سئراود عنه أباه ، وإننا لفاعلون) قال : فضعوا بعضكم رهينة حتى ترجعوا ، فوضعوا شمعون .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وهم له منكرون) قال : لا يعرفونه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالِ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوْفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ

الْمُنْزِلِينَ ﴿٥٩﴾

❖ يقول : ولما حمل يوسف لإخوته أباعرهم من الطعام ، فأوقر لكل رجل منهم بعيره ، قال لهم (ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِّنْ أَبِيكُمْ) كما أحمل لكم بعيرا آخر ، فزدادوا به حمل بعير آخر (أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوْفِي الْكَيْلَ) فلا أبخسه أحدا (وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ) ، وأنا خير من أنزل ضيفا على نفسه من الناس بهذه البلدة ، فأنا أضيفكم .

كما حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ) يوسف يقول : أنا خير من يضيف بمصر .

حدثني ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما جهز يوسف فيمن جهز من الناس ، حمل لكل رجل منهم بعيرا بعدتهم ، ثم قال لهم : (ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِّنْ أَبِيكُمْ) أجعل لكم بعيرا آخر ، أو كما قال (أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوْفِي الْكَيْلَ) : أي لا أبخس الناس شيئا (وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ) : أي خير لكم من غيري ، فإنكم إن أتيتم به أكرمت منزلتكم ، وأحسنتم إليكم ، وازددتم به بعيرا مع عدتكم ، فأني لا أعطي كل رجل منكم إلا بعيرا (فَإِنْ كَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي ، وَلَا تَقْرَبُونَ) لا تقربوا بلدي .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِّنْ أَبِيكُمْ) يعني بنيامين ، وهو أخو يوسف لأبيه وأمه .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَإِنْ لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونَ ﴿٦٠﴾

❖ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل يوسف لإخوته : (فَإِنْ لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ) بأخيكم من أبيكم (فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي) يقول : فليس لكم عندي طعام أكيه لكم (وَلَا تَقْرَبُونَ) يقول : ولا تقربوا بلادي . وقوله (وَلَا تَقْرَبُونَ) في موضع جزم بالنهي ، والنون في موضع نصب ، وكسرت لما حذف ياؤها ، والكلام : ولا تقربوني .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالُوا سُرُودٌ عَنَّا أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِيئِنهٖ أَجْعَلُوا بَضْعَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ

لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾

❖ يقول تعالى ذكره : قال إخوة يوسف ليوسف إذ قال لهم : (ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ) ، (قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ) ونسأله أن يخليه معنا حتى نجىء به إليك (وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ) يعنون بذلك : وإنا لفاعلون ماقلنا لك أنا نفعله من مراودة أبينا عن أخينا منه ولنجتهدن .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ) لنجتهدن .
وقوله (وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ) يقول تعالى ذكره : وقال يوسف لفتيانه : وهم غلماناه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ) : أى لغلماناه : (اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ) يقول : اجعلوا أثمان الطعام الذى أخذتموها منهم فى رحالهم . والرحال : جمع رحل ، وذلك جمع الكثير ، فأما القليل من الجمع منه ، فهو أرحل ، وذلك جمع ما بين الثلاثة إلى العشرة .

وبنحو الذى قلنا فى معنى البضاعة ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ) : أى أوراقتهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثم أمر ببضاعتهم التى أعطاهم بها ما أعطاهم من الطعام ، فجعلت فى رحالهم وهم لا يعلمون .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى ، قال : وقال لفتيته وهو يكيل لهم : اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون إلى .

❖ فإن قال قائل : ولأية علة أمر يوسف فتياه أن يجعلوا بضاعة إخوته فى رحالهم . قيل : يحتتمل ذلك أوجه : أحدها أن يكون خشى أن لا يكون عند أبيه دراهم ، إذ كانت السنة سنة جدد وقحط ، فيضرب أخذ ذلك منهم به ، وأحب أن يرجع إليه ، أو أراد أن يتسع بها أبوه وإخوته مع حاجتهم إليه ، فردّه عليهم من حيث لا يعلمون سبب ردّه تكرّما وتفضلا . والثالث : وهو أن يكون أراد بذلك أن لا يخلفوه الوعد فى الرجوع ، إذا وجدوا فى رحالهم ثمن طعام قد قبضوه ، وملكه عليهم غيرهم عوضا من طعامهم ، ويتحرّجوا من إمساكهم ثمن طعام قد قبضوه ، حتى يؤدّوه على صاحبه ، فيكون ذلك أدعى لهم إلى العود إليه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانَ نَكْتَلُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٣﴾

❖ يقول تعالى ذكره : فلما رجع إخوة يوسف إلى أبيهم ، قالوا (يا أبانا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ)

(١) جمع ورق بالتحريك ، وهو الفضة . يريد ثمن القمح الذى اشتراه إخوة يوسف (اللسان) .

مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلُ) يقول : مُنِعَ منا الكيل فوق الكيل الذي كيل لنا، ولم يُكَلِّ لكل رجل منا إلا كيل بعير ، فأرسل معنا أخانا بنيامين يكتل لنفسه كيل بعير آخر زيادة على كيل أباعرنا (وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) من أن يناله مكروه في سفره .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي : فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا : يا أبانا إن ملك مصر أكرمنا كرامة ما لو كان رجل من ولد يعقوب ما أكرمنا كرامته، وإنه ارتهن شمعون وقال : اثتوني بأخيكم هذا الذي عكف عليه أبوكم بعد أخيكم الذي هلك ، فإن لم تأتوني به فلا تقربوا بلادي ، قال يعقوب (هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا آمَنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ ، فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) قال : فقال لهم يعقوب : إذا أتيتم ملك مصر فاقرءوه مني السلام : وقولوا : إن أبانا يصلّي عليك ، ويدعوك بما أوليتنا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : خرجوا حتى قدموا على أبيهم ، وكان منزلهم فيما ذكر لي بعض أهل العلم بالعربيات من أرض فلسطين بغور الشام . وبعض يقول : بالأولاج من ناحية الشعب أسفل من حِسْمَى ، وكان صاحب بادية له شاء وإبل ، فقالوا : يا أبانا قدمنا على خير رجل أنزلنا ، فأكرم منزلنا وكال لنا فأوفانا ، ولم يبخسنا ، وقد أمرنا أن نأتيه بأخ لنا من أبنائنا ، وقال : إن أنتم لم تفعلوا فلا تقربوني ، ولا تدخلن بلدي ، فقال لهم يعقوب (هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا آمَنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ ، فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) .

واختلفت القراء في قراءة قوله (نَكْتَلُ) ، فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة وبعض أهل مكة والكوفة (نَكْتَلُ) بالنون ، بمعنى : نكتل نحن وهو . وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة (يَكْتَلُ) بالياء ، بمعنى يكتل هو لنفسه ، كما نكتال لأنفسنا .

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان ، متفقتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فصيب الصواب ، وذلك أنهم إنما أخبروا أباهم ، أنه منع منهم زيادة الكيل على عدد رءوسهم ، فقالوا (يا أبانا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ) ثم سأله أن يرسل معهم أخاهم ليكتال لنفسه ، فهو إذن اكتال لنفسه ، واكتالوا هم لأنفسهم ، فقد دخل الأخ في عدد دهم ، فسواء كان الخبر بذلك عن خاصة نفسه ، أو عن جميعهم بلفظ الجميع ، إذ كان مفهوما معنى الكلام ، وما أريد به .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا آمَنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ

الرَّاحِمِينَ ﴿١٠﴾

(١) العربيات : جمع عربية ، وهي بلدة في فلسطين ، نقله صاحب التاج عن صاحب المراسد . والأولاج : جمع ولجة ، بالتحريك . قال البكري : موضع بالرمل معروف اه ، وهو قريب من أجأ في بلاد طيء ، جنوبي الشام .

❖❖❖ يقول تعالى ذكره : قال أبوهم يعقوب : هل آمنكم على أخيكم من أبيكم الذي تسألوني أن أرسله معكم إلا كما أمنتكم على أخيه يوسف من قبل : يقول : من قبله .

واختلفت القراء في قراءة قوله (فاللهُ خَيْرٌ حَافِظًا) فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة وبعض الكوفيين والبصريين (فاللهُ خَيْرٌ حَفِظًا) بمعنى : والله خيركم حفظًا . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين وبعض أهل مكة (فاللهُ خَيْرٌ حَافِظًا) بالألف على توجيه الحافظ إلى أنه تفسير للخير ، كما يقال : هو خير رجلا ، والمعنى : فالله خيركم حافظًا ، ثم حذفت الكاف والميم .

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى ، قد قرأ بكل واحد منهما أهل علم بالقرآن ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، وذلك أن من وصف الله بأنه خيرهم حفظًا ، فقد وصفه بأنه خيرهم حفظًا ، ومن وصفه بأنه خيرهم حافظًا فقد وصفه بأنه خيرهم حفظًا (وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) يقول : والله أرحم راحم بخلقه ، يرحم ضعفي على كبر سني ، ووحدي بفقد ولدي ، فلا يضيعه ، ولكنه يحفظه حتى يردّه على لرحمته .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَمَّا فَكَّ حُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا
رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانًا وَنَزَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿١٠٠﴾

❖❖❖ يقول تعالى ذكره : ولما فتح إخوة يوسف متاعهم الذي حملوه من مصر من عند يوسف ، وجدوا بضاعتهم ، وذلك ثمن الطعام الذي اكتالوه منه ردت إليهم (قالوا يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت إلينا) يعني أنهم قالوا لأبيهم : ماذا نبغي؟ هذه بضاعتنا ردت إلينا ، تطيبنا منهم لنفسه بما صنع بهم في رد بضاعتهم إليه ، وإذا وجه الكلام إلى هذا المعنى كانت « ما » استفهاما في موضع نصب بقوله : (نَبْغِي) ، وإلى هذا التأويل كان يوجه قتادة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ما نَبْغِي) يقول : ما نبغي وراء هذا ، إن بضاعتنا ردت إلينا ، وقد أوفى لنا الكيل .
وقوله (وَنَمِيرُ أَهْلَنَا) يقول : ونطلب لأهلنا طعاما فنشتره لهم ، يقال منه : مَارَ فلان أهله يميرهم ميرًا ، ومنه قول الشاعر :

بَعَثْتُكَ مَائِرًا فَكَشَّتَ حَوْلًا مَتَى يَأْتِي غِيَاثُكَ مَن تَغِيثُ ١

(وَنَحْفَظُ أَخَانًا) الذي ترسله معنا (وَنَزَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ) يقول : ونزداد على أحمالنا الطعام حمل بعير يكال لنا ما حمل بعير آخر من إبلنا (ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ) يقول : هذا حمل يسير .

(١) المائر : اسم فاعل من ماره ، يقال : مارعياله وأهله يميرهم ميرا ، وامتارهم : جلب لهم الطعام . والميرة بالكسر : الطعام يمتاره الإنسان ، وهم يمتارون لأنفسهم ، ويمرون غيرهم . والميار : جالب الميرة .

كما حدثني الحارث، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج (وَنَزَدَادُ كَيْلٍ بَعِيرٍ)
قال : كان لكل رجل منهم حمل بعير ، فقالوا : أرسل معنا أخانا نزداد حمل بعير .

وقال ابن جريج : قال مجاهد (كَيْلٍ بَعِيرٍ) حمل حمار قال : وهى لغة ، قال القاسم : يعنى مجاهد :
أن الحمار يقال له فى بعض اللغات : بعير .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَنَزَدَادُ كَيْلٍ بَعِيرٍ) يقول :

حمل بعير .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَنَزَدَادُ كَيْلٍ بَعِيرٍ) نَعُدُّ بِهِ بَعِيرًا مَعَ إِبِلِنَا

(ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ) .

القول فى تأويل قوله تعالى :

قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِنْ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ

قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾

يقول تعالى ذكره : قال يعقوب لبيه : لن أرسل أناكم معكم إلى ملك مصر (حتى تؤتوا مَوْثِقًا مِنْ اللَّهِ) يقول : حتى تعطون مؤثقا من الله ، بمعنى الميثاق ، وهو ما يوثق به من يمين وعهد (لَتَأْتُنَّنِي بِهِ) يقول لتأتني : بأخيكم (إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ) يقول : إلا أن يحيط بجميعكم ما لا تقدرون معه على أن تأتونى به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ) قال : عهدهم .

حدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله

(إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ) : إلا أن تهلكوا جميعا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد .

قال : وحدثنا إسحاق ، قال : أخبرنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ)

قال : إلا أن تغلبوا حتى لا تطبقوا ذلك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قوله (إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ) : إلا أن يصيبكم أمر يذهب بكم جميعا ، فيكون ذلك عذرا لكم عندي .
 وقوله (فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْتِيهِمْ) يقول : فلما أعطوه عهدهم ، قال يعقوب (الله على ما نقول) أنا وأنتم (وكييل) يقول : هو شهيد علينا بالوفاء بما نقول جميعا .
 القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالَ يَبْنِي لَأَتَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَأَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أَعْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَلْحَمْتُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٧٧﴾

يقول تعالى ذكره : قال يعقوب لبيه لما أرادوا الخروج من عنده إلى مصر ليمتاروا الطعام : يا بني لا تدخلوا مصر من طريق واحد ، وادخلوا من أبواب متفرقة . وذكر أنه قال ذلك لهم ، لأنهم كانوا رجالا لهم جمال وهيبة ، فخاف عليهم العين إذا دخلوا جماعة من طريق واحد ، وهم ولد رجل واحد ، فأمرهم أن يفترقوا في الدخول إليها .

❖❖ كما حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يزيد الواسطي ، عن جوير ، عن الضحاك (لا تدخلوا من باب واحد) قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا بني لا تدخلوا من باب واحد) خشى نبي الله صلى الله عليه وسلم العين على بنيه ، كانوا ذوى صورة وجمال .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا بني لا تدخلوا من باب واحد) خشى نبي الله صلى الله عليه وسلم العين على بنيه ، كانوا ذوى صورة وجمال .
 حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وادخلوا من أبواب متفرقة) قال : كانوا قد أوتوا صورة وجمالا ، فخشى عليهم أنفسهم الناس .
 حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد) ، وادخلوا من أبواب متفرقة) قال : رهب يعقوب عليه السلام عليهم العين .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله (لا تدخلوا من باب واحد) خشى يعقوب على ولده العين .
 حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن الحباب ، عن أبي معشر ، عن محمد بن كعب (لا تدخلوا من باب واحد) قال : خشى عليهم العين .

قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : خشى يعقوب صلى الله عليه وسلم على بنيه العين ، فقال : (يا بني لا تدخلوا من باب واحد) فيقال : هؤلاء لرجل واحد ، ولكن ادخلوا من أبواب متفرقة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما أجمعوا الخروج ، يعنى ولد يعقوب ، قال يعقوب (يا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنِّى بَابٍ وَاحِدٍ وَاَدْخُلُوا مِنِّى أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ) خشى عليهم أعين الناس لهيبتهم ، وأنهم لرجل واحد .

وقوله (وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ) يقول : وما أقدر أن أدفع عنكم من قضاء الله الذى قد قضاه عليكم من شىء صغير ولا كبير ، لأن قضاءه نافذ فى خلقه (إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ) يقول : ما القضاء والحكم إلا لله دون ما سواه من الأشياء ، فإنه يحكم فى خلقه بما يشاء ، فينفذ فيهم حكمه ، ويقضى فيهم ، ولا يردّ قضاؤه (عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ) يقول : على الله توكلت ، فتوكلت به فيكم ، وفى حفظكم على حتى يردّكم إلىّ وأنتم سالمون معافون ، لاعلى دخولكم مصر إذا دخلتموها من أبواب متفرقة (وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ) يقول : وإلى الله فليفوض أمورهم المفوضون .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهُ وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾

❖❖ يقول تعالى ذكره : ولما دخل ولد يعقوب من حيث أمرهم أبوهم ، وذلك دخولهم مصر من أبواب متفرقة (ما كان يغنى) دخولهم إياها كذلك (عنهم من) قضاء (الله) الذى قضاه فيهم فتحتمه (من شىء) إلا حاجة فى نفس يعقوب قضاهها) إلا أنهم قضوا وطرا ليعقوب بدخولهم ، لامن طريق واحد خوفا من العين عليهم ، فاطمأنت نفسه أن يكونوا أو تواتوا من قبل ذلك أو نالهم من أجله مكروه .

كما حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إلا حاجة فى نفس يعقوب قضاهها) خيفة العين على بنيه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبلى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إلا حاجة فى نفس يعقوب قضاهها) قال : خشية العين عليهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قوله (إلا حاجة فى نفس يعقوب قضاهها)

قال : ما تخوف على بنيه من أعين الناس لهيبتهم وعدتهم .

وقوله (وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ) يقول تعالى ذكره : وإن يعقوب لذو علم لتعليمنا إياه .

وقيل : معناه وإنه لذو حفظ لما استودعنا صدره من العلم .

واختلف عن قتادة فى ذلك ، فحدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله :

(وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ) : أى مما علمناه .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن سفيان ، عن ابن أبي عروبة عن قتادة (وَإِنَّهُ لَدُوٌّ عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ) قال : إنه لعامل بما علم .
قال المثني ، قال إسحاق ، قال عبد الله ، قال سفيان : إنه لدو علم مما علمناه ، وقال : من لا يعمل لا يكون عالما (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) يقول جل ثناؤه : ولكن كثيرا من الناس غير يعقوب ، لا يعلمون ما يعلمه ، لأننا حرماناه ذلك فلم يعلمه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾

يقول تعالى ذكره : ولما دخل ولد يعقوب على يوسف (آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ) يقول : ضم إليه أخاه لأبيه وأمه ، وكل أخوه لأبيه .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي (وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ) قال : عرف أخاه ، فأنزلهم منزلا ، وأجرى عليهم الطعام والشراب ؛ فلما كان الليل جاءهم بمثل ، فقال : ليم كل أخوين منكم على مثال ؛ فلما بقي الغلام وحده ، قال يوسف : هذا ينام معي على فراشي ، فبات معه ، فجعل يوسف يشم ريحه ، ويضمه إليه حتى أصبح ، وجعل رُوبيل يقول : مارأينا مثل هذا ، أريحونا منه .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما دخلوا ، يعني ولد يعقوب على يوسف ، قالوا : هذا أخونا الذي أمرتنا أن نأتيك به ، قد جئناك به ، فذكر لي أنه قال لهم : قد أحسنتم وأصبتم ، وستجدون ذلك عندي ، أو كما قال ، ثم قال : إني أراكم رجالا ، وقد أردت أن أكرمكم ، ودعا ضافته فقال : أنزل كل رجلين على حدة ، ثم أكرمهما وأحسن ضيافتهما ، ثم قال : إني أرى هذا الرجل الذي جئتم به ليس معه ثان ، فسأضمه إلي ، فيكون منزله معي ، فأنزلهم رجلين رجلين في منازل شتى ، وأنزل أخاه معه ، فأواه إليه ، فلما خلا به (قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ) أنا يوسف (فَلَا تَبْتَئِسْ) بشيء فعلوه بنا فيما مضى ، فإن الله قد أحسن إلينا ، ولا تعلمهم شيئا مما أعلمتك ، يقول الله (وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ) ، قال : إني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ) ضمه إليه وأنزله ، وهو بنيامين .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثنا عبد الصمد بن معقل قال : سمعت وهب بن منبه ، يقول : وسئل عن قول يوسف (وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ) قال : إني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون) كيف أجابه حين أخذ بالصواع ، وقد كان أخبره أنه وأخوه وأنتم تزعمون أنه لم يزل متنكرا لهم يكأيدهم ، حتى رجعوا ، فقال : إنه لم يعترف له

(١) المثال ؛ الفراش ينام عليه ، جمعه مثل .

(٢) ضافته : يظهر أنه جمع ضائف وهم الموكلون بالضيوف من ضافته يضيفه : إذا نزل به ضيفا .

بالنسبة ، ولكنه قال : أنا أخوك مكان أخيك الهالك (فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) يقول : لا يحزنك مكانه .

وقوله (فَلَا تَبْتَئِسْ) يقول : فلا تستكين ولا تحزن ، وهو فلا تفتعل من البؤس ، يقال منه : ابتأس يبتأس ابتأسا .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَا تَبْتَئِسْ) يقول : فلا تحزن ، ولا تيأس .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثنا عبد الصمد ، قال : سمعت وهب بن منبه يقول (فَلَا تَبْتَئِسْ) يقول : لا يحزنك مكانه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي (فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) يقول : لا تحزن على ما كانوا يعملون .

فتأويل الكلام إذن : فلا تحزن ولا تستكين لشيء سلف من إخوتك إليك في نفسك وفي أخيك من أمك ، وما كانوا يفعلون قبل اليوم بك .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذِنَ مُؤَدِّنُ أَيَّتْهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧﴾

يقول : ولما حمل يوسف إبل إخوته ما حملها من الميرة وقضى حاجتهم ، كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ) يقول : لما قضى لهم حاجتهم ووفاهم كيلهم .

وقوله (جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ) يقول : جعل الإناء الذي يكيل به الطعام في رحل أخيه ، والسقاية : هي المشربة ، وهي الإناء الذي كان يشرب فيه الملك ، ويكيل به الطعام .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا عبد الواحد ، عن يونس ، عن الحسن أنه كان يقول : الصواع والسقاية سواء : هو الإناء الذي يشرب فيه .

قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : السقاية والصواع شيء

واحد ، كان يشرب فيه يوسف .

قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : السقاية الصُّوَّاع الذى يشرب فيه يوسف .

حدثنا محمد بن الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (جَعَلَ السَّقَايَةَ) قال : مشربة الملك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ) وهو إناء الملك الذى كان يشرب فيه .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (قَالُوا نَفَقِدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ) وهى السقاية التى كان يشرب فيها الملك يعنى مكوكه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (جَعَلَ السَّقَايَةَ) وقوله (صُوعَ الْمَلِكِ) قال : هما شىء واحد ، السقاية والصواع شىء واحد يشرب فيه يوسف . حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ) : هو الإناء الذى كان يشرب فيه الملك .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ) قال : السقاية : هو الصُّوَّاع ، وكان كأسا من ذهب فيما يذكرون . قوله (فِي رَحْلِ أَخِيهِ) فإنه يعنى : فى متاع أخيه ابن أمه وأبيه وهو بنيامين ، وكذلك قال أهل التأويل . ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فِي رَحْلِ أَخِيهِ) : أى فى متاع أخيه ، وقوله (ثُمَّ أذَّنَ مُؤَذِّنٌ) يقول : ثم نادى مناد ، وقيل : أعلم معلِّم (أَيَّتُهَا الْعِيرُ) : وهى القافلة فيها الأجمال (إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى (فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ) والأخ لا يشعر ، فلما ارتحلوا أذن مؤذن قبل أن ترتحل العير : (إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ) . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثم جهزهم بجهازهم ، وأكرمهم وأعطاهم وأوفاهم ، وحمل لهم بعيرا بعيرا ، وحمل لأخيه بعيرا باسمه ، كما حمل لهم ، ثم أمر بسقاية الملك ، وهو الصواع ، وزعموا أنها كانت من فضة ، فجعلت فى رحل أخيه بنيامين ، ثم أمهلهم حتى إذا انطلقوا وأمعنوا من القرية ، أمر بهم فأدرکوا ، فاحتبسوا ، ثم نادى مناد (أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ) قفوا

وانتهى إليهم رسوله ، فقال لهم فيما يذكرون : ألم نكرم ضيافتكم ، ونوفكم كيلكم ، ونحسن منزلتكم ، ونفعل بكم ما لم نفعل بغيركم ، وأدخلناكم علينا في بيوتنا ومنازلنا ؟ أو كما قال لهم ؟ قالوا : بلى ، وما ذاك ؟ قال : سقاية الملك فقدناها ، ولا نهم عليها غيركم (قالوا : تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين) .

وقوله (أيتها العير) قد بينا فيما مضى معنى العير ، وهو جمع لا واحد له من لفظه . وحكى عن مجاهد أن عير بنى يعقوب كانت حميرا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (أيتها العير) قال : كانت حميرا .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا رجل ، عن مجاهد ، في قوله (أيتها العير إنكم لسارقون) قال : كانت العير حميرا .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالُوا وَقَبِلُوا عَلَيْهِمْ مَا ذَانَفَقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا نَفَقِدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَّا بِهِ لَعَلِيمٌ ﴿٧٢﴾

يقول تعالى ذكره : قال بنو يعقوب لما نودوا (أيتها العير إنكم لسارقون) وأقبلوا على المنادى ومن بحضرتهم يقولون لهم (ماذا تفقدون) : ما الذى تفقدون (قالوا ننفقد صوع الملك) يقول : فقال لهم القوم : ننفقد مشربة الملك .

واختلفت القراءة في قراءة ذلك ، فذكر عن أبي هريرة أنه قرأ (صاع الملك) بغير واو ، كأنه وجهه إلى الصاع الذى يكال به الطعام . ورؤى عن أبي رجاء أنه قرأه (صوع الملك) ، ورؤى عن يحيى بن يعمر أنه قرأه (صوغ الملك) بالغين ، كأنه وجهه إلى أنه مصدر ، من قولهم صاغ يصوغ صوغا . وأما الذى عليه قراءة الأمصار : فصواع الملك ، وهى القراءة التى لأستجيز القراءة بخلافها لإجماع الحجة عليها ، والصواع : هو الإناء الذى كان يوسف يكيل به الطعام ، وكذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى هذا الحرف (صواع الملك) قال : كهية المكوك . قال : وكان للعباس مثله فى الجاهلية يشرب فيه .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، فى قوله (صواع الملك) قال : كان من فضة مثل المكوك . وكان للعباس منها واحد فى الجاهلية .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع . وحدثنا ابن وكيع . قال : ثنا أبي . عن شريك ، عن سماك ، عن عنكرة ، فى قوله (قالوا نَفَقِدُ صُوعَ الْمَلِكِ) قال : كان من فضة .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير ، أنه قرأ (صُوعَ الْمَلِكِ) قال وكان إناؤه الذى يشرب فيه ، وكان إلى الطول ما هو .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا سويد بن عمرو ، عن أبى عوانة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير (صُوعَ الْمَلِكِ) قال : المَكْوُوكُ الفارسى .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المهال ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير ، قال : (صُوعَ الْمَلِكِ) قال : هو المَكْوُوكُ الفارسى الذى يلتقى طرفاه ، كانت تشرب فيه الأعاجم .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مغراء ، عن جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله (صُوعَ الْمَلِكِ) قال : إناء الملك الذى كان يشرب فيه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يحيى : يعنى ابن عباد ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ، قال : (صُوعَ الْمَلِكِ) : مَكْوُوكٌ من فضة يشربون فيه . وكان للعباس واحد فى الجاهلية .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (صُوعَ الْمَلِكِ) : إناء الملك الذى يشرب فيه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا سعيد بن منصور ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن أبى بشر ، عن سعيد ابن جبير ، فى قوله (صُوعَ الْمَلِكِ) قال : هو المَكْوُوكُ الفارسى الذى يلتقى طرفاه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : الصواع : كان يشرب فيه يوسف .

حدثنا محمد بن معمر البحرانى ، قال : ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، قال : ثنا صدقة بن عباد ، عن أبيه عن ابن عباس (صُوعَ الْمَلِكِ) قال : كان من نحاس .

وقوله (وَ لِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلٌ بَعِيرٍ) يقول : ولمن جاء بالصواع حمل بعير من الطعام .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَ لِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلٌ بَعِيرٍ) يقول : وقدر بعير .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله تعالى (حِمْلٌ بَعِيرٍ) قال : حمل طعام وهى لغة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد .

(١) أى حمل حمار من طعام . . . الخ ، ويقال لما يحمل الميرة من الدواب : عير ، إبلا أو حميرا أو بغالا .

قال : وحدثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله (حِمْلٌ بِعَيْرٍ) قال : حمل طعام ، وهى لغة .
 حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : قوله (حِمْلٌ بِعَيْرٍ) قال : حمل حمار .

وقوله (وأنا به زَعِيمٌ) يقول : وأنا بأن أوفيه حمل بعير من الطعام إذا جاءنى بصواع الملك كفيل .
 وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى على ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله (وأنا به زَعِيمٌ) يقول : كفيل .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وأنا به زَعِيمٌ) الزعيم : هو المؤذن الذى قال (أَيَّتُّهَا الْعَيْرُ) .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بكر وأبو خالد الأحمر ، عن ابن جريج ، قال : بلغنى عن مجاهد ثم ذكر نحوه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ثنا عبد الواحد بن زياد ، عن ورقاء بن إياس ، عن سعيد بن جبير (وأنا به زَعِيمٌ) قال : كفيل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وأنا به زَعِيمٌ) : أى وأنا به كفيل .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وأنا به زَعِيمٌ) قال : كفيل .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو خالد الأحمر ، عن جوير ، عن الضحاك (وأنا به زَعِيمٌ) قال كفيل .
 حدثت عن الحسين بن الفرغ ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك ، فذكر مثله .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد (وأنا به زَعِيمٌ) قال كفيل .
 حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال لهم الرسول : إنه من جاءنا به فله حمل بعير وأنا به كفيل بذلك حتى أؤديه إليه ، ومن الزعيم الذى بمعنى الكفيل قول الشاعر :

فَلَسْتُ بِأَمِيرٍ فِيهَا بِسَلَمٍ وَلَكِنِّي عَلَى نَفْسِي زَعِيمٌ^١
 وأصل الزعيم في كلام العرب : القائم بأمر القوم ، وكذلك الكفيل والحميل ، ولذلك قيل : رئيس القوم
 زعيمهم ومدبرهم ، يقال منه : قد زعم فلان زعامة وزعاما ؛ ومنه قول ليلي الأخيلية :
 حتى إذا برز اللواء رأيتَهُ تحت اللواءِ على الحميسِ زعيماً^٢

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَاجِئَنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٢﴾

❖ يقول تعالى ذكره : قال إخوة يوسف (تالله) يعنى : والله ، وهذه التاء في تالله إنما هي واو قلبت
 تاء كما فعل ذلك في التورية ، وهي من ورّيت ، والترات ، وهي من ورثت ، والتخمة ، وهي من الوخامة
 قلبت الواو في ذلك كله تاء ، والواو في هذه الحروف كلها من الأسماء ، وليست كذلك في تالله ، لأنها إنما
 هي واو القسم ، وإنما جعلت تاء لكثرة ما جرى على ألسن العرب في الإيمان في قولهم والله ، فخصت في هذه
 الكلمة بأن قلبت تاء ، ومن قال ذلك في اسم الله ، فقال : تالله لم يقل تالرحمن وتالرحيم ، ولا مع شيء من
 أسماء الله ، ولا مع شيء مما يقسم به ، ولا يقال ذلك إلا في تالله وحده .
 وقوله (لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَاجِئَنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ) يقول : لقد علمتم ما جئنا لنعصي الله
 في أرضكم ، كذلك كان يقول جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المشي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ،
 في قوله (قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَاجِئَنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ) يقول : ما جئنا لنعصي في الأرض .
 ❖ فإن قال قائل : وما كان أعلم من قيل له (لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَاجِئَنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ) بأنهم لم
 يجيئوا لذلك حتى استجاز قائلو ذلك أن يقولوه ؟ قيل : استجازوا أن يقولوا ذلك لأنهم فيما ذكر ردوا
 البضاعة التي وجدوها في رحالهم ، فقالوا : لو كنا سرّا لم نردّ عليكم البضاعة التي وجدناها في رحالنا .
 وقيل : إنهم كانوا قد عرفوا في طريقهم ومسيرهم أنهم لا يظلمون أحدا ، ولا يتناولون ما ليس لهم ، فقالوا
 ذلك حين قيل لهم (إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ) .

(١) البيت للمؤسّس الأزدي ، قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن (١ : ٣١٥) واستشهد به على أن « زعيم » بمعنى كفيل . وبعد

البيت بيت آخر ، وهو :

بَغَزَوْ مِثْلَ مِثْلٍ وَلَغَ الذُّئْبُ حَتَّى يَنْوَأَ بِصَاحِبِي ثَأْرٌ مُنِيْمٌ

(٢) البيت في « اللسان : زعم » شاهد على أن « الزعيم بمعنى السيد الرئيس » . قال : وزعيم القوم رئيسهم وسيدهم . وقيل : رئيسهم

المتكلم عنهم ، ومدبرهم ، والجمع زعماء ، والزعامة : السيادة والرياسة ، وقد زعم زعامته ، قال : حتى إذا رفع اللواء... الخ البيت .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ وَإِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾

❖❖❖ يقول تعالى ذكره : قال أصحاب يوسف لإخوته : فما ثواب السرّاق إن كنتم كاذبين في قولكم (ماجئنا لنفسيد في الأرض وما كنا سارقين . قالوا : جزاؤه من وُجد في رحله فهو جزاؤه) . يقول جل ثناؤه : وقال إخوة يوسف : ثواب السرّاق من وُجد في متاعه السرّاق فهو جزاؤه ، يقول : فالذي وجد ذلك في رحله ، ثوابه بأن يُسَلِّمَ بسرّاقته إلى من سرق منه ، حتى يسترقه (كذلك نجزي الظالمين) يقول : كذلك نفعل بمن ظلم ، ففعل ما ليس له فعله من أخذه مال غيره سرّاقا . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فهو جزاؤه) : أي سلّم به (كذلك نجزي الظالمين) : أي كذلك نصنع بمن سرّاق منا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، قال : بلغنا ، في قوله (قالوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ) أخبروا يوسف بما يُحْكَمُ في بلادهم أنه من سرّاق أخذ عبدا ، فقالوا (جزاؤه من وُجد في رحله فهو جزاؤه) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، (قالوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ؟ قالوا جزاؤه من وُجد في رحله فهو جزاؤه) تأخذونه فهو لكم .

ومعنى الكلام : قالوا : ثواب السرّاق الموجود في رحله ، كأنه قيل : ثوابه استرقاق الموجود في رحله ، ثم حذف استرقاق ، إذ كان معروفا معناه ، ثم ابتدئ الكلام فقيل : هو جزاؤه (كذلك نجزي الظالمين) . وقد يحتمل وجه آخر : أن يكون معناه : قالوا : ثواب السرّاق الذي يوجد السرّاق في رحله ، فالسارق جزاؤه ، فيكون جزاؤه الأوّل مرفوعا بجملة الخير بعده . ويكون مرفوعا بالعائد من ذكره في هو ، وهو : رافع جزاؤه الثاني .

ويحتمل وجهها ثالثا : وهو أن تكون « مَنْ » جزائية ، وتكون مرفوعة بالعائد من ذكره في الهاء التي في رحله ، والجزء الأوّل مرفوعا بالعائد من ذكره في وجد ، ويكون جواب الجزاء الفاء في « فهو » . والجزء الثاني مرفوع بهو ، فيكون معنى الكلام حينئذ : قالوا : جزاء السرّاق من وُجد السرّاق في رحله ، فهو ثوابه يُسْتَرْقُ ويستعبد .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كَدْنَا لِيُوسُفَ
مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ
ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٥٦﴾

❖ يقول تعالى ذكره : ففتش يوسف أوعيتهم ورحالهم ، طالبا بذلك صواع الملك ، فبدأ في تفتيشه بأوعية إخوته من أبيه ، فجعل يفتشها وعاء وعاء قبل وعاء أخيه من أبيه وأمه ، فإنه أحر تفتيشه ، ثم فتش آخرها وعاء أخيه ، فاستخرج الصواع من وعاء أخيه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ) ذكر لنا أنه كان لا ينظر في وعاء إلا استغفر الله تأثما مما قد فهم به ، حتى بقي أخوه ، وكان أصغر القوم ، قال : ما أرى هذا أخذ شيئا ، قالوا : بلى فاستبره^١ ، ألا وقد علموا حيث وضعوا سقايتهم ، ثم استخرجها من وعاء أخيه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : فاستخرجها من وعاء أخيه ، قال : كان كلما فتح متاعا استغفر تأثما مما صنع ، حتى بلغ متاع الغلام ، فقال : ما أظن هذا أخذ شيئا ، قالوا : بلى ، فاستبره .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي ، قال (فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ) فلما بقي رحل الغلام ، قال : ما كان هذا الغلام ليأخذه ، قالوا : والله لا يترك حتى تنظر في رحله ، لنذهب وقد طابت نفسك ، فأدخل يده فاستخرجها من رحله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما قال الرسول لهم (وَلَمَّا جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ) قالوا : ما نعلمه فينا ولا معنا ، قال : لستم ببارحين حتى أفتش أمتعكم ، وأعد في طلبها منكم ، فبدأ بأوعيتهم وعاء وعاء ، يفتشها وينظر ما فيها ، حتى مر على وعاء أخيه ففتشه ، فاستخرجها منه ، فأخذ برقبته ، فانصرف به إلى يوسف ، يقول الله (كَذَلِكَ كَدْنَا لِيُوسُفَ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : ذكر لنا أنه كان كلما بحث متاع رجل منهم استغفر ربه تأثما ، قد علم أين موضع الذي يطلب ، حتى إذا بقي أخوه وعلم أن بغيته فيه ، قال : لأرى هذا الغلام أخذه ، ولا أبالي أن لأبحث متاعه ، قال إخوته : إنه أطيب لنفسك ، وأنفسنا أن تستبرئ متاعه أيضا ، فلما فتح متاعه استخرج بغيته منه ، قال الله (كَذَلِكَ كَدْنَا لِيُوسُفَ) .

(١) أصله : استبره ، أي اطلب براهته بتفتيشه ، ثم خفف الهمزة ، وحذفها للأمر .

واختلف أهل العربية في الهاء والألف اللتين في قوله (ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ) فقال بعض نحوِّي البصرة: هي من ذكر الصواع ، قال : وأنث ، وقد قال (وَلَمَّا جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ) لأنه عنى الصُّوع ، قال : والصواع مذكر ، ومنهم من يؤنث الصواع ، وعنى ههنا السقاية ، وهي مؤنثة . قال : وهما اسمان لواحد مثل الثوب والملحفة مذكر ومؤنث لشيء واحد .

وقال بعض نحوِّي الكوفة في قوله (ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ) ذهب إلى تأنيث السرقة ، قال : وإن لم يكن الصواع في معنى الصاع ، فلعل هذا التأنيث من ذلك ، قال : وإن شئت جعلته لتأنيث السقاية ، قال : والصواع ذكر ، والصاع يؤنث ويذكر ، فمن أنه قال : ثلاث أصوع مثل ثلاث أدور ، ومن ذكره قال : أصواع مثل أبواب .

وقال آخر منهم : إنما أنث الصواع حين أنث لأنه أرادت به السقاية ، وذكر حين ذكر ، لأنه أريد به الصواع ، قال : وذلك مثل الحيوان والمائدة ، وسنان الرمح وعاليتها ، وما أشبه ذلك من الشيء الذي يجتمع فيه اسمان : أحدهما مذكر ، والآخر مؤنث .

وقوله (كَذَلِكَ كِيدْنَا لِيُوسُفَ) يقول : هكذا صنعنا ليوسف حتى يُخَلِّصَ أخاه لأبيه وأمه من إخوته لأبيه ، بإقرار منهم أن له أن يأخذه منهم ، ويحتبسه في يديه ، ويحول بينه وبينهم ، وذلك أنهم قالوا إذ قيل لهم : (مَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ) جزاء من سرق الصواع أن من وجد ذلك في رحله فهو مُسْتَرَقٌّ به ، وذلك كان حكمهم في دينهم ، فكاد الله ليوسف كما وصف لنا حتى أخذ أخاه منهم ، فصار عنده بحكمهم وصنع الله له .

وقوله (مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) يقول : ما كان يوسف ليأخذ أخاه في حكم ملك مصر وقضائه وطاعته منهم ، لأنه لم يكن من حكم ذلك الملك وقضائه أن يُسْتَرَقَ أحد بالسرق ، فلم يكن ليوسف أخذ أخيه في حكم ملك أرضه ، إلا أن يشاء الله بكيده الذي كاده له ، حتى أَسْلَمَ مَنْ وَجَدَ فِي وَعَائِهِ الصُّوعَ إِخْوَتَهُ وَرَفَقَاؤَهُ بِحُكْمِهِ عَلَيْهِ ، وطابت أنفسهم بالتسليم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : ثنا شباية ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ) إلا فعلة كادها الله له ، فاعتل بها يوسف .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله . حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (كَذَلِكَ كِيدْنَا لِيُوسُفَ) كادها الله له ، فكانت علة ليوسف .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) قال : إلا فعلة كادها الله فاعتل بها يوسف .

قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (كذلك كيدنا ليوسُف) قال : صنعنا .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي (كذلك كيدنا ليوسُف) يقول :
صنعنا ليوسف .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک
يقول في قوله (كذلك كيدنا ليوسُف) يقول : صنعنا ليوسف .
واختلف أهل التأويل في تأويل قوله (ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك) فقال بعضهم :
ما كان ليأخذ أخاه في سلطان الملك .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،
(ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك) يقول : في سلطان الملك .
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک
يقول في قوله (ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك) يقول : في سلطان الملك .
وقال آخرون : معنى ذلك : في حكمة وقضائه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ما كان ليأخذ أخاه في دين
الملك إلا أن يشاء الله) يقول : ما كان ذلك في قضاء الملك أن يستعبد رجلا بسرقه .
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (في دين الملك)
قال : لم يكن ذلك في دين الملك ، قال : حكمه .
حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح محمد بن ليث المروزي ، عن رجل قد سماه ، عن عبد الله بن
المبارك ، عن أبي مودود المدني ، قال : سمعت محمد بن كعب القرظي يقول (قالوا جزاؤه من وجد
في رحله فهو جزاؤه) ، كذلك كيدنا ليوسُف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك) قال :
دين الملك لا يؤخذ به من سرق أصلا ، ولكن الله كاد لأخيه ، حتى تكلموا ماتكلموا به ، فأخذهم بقولهم ،
وليس في قضاء الملك .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، قال : بلغه في قوله (ما كان
ليأخذ أخاه في دين الملك) قال : كان حكم الملك أن من سرق ضوعف عليه الغرم .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي (ما كان ليأخذ أخاه في دين
الملك) يقول : في حكم الملك .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك) : أي
بظلم ، ولكن الله كاد ليوسف ليضم إليه أخاه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (ما كان ليأخذ أخاهُ في دينِ الملكِ) قال : ليس في دين الملك أن يؤخذ السارق بسرقة ، قال : وكان الحكم عند الأنبياء يعقوب وبنيه : أن يؤخذ السارق بسرقة عبدا يُسرق . وهذه الأقوال وإن اختلفت ألفاظ قائلها في معنى دين الملك ، فتقاربة المعاني ، لأن من أخذه في سلطان الملك عامله بعمله ، فيريناها أخذته إذا لم يغيره ، وذلك منه حكم عليه ، وحكمه عليه قضاؤه ، وأصل الدين : الطاعة ، وقد بينت ذلك في غير هذا الموضع بشواهد بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

وقوله (إلا أن يشاء الله) كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي (إلا أن يشاء الله) ولكن صنعنا له بأنهم قالوا : (فهو جزاؤه) .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إلا أن يشاء الله) إلا بعله كادها الله ، فاعتل بها يوسف .

وقوله (نرفع درجات من نشاء) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأه بعضهم (نرفع درجات من نشاء) بإضافة الدرجات إلى « من » بمعنى : نرفع منازل من نشاء ، رفع منازل ومرتبه في الدنيا بالعلم على غيره ، كما رفعنا مرتبة يوسف في ذلك ومنزلته في الدنيا على منازل إخوته ومرتبتهم . وقرأ ذلك آخرون (نرفع درجات من نشاء) بتووين الدرجات ، بمعنى : نرفع من نشاء مراتب ودرجات في العلم على غيره ، كما رفعنا يوسف ، فمن على هذه القراءة نصب ، وعلى القراءة الأولى خفض . وقد بيننا ذلك في سورة الأنعام .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حماد ، قال : قال ابن جريج ، قوله (نرفع درجات من نشاء) يوسف وإخوته أوتوا علما ، فرفعنا يوسف فوقهم في العلم .

وقوله (وفوق كل ذي علم عليم) يقول تعالى ذكره : وفوق كل عالم من هو أعلم منه حتى ينتهي ذلك إلى الله تعالى ، وإنما عني بذلك أن يوسف أعلم إخوته ، وأن فوق يوسف من هو أعلم من يوسف ، حتى ينتهي ذلك إلى الله تعالى .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو عامر العقدي ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الأعلى الثعلبي ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، أنه حدث بحديث ، فقال رجل عنده (وفوق كل ذي علم عليم) فقال ابن عباس : بثما قلت ، إن الله هو عليم ، وهو فوق كل عالم .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن عبد الأعلى

(١) كذا وردت هذه الكلمة في الأصل المخطوط ، وفيها غموض .

عن سعيد بن جبير ، قال : حدثت ابن عباس بحديث ، فقال رجل عنده : الحمد لله (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) فقال ابن عباس : العالم الله ، وهو فوق كل عالم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورى ، عن عبد الأعلى ، عن سعيد بن جبير ، قال : كنا عند ابن عباس ، فحدثت حديثا ، فتعجب رجل فقال : الحمد لله (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) فقال ابن عباس : بثما قلت : الله العليم ، وهو فوق كل عالم .

حدثنا الحسن بن محمد وابن وكيع ، قالا : ثنا عمرو بن محمد ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن سالم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) قال : يكون هذا أعلم من هذا ، وهذا أعلم من هذا ، والله فوق كل عالم .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا سعيد بن منصور ، قال : أخبرنا أبو الأحوص ، عن عبد الأعلى ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) قال : الله الخبير العليم فوق كل عالم .

حدثني المشي ، قال : ثنا عبيد الله ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن عبد الأعلى ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) قال : الله فوق كل عالم .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي عن أبي معشر ، عن محمد بن كعب ، قال : سألت رجل عليا عن مسألة ، فقال فيها ، فقال الرجل : ليس هكذا ، ولكن كذا وكذا ، قال علي : أصبت وأخطأت (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) .

حدثني يعقوب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن عسيرة ، عن خالد ، عن عكرمة ، في قوله (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) قال : علم الله فوق كل أحد .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن نصر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) قال : الله عز وجل .

حدثنا ابن وكيع ، ثنا يعلى بن عبيد ، عن سفيان ، عن عبد الأعلى ، عن سعيد بن جبير (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) قال : الله أعلم من كل أحد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن ابن شبرمة ، عن الحسن ، في قوله (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) قال : ليس عالم إلا فووقه عالم حتى ينتهى العلم إلى الله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عاصم ، قال : ثنا جويرية ، عن بشير الهجيمي ، قال : سمعت الحسن قرأ هذه الآية يوما (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) ، ثم وقف فقال : إنه والله ما أمسى على ظهر الأرض عالم إلا فووقه من هو أعلم منه ، حتى يعود العلم إلى الذى علمه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا علي ، عن جرير ، عن ابن شبرمة ، عن الحسن (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) قال : فوق كل عالم عالم ، حتى ينتهى العلم إلى الله .

(١) لعل هذه الرواية أظهر من التى قبلها ، فإن ابن عباس فهم من كلام الرجل أنه هو العليم ، فرد عليه القول بأن العليم هو الله ، أما من عداه فيوصف بأنه عالم ، لا عليم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) حتى ينتهي العلم إلى الله ، منه بدى ، وتعلمت العلماء ، وإليه يعود . في قراءة عبد الله (وَفَوْقَ كُلِّ عَالِمٍ عَلِيمٌ) .

❖❖❖ قال أبو جعفر : إن قال لنا قائل : وكيف جاز ليوسف أن يجعل السقاية في رحل أخيه ، ثم يسرق قوما أبرياء من السرقة ، ويقول (أَيَّتُهَا الْعَيْرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ) ؟ قيل : إن قوله (أَيَّتُهَا الْعَيْرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ) إنما هو خبر من الله عن مؤذن أذن به ، لا خبر عن يوسف . وجائز أن يكون المؤذن أذن بذلك أن فقد الصواع ، ولا يعلم بصنيع يوسف . وجائز أن يكون كان أذن المؤذن بذلك عن أمر يوسف ، واستجاز الأمر بالنداء بذلك ، لعلمه بهم أنهم قد كانوا سرقوا سرقة في بعض الأحوال ، فأمر المؤذن أن يناديهم بوصفهم بالسرقة ، ويوسف يعنى ذلك السرقة ، لا سرقهم الصواع . وقد قال بعض أهل التأويل : إن ذلك كان خطأ من فعل يوسف ، فعاقبه الله بإجابة القوم إياه (إِنَّ يَسْرِقُ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ) وقد ذكرنا الرواية فيما مضى بذلك .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالُوا إِنْ يَسْرِقُ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يَوْسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَّانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿١٧﴾

❖❖❖ يقول تعالى ذكره (قَالُوا إِنْ يَسْرِقُ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ) يعنون أخاه لأبيه وأمه وهو يوسف .

كما حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِنَّ يَسْرِقُ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ) ليوسف .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (إِنَّ يَسْرِقُ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ) قال : يعنى يوسف .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ) قال : يوسف .

وقد اختلف أهل التأويل في السرقة الذي وصفوا به يوسف ، فقال بعضهم : كان صنما بلده أبي أمه كسره وألقاه على الطريق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن عمرو البصرى ، قال : ثنا العيص بن الفضل ، قال : ثنا مسعر ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبیر (إِنَّ يَسْرِقُ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ) قال : سرق يوسف صنما بلده أبي أمه كسره وألقاه في الطريق ، فكان إخوته يعيبونه بذلك .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَقَدَ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ) ذكر أنه سرق صنما لجدّه أبي أمه ، فعيره بذلك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ) : أرادوا بذلك عيب نبيّ الله يوسف ، وسرقته التي عابوه بها صنم كان لجدّه أبي أمه ، فأخذه ، إنما أراد نبيّ الله بذلك الخير ، فعابوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، في قوله (إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ) قال : كانت أم يوسف أمرت يوسف يسرق صنما لحاله يعبده ، كانت مسلمة . وقال آخرون في ذلك ما حدثنا به أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت أبي ، قال : كان بنو يعقوب على طعام اضطرّ يوسف إلى عرق^(١) ، فخبأه ، فعيره بذلك (إِنْ يَسْرِقْ ، فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ) .

وقال آخرون في ذلك بما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد أبي الحجاج ، قال : كان أول ما دخل على يوسف من البلاء فيما بلغني أن عمته ابنة إسحاق ، وكانت أكبر ولد إسحاق ، وكانت إليها منطقة إسحاق ، وكانوا يتوارثونها بالكبر ، فكان من اختصّ بها ممن وليها كان له سلما لا ينازع فيه ، يصنع فيه ما شاء ، وكان يعقوب حين ولد له يوسف ، كان قد حضنته عمته ، فكان معها وإليها ، فلم يجب أحد شيئا من الأشياء حبها إياه حتى إذا ترعرع وبلغ سنوات ، وقعت نفس يعقوب عليه ، أتاه فقال : يا أخية سلمى إلى يوسف ، فوالله ما أقدر على أن يغيب عني ساعة ، فقالت : والله ما أنا بتاركته ، والله ما أقدر أن يغيب عني ساعة ، قال : فوالله ما أنا بتاركة ، قالت : فدعه عندي أياما أنظر إليه ، وأسكن عنه ، لعل ذلك يسليني عنه ، أو كما قالت ؛ فلما خرج من عندها يعقوب عمدت إلى منطقة إسحاق فحزمتها على يوسف من تحت ثيابه ، ثم قالت : لقد فقدت منطقة إسحاق ، فانظروا من أخذها ومن أصابها ، فالتمست ثم قالت : اكشفوا أهل البيت ، فكشفوهم ، فوجدوها مع يوسف ، فقالت : والله إنه لي لسلم أصنع فيه ما شئت . قال : وأتاه يعقوب فأخبرته الخبر ، فقال لها : أنت وذاك إن كان فعل ذلك ، فهو سلم لك ، ما أستطيع غير ذلك ، فأمسكته فما قدر عليه يعقوب حتى ماتت ، قال : فهو الذي تقول إخوة يوسف حين صنع بأخيه ما صنع ، حين أخذه (إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ) . قال ابن حميد : قال ابن إسحاق : لما رأى بنو يعقوب ما صنع إخوة يوسف ، ولم يشكوا أنه سرق ، قالوا أسفا عليهم لما دخل عليهم في أنفسهم تأنيبا له (إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ) ؛ فلما سمعها يوسف (قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا) سراً في نفسه (وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ) . وقوله (فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ، قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ) يعني بقوله : فأسرّها : فأضمرها ، وقال : فأسرّها : فأنت ، لأنه عني بها الكلمة ، وهي

(١) العرق ، بفتح العين ، وإسكان الراء : العظم إذا أخذ عنه معظم اللحم ، وبقي عليه لحوم رقيقة طيبة فيؤكل لحمه ، ويتمشش عظمه ، والعرق أيضا : الفدرة من اللحم (اللسان) .

أنتم شر مكانا ، والله أعلم بما تصفون ، ولو كانت جاءت بالتذكير كان جائزا ، كما قيل (تِلْكَ مِن أَنْبَاءِ الْغَيْبِ - وَذَلِكَ مِنَ أَنْبَاءِ الْقُرَى) ، وكفى عن الكلمة ، ولم يجر لها ذكر متقدّم ، والعرب تفعل ذلك كثيرا ، إذا كان مفهوما المعنى المراد عند سامعي الكلام ، وذلك نظير قول حاتم الطائي :

أماوي ما يُغْنِي الثَّرَاءُ عَنِ الْفَتَى إِذَا حَشْرَجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ

يريد : وضاق بالنفس الصدر ، فكفى عنها ، ولم يجر لها ذكر ، إذ كان في قوله : إذا حشرجت يوما ، دلالة لسامع كلامه على مراده بقوله : وضاق بها . ومنه قول الله (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) فقال : من بعدها ، ولم يجر قبل ذلك ذكر لاسم مؤنث .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبَدِّهَا لَهُمْ) أما الذي أسر في نفسه فقوله (أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ ، وَلَمْ يُبَدِّهَا لَهُمْ) ، قال : أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ) قال هذا القول . حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبَدِّهَا لَهُمْ) يقول : أسر في نفسه قوله (أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ) .

وقوله (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ) يقول : والله أعلم بما تكذبون فيما تصفون به أخاه بنيامين .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ) يقولون : يوسف يقول .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله . حدثني المثني ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ) : أي بما تكذبون .

(١) البيت في (اللسان : حشرج) قال : الحشرجة : تردد صوت النفس ، وهو الغرغرة في الصدر عند الموت . تمثلت :

بالبيت أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر ودخلت على أبيها عند موته قائلة :

لعمرك ما يغني الثراء ولا الغنى إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

والبيت لحاتم يخاطب زوجه ماوية . والشاهد فيه : أن الضمير في حشرجت ليس له مرجع مذكور في الكلام .

فمعنى الكلام إذن : فأسرّها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم ، قال : أنتم شرّ عند الله منزلاً ممن وصفتموه بأنه سرق ، وأخبت مكانا بما سلف من أفعالكم ، والله عالم بكذبكم ، وإن جهله كثير ممن حضر من الناس ، وذكر أن الصواع لما وُجد في رحل أخى يوسف تلاوم القوم بينهم كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السديّ ، قال : لما استخرجت السرقة من رحل الغلام انقطعت ظهورهم ، وقالوا : يا بنى راحيل ، ما يزال لنا منكم بلاء حتى أخذت هذا الصواع ، فقال بنيامين : بل بنو راحيل الذين لا يزال لهم منكم بلاء ، ذهبتم بأخى فأهلكتموه في البرية ، وضع هذا الصواع في رحلى الذى وضع الدراهم في رحالكم ، فقالوا : لا تذكر الدراهم فنؤخذ بها ؛ فلما دخلوا على يوسف دعا بالصواع ، فنقر فيه ، ثم أدناه من أذنه ، ثم قال : إن صواعى هذا ليخبرنى أنكم كنتم اثني عشر رجلاً ، وأنكم انطلقتم بأخ لكم فبعتموه ؛ فلما سمعها بنيامين ، قام فسجد ليوسف ، ثم قال : أيها الملك ، سل صواعك هذا عن أخى أحمى هو؟ فنقره ، ثم قال : هو حىّ ، وسوف تراه ، قال : فاصنع بى ماشئت ، فإنه إن علم بى سوف يستنقذنى ، قال : فدخل يوسف فبكى ، ثم توضأ ، ثم خرج فقال بنيامين : أيها الملك إنى أريد أن تضرب صواعك هذا فيخبرك بالحقّ ، فسله من سرقه ، فجعله في رحلى ، فنقره فقال : إن صواعى هذا غضبان ، وهو يقول : كيف تسألنى عن صاحبي ، وقد رؤيت مع من كنت ، قال : وكان بنو يعقوب إذا غضبوا لم يطاقوا ، فغضب روبيل ، فقال : أيها الملك ، والله لتركنا ، أو لأصيحنّ صيحة لا يبقى بمصر امرأة حامل إلا ألقى ما في بطنها ، وقامت كل شعرة في جسد روبيل ، فخرجت من ثيابه ، فقال يوسف لابنه : قم إلى جنب روبيل فسه ؛ وكان بنو يعقوب إذا غضب أحدهم فسه الآخر ذهب غضبه ، فرّ الغلام إلى جنبه فسه ، فذهب غضبه ، فقال روبيل : من هذا؟ إن في هذا البلد لبررا من بزر يعقوب ، فقال يوسف من يعقوب؟ فغضب روبيل فقال : يا أيها الملك لا تذكر يعقوب ، فإنه سرى الله ، ابن ذبيح الله ، ابن خليل الله ، قال يوسف : أنت إذن كنت صادقاً .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدًا مَكَانَهُ ۗ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٦﴾

يقول تعالى ذكره : قالت إخوة يوسف ليوسف (يا أيُّها العزيزُ) يا أيُّها الملك (إنَّ لهُ أبًا شَيْخًا كَبِيرًا) كلفا بحبه ، يعنون يعقوب (فَيَخُذْ أَحَدًا مَكَانَهُ) يعنون فخذ أحدا منا بدلا من بنيامين ، وجلّ عنه (إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) يقولون : إنا نراك من المحسنين في أفعالك .

وقال محمد بن إسحاق في ذلك ، ما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) إنا نرى ذلك منك إحسانا إن فعلت .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنَ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ وَإِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ ﴿٧٦﴾

يقول تعالى ذكره : قال يوسف لإخوته (معاذ الله) أعوذ بالله ، وكذلك تفعل العرب في كل مصدر وضعته موضع يَفْعَلُ وَيَفْعَلِ ، فإنها تنصب كقولهم : حمداً لله وشكراً له ، بمعنى : أحمد الله وأشكره ؛ والعرب تقول في ذلك : معاذ الله ، ومعاذة الله ، فتدخل فيه هاء التانيث كما يقولون : ما أحسن معناه هذا الكلام ، وعود الله ، وعوده الله ، وعاذ الله ؛ ويقولون : اللهم عاذاً بك ، كأنه قيل : أعوذ بك عائداً ، أو أدعوك عائداً (أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده) يقول : أستجير بالله من أن نأخذ بريئاً بسقيم .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده ، إننا إذا لظالمون) يقول : إن أخذنا غير الذي وجدنا متاعنا عنده أنا إذا فعل ما ليس لنا فعله ، ونجور على الناس .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي (قالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيئاً كبيراً ، فيأخذ أحداً من مكانه ، إننا نراك من المحسنين . قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده ، إننا إذا لظالمون) قال يوسف : إذا أتيتم أباكم فأقرئوه السلام ، وقولوا له : إن ملك مصر يدعوك أن لا تموت حتى ترى ابنك يوسف ، حتى يعلم أن في أرض مصر صدق يقين مثله .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَمَّا اسْتَيْسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمَنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٧٧﴾

يقول تعالى ذكره (فلما استيسوا منه) فلما يسوا منه من أن يخلى يوسف عن بنيامين ، ويأخذ منهم واحداً مكانه ، وأن يجيبهم إلى ما سألوه من ذلك ، وقوله (استيسوا) استفعلوا ، من يس الرجل من كذا يئس .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فلما استيسوا منه) يسوا منه ورأوا شدته في أمره .

وقوله (خلصوا نجياً) يقول بعضهم لبعض : يتناجون ، لا يختلط بهم غيرهم ، والنجى جماعة القوم المنتجين يسمى به الواحد والجماعة ، كما يقال : رجل عدل ، ورجال عدل ، وقوم زور وفطر ، وهو

مصدر من قول القائل : نجوت فلانا أنجوه نجيا ، جعل صفة ونعتا . ومن الدليل على أن ذلك كما ذكرنا قول الله تعالى (وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا) فوصف به الواحد ، وقال فى هذا الموضع (خَلَّصُوا نَجِيًّا) فوصف به الجماعة ، ويجمع النَجِيَّ أنجية ، كما قال لبيد :

وَشَهِدْتُ أَنْجِيَّةَ الْأَفَاقَةِ عَالِيَا كَعَبِي وَأُرْدَاةَ الْمُلُوكِ شُهُودًا

وقد يقال للجماعة من الرجال : نجوى ، كما قال جل ثناؤه (وَإِذْ هُمْ نَجْوَى) وقال (مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ) وهم القوم الذين يتناجون ، وتكون النجوى أيضا مصدرا ، كما قال الله (إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ) تقول منه : نجوت أنجو نجوى ، فهى فى هذا الموضع : المناجاة نفسها ، ومنه قول الشاعر :

بُنَى بَدَا خِبُّ نَجْوَى الرَّجَالِ فَكُنْ عِنْدَ سِرِّكَ خِبُّ النَّجْوَى

فالنجوى والنجى فى هذا البيت بمعنى واحد ، وهو المناجاة ، وقد جمع بين اللغتين .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله (خَلَّصُوا نَجِيًّا) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى (فَلَمَّا اسْتَيَّأَسُوا مِنْهُ خَلَّصُوا نَجِيًّا) وأخلص لهم شمعون ، وقد كان ارتنه ، حملوا بينهم نجيا يتناجون بينهم .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (خَلَّصُوا نَجِيًّا) خلصوا وحدهم نجيا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (خَلَّصُوا نَجِيًّا) : أى خلا بعضهم ببعض ، ثم قالوا : ماذا ترون .

وقوله (قَالَ كَبِيرُهُمْ) اختلف أهل العلم فى المعنى بذلك ، فقال بعضهم : عنى به كبيرهم فى العقل والعلم ، لافى السن ، وهو شمعون ، قالوا : وكان روبيل أكبر منه فى الميلاد .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ،

(١) البيت للبيد ، استشهد به أبو عبيدة فى (مجاز القرآن ١ : ٣١٥) قال فى معنى قوله تعالى (خلصوا نجيا) : أى اعتزلوا نجيا يتناجون . والنجى : يقع لفظه على الواحد والجمع أيضا . وقد يجمع ، فيقال : نجى وأنجى ، وقال لبيد : « وشهدت أنجية » . . . البيت . والشاهد فيه أن فاعل حشرجت ضمير تقديره هى راجع إلى النفس . المفهومة من السياق . والنفس مؤنثة ، فلذلك أنث الفعل بالتاء . وانظره فى (اللسان : أفق) .

(٢) البيت للصلتان العبدى : قثم بن خبية ، أورده صاحب الخزانة مع عدة أبيات له (١ : ٣٠٨) وأورد المقطوعة أبو تمام فى الحماسة ، وعدتها تسعة أبيات وقال التبريزى فى شرح البيت (٣ : ١١٢) : الحب : المكر بكسر الخاء ، والحب بفتحها : المكر . والنجوى مصدر ، وهو مستعمل فيما يتحدث فيه اثنان على طريق السر والكتمان . فيقول : إذا ناجيت صاحبك . فكن خبا فيما تودعه من سره فإن نجوى الرجال إذا بدا خبها عادت وبالا . والنجى : يقع على الواحد والجمع ، وكذلك النجوى ؛ وفى القرآن : وإذ هم نجوى هـ .

في قول الله تعالى (قَالَ كَبِيرُهُمْ) قال : هو شمعون الذي تخلف ، وأكبر منه ، وأكبر منهم في الميلاد روبييل .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شباة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (قال كَبِيرُهُمْ) : شمعون الذي تخلف ، وأكبر منه في الميلاد روبييل .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (قال كَبِيرُهُمْ) قال : شمعون الذي تخلف ، وأكبرهم في الميلاد روبييل .

وقال آخرون : بل عَسَىٰ به كبيرهم في السن وهو روبييل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قال كَبِيرُهُمْ) وهو روبييل أخو يوسف ، وهو ابن خالته ، وهو الذي نهاهم عن قتله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (قال كَبِيرُهُمْ)

قال : روبييل ، وهو الذي أشار عليهم أن لا يقتلوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي (قال كَبِيرُهُمْ) في العلم (أن

أباكم قد أخذ عليكم مَوثِقًا مِنْ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلِ مَا فَرَطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أُبْرِحَ الْأَرْضَ)

... الآية ، فأقام روبييل بمصر ، وأقبل التسعة إلى يعقوب فأخبروه الخبر ، فبكى وقال : يا بني ماتذهبون

مرة إلا نقصتم واحدا ، ذهبتم مرة فنقصتم يوسف ، وذهبتم الثانية فنقصتم شمعون ، وذهبتم الآن فنقصتم روبييل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فَلَمَّا اسْتَيَأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا) قال :

ماذا ترون ؟ فقال روبييل كما ذكر لي ، وكان كبير القوم (أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أباكم قد أخذ عليكم

مَوثِقًا مِنْ اللَّهِ - لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ - وَمِنْ قَبْلِ مَا فَرَطْتُمْ فِي يُوسُفَ) . . . الآية

وأولى الأقوال في ذلك بالصحة ، قول من قال : عن بقوله (قال كَبِيرُهُمْ) روبييل لإجماع جميعهم

على أنه كان أكبرهم سنا ، ولا تفهم العرب في المخاطبة إذا قيل لهم : فلان كبير القوم مطلقا بغير وصل إلا

أحد معنيين ، إما في الرياسة عليهم والسؤدد ، وإما في السن ، فأما في العقل فإنهم إذا أرادوا ذلك وصلوه ،

فقالوا : هو كبيرهم في العقل ، فأما إذا أطلق بغير صلته بذلك فلا يفهم إلا ما ذكرت . وقد قال أهل التأويل

لم يكن لشمعون ، وإن كان قد كان من العلم والعقل بالمكان الذي جعله الله به على إخوته رياسة وسؤدد ،

فيعلم بذلك أنه عنى بقوله (قال كَبِيرُهُمْ) فإذا كان ذلك كذلك ، فلم يبق إلا الوجه الآخر ، وهو

الكبر في السن ، وقد قال الذين ذكرنا جميعا : روبييل كان أكبر القوم سنا ، فصح بذلك القول الذي اخترناه .

وقوله (أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أباكم قد أخذ عليكم مَوثِقًا مِنْ اللَّهِ) يقول : ألم تعلموا أيها

(١) لعله في السن تأمل .

القوم أن أباكم يعقوب قد أخذ عليكم عهد الله وموآثيقه ، لأنأيننه به جميعا ، إلا أن يُحاط بكم ، ومن قبل فعلتكم هذه تفريطكم في يوسف : يقول : أو لم تعلموا من قبل هذا تفريطكم في يوسف . وإذا صرف تأويل الكلام إلى هذا الذي قلناه ، كانت « ما » حينئذ في موضع نصب . وقد يجوز أن يكون قوله (وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ) خبرا مبتدأ ، ويكون قوله (أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ) خبرا متناهيا ، فتكون « ما » حينئذ في موضع رفع ، كأنه قيل : ومن قبل هذا تفريطكم في يوسف ، فتكون « ما » مرفوعة بمن قبل هذا ، ويجوز أن تكون « ما » التي تكون صلة في الكلام ، فيكون تأويل الكلام : ومن قبل هذا تفريطكم في يوسف .

وقوله (فَلَنْ أُبْرِحَ الْأَرْضَ) التي أنا بها ، وهي مصر فأفارقها (حتى يَأْذَنَ لِي أَبِي) بالخروج منها ، كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فَلَنْ أُبْرِحَ الْأَرْضَ) التي أنا بها اليوم (حتى يَأْذَنَ لِي أَبِي) بالخروج منها .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال شمعون : (لَنْ أُبْرِحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي ، أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ) .
وقوله (أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي) : أو يقضى لي ربي بالخروج منها ، وترك أخي بنيامين ، وإلا فإني غير خارج (وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ) يقول : والله خير من حكم ، وأعدل من فصل بين الناس .
وكان أبو صالح يقول في ذلك بما حدثني الحسين بن يزيد السبيعي ، قال : ثنا عبد السلام بن حرب ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح في قوله (حتى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي) قال : بالسيف ، وكان أبو صالح وجه تأويل قوله (أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي) إلى : أو يقضى الله لي بحرب من من معنى من الانصراف بأخي بنيامين إلى أبيه يعقوب ، فأحاربه .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَرْجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ

حَافِظِينَ ﴿٨١﴾

✽ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل رُوبيل لإخوته حين أخذ يوسف أخاه بالصواع الذي استخرج من وعائه (ارجعوا) لإخوتي (إلى آبائكم) يعقوب (فتقولوا) له (يا أبانا إن ابنك) بنيامين (سرق) ، والقراءة على قراءة هذا الحرف بفتح السين والراء والتخفيف (إن ابنك سرق) . وروى عن ابن عباس (إن ابنك سرق) بضم السين وتشديد الراء ، على وجه ما لم يسم فاعله ، بمعنى : أنه سرق (وما شهدنا إلا بما علمنا) .

(١) هذا مصدر صريح ، مأخوذ من ما المصدرية والفعل الماضي « ما فرطتم » .

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : وما قلنا : إنه سَرَقَ إلا بظاهر علمنا بأن ذلك كذلك ، لأن صَوَاعَ الملك أصيب في وعائه دون أوعية غيره .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (ارجعوا إلى أبيكم) فإني ما كنت راجعا حتى يأتيني أمره ، (فقولوا يا أبانا إن ابنك سَرَقَ وما شهدنا إلا بما علمنا) : أي قد وجدَت السرقة في رحله ، ونحن ننظر لاعلم لنا بالغيب (وما كنا للغيب حافظين) .
وقال آخرون : بل معنى ذلك : وما شهدنا عند يوسف بأن السارق يؤخذ بسرقة إلا بما علمنا .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : قال لهم يعقوب عليه السلام : ما يدري هذا الرجل أن السارق يؤخذ بسرقة إلا بقولكم ؟ فقالوا : (ما شهدنا إلا بما علمنا) لم نشهد أن السارق يؤخذ بسرقة ، إلا وذلك الذي علمنا . قال : وكان الحكم عند الأنبياء يعقوب وبنيه : أن يؤخذ السارق بسرقة عبدا فيسرق .

وقوله (وما كنا للغيب حافظين) يقول : وما كنا نرى أن ابنك يسرق ويصير أمرنا إلى هذا ، وإنما قلنا (ونحفظ أماننا) مما لنا إلى حفظه منه السبيل .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسين بن الحرith أبو عمار المروزي ، قال : ثنا الفضل بن موسى ، عن الحسن بن واقد ، عن يزيد ، عن عكرمة (وما كنا للغيب حافظين) قال : ما كنا نعلم أن ابنك يسرق .
حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وما كنا للغيب حافظين) لم نشعر أنه سيسرق .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وما كنا للغيب حافظين) قال : لم نشعر أنه سيسرق .
حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وما كنا للغيب حافظين) قال : لم نشعر أنه سيسرق .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد وأبوسفيان ، عن معمر ، عن قتادة (وما كنا للغيب حافظين) قال : ما كنا نظن ولا نشعر أنه سيسرق .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وما كنا للغيب حافظين) قال : ما كنا نرى أنه سيسرق .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ) قال : ما كنا نظن أن ابنك يسرق .
 وَأُولَى التَّوِيلِينَ بِالصَّوَابِ عِنْدَنَا فِي قَوْلِهِ (وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا) قول من قال . وما شهدنا بأن ابنك سرق ، إلا بما علمنا من رؤيتنا للصواع في وعائه ، لأنه عقيب قوله (إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ) فهو بأن يكون خبراً عن شهادتهم بذلك أولى من أن يكون خبراً عما هو منفصل .
 وذكر أن الغيب في لغة حمير هو الليل بعينه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَسَأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٨٧﴾

يقول : وإن كنت متهما لنا لاتصدقنا على ما نقول من أن ابنك سرق ، فاسأل القرية التي كنا فيها ، وهي مصر ، يقول : سل من فيها من أهلها (والعير التي أقبلنا فيها) وهي القافلة التي كنا فيها ، التي أقبلنا منها معها ، عن خبر ابنك ، وحقيقة ما أخبرناك عنه من سرقة ، فإنك تخبر مصداق ذلك (وَإِنَّا لَصَادِقُونَ) فيما أخبرناك من خبره .
 وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا) وهي مصر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : (وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا) قال : يعنون مصر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلامة ، عن ابن إسحاق ، قال : قد عرف رُوَيْبِلُ فِي رَجْعِ قَوْلِهِ لِإِخْوَتِهِ أَنَّهُمْ أَهْلُ تَهْمَةٍ عِنْدَ آبِيهِمْ ، لَمَا كَانُوا صَنَعُوا فِي يَوْسُفَ ، وَقَوْلُهُمْ لَهُ (اسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا ، وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا) فَقَدْ عَلِمُوا مَا عَلَّمْنَا ، وَشَهِدُوا مَا شَهِدْنَا إِنْ كُنْتَ لَا تَصَدِّقُنَا (وَإِنَّا لَصَادِقُونَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٨﴾

قال أبو جعفر : في الكلام متروك ، وهو : فرجع إخوة بنيامين إلى أبيهم ، وتخلّف رُوَيْبِلُ ، فأخبروه خبره ، فلما أخبروه أنه سرق قال (بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً) يقول : بل زينّت لكم أنفسكم أمراً همتم به وأردتموه (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ) يقول : فصبري على ما نالني من فقد ولدي صبر جميل لا جزع

فيه ولا شكايه ، عسى الله أن يأتيني بأولادى جميعا ، فيردّهم علىّ (إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ) بوحدتى وبفقدتهم وحزنى عليهم ، وصدق مايقولون من كذبه (الحكيم) فى تدبيره خلقه . قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد، قال : ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ) يقول : زينب، وقوله (عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً) يقول : بيوسف وأخيه وروبيل . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما جاءوا بذلك إلى يعقوب ، يعنى بقول روبيل لهم أتهمهم ، وظنّ أن ذلك كفعالتهم بيوسف ، ثم قال (بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً) : أى بيوسف وأخيه وروبيل .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يَوْسُفَٰ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾

❖❖ يعنى تعالى ذكره بقوله (وَتَوَلَّى عَنْهُمْ) وأعرض عنهم يعقوب (وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يَوْسُفَ) يعنى : يا حزنا عليه ، يقال : إن الأسف هو أشدّ الحزن والتندم ، يقال منه : أسفت على كذا أسف عليه أسفا ، يقول الله جلّ ثناؤه : وابتيضت عينا يعقوب من الحزن (فَهُوَ كَظِيمٌ) يقول : فهو مكظوم على الحزن ، يعنى أنه مملوء منه ممسك عليه ، لا يبينه صرف المفعول منه إلى فعل .

ومنه قوله (وَالكَاطِمِينَ الْغَيْظَ) وقد بيّنا معناه بشواهد فى ما مضى .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ما قلنا فى تأويل قوله (وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يَوْسُفَ)

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَتَوَلَّى عَنْهُمْ) أعرض عنهم ، وتنامّ حزنه ، وبلغ مجهوده حين لحق بيوسف أخوه وهيج عليه حزنه على يوسف ، فقال (يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يَوْسُفَ) ، وابتيضت عيناؤه من الحزن فهو كظيم .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يَوْسُفَ) يقول : يا حزنى على يوسف .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شباة ، قال : ثنا ورقاء ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجیح ، عن مجاهد ، قوله (يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يَوْسُفَ) : يا حزنا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجیح ، عن مجاهد (يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يَوْسُفَ) : يا جزعاه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (يا أسفًا على يوسف) يا جزعاه حزنا .

حدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (يا أسفًا على يوسف) قال : يا جزعا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا أسفًا على يوسف) أى حزناه . حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يا أسفًا على يوسف) قال : يا حزناه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن حميد المعمرى ، عن معمر ، عن قتادة نحوه . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (وقال يا أسفًا على يوسف) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي حنيفة ، عن الضحاك (يا أسفًا على يوسف) قال : يا حزنا على يوسف .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أبي مرزوق ، عن جوير ، عن الضحاك (يا أسفًا) يا حزناه . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : ثنى هشيم ، قال : أخبرنا جوير عن الضحاك (يا أسفًا) يا حزنا على يوسف .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا الثوري ، عن سفيان العصفري ، عن سعيد بن جبير ، قال : لم يعط أحدٌ غير هذه الامة الاسترجاع ، ألا تسمعون إلى قول يعقوب (يا أسفًا على يوسف) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن سعيد بن جبير ، نحوه . ذكر من قال ما قلنا في تأويل قوله تعالى (وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ) حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فهو كَظِيمٌ) قال : كظيم الحزن .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فهو كَظِيمٌ) قال : كظيم الحزن .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحوه . حدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فهو كَظِيمٌ) قال : الحزن .

(١) لعله ترك المتن اختصاراً أو اكتفاء بما تقدم عنه بسند محمد بن سعد .

حدثني المثنى ، قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَهَوَ كَظِيمٌ) مكمود .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فَهَوَ كَظِيمٌ) قال : كظيم على الحزن .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، في قوله (فَهَوَ كَظِيمٌ) قال : الكظيم : الكميد .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا الحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك ، في قوله (فَهَوَ كَظِيمٌ) قال كمد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا جويبر ، عن الضحاك ، في قوله (كَظِيمٌ) قال : كمد .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهَوَ كَظِيمٌ) يقول : يردّ حزنه في جوفه ولم يتكلم بسوء .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (فَهَوَ كَظِيمٌ) قال : كظيم على الحزن فلم يقل بأسا .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا الحسين بن الحسن ، قال : ثنا ابن المبارك ، قال : أخبرنا معمر ، عن

قتادة ، في قوله (وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهَوَ كَظِيمٌ) قال : كظيم على الحزن فلم يقل إلا خيرا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن يزيد بن زريع ، عن عطاء الخراساني (فَهَوَ كَظِيمٌ) قال : مكروب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي (فَهَوَ كَظِيمٌ) قال : من الغيظ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ

الْحُزْنِ فَهَوَ كَظِيمٌ) . قال : الكظيم : الذي لا يتكلم ، بلغ به الحزن حتى كان لا يكلمهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالُوا تَاللّٰهِ تَفْتُوْا نَدَّ كُرْيُوْسُفَ حَتّٰى تَكُوْنَ حَرَضًا اَوْ تَكُوْنَ مِنَ الْهٰلِكِيْنَ ﴿٨٥﴾

❖❖ يعني تعالى ذكره : قال ولد يعقوب الذين انصرفوا إليه من مصر له حين قال (يَا اَسْفَا عَلَى يُوْسُفَ) تالله لا تزال تذكر يوسف .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد :

(تَفْتُوْ) تَفْتَرُّ من حبه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شباية ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (تَفْتَوُّ) ما تفر من حبه ، كذا قال الحسن في حديثه ، وهو غلط ، إنما هو : تَفْتَرُّ من حبه ، تزال تذكر يوسف .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (قالوا تالله تَفْتَوُّ تَذْكَرُ يُوْسُفَ) قال : لا تفر من حبه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (تَفْتَوُّ) : تفر من حبه .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (تالله تَفْتَوُّ تَذْكَرُ يُوْسُفَ) قال : لا تزال تذكر يوسف .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (قالوا تالله تَفْتَوُّ تَذْكَرُ يُوْسُفَ) قال : لا تزال تذكر يوسف ، قال : لا تفر من حبه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (تَفْتَوُّ تَذْكَرُ يُوْسُفَ) قال : لا تزال تذكر يوسف .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (تَفْتَوُّ تَذْكَرُ يُوْسُفَ) قال : لا تزال تذكر يوسف ١ .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (تَفْتَوُّ تَذْكَرُ يُوْسُفَ) قال : لا تزال تذكر يوسف ، يقال منه : ما فتئت أقول ذلك ، وما فتأت لغة أقيء وأفأتأ فتأ وفتوءا . وحكى أيضا ما أفأتأ به ؛ ومنه قول أوس بن حجر :

فما فتئت حتى كأن غبارها
سرادق يوم ذي رباح ترفع^٢
وقول الآخر :

فما فتئت خييل تثوب وتدعي
ويلحق منها لاحق وتقطع^٣

بمعنى : فما زالت ، وحذفت « لا » من قوله (تَفْتَوُّ) وهي مرادة في الكلام ، لأن اليمين إذا كان ما بعدها خبرا لم يصحبها الجحد ، ولم تسقط اللام التي يجاب بها الأيمان ، وذلك كقول القائل : والله لا تينك ، وإذا كان ما بعدها مجحودا تلقيت بما أو بلا ؛ فلما عرف موقعها حذفت من الكلام لمعرفة السامع بمعنى الكلام ومنه قول امرئ القيس :

(١) كذا في النسخ ، وهو مكرر سندا ومتنا باللفظ والمعنى .

(٢) البيت لأوس بن حجر التيمي ، من قصيدة له في وصف الخيل ، منها ثلاثة أبيات في كتاب « المعاني الكبير لابن قتيبة

ص ١٠٠٢ » وهو شاهد مثل الذي قبله على أن معنى ما فتئت : ما زالت .

(٣) البيت لأوس بن حجر التيمي أيضا ، استشهد به أبو عبيدة في مجاز القرآن (١ : ٣١٦) على أن معنى « فما فتئت » ما زالت .

فَقُلْتُ يَمِينُ اللَّهِ أَبْرَحُ قَاعِدًا وَلَوْ قَطَّعُوا رَأْسِي لَدَيْكَ وَأَوْصَالِي ١

فحذفت « لا » من قوله : أبرح قاعدا ، لما ذكرت من العلة ، كما قال الآخر :

فَلَا وَأَبِي دَهْمَاءَ زَالَتْ عَزِيْزَةً عَلَى قَوْمِهَا مَا فَتَّلَ الزَّنْدَ قَادِحٌ ٢

يريد : لزالته .

وقوله (حتى تَكُونُ حَرَضًا) يقول : حتى تكون دنف الجسم ، مخبول العقل . وأصل الحرَض :

الفساد في الجسم والعقل من الحزن أو العشق ؛ ومنه قول العرجي :

إِنِّي امْرُؤٌ لَجَّ بِي حُبًّا فَأَحْرَضَنِي حَتَّى بُلِيْتُ وَحَتَّى شَفَّيْنِي السَّقَمُ ٣

يعنى بقوله : فأحرضني : أذابني فتركتني مُحْرَضًا ، يقال منه : رجل حَرَضٌ ، وامرأة حَرَضٌ ، وقوم حَرَضٌ ،

ورجلان حَرَضٌ ، على صورة واحدة للمذكر والمؤنث ، وفي التثنية والجمع ، ومن العرب من يقول للذكر :

حارِضٌ ، وللأنثى حارِضة ، فإذا وصف بهذا اللفظ ثني وجمع وذكر وأنث ، ووجد حرض بكل حال ،

ولم يدخله التأنيث لأنه مصدر ، فإذا أخرج على فاعل على تقدير الأسماء ، لزمه ما يلزم الأسماء من التثنية

والجمع والتذكير والتأنيث . وذكر بعضهم سماعا رجل محرض : إذا كان وجعا ، وأنشد في ذلك بيتا .

(١) البيت لامرئ القيس ، من شعره في (مختار الشعر الجاهلي ، بشرح مصطفي السقا طبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بالقاهرة ، ص ٣٨) . أبرح : أي لا أبرح بإضمار حرف النني ، لدلالة المعنى عليه ، لأن الفعل بعد القسم غير مؤكد ، ولو كان الكلام إثباتا ، لوجب توكيد الفعل بالنون . ومثله في القرآن « تالله تفتأ تذكر يوسف » أي لا تفتأ . حذف منه حرف النني ، كما حذف في قول امرئ القيس : « يمين الله أبرح » أي لا أبرح . والأوصال : جمع وصل ، بالكسر ، وهو كل عضو ينفصل من آخر .

(٢) أورد البيت البغدادي في خزنة الأدب الكبرى (٤ : ٤٥ - ٤٧) ولم يعرف قائله ولا تنمة الشعر . وهو شاهد على أنه قد فصل بالجار والمجرور أعني الجملة القسمية ، وهو « وأبي دهما » ؛ بين « لا » النافية ، وبين « زالت » . وهذا الفصل لا يجيزه النحاة ، ويعتبرون ما جاء منه شاذا ، إلا ابن هشام في باب الجملة الاعتراضية فقد قال : ويفصل بين حرف النني ومنفيه ، كقوله فلا وأبي دهما زالت عزيزة . وقال الفراء في معاني القرآن (الورقة ١٥٦ من مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩) : قالوا « تالله تفتأ تذكر يوسف » معناها : لا تزال تذكر يوسف . ولا قد يضم مع الأيمان ، لأنها إذا كانت خبرا ، لا يضم فيها لا ، لم تكن لإلابلام ألا ترى أنك تقول والله لا آتيناك ، لا يجوز أن تقول : والله آتيناك ، إلا أن تكون تريد لا ، فلما تبين موضعها ، وفارقت الخبر أضمرت . قال امرئ القيس : « فقلت يمين الله أبرح » . . . البيت . وأنشد بعضهم : « فلا وأبي دهما زالت عزيزة . . . » البيت . يريد لا زالت . وقد تبع المؤلف الفراء في قوله . وقال ابن الملا الحلبي (الخزنة ٤ : ٤٦) يجوز أن تكون لا في البيت ردا ، وحرف النني محذوفا ولا اعتراض . انتهى . وقد رد شارح كافية ابن الحاجب محمد بن الحسن الإستراباذي هذا الجواز (٢ : ٢٩٥ طبع الشركة الصحافية العثمانية بالقسطنطينية سنة ١٣١٠ هـ) قال : وقوله : « فلا » وأبي دهما زالت عزيزة « شاذ ، وليس مما حذف منه حرف النني ، كما في قوله تعالى : « تالله تفتأ تذكر يوسف » بتأويل لا وأبي دهما لا زالت ، لأن حذفها لم يسمع إلا من مضارعاتها ، وإنما جاز حذفها لعدم اللبس ، إذ قد تقرر أنها لا تكون ناقصة إلا معها . قال :

تَنْفَسُكَ تَسْمَعُ مَا حَيَّيْتَ بِهِالِكَ حَتَّى تَكُونَهُ

ويحذف منها كثيرا في جواب القسم ، كقوله تعالى : « تالله تفتأ تذكر يوسف » لأن حذف حرف النني في جواب القسم ثابت في غير هذه الأفعال أيضا ، نحو والله أقوم : أي لا أقوم ، فكيف بها . هـ .

ودهما : اسم امرأة ، أقسم الشاعر بوالدها ، وجملة « لا زالت عزيزة » جواب القسم . وفتل الزند أو تفتيله عند الاقتداح مفصل في الخزنة (٤ : ٤٧) فراجع .

(٣) البيت للعرجي عبد الله بن عمر بن عبد الله (انظره في اللسان : حرَض) . وذكره أبو عبيدة شاهدا على أن معنى أحرضني : إذا بني (مجاز القرآن : ١ : ٣١٧) . وقال في اللسان : أحرضه الحب : أي أفسده ، وأنشد للعرجي . . . البيت . أي أذابني .

طَلَبَتْهُ الْحَيْلُ يَوْمًا كَامِلًا وَلَوْ آلَفْتَهُ لِأَضْحَى مُحْرَضًا^١

وذكر أن منه قول امرئ القيس :

أَرَى الْمَرْءَ ذَا الْأَذْوَادِ يُصْبِحُ مُحْرَضًا كإِحْرَاضِ بَكْرٍ فِي الدِّيَارِ مَرِيضٍ^٢
وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (حتى تَكُونُ حَرَضًا) يعنى : الجهد فى المرض البالى .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (حتى تَكُونُ حَرَضًا) قال : دون الموت .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن ليث ، عن مجاهد (حتى تَكُونُ حَرَضًا) قال : الحرص : مادون الموت .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شباية ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (حتى تَكُونُ حَرَضًا) حتى تبلى أوتهرم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (حتى تَكُونُ حَرَضًا)

حتى تكون هرما .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أبى بكر الهذلى ، عن الحسن (حتى تَكُونُ حَرَضًا)

قال : هرما .

قال : ثنا المحاربى ، عن جوير ، عن الضحاك ، قال : الحرص : الشىء البالى .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جوير ، عن الضحاك ، فى قوله

(حتى تَكُونُ حَرَضًا) قال : الحرص : الشىء البالى الفانى .

(١) البيت فى تفسير الشوكانى (طبع شركة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بالقاهرة ٣ : ٤٦) ولم ينسبه إلى قائله . وهو شاهد على أن الحرص : الفاسد العقل والجسم . وأحرضه أهم : أسقمه . والحرص الذائب من أهم .

(٢) البيت لامرئ القيس (مختار الشعر الجاهلى ، بشرح مصطفى السقا . طبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بالقاهرة ص ٦٥) والأذواد : جمع ذود ، وهو الثلاثة إلى العشرة من الإبل . والحرص الذى قارب الهلاك . وقال فى اللسان : حرصه المرض وأحرضه إذا أشق منه على شرف الموت ، وأحرض هو نفسه كذلك ، وقال الأزهرى : المحرض : الهالك مرضا ، الذى لاحى فيرجى . ولا ميت فيوه س منه . قال امرؤ القيس . . . البيت ، ويروى محرضا (بكسر الراء) .

قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن أبي معاذ ، عن عبيد بن سليمان ، عن الضحاک (حتى تَكُون حَرَضًا) الحرص : البالى .

حدثت عن الحسين بن الفرّج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاک يقول فى قوله (حتى تَكُون حَرَضًا) : هو البالى المندثر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى (حتى تَكُون حَرَضًا) باليا .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما ذكر يعقوب يوسف ، قالوا : يعنى ولده الذين حضروه فى ذلك الوقت جهلا وظلما (تالله تفتؤ تذكرو يوسف حتى تَكُون حَرَضًا) أى تكون فاسدا لاعقل لك (أو تَكُون مِن الهالكين) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (حتى تَكُون حَرَضًا أو تَكُون مِن الهالكين) قال : الحرص : الذى قد ردّ إلى أرذل العمر حتى لا يعقل ، أو تهلك فتكون هالكا قبل ذلك .

وقوله (أو تَكُون مِن الهالكين) يقول : أو تكون ممن هلك بالموت .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن ليث ، عن مجاهد (أو تَكُون مِن الهالكين) قال : الموت .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (أو تَكُون مِن الهالكين) من الميتين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربى ، عن جوير ، عن الضحاک (أو تَكُون مِن الهالكين) قال : الميتين .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جوير ، عن الضحاک ، مثله .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن عون ، عن أبي بكر الهذلى ، عن الحسن (أو تَكُون مِن الهالكين) قال : الميتين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أو تَكُون مِن الهالكين) قال أو تموت .
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أو تَكُون مِن الهالكين) قال : من الميتين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى (أو تَكُون مِن الهالكين) قال : من الميتين .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾

يقول تعالى ذكره : قال يعقوب للقائلين له من ولده (تالله تفتؤ تذكرو يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين) لست إليكم أشكو بتي وحزني ، وإنما أشكو ذلك إلى الله . ويعني بقوله (إنما أشكو بتي) ما أشكو همي (وحزني) إلا (إلى الله) . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (إنما أشكو بتي) قال ابن عباس : بتي : همي .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قال يعقوب : عن علم بالله (إنما أشكو بتي وحزني إلى الله ، وأعلم من الله ما لا تعلمون) لما رأى من فظاظهم وغلظهم وسوء لفظهم به لم أشك ذلك إليكم (وأعلم من الله ما لا تعلمون) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن عوف ، عن الحسن (إنما أشكو بتي وحزني إلى الله) قال : حاجتي وحزني إلى الله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا هوزة بن خليفة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، مثله . وقيل : إن البث أشد الحزن ، وهو عندي من بث الحديث ، وإنما يراد منه : إنما أشكو خبري الذي أنا فيه من الهم ، وأبث حديثي وحزني إلى الله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن عوف ، عن الحسن (إنما أشكو بتي) قال : حزني .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن عوف ، عن الحسن (إنما أشكو بتي وحزني) قال : حاجتي .

وأما قوله (وأعلم من الله ما لا تعلمون) فإن ابن عباس كان يقول في ذلك فيما ذكر عنه ما حدثني به محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، في قوله (وأعلم من الله ما لا تعلمون) يقول : أعلم أن رؤيا يوسف صادقة وأنى سأسجد له .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي (قال إنما أشكو بتي وحزني إلى الله ، وأعلم من الله ما لا تعلمون) قال : لما أخبروه بدعاء الملك أحست نفس يعقوب ، وقال : ما يكون في الأرض صديق إلا نبي فطمع ، قال : لعله يوسف .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ) الآية ، ذكر لنا أن نبي الله يعقوب لم ينزل به بلاء قط إلا أتى حسن ظنه بالله من ورائه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عيسى بن يزيد ، عن الحسن ، قال : قيل : ما بلغ وجد يعقوب على ابنه ؟ قال : وجد سبعين ثكلى ، قال : فما كان له من الأجر ، قال : أجر مئة شهيد ، قال : وما ساء ظنه بالله ساعة من ليل ولا نهار .

حدثنا به ابن حميد مرة أخرى ، قال : ثنا حكام ، عن أبي معاذ ، عن يونس ، عن الحسن ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن المبارك بن مجاهد ، عن رجل من الأزدي ، عن طلحة بن مصرف الإيامي ، قال : ثلاثة لا تذكرهن ، واجتنب ذكرهن ، لا تشك مرضك ، ولا تشك مصيبتك ، ولا ترك نفسك ، قال : وأنبئت أن يعقوب بن إسحاق دخل عليه جار له ، فقال له : يا يعقوب مالي أراك قد انهشمت وفنيت ، ولم تبلغ من السن ما بلغ أبوك ، قال : هشمتي وأفناني ما ابتلاني الله به من هم يوسف وذكره ، فأوحى الله إليه : يا يعقوب أتشكوني إلى خلقي ؟ فقال : يارب خطيئة أخطأتها ، فاغفرها لي ، قال : فاني قد غفرت لك ، وكان بعد ذلك إذا سئل ، قال (إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ، وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) .

حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا مؤمل بن إسماعيل ، قال : ثنا سفيان ، عن حبيب بن أبي ثابت ، قال : بلغني أن يعقوب كبر حتى سقط حاجباه على وجنتيه ، فكان يرفعهما بخرقة ، فقال له رجل : ما بلغ بك ما أرى ؟ قال : طول الزمان ، وكثرة الأحزان ، فأوحى الله إليه : يا يعقوب تشكوني ؟ قال : خطيئة فاغفرها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا ثور بن يزيد ، قال : دخل يعقوب على فرعون وقد سقط حاجباه على عينيه ، فقال : ما بلغ بك هذا يا إبراهيم ، فقالوا : إنه يعقوب ، فقال : ما بلغ بك هذا يا يعقوب ، قال : طول الزمان وكثرة الأحزان ، فقال الله : يا يعقوب أتشكوني ؟ فقال : يارب خطيئة أخطأتها ، فاغفرها لي .

حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا هشام ، عن ليث بن أبي سليم ، قال : دخل جبرئيل على يوسف السجن ، فعرفه فقال : أيها الملك الحسن وجهه ، الطيبة ريحه ، الكريم على ربه ، ألا تخبرني عن يعقوب أحي هو ؟ قال : نعم ، قال : أيها الملك الحسن وجهه ، الطيبة ريحه ، الكريم على ربه ، فما بلغ من حزنه ؟ قال : حزن سبعين مشكلة ، قال : أيها الملك الحسن وجهه ، الطيبة ريحه ، الكريم على ربه ، فهل في ذلك من أجر ؟ قال : أجر مئة شهيد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد ، قال : حدثت أن جبرئيل أتى يوسف صلى الله عليهما وسلم وهو بمصر في صورة رجل ؛ فلما رآه يوسف عرفه ،

فقام إليه ، فقال : أيها الملك الطيب ريحه ، الطاهر ثيابه ، الكريم على ربه ، هل لك بيعقوب من علم ؟ قال : نعم ، قال : أيها الملك الطاهر ثيابه ، الكريم على ربه ، فكيف هو ؟ قال : ذهب بصره ، قال : أيها الملك الطاهر ثيابه ، الكريم على ربه ، وما الذى أذهب بصره ؟ قال : الحزن عليك ؟ قال : أيها الملك الطيب ريحه ، الطاهر ثيابه ، الكريم على ربه ، فما أعطيت على ذلك ؟ قال : أجر سبعين شهيدا .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال أبو شريح : سمعت من يحدث أن يوسف سأل جبرئيل ، ما بلغ من حزن يعقوب ؟ قال : حزن سبعين ثكلى ، قال : فما بلغ أجره ؟ قال : أجر سبعين شهيدا .

قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني نافع بن يزيد ، عن عبيد الله بن أبي جعفر ، قال : دخل جبرئيل على يوسف فى البئر أو فى السجن ، فقال له يوسف : يا جبرئيل ، ما بلغ حزن أبى قال : حزن سبعين ثكلى ، قال : فما بلغ أجره من الله ، قال : أجر مئة شهيد .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثنا عبد الصمد بن معقل ، قال : سمعت وهب بن منبه يقول : أتى جبرئيل يوسف بالبشرى وهو فى السجن ، فقال : هل تعرفنى أيها الصديق ، قال : أرى صورة طاهرة وروحا طيبة لا تشبه أرواح الخاطئين ، قال : فإنى رسول رب العالمين ، وأنا الروح الأمين ، قال : فما الذى أدخلك على مدخل المذنبين ، وأنت أطيب الطيبين ، ورأس المقربين ؟ وأمين رب العالمين ؟ قال : ألم تعلم يا يوسف أن الله يطهر البيوت بطهر النبيين ، وأن الأرض التى يدخلونها هى أطهر الأرضين ، وأن الله قد طهر بك السجن وما حوله ياطهر الطاهرين وابن المطهرين ، إنما يتطهر بفضل طهرك وطهر آبائك الصالحين المخلصين ، قال : كيف لى باسم الصديقين ، وتعدنى من المخلصين ، وقد أدخلت مدخل المذنبين ، وسميت بالضالين المفسدين ؟ قال : لم يفتن قلبك ، ولم تطع سيدتك فى معصية ربك ، ولذلك سماك الله فى الصديقين ، وعدك من المخلصين ، وألحقت بأبائك الصالحين . قال : لك علم بيعقوب أيها الروح الأمين ؟ قال : نعم ، وهبه الله الصبر الجميل ، وابتلاه بالحزن عليك ، فهو كظيم ، قال : فما قدر حزنه ؟ قال : حزن سبعين ثكلى ، قال : فماذا له من الأجر يا جبرئيل ؟ قال : قدر مئة شهيد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن ثابت البناني ، قال : دخل جبرئيل على يوسف فى السجن ، فعرفه يوسف ، قال : فأتاه فسلم عليه ، فقال : أيها الملك الطيب ريحه ، الطاهر ثيابه ، الكريم على ربه ، هل لك من علم بيعقوب ؟ قال : نعم ، قال : أيها الملك الطيب ريحه ، الطاهر ثيابه ، الكريم على ربه ، هل تدري ما فعل ؟ قال : ابيضت عيناه ، قال : أيها الملك الطيب ريحه ، الطاهر ثيابه ، الكريم على ربه ، ممّ ذاك ؟ قال : من الحزن عليك ، قال : أيها الملك الطيب ريحه ، الطاهر ثيابه ، الكريم على ربه ، وما بلغ من حزنه ؟ قال : حزن سبعين مثكلة ، قال : أيها الملك الطيب ريحه ، الطاهر ثيابه ، الكريم على ربه ، هل له على ذلك من أجر ؟ قال : نعم أجر مئة شهيد .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : أتى جبرئيل يوسف وهو في السجن فسلم عليه ، وجاء في صورة رجل حسن الوجه طيب الريح نقي الثياب ، فقال له يوسف : أيها الملك الحسن وجهه ، الكريم على ربه ، الطيب ريحه ، حدثني كيف يعقوب ؟ قال : حزن عليك حزنا شديدا ، قال : وما بلغ من حزنه ؟ قال : حزن سبعين مُشكَّلة ، قال : فما بلغ من أجره ؟ قال : أجر سبعين أو مئة شهيد ، قال يوسف : فإلى من أوى بعدى ؟ قال : إلى أخيك بنيامين ، قال : فتراني ألقاه أبدا ؟ قال : نعم ، فبكى يوسف لمالتي أبوه بعده ، ثم قال : ما أبالي ما لقيت إن الله أرانيه .

قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن إبراهيم بن يزيد ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، قال : أتى جبرئيل يوسف وهو في السجن ، فسلم عليه ، فقال له يوسف : أيها الملك الكريم على ربه ، الطيب ريحه ، الطاهر ثيابه ، هل من علم بيعقوب ؟ قال : نعم ما أشد حزنه ! قال : أيها الملك الكريم على ربه ، الطيب ريحه ، الطاهر ثيابه ، ماذا له من الأجر ، قال : أجر سبعين شهيدا ، قال : أفتراني لاقيه ؟ قال : نعم ، قال : فطابت نفس يوسف .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن سعيد بن جبير ، قال : لما دخل يعقوب على الملك وحاجباه قد سقطا على عينيه ، قال الملك : ما هذا ؟ قال : السنون والأحزان أو الهموم والأحزان ، فقال ربه : يا يعقوب لم تشكوني إلى خلقي ، ألم أفعل بك وأفعل ؟ .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن عبد الرحمن بن زياد ، عن مسلم بن يسار يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ بَثَّ لَمْ يَصْبِرْ » ثم قرأ (إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ) .

حدثني عمرو بن عبد الحميد الأملي ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن هشام ، عن الحسن ، قال : كان منذ خرج يوسف من عند يعقوب إلى يوم رجع ثمانون سنة ، لم يفارق الحزن قلبه ، يبكي حتى ذهب بصره ، قال الحسن : والله ما على الأرض يومئذ خليفة أكرم على الله من يعقوب صلى الله عليه وسلم .

القول في تأويل قوله تعالى :

يٰٓبَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَاٰخِيهِ وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رُّوحِ اللّٰهِ اِنَّهٗ لَا يَأْيِسُ مِنْ رُّوحِ اللّٰهِ اِلَّا الْقَوْمُ الْكٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾

❖ يقول تعالى ذكره ، حين طمع يعقوب في يوسف ، قال لبنيه : يا بني اذهبوا إلى الموضع الذي جئتم منه ، واخلّصتم أخويكم به (فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ) يقول : التمسوا يوسف وتعرفوا من خبره ، وأصل التحسس : التفتل من الحس (وَاٰخِيهِ) يعنى بنيامين (وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رُّوحِ اللّٰهِ) يقول : ولا تقنطوا من أن يروح الله عنا ما نحن فيه من الحزن على يوسف وأخيه بفرج من عنده فيرينيهما

(إِنَّهُ لَا يَأْتِيَنَّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ) يقول : لا يقنط من فرجه ورحمته ، ويقطع رجاءه منه (إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ) يعنى : القوم الذين يجحدون قدرته على ما شاء تكوينه .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى (يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه) بمصر (وَلَا تَأْتِيَنَّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ) قال : من فرج الله أن يرد يوسف .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَا تَأْتِيَنَّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ) :
أى من رحمة الله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة نحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثم إن يعقوب قال لبنيه ، وهو على حسن ظنه بربه مع الذى هوفيه من الحزن : (يا بنى اذهبوا) إلى البلاد التى منها جئتم (فتحسسوا من يوسف وأخيه) ، (وَلَا تَأْتِيَنَّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ) : أى من فرجه (إِنَّهُ لَا يَأْتِيَنَّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ) .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَلَا تَأْتِيَنَّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ) يقول : من رحمة الله .
حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَا تَأْتِيَنَّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ) قال : من فرج الله ، يفرج عنكم الغم الذى أنتم فيه .
القول فى تأويل قوله تعالى :

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾

وفى الكلام متروك قد استغنى بذكر ما ظهر عما حذف ، وذلك فخرجوا راجعين إلى مصر حتى صاروا إليها ، فدخلوا على يوسف (فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ) : أى الشدة من الجذب والقحط (وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ) .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : وخرجوا إلى مصر راجعين إليها ببضاعة مزجاة : أى قليلة ، لا تبلغ ما كانوا يتبايعون به ، إلا أن أن يتجاوز لهم فيها ، وقد رأوا ما نزل بأبيهم ، وتتابع البلاء عليه فى ولده وبصره ، حتى قدموا على يوسف (فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ) رجاء أن يرحمهم فى شأن أخيه (مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ) ، وعنى بقوله (وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ)

بدرهم أو ثمن لا يجوز في ثمن الطعام إلا لمن يتجاوز فيها ، وأصل الإزجاء : السوّق بالدفع ، كما قال النابغة الذبياني :

وَهَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ ذِي أُرْلٍ تُزَجِّي مَعَ اللَّيْلِ مِنْ صُرَادِهَا صِرَامًا ١

يعنى تسوق وتدفع ؛ ومنه قول أعشى بنى ثعلبة :

الْوَاهِبُ الْمِئَةَ الْهَيْجَانَ وَعَبْدَهَا عُوذًا تُزَجِّي خَلْفَهَا أَطْفَالَهَا ٢

وقول حاتم :

لِيَبْلُوكَ عَلَى مِلْحَانَ ضَيْفٍ مُدْفَعٍ وَأَرْمَلَةٌ تُزَجِّي مَعَ اللَّيْلِ أَرْمَلًا ٣

يعنى أنها تسوقه بين يديها على ضعف منه عن المشى وعمجز . ولذلك قيل (بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ) لأنها غير نافقة ، وإنما تجوز تجويزا على نفع ؛ من أخذها . وقد اختلف أهل التأويل في البيان عن تأويل ذلك ، وإن كانت معانى بيانهم متقاربة .

ذكر أقوال أهل التأويل في ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ) قال : ردية زيوف لا تنفق حتى يوضع منها .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عمرو بن محمد العنقزي ، قال : ثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قوله (وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ) قال : الردية التي لا تنفق حتى يوضع منها .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عثمان بن أبي سليمان ، عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس (وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ) قال : خَلَقَ الْغِرَارَةَ وَالْحَبْلَ وَالشَّيْءَ .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عثمان بن أبي سليمان ، عن ابن أبي مليكة ، قال : سمعت ابن عباس ، وسئل عن قوله (وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ) قال : رثة

المتاع : الحبل والغرارة والشئ .

(١) البيت في شعر النابغة الذبياني (مختار الشعر الجاهلي ، بشرح مصطفى السقا ، طبعة الحلبي ص ١٧٠) وهو البيت التاسع في القصيدة . وذو أُرْلٍ : جبل بأرض غطفان في مهب الشمال ، وتلقاه : قبائله . وتزجي : تسوق . والصراد : سحاب بارد لا ماء فيه . والصرم : جمع صرمة ، وهي قطع السحاب وأصلها : القطعة من الإبل . يقول : إذا هبت الريح من عند ذي أُرْلٍ كانت شمالا وهي أشد الرياح بردا ، وأقلها خيرا . والبيت شاهد على أن الإزجاء السوق بالدفع .

(٢) البيت لأعشى بنى ثعلبة ، ميمون ، وهو الأعشى الأكبر ، وهو في ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين (ص ٢٩) وهو من قصيدة يمدح بها قيس بن معد يكرب ، ومطلعها : « رحلت سمية غدوة أجالها » . والهجان : جمع هجين ، وهو الأبيض الكريم ، يقال إبل هجان . والعود : الحديشات النتاج ، وزجي الشيء دفعه برفق . يقول : إن الممدوح يهب المثة من الإبل وعيها ، تتبعها أطفالها ، تسمى خلفها .

(٣) البيت في (اللسان : رمل) أنشده ابن بري شاهدا على أن الأرملة المرأة التي لا زوج لها . واستشهد به المؤلف على أن معنى الإزجاء السوق والدفع .

(٤) لعله على دفع .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عثمان بن أبي سليمان ، عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس ، قوله (وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ) قال : البضاعة : الدراهم ، والمزجاة : غير طائل .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن ابن أبي زياد ، عن حدثه ، عن ابن عباس ، قال : كاسدة غير طائل .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، قال : ثنا أبو حصين ، عن سعيد بن جبيرة وعكرمة (وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ) قال سعيد : ناقصة . وقال عكرمة : دراهم فسؤل .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبيرة وعكرمة ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبيرة وعكرمة (وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ) قال أحدهما : ناقصة . وقال الآخر : ردية .

وبه قال : ثنا أبي عن سفيان ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الله بن الحارث ، قال : كان سمنا وصوفا .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا علي بن عاصم ، عن يزيد بن أبي زياد قال : سألت رجل عبد الله بن الحارث وأنا عنده ، عن قوله (وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ) قال : قليلة ، متاع الأعراب : الصوف والسمن .

حدثنا إسحاق بن زياد القطان أبو يعقوب البصرى ، قال : ثنا محمد بن إسحاق الباخي ، قال : ثنا مروان ابن معاوية الفزارى ، عن مروان بن عمرو العذرى ، عن أبي إسماعيل ، عن أبي صالح ، في قوله (وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ) قال : الصنوبر والحبة الخضراء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن يزيد بن الوليد ، عن إبراهيم ، في قوله (وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ) قال : قليلة ، ألا تسمع إلى قوله : فأوقر ركابنا وهم يقرءون كذلك .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم ، أنه قال : ما أراها إلا القليلة ، لأنها في مصحف عبد الله : وأوقر ركابنا ، يعنى قوله : مزجاة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن القعقاع بن يزيد ، عن إبراهيم ، قال : قليلة ، ألم تسمع إلى قوله : وأوقر ركابنا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أبي بكر الهذلى ، عن سعيد بن جبيرة والحسن (بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ) قال سعيد : الردية . وقال الحسن : القليلة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن يزيد ، عن عبد الله بن الحارث ، قال : متاع الأعراب سمن وصوف .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن أبيه ، عن عطية ، قال : دراهم ليست بطائل .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : (مُزْجَاةٍ) قال : قليلة .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (مُزْجَاةٍ) قال : قليلة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله . قال : ثنا قبيصة بن عقبة ، قال : ثنا سفيان ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الله بن الحارث (وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ) قال : شيء من صوف ، وشيء من سمن .

قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن منصور ، عن الحسن ، قال : قليلة . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج ، عن حدثه ، عن مجاهد (مُزْجَاةٍ) قال : قليلة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبي حصين ، عن عكرمة ، قال : ناقصة . وقال سعيد بن جبير : فُسُول .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي بكر ، عن سعيد بن جبير (وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ) قال : ردية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربي ، عن جوير ، عن الضحاک ، قال : كاسدة لا تنفق . حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جوير ، عن الضحاک ، قال : كاسدة . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبدة ، عن جوير ، عن الضحاک ، قال : كاسدة غير طائل . حدثت عن الحسين بن الفرغ ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (بِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ) يقول : كاسدة غير نافقة .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد الزبيري ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير (وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ) قال : الناقصة ، وقال عكرمة : فيها تجوز . قال : ثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : الدراهم الردية التي لا تجوز إلا بنقصان .

قال : ثنا إسرائيل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : الدراهم الرذال التي لا تجوز إلا بنقصان . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : دراهم فيها جواز . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ) : أى يسيرة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ)
قال : المزجاة : القليلة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ) : أى قليلة لا تبلغ
ما كنا نشترى به منك ، إلا أن تتجاوز لنا فيها .
وقوله (فَأَوْفٍ لَنَا الْكَيْلَ) بها ، وأعطنا بها ما كنت تعطينا قبلُ بالثمن الجيد والدرهم الجائزة
الوافية التى لا ترد .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فَأَوْفٍ لَنَا الْكَيْلَ) : أى أعطنا ما كنت
تعطينا قبل ، فإن بضاعتنا مزجاة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى (فَأَوْفٍ لَنَا الْكَيْلَ) قال : كما كنت
تعطينا بالدرهم الجياد .

وقوله (وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا) يقول تعالى ذكره : قالوا : وتفضل علينا بما بين سعر الجياد والرديّة ، فلا
تنقصنا من سعر طعامك لردى بضاعتنا (إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ) يقول : إن الله يثيب المتفضلين على
أهل الحاجة بأموالهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى (وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا) قال : تفضل بما
بين الجياد والرديّة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى بكر ، عن سعيد بن جبير (فَأَوْفٍ
لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا) لا تنقصنا من السعر من أجل ردى دراهمنا .

واختلفوا فى الصدقة ، هل كانت حلالاً للأنبياء قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، أو كانت حراماً ؟
فقال بعضهم : لم تكن حلالاً لأحد من الأنبياء عليهم السلام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى بكر ، عن سعيد بن جبير ، قال :
ماسأل نبيّ قط الصدقة ، (و) لكنهم قالوا (جِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفٍ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا)
لا تنقصنا من السعر .

وروى عن ابن عيينة ما حدثنى به الحارث ، قال : ثنا القاسم ، قال : يحكى عن سفيان بن عيينة أنه
سئل : هل حرمت الصدقة على أحد من الأنبياء قبل النبيّ صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : ألم تسمع قوله :
(فَأَوْفٍ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ، إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ) .

قال الحارث : قال القاسم : يذهب ابن عيينة إلى أنهم لم يقولوا ذلك إلا والصدقة لهم حلال ، وهم أنبياء ، فإن الصدقة إنما حرمت على محمد صلى الله عليه وسلم ، لا عليهم .

وقال آخرون : إنما عني بقوله (وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا) وتصدق علينا برد أخينا إلينا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا) قال : رد إلينا أخانا ، وهذا القول الذي ذكرناه ، عن ابن جريج ، وإن كان قولاً له وجه ، فليس بالقول المختار في تأويل قوله (وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا) لأن الصدقة في المتعارف : إنما هي إعطاء الرجل ذا الحاجة بعض أملاكه ابتغاء ثواب الله عليه ، وإن كان كل معروف صدقة ، فتوجيه تأويل كلام الله إلى الأغلب من معناه في كلام من نزل القرآن بلسانه أولى وأحرى .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال مجاهد .

حدثني الحارث ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن عثمان بن الأسود ، قال : سمعت مجاهداً ، وسئل : هل يكره أن يقول الرجل في دعائه : اللهم تصدق على ؟ فقال : نعم ، إنما الصدقة لمن يبغى الثواب .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾

❖ ذكر أن يوسف صلوات الله وسلامه عليه ، لما قال له إخوته (يا أيها العزيز مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ ، فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ) أدركته الرقة وباح لهم بما كان يكتمهم من شأنه .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ذكر لي أنهم لما كلموه بهذا الكلام غلبته نفسه ، فرفض دمه باكياً ، ثم باح لهم بالذي يكتم منهم ، فقال (هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ) ، ولم يعن بذكر أخيه ما صنعه هو فيه حين أخذه ، ولكن للتفريق بينه وبين أخيه ، إذ صنعوا بيوسف ما صنعوا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ) . . . الآية ، قال : فرحمهم عند ذلك ، فقال لهم : (هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ ، إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ) .

فتأويل الكلام : هل تذكرون ما فعلتم بيوسف وأخيه ، إذ فرقتم بينهما ، وصنعتم ما صنعتم إذ أنتم جاهلون ، يعني في حال جهلكم بعاقبة ما تفعلون بيوسف ، وما إليه صائر أمره وأمركم ؟

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالُوا إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠﴾

❖ يقول تعالى ذكره : قال إخوة يوسف له حين قال لهم ذلك يوسف : (إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ) ، فقال : نعم (أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا) بأن جمع بيننا بعد ما فرقتم بيننا (إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ) يقول : إنه من يتق الله فيراقبه بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه ويصبر يقول : ويكف نفسه ، فيحبسها عما حرم الله عليه من قول أو عمل عند مصيبة نزلت به من الله (فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) يقول : فإن الله لا يبطل ثواب إحسانه ، وجزاء طاعته إياه ، فيما أمره ونهاه .

وقد اختلف القراء في قراءة قوله (إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ) فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار (أَيْنِكَ) على الاستفهام ، وذكر أن ذلك في قراءة أبي بن كعب (أَوَأَنْتَ يُوسُفُ) . وروى عن ابن محيصن أنه قرأ (إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ) على الخبر ، لاعلى الاستفهام .

❖ والصواب من القراءة في ذلك عندنا ، قراءة من قرأه بالاستفهام ، لإجماع الحجة من القراء عليه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما قال لهم ذلك ، يعنى قوله (هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفُ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ) كَشَفَ الْغَطَاءَ فَعَرَفُوهُ ، فَقَالُوا (أَيْنِكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ) . . . الآية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى من سمع عبد الله بن إدريس يذكر ، عن ليث ، عن مجاهد ، قوله (إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ) يقول : من يتق معصية الله ويصبر على السجن .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكُ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴿١١﴾

❖ يقول جل ثناؤه : قال إخوة يوسف له : تالله لقد فضلك الله علينا ، وآثرك بالعلم والحلم والفضل ، (وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ) يقول : وما كنا في فعلنا الذي فعلنا بك في تفريقنا بينك وبين أهلك وأخيك ، وغير ذلك من صنعنا الذي صنعنا بك ، إلا خاطئين : يعنون مُخْطِئِينَ ، يقال منه : خَطِئَ فُلَانٌ يَخْطِئُ خَطَأً وَخِطِئًا ، وَأَخْطَأَ يَخْطِئُ إِخْطَاءً ؛ ومن ذلك قول أمية بن الأسكر :

وَإِنْ مُهَاجِرِينَ تَكَنَّفَاهُ لَعَمْرُ اللَّهِ قَدْ خَطِئْنَا وَحَابَا

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

(١) البيت لأمية بن الأسكر الليثي . ويقال فيه : الأشكر بالشين ، وهو شاعر مخضرم ، أدرك الإسلام وأسلم . والبيت من شعره في ابنه كلاب الذى لقي طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام ، فسألها : أى الأعمال أفضل في الإسلام ؛ فقلا : الجهاد ، فسأل عمر ، فأغزاه في جيش ، وكان أبوه كبر وضعف ، فطالت غيبته عنه فقال : « وإن مهاجرين » . . . الخ . والبيت =

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : لما قال لهم يوسف (أنا يوسفُ وَهَذَا أَخِي) اعتذروا إليه ، وقالوا (تالله لقد آثرَكَ اللهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ) فيما كنا صنعنا بك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (تالله لقد آثرَكَ اللهُ عَلَيْنَا) وذلك بعد ما عرفهم أنفسهم ، يقول : جعلك الله رجلا حلما .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ لَأَنْثَرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ بِغَفْرِ اللَّهِ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٧﴾

❖❖❖ يقول تعالى ذكره : قال يوسف لإخوته (لَأَنْثَرِبَ) يقول : لا تغيير عليكم ولا إفساد لما بيني وبينكم من الحرمة ، وحق الأخوة ، وانكن لكم عندي الصفح والعتو .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَأَنْثَرِبَ عَلَيْكُمْ) لم يثرب عليهم أعمالهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، قوله (لَأَنْثَرِبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ) قال : قال سفيان : لا تغيير عليكم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (قَالَ لَأَنْثَرِبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ) : أي لا تأنيب عليكم اليوم عندي فيما صنعتم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : اعتذروا إلى يوسف ، فقال (لَأَنْثَرِبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ) يقول : لا أذكر لكم ذنبكم .

وقوله (يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) وهذا دعاء من يوسف لإخوته بأن يغفر الله لهم ذنبهم فيما أتوا إليه ، وركبوا منه من الظلم ، يقول : عفا الله لكم عن ذنبكم وظلمكم ، فستره عليكم (وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) يقول : والله أرحم الراحمين ممن تاب من ذنبه ، وأتاب إلى طاعته بالتوبة من معصيته .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) حين اعترفوا بذنبهم .

= استشهد به أبو عبيدة في مجاز القرآن عند قوله تعالى (إنه كان حوبا كبيرا) أي إثمًا لأن الرواية في البيت « وحابا » بالحاء ، لا بالحاء . واستشهد به مرة ثانية عند قوله تعالى : « وإن كنا لخاطئين » قال : مجازه : وإن كنا لخاطئين . وتزاد اللام المفتوحة للتوكيد والتثبوت ، وخطئت وأخطأت واحد . قال امرؤ القيس : « يالھف ہند إذ خطئن كاهلا » أي أخطأ . وقال أمية بن الأسكر : « وإن مهاجرين . . . الخ » .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَاَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾

❖ قال أبو جعفر : ذكر أن يوسف صلى الله عليه وسلم لما عرف نفسه إخوته ، سألمهم عن أبيهم ، فقالوا ذهب بصره من الحزن ، فعند ذلك أعطاهم قميصه وقال لهم (اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا) .
ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : قال لهم يوسف : ما فعل أبي بعدى ؟ قالوا : لما فاته بنيامين عمي من الحزن قال (اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَاَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا ، وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ) .

وقوله (يَأْتِ بَصِيرًا) يقول : يعد بصيرا (وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ) يقول : وجيئوني بجميع أهلكم .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ ﴾

❖ يقول تعالى ذكره : ولما فصلت عير بني يعقوب من عند يوسف متوجهة إلى يعقوب ، قال أبوهم يعقوب (إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ) ذكر أن الريح استأذنت ربهما في أن تأتي يعقوب بريح يوسف ، قبل أن يأتيه البشير ، فأذن لها ، فأتته بها .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا أبو شريح ، عن أبي أيوب الهوزني ، حدثه ، قال : استأذنت الريح أن تأتي يعقوب بريح يوسف حين بعث بالقميص إلى أبيه ، قبل أن يأتيه البشير ، فقال يعقوب (إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن أبي سنان ، عن ابن أبي الهذيل ، عن ابن عباس ، في قوله (وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ) قال : هاجت ريح ، فجاءت بريح يوسف من مسيرة ثمان ليال ، فقال (إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن أبي سنان ، عن ابن أبي الهذيل ، عن ابن عباس (وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ) قال : هاجت ريح ، فجاءت بريح قميص يوسف من مسيرة ثمان ليال .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن ضرار ، عن ابن أبي الهذيل ، قال : سمعت ابن عباس يقول : وجد يعقوب ريح يوسف ، وهو منه على مسيرة ثمان ليال .

حدثنا ابن وكيع والحسن بن محمد ، قالا : ثنا سفيان بن عيينة ، عن أبي سنان ، عن ابن أبي الهذيل ،

قال : كنت إلى جنب ابن عباس ، فسئل : من كم وجد يعقوب ريح القميص ؟ قال : من مسيرة سبع ليال أو ثمان ليال .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن أبي سنان ، عن أبي الهذيل ، قال : قال لي أصحابي : إنك تأتي ابن عباس ، فسله لنا ، قال : فقلت : ما أسأله عن شيء ، ولكن أجلس خلف السرير فيأتيه الكوفيون فيسألون عن حاجتهم وحاجتي ، فسمعتة يقول : وجد يعقوب ريح قميص يوسف من مسيرة ثمان ليال ، قال ابن أبي الهذيل : فقلت : ذاك كما كان البصرة من الكوفة .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا علي بن عاصم ، عن ضرار بن مرة ، عن عبد الله بن أبي الهذيل ، قال : سمعت ابن عباس يقول : وجد يعقوب ريح قميص يوسف من مسيرة ثمان ليال ، قال : فقلت في نفسي : هذا كما كان البصرة من الكوفة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي سنان ، عن ابن أبي الهذيل ، عن ابن عباس ، في قوله (إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ) قال : وجد ريح قميص يوسف من مسيرة ثمان ليال ، قال : قلت له : ذاك كما بين البصرة إلى الكوفة ، واللفظ لحديث أبي كريب . حدثنا الحسين بن محمد ، قال : ثنا عاصم وعلى ، قال : أخبرنا شعبة ، قال : أخبرني أبو سنان ، قال : سمعت عبد الله بن أبي الهذيل ، عن ابن عباس في هذه الآية (إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ) قال : وجد ريحه من مسيرة ما بين البصرة إلى الكوفة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا آدم العسقلاني ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا أبو سنان ، قال : سمعت عبد الله ابن أبي الهذيل يحدث عن ابن عباس ، مثله .

قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي سنان ، عن عبد الله بن أبي الهذيل ، قال : كنا عند ابن عباس فقال (إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ) قال : وجد ريح قميصه من مسيرة ثمان ليال .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي سنان ، عن عبد الله ابن أبي الهذيل ، قال : سمعت ابن عباس يقول (وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ) قال : لما خرجت العير هاجت ريح فجاءت يعقوب بريح قميص يوسف ، فقال (إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَسِّدُونِ) قال : فوجد ريحه من مسيرة ثمان ليال .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، ذكر لنا أنه كان بينهما يومئذ ثمانون فرسخا ، يوسف بأرض مصر ، ويعقوب بأرض كنعان ، وقد أتى لذلك زمان طويل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ) قال : بلغنا أنه كان بينهم يومئذ ثمانون فرسخا ، وقال (إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ) وكان قد فارقه قبل ذلك سبعا وسبعين سنة .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي سنان ، عن عبد الله بن أبي الهذيل عن ابن عباس ، في قوله (إِنِّي لِأَجِدُ رِيحَ يَوْسُفَ) قال : وجد ريح القميص من مسيرة ثمانية أيام .
 قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي سنان ، عن عبد الله بن أبي الهذيل ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ) قال : فلما خرجت العير هبت ريح ، فذهبت بريح قميص يوسف إلى يعقوب ، فقال (إِنِّي لِأَجِدُ رِيحَ يَوْسُفَ) قال : ووجد ريح قميصه من مسيرة ثمانية أيام .
 حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق قال : لما فصلت العير من مصر استروح يعقوب ريح يوسف ، فقال لمن عنده من ولده : (إِنِّي لِأَجِدُ رِيحَ يَوْسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ) .
 وأما قوله (لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ) فإنه يعنى : لولا أن تُعَنِّفُونِي - وتُعَجِّزُونِي - وتُلُومُونِي - وتكذَّبُونِي ؛ ومنه قول الشاعر :

يا صاحبي دَعَا لَوْمِي وَتَفَنِّيدِي فَلَيْسَ مَا فَاتَ مِنْ أَمْرِي بِمَرْدُودِ ١

ويقال : أفند فلانا الدهر ، وذلك إذا أفسده ؛ ومنه قول ابن مقبل :

دَعِ الدَّهْرَ يَفْعَلْ مَا أَرَادَ فَإِنَّهُ إِذَا كَلَّفَ الْإِفْنَادَ بِالنَّاسِ أَفْنَادًا ٢

واختلف أهل التأويل في معناه ، فقال بعضهم : معناه : لولا أن تسفهوني .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن أبي سنان ، عن ابن أبي الهذيل ، عن ابن عباس (لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ) قال : تسفهون .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن أبي سنان عن ابن أبي الهذيل ، عن ابن عباس ، مثله .

وبه قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن خصيف ، عن مجاهد (لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ) قال : تسفهون .

حدثني المثني وعلي بن داود ، قالا : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ) يقول : تجهلون .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي سنان ، عن عبد الله بن أبي الهذيل ، عن ابن عباس (لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ) قال : لولا أن تسفهون .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ؛ وحدثني المثني ، قال : ثنا أبو نعيم ، قالا : جميعا ، ثنا سفيان ، عن خصيف ، عن مجاهد (لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ) قال : لولا أن تسفهون .

حدثني المثني ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا شريك ، عن أبي سنان ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس وسالم ، عن سعيد (لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ) قال : أحدهما تسفهون ، وقال الآخر : تكذَّبون .

(١) البيت لهاني بن شكيم العدوي ، استشهد به أبو عبيدة في (مجاز القرآن ١ : ٣١٨) على أن معنى تفندون : تسفهوني وتعجزوني وتلوموني . والبيت في القرطبي (٩ : ٢٦٠) وفي رواية أبي عبيدة : « ما فات من أمر » .

(٢) الفند بالتحريك : الحرف وإنكار العقل من الهرم والمرض . وأفنده الكبر : إذا أوقعه في الفند .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عبد الملك بن أبي سليمان ، عن عطاء (لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونَ) قال : لولا أن تكذبون ، لولا أن تسفهون .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، عن عبد الملك ، عن عطاء ، قال : تسفهون .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونَ) يقول : لولا أن تسفهون .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونَ) يقول : لولا أن تسفهون .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي سنان ، عن عبد الله ابن أبي الهذيل ، قال : سمعت ابن عباس يقول (لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونَ) يقول : تسفهون .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شاذان ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونَ) قال : ذهب عقله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونَ) قال : قد ذهب عقله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ؛ وحدثني المثنى قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونَ) قال : قد ذهب عقله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونَ) قال : لولا أن تقولوا : ذهب عقلك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونَ) يقول : لولا أن تضعفوني .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونَ)

قال : الذي ليس له عقل ذلك المفسد ، يقولون لا يعقل .
وقال آخرون : معناه : لولا أن تكذبون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا سويد بن عمرو الكلابي ، عن شريك ، عن سالم (لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونَ) قال : تكذبون .

قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : لولا أن تهرمون وتكذبون .
قال : ثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج ، قال : بلغني عن مجاهد ، قال : تكذبون .

قال : ثنا عبدة وأبو خالد ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : لولا أن تكذبون .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (لَوْلَا تُفَنِّدُونَ) تكذبون .
 حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو ، قال : أخبرنا هشيم ، عن عبد الملك ، عن عطاء ، في قوله (لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونَ) قال : تسفهون أو تكذبون .
 حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونَ) يقول : تكذبون .
 وقال آخرون : معناه : تهرمون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونَ) قال : لولا أن تهرمون .
 حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد ، مثله .
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، قال : تهرمون .
 حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو الأشهب ، عن الحسن (لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونَ) قال : تهرمون .
 حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن أبي الأشهب وغيره ، عن الحسن ، مثله .
 وقد بينا أن أصل التفنيد : الإفساد ، وإذا كان ذلك كذلك فالضعف والهرم والكذب ، وذهاب العقل وكل معاني الإفساد تدخل في التفنيد ، لأن أصل ذلك كله الفساد ، والفساد في الجسم : الهرم وذهاب العقل والضعف ، وفي الفعل الكذب ، واللوم بالباطل ، ولذلك قال جرير بن عطية :
 يا عاذليّ دَعَا المَلَامَ وَأَقْصِرَا طَالَ الهَوَى وَأَطْلَمَا التَّفْنِيدَا
 يعني الملامة ، فقد تبين إذ كان الأمر على ما وصفنا أن الأقوال التي قالها من ذكرنا قوله في قوله (لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونَ) على اختلاف عباراتهم عن تأويله ، متقاربة المعاني ، محتمل جميعها ظاهر التنزيل ، إذ لم يكن في الآية دليل على أنه معنى به بعض ذلك دون بعض .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٤٥﴾

❖ يقول تعالى ذكره : قال الذين قال لهم يعقوب من ولده (إني لأجد ریح يوسف لولا أن

(١) البيت لجرير بن عطية بن الخطمي . ومعنى أقصرا : قللا الملام ، وكفا عن لومكما . والتفنيد : اللوم بالباطل .

تُفَنِّدُونِ (تالله أيها الرجل ، إنك من حبّ يوسف وذكره ، لني خطئك وزلك القديم لاتنساه ، ولا تتسلى عنه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل . قال ابن جرير : قاله ابن عباس ، قاله ابن عباس ، قاله ابن عباس . ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (إنك لسنى ضلالك القديم) يقول : خطئك القديم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قالوا تالله إنك لسنى ضلالك القديم) أي من حبّ يوسف لاتنساه ولا تسلاه ، قالوا لوالدهم كلمة غليظة لم يكن ينبغي لهم أن يقولوها لوالدهم ولا لنبى الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى (قالوا تالله إنك لسنى ضلالك القديم) قال : في شأن يوسف .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : قال سفيان (تالله إنك لسنى ضلالك القديم) قال : من حبك ليوسف .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن سفيان ، نحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج (قالوا تالله إنك لسنى ضلالك القديم) قال : في حبك القديم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (قالوا تالله إنك لسنى ضلالك القديم) أي إنك لمن ذكر يوسف في الباطل الذي أنت عليه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (تالله إنك لسنى ضلالك القديم) قال : يعنون : حزنه القديم على يوسف ، وفي ضلالك القديم : لني خطئك القديم .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾

❖❖ يقول تعالى ذكره : فلما أن جاء يعقوبَ البشيرُ من عند ابنه يوسف ، وهو المبشر برسالة يوسف ، وذلك بريد فيما ذكر كان يوسف يردّه إليه ، وكان البريد فيما ذكر والبشير يهوذا بن يعقوب أخا يوسف لأبيه . ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس ، قوله (فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ) يقول : البشير : البريد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا جويبر عن الضحاك (فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ) قال : البريد .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا محمد بن يزيد الواسطى ، عن جويبر ، عن الضحاك (فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ) قال : البريد .

قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ) قال : يهوذا بن يعقوب .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : (الْبَشِيرُ) قال : يهوذا بن يعقوب .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : يهوذا ابن يعقوب .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : هو يهوذا ابن يعقوب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج (فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ) قال : يهوذا بن يعقوب كان البشير .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ) قال : هو يهوذا بن يعقوب .

قال سفيان : وكان ابن مسعود يقرأ : وجاء البشير من بين يدي العير .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك (فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ) قال : البريد هو يهوذا بن يعقوب .

قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : قال يوسف (اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْتَقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بِصِيرًا ، وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ) قال يهوذا : أنا ذهبت بالقميص ملطخا بالدم إلى يعقوب ، فأخبرته أن يوسف أكله الذئب ، وأنا أذهب اليوم بالقميص وأخبره أنه حي ، فأفرّحه كما أحزنته ، فهو كان البشير .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك (فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ) قال : البريد .

وكان بعض أهل العربية من أهل الكوفة يقول : «أن» في قوله (فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ) وسقوطها بمعنى واحد ، وكان يقول هذا في لما وحتى خاصة ، ويذكر أن العرب تدخلها فيهما أحيانا ، وتسقطها أحيانا ، كما قال جل ثناؤه (وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا) ، وقال في موضع آخر (وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا)

وقال : هي صلة لاموضع لها في هذين الموضعين ، يقال : حتى كان كذا وكذا ، وحتى أن كان كذا وكذا .

وقوله (أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ) يقول : ألقى البشير قميص يوسف على وجه يعقوب .
كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ) ألقى القميص على وجهه .
وقوله (فَارْتَدَّ بَصِيرًا) يقول : رجع وعاد مبصراً بعينه بعد ما قد عمى (قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) يقول عز وجل : قال يعقوب لمن كان بحضرته حينئذ من ولده : ألم أقل لكم يا بني إني أعلم من الله أنه سيرد علي يوسف ، ويجمع بيني وبينه ، وكنتم لا تعلمون أنتم من ذلك ما كنت أعلمه ، لأن رؤيا يوسف كانت صادقة ، وكان الله قد قضى أن أخيراً أنا وأنتم له سجدوا ، فكنت موقناً بقضائه .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾

يقول تعالى ذكره : قال ولد يعقوب الذين كانوا فرّقوا بينه وبين يوسف : يا أبانا سل لنا ربك يعف عنا ، ويستر علينا ذنوبنا التي أذنبناها فيك ، وفي يوسف ، فلا يعاقبنا بها في القيامة (إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ) فيما فعلنا به ، فقد اعترفنا بذنوبنا ، قال (سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي) يقول جل ثناؤه : قال يعقوب : سوف أسأل ربي أن يعفو عنكم ذنوبكم التي أذنبتموها في وفي يوسف .
ثم اختلف أهل التأويل في الوقت الذي أذنبتهم لولده بالاستغفار لهم من ذنوبهم ، فقال بعضهم : آخر ذلك إلى السحر .

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت عبد الرحمن بن إسحاق ، يذكر ، عن محارب ابن دثار ، قال : كان عمي لي يأتي المسجد ، فسمع إنساناً يقول : اللهم دعوتني فأجبت ، وأمرتني فأطعت وهذا سحر ، فاغفر لي ، قال : فاستمع الصوت فإذا هو من دار عبد الله بن مسعود ، فسأل عبد الله عن ذلك ، فقال : إن يعقوب أخّر بنيه إلى السحر بقوله (سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن محارب بن دثار ، عن عبد الله ابن مسعود (سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي) قال : أخرهم إلى السحر .

قال : ثنا أبو سفيان الحميري ، عن العوام ، عن إبراهيم التيمي في قول يعقوب لبنيه (سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي) قال : أخرهم إلى السحر .

قال : ثنا عمرو ، عن خلاد الصَّفَّار ، عن عمرو بن قيس (سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي) قال :
في صلاة الليل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي) قال : أخر ذلك إلى السَّحَر . وقال آخرون : أخر ذلك إلى ليلة الجمعة . ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا سليمان بن عبد الرحمن أبو أيوب الدمشقي ، قال : ثنا الوليد ، قال : أخبرنا ابن جريج ، عن عطاء وعكرمة ، عن ابن عباس ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي) يقول : حتى تأتي ليلة الجمعة ، وهو قول أخى يعقوب لبيه .

حدثنا أحمد بن الحسن الترمذي ، قال : ثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : أخبرنا ابن جريج ، عن عطاء وعكرمة مولى ابن عباس ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قَدْ قَالَ أَخِي يَعْقُوبُ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ، يَقُولُ حَتَّى تَأْتِيَ لَيْلَةُ الْجُمُعَةِ » .

وقوله (إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) يقول : إن ربي هو الساتر على ذنوب التائبين إليه من ذنوبهم الرحيم بهم أن يعذبهم بعد توبتهم منها .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبُوهُ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴿٩١﴾ وَرَفَعَ
أَبُوهُ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا رُبِّي حَقًّا وَقَدْ
أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ
إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٩٢﴾

❖ يقول جل ثناؤه : فلما دخل يعقوبُ وولده وأهلهم على يوسف (آوَىٰ إِلَيْهِ أَبُوهُ) يقول :
ضم إليه أبويه ، فقال لهم (ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ) .

❖ فإن قال قائل : وكيف قال لهم يوسف (ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ) بعد ما دخلوها ، وقد
أخبر الله عز وجل عنهم أنهم لما دخلوها على يوسف ، وضم إليه أبويه قال لهم هذا القول ؟ قيل : قد
اختلف أهل التأويل في ذلك ؛ فقال بعضهم : إن يعقوب إنما دخل على يوسف هو وولده ، وآوى يوسف

أبويه إليه قبل دخول مصر، قالوا : وذلك أن يوسف تلقى أباه تكرمة له قبل أن يدخل مصر ، فأواه إليه ، ثم قال له ولمن معه (ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ) بها قبل الدخول .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، فحملوا إليه أهلهم وعيالهم ، فلما بلغوا مصر كلم يوسف الملك الذي فوقه ، فخرج هو والملوك يتلقونهم ، فلما بلغوا مصر (قال : ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ - فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ) .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبدالعزيز ، قال : ثنا جعفر بن سليمان ، عن فرقد السبخي ، قال : لما ألقى القميص على وجهه ارتد بصيرا ، وقال : ائتوني بأهلكم أجمعين ، فحمل يعقوب وإخوة يوسف ؛ فلما دنا أخبر يوسف أنه قد دنا منه ، فخرج يتلقاه ؛ قال : وركب معه أهل مصر ، وكانوا يعظمونه ؛ فلما دنا أحدهما من صاحبه ، وكان يعقوب يمشى وهو يتوكأ على رجل من ولده يقال له يهوذا ، قال : فنظر يعقوب إلى الخيل والناس ، فقال : يا يهوذا هذا فرعون مصر ؟ قال : لا ، هذا ابنك ؛ قال : فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه ، فذهب يوسف يبدؤه بالسلام ، فمنع من ذلك ، وكان يعقوب أحق بذلك منه وأفضل ، فقال : السلام عليك يا ذاهب الأحزان عني ، هكذا قال : « يا ذاهب الأحزان عني » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : قال حجاج : بلغني أن يوسف والملك خرجا في أربعة آلاف يستقبلون يعقوب وبنيه .

قال : وحدثني من سمع جعفر بن سليمان يحكي ، عن فرقد السبخي ، قال : خرج يوسف يتلقى يعقوب وركب أهل مصر مع يوسف ، ثم ذكر بقية الحديث ، نحو حديث الحارث ، عن عبد العزيز .

وقال آخرون : بل قوله (إِنْ شَاءَ اللَّهُ) استثناء من قول يعقوب لبنيه (أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي) قال : وهو من المؤخر الذي معناه التقديم ، قالوا : وإنما معنى الكلام : قال : أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنْ شَاءَ اللَّهُ إنه هو الغفور الرحيم (فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ : ادْخُلُوا مِصْرَ) ورفع أبويه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج (قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي) (إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ) وبين ذلك ما بينه من تقديم القرآن ، يعني ابن جريج ، وبين ذلك ما بينه من تقديم القرآن ، أنه قد دخل بين قوله (سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي) وبين قوله (إِنْ شَاءَ اللَّهُ) من الكلام ما قد دخل ، وموضعه عنده أن يكون عقيب قوله (سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي) .

والصواب من القول في ذلك عندنا ما قاله السدي ، وهو أن يوسف قال ذلك لأبويه ومن معهما من أولادهما وأهاليهم قبل دخولهم مصر حين تلقاهم ، لأن ذلك في ظاهر التنزيل كذلك ، فلا دلالة تدل على صحة ما قال ابن جريج ، ولا وجه لتقديم شيء من كتاب الله عن موضعه ، أو تأخيره عن مكانه إلا بحجة واضحة .

وقيل: عني بقوله (آوَى إِلَيْهِ أَبُوَيْهِ) : أبوه وخالته ، وقال الذين قالوا هذا القول : كانت أم يوسف قد ماتت قبل . وإنما كانت عند يعقوب يومئذ خالته أخت أمه ، كان نكحها بعد أمه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي (فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبُوَيْهِ) قال : أبوه وخالته . وقال آخرون : بل كان أباه وأمّه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبُوَيْهِ) قال : أباه وأمّه .

وأولى القولين في ذلك بالصواب ما قاله ابن إسحاق ، لأن ذلك هو الأغلب في استعمال الناس ، والمتعارف بينهم في أبوين ، إلا أن يصح ما يقال من أن أم يوسف كانت قد ماتت قبل ذلك بحجة يجب التسليم لها ، فيسلم حينئذ لها .

وقوله (وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ) مما كنتم فيه في باديتكم من الجذب والقحط .

وقوله (وَرَفَعَ أَبُوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ) يعني : على السرير .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي (وَرَفَعَ أَبُوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ) قال : السرير .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا محمد بن يزيد الواسطي ، عن جوير ، عن الضحاك ، قال : العرش : السرير .

قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَرَفَعَ أَبُوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ) قال : السرير .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ؛ وحدثني المثنى

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ؛ وحدثني

المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَرَفَعَ أَبُوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ)

قال : سريره .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (على العرش) قال :
على السرير .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس
(وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ) يقول : رفع أبويه على السرير .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : قال سفيان (وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ) قال :
على السرير .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ)
قال : مجلسه .

حدثني ابن عبد الرحيم البرقي ، قال : ثنا عمرو بن أبي سلمة ، قال : سألت زيد بن أسلم ، عن قول
الله تعالى (وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ) فقلت : أبلغك أنها حالته ، قال : قال ذلك بعض أهل العلم ،
يقولون : إن أمه ماتت قبل ذلك ، وأن هذه حالته .

وقوله (وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا) يقول : وخر يعقوب وولده وأمه ليوسف سجداً .
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،
(وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا) يقول : رفع أبويه على السرير ، وسجداً له ، وسجداً له إخوته .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : تحمّل ، يعني يعقوب بأهله حتى قدموا على
يوسف ؛ فلما اجتمع إلى يعقوب بنوه دخلوا على يوسف ؛ فلما رأوه وقعوا له سجوداً ، وكانت تلك تحية
الملوك في ذلك الزمان أبوه وأمه وإخوته .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا) وكانت تحية من
قبلكم ، كان بها يحيى بعضهم بعضاً ، فأعطى الله هذه الأمة السلام ، تحية أهل الجنة ، كرامة من الله تبارك
وتعالى ، عَجَّلَهَا لَهُمْ ، وَنِعْمَةٌ مِنْهُ .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا)
قال : وكانت تحية الناس يومئذ أن يسجد بعضهم لبعض .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو إسحاق ، قال : قال سفيان (وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا) قال : كانت
تحية فيهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج (وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا) أبواه
وإخوته ، كانت تلك تحيتهم كما تصنع ناس اليوم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك (وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا) قال :
تحية بينهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا) قال : قال ذلك السجود تشرفه ، كما سجدت الملائكة لآدم تشرفه ليس بسجود عبادة . وإنما عني من ذكر بقوله : إن السجود كان تحية بينهم ، أن ذلك كان منهم على الخلق ، لا على وجه العبادة من بعضهم لبعض ، ومما يدل على أن ذلك لم يزل من أخلاق الناس قديما على غير وجه العبادة من بعضهم لبعض ، قول أعشى بنى ثعلبة :

فَلَمَّا أَتَانَا بُعَيْدَ الْكَرَى سَجَدْنَا لَهُ وَرَفَعْنَا الْعَمَارَا

وقوله (يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا) يقول جل ثناؤه : قال يوسف لأبيه : يا أبت هذا السجود الذي سجدت أنت وأمي وإخوتي لي (تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ) يقول ما آلت إليه رؤياي التي كنت رأيتها ، وهي رؤياها التي كان رآها قبل صنيع إخوته ما صنعوا ، أن أحد عشر كوكبا والشمس والقمر له ساجدون (قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا) يقول : قد حققها ربي لحبيء تأويلها على الصحة .

وقد اختلف أهل العلم في قدر المدة التي كانت بين رؤيا يوسف وبين تأويلها ؛ فقال بعضهم : كانت مدة ذلك أربعين سنة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، قال : ثنا أبو عثمان ، عن سلمان الفارسي ، قال : كان بين رؤيا يوسف إلى أن رأى تأويلها أربعون سنة .

حدثني يعقوب بن برهان ويعقوب بن إبراهيم ، قالا : ثنا ابن عُلَيَّة ، قال : ثنا سليمان التيمي ، عن أبي عثمان النهدي ، قال : قال عثمان : كانت بين رؤيا يوسف وبين أن رأى تأويله ، قال : فذكر أربعين سنة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن التيمي ، عن أبي عثمان ، عن سلمان ، قال : كان بين رؤيا يوسف وتأويلها أربعون سنة .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي سنان ، عن عبد الله بن شداد ، قال : رأى تأويل رؤياه بعد أربعين عاما .

قال : ثنا سفيان ، عن سليمان التيمي ، عن أبي عثمان ، عن سلمان ، مثله .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن ضرار ، عن عبد الله بن شداد أنه سمع قوما يتنازعون

(١) البيت للأعشى الأكبر ميمون ، وهو أعشى بنى ثعلبة (ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ٥١) وهو من قصيدته التي مطلعها : « أزمعت من آل ليلي ابتكارا » يمدح قيس بن معد يكرب ، وكان قد صحبه في بعض غاراته . بمكان اسمه لعلع وتعرض للأسر ، حتى أنقذ بدخول المملوح عليهم آخر الليل مظفرا ، فسجدوا له شكرا وتعظيما رافعين أيديهم بالعمار وهو الريحان وذلك من تحية الملوك ، على جهة التكريم لا العبادة .

في رؤيا رآها بعضهم وهو يصلي ، فلما انصرف سألهم عنها ، فكتموه فقال : أما إنه جاء تأويل رؤيا يوسف بعد أربعين عاما .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن ضرار بن مرة أبي سنان ، عن عبد الله بن شدّاد ، قال : كان بين رؤيا يوسف وتأويلها أربعون سنة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل وجريير ، عن أبي سنان ، قال : سمع عبد الله بن شدّاد قوما يتنازعون في رؤيا ، فذكر نحو حديث أبي السائب ، عن ابن فضيل .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن سليمان التيمي ، عن أبي عثمان ، عن سلمان ، قال : رأى تأويل رؤياه بعد أربعين عاما .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن أبي سنان ، عن عبد الله بن شدّاد ، قال : وقعت رؤيا يوسف بعد أربعين سنة ، وإليها تنهى أيضا الرؤيا .

قال : ثنا معاذ بن معاذ ، قال : ثنا سليمان التيمي ، عن أبي عثمان ، عن سلمان ، قال : كان بين رؤيا يوسف ، وبين أن رأى تأويلها أربعون سنة .

قال : ثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن سليمان التيمي ، عن أبي عثمان ، عن سلمان ، قال : كان بين رؤيا يوسف وبين عبارتها أربعون سنة .

قال : حدثنا سعيد بن سليمان ، قال : ثنا هشيم ، عن سليمان التيمي ، عن أبي عثمان ، عن سلمان ، قال : كان بين رؤيا يوسف ، وبين أن رأى تأويلها أربعون سنة .

قال : ثنا عمرو بن محمد العنقزي ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي سنان ، عن عبد الله بن شدّاد ، قال : كان بين رؤيا يوسف وبين تعبيرها أربعون سنة .

وقال آخرون : كانت مدة ذلك ثمانين سنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا عبد الوهاب الثقفي ، قال : ثنا هشام ، عن الحسن ، قال : كان منذ فارق يوسف يعقوب إلى أن التقيا ثمانون سنة لم يفارق الحزن قلبه ، ودموعه تجري على خديّه ، وما على وجه الأرض يومئذ عبد أحبّ إلى الله من يعقوب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن أبي جعفر حسن بن فرقد ، قال : كان بين أن فقد يعقوب يوسف إلى يوم رُدّ عليه ثمانون سنة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حسن بن علي ، عن فضيل بن عياض ، قال : سمعت أنه كان بين فراق يوسف وحجر يعقوب إلى أن التقيا ثمانون سنة .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا داود بن مهراّن ، قال : ثنا عبد الواحد بن زياد ، عن يونس ، عن

الحسن ، قال : أُلقي يوسف في الحبّ وهو ابن سبع عشرة سنة ، وكان بين ذلك وبين لقائه يعقوب ثمانون سنة ، وعاش بعد ذلك ثلاثا وعشرين سنة ، ومات وهو ابن عشرين ومئة سنة .

قال : ثنا سعيد بن سليمان ، قال : ثنا هشيم ، عن يونس ، عن الحسن ، نحوه ، غير أنه قال : ثلاث وثمانون سنة .

قال : ثنا داود بن مهران ، قال : ثنا ابن عُدَيْيَةَ ، عن يونس ، عن الحسن ، قال : أُلقي يوسف في الحبّ وهو ابن سبع عشرة سنة ، وكان في العبودية وفي السجن وفي الملك ثمانين سنة ، ثم جمع الله عزّ وجلّ شمله وعاش بعد ذلك ثلاثا وعشرين سنة .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا مبارك بن فضالة ، عن الحسن ، قال : أُلقي يوسف في الحبّ ، وهو ابن سبع عشرة ، فغاب عن أبيه ثمانين سنة ، ثم عاش بعد ما جمع الله له شمله ، ورأى تأويل رؤياه ثلاثا وعشرين سنة ، فمات وهو ابن عشرين ومئة سنة .

حدثنا مجاهد ، قال : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا هشيم ، عن الحسن ، قال : غاب يوسف ، عن أبيه في الحبّ وفي السجن حتى التقيا ثمانين عاما ، فما جفت عينا يعقوب ، وما على الأرض أحد أكرم على الله من يعقوب .

وقال آخرون : كانت مدة ذلك : ثمان عشرة سنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ذُكر لي - والله أعلم - أن غيبة يوسف عن يعقوب كانت ثمان عشرة سنة ، قال : وأهل الكتاب يزعمون أنها كانت أربعين سنة أو نحوها ، وأن يعقوب بقي مع يوسف بعد أن قدم عليه مصر سبع عشرة سنة ، ثم قبضه الله إليه .

وقوله (وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ) يقول جلّ ثناؤه مخبرا عن قبيل يوسف : وقد أحسن الله بي في إخراجه إياي من السجن الذي كنت فيه محبوسا ، وفي مجيئه بكم من البدو ، وذلك أن مسكن يعقوب ووالده فيما ذكر ، كان ببادية فلسطين كذلك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان منزل يعقوب ووالده فيما ذكر لي بعض أهل العلم ، بالعربيات من أرض فلسطين ثغور الشام ، وبعض يقول بالأولاج من ناحية الشعب ، وكان صاحب بادية له إبل وشاء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، قال : أخبرنا شيخ لنا أن يعقوب كان ببادية فلسطين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ) وكان يعقوب وبنوه بأرض كنعان أهل مواش وبرية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج (وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ)

وقال : كانوا أهل بادية وماشية ، والبدو مصدر من قول القائل : بدا فلان : إذا صار بالبادية يبدو بدوا .
وذكر أن يعقوب دخل مصر هو ومن معه من أولاده وأهاليهم وأبنائهم يوم دخلوها ، وهم أقل من مئة ،
وخرجوا منها يوم خرجوا منها وهم زيادة على ست مئة ألف .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن الحباب وعمرو بن محمد ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن
كعب القرظي ، عن عبد الله بن شداد ، قال : اجتمع آل يعقوب إلى يوسف بمصر وهم ستة وثمانون
إنسانا ، صغيرهم وكبيرهم ، وذكرهم وأنثاهم ، وخرجوا من مصر يوم أخرجهم فرعون وهم ست مئة
ألف ونيف .

قال : ثنا عمرو ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله ، قال : خرج أهل
يوسف من مصر وهم ست مئة ألف وسبعون ألفا ، فقال فرعون : إن هؤلاء لشردمة قليلون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حماد ، عن إسرائيل والمسعودي ، عن أبي إسحاق ،
عن أبي عبيدة ، عن ابن مسعود ، قال : دخل بنو إسرائيل مصر وهم ثلاثة وستون إنسانا ، وخرجوا منها
وهم ست مئة ألف ، قال إسرائيل في حديثه : ست مئة ألف وسبعون ألفا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن مسروق ، قال : دخل أهل
يوسف مصر وهم ثلاث مئة وتسعون من بين رجل وامرأة .

وقوله (مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي) يعني : من بعد أن أفسد ما بيني وبينهم
وجهل بعضنا على بعض ، يقال منه : نزع الشيطان بين فلان وفلان ، نزع نزعاً ونزوغاً .
وقوله (إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ) يقول : إن ربي ذو لطف وصنع لما يشاء ، ومن لطفه وصنعه
أنه أخرجني من السجن ، وجاء بأهلي من البدو بعد الذي كان بيني وبينهم من بُعد الدار ، وبعد ما كنت
فيه من العبودة والرق والإسار .

كالذي حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا
يَشَاءُ) لطف بيوسف وصنع له حتى أخرجته من السجن ، وجاء بأهله من البدو ، ونزع من قلبه نزع
الشيطان وتحريشه على إخوته .

وقوله (إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ) بمصالح خلقه ، وغير ذلك لا ينفي عليه مبادئ الأمور وعواقبها (الحكيم)
في تدبيره .

القول في تأويل قوله تعالى :

رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٢١﴾

يقول تعالى ذكره : قال يوسف بعد ما جمع الله له أبويه وإخوته ، وبسط عليه من الدنيا ما بسط من الكرامة ، ومكنه في الأرض ، متشوقا إلى لقاء آبائه الصالحين (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ) يعني : من ملك مصر (وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ) يعني من عبارة الرؤيا ، تعديدا لنعم الله ، وشكرا له عليها (فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) يقول : يا فاطر السموات والأرض ، يا خالقها وبارئها ، أنت ولي في الدنيا والآخرة ، يقول : أنت ولي في دنياي على من عاداني وأرادني بسوء بنصرك ، وتغذوني فيها بنعمتك ، وتليني في الآخرة بفضلك ورحمتك (تَوَفَّنِي مُسْلِمًا) يقول : اقبضني إليك مسلما ، (وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ) يقول : وألحقني بصالح آبائي إبراهيم وإسحاق ومن قبلهم من أنبيائك ورسلك . وقيل : إنه لم يتمن أحد من الأنبياء الموت قبل يوسف .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ) . . . الآية ، قال ابن عباس : يقول : أول نبي سأل الله الموت يوسف .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، قوله (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ) . . . الآية ، قال : اشتاق إلى لقاءه ، وأحب أن يلحق به وبآبائه ، فدعا الله أن يتوفاه ويلحقه بهم ، ولم يسأل نبي قط الموت غير يوسف ، فقال (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ) . . . الآية ، قال ابن جريج : في بعض القرآن من الأنبياء من قال : توفي .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ) لما جمع شمله ، وأقر عينه ، وهو يومئذ مغموس في نعيم الدنيا وملكها وغضارتها ، فاشتاق إلى الصالحين قبله . وكان ابن عباس يقول : ما تمنى نبي قط الموت قبل يوسف .

حدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : أخبرنا عبد الله بن الزبير ، عن سفيان ، عن ابن أبي عروبة ، عن قتادة ، قال : لما جمع ليوسف شمله ، وتكاملت عليه النعم سأل لقاء ربه فقال (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) ، أنت ولي في الدنيا والآخرة ، توفيني مسلما وألحقني بالصالحين) قال قتاده : ولم يتمن أحد قط ، نبي ولا غيره ، إلا يوسف .

حدثني المثنى ، قال : ثنا هشام ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : ثنى غير واحد ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، أن يوسف النبي صلى الله عليه وسلم لما جمع بينه وبين أبيه وإخوته ، وهو يومئذ ملك مصر ، اشتاق إلى الله وإلى آبائه الصالحين إبراهيم وإسحاق ، قال (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي

مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ) .

حدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، عن مسلم بن خالد ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد في قوله (وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ) قال : العبارة (تَوَفَّنِي مُسْلِمًا) .
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ) يقول : توفني على طاعتك ، واغفر لي إذا توفيتني .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قال يوسف حين رأى مارأى من كرامة الله وفضله عليه وعلى أهل بيته حين جمع الله له شمله ، وردّه على والده ، وجمع بينه وبينه فيما هو فيه من الملك والبهجة (يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا) إلى قوله (إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) ثم ارعوى يوسف ، وذكر أن ما هو فيه من الدنيا بائد وذاهب ، فقال (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ) وذكر أن بني يعقوب الذين فعلوا بيوسف ما فعلوا ، استغفر لهم أبوهم ، فتاب الله عليهم وعفا عنهم ، وغفر لهم ذنبهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن صالح المري ، عن يزيد الرقاشي ، عن أنس بن مالك ، قال : إن الله تبارك وتعالى بما جمع ليعقوب شمله ، وأقر عينه ، خلا ولده نجيا ، فقال بعضهم لبعض : ألسم قد علمتم ما صنعتم ، وما لقي منكم الشيخ ، وما لقي منكم يوسف ؟ قالوا : بلى ، قال : فيغركم عفوهما عنكم ، فكيف لكم بربكم ، فاستقام أمرهم على أن أتوا الشيخ فجلسوا بين يديه ، ويوسف إلى جنب أبيه قاعد ، قالوا : يا أبانا أتيناك في أمر لم نأتك في أمر مثله قط ، ونزل بنا أمر لم ينزل بنا مثله حتى حركوه ، والأنبياء أرحم البرية ، فقال : مالكم يا بني ؟ قالوا : ألسم قد علمت ما كان منا إليك ، وما كان منا إلى أخينا يوسف ؟ قال : بلى ، قالوا : أفلسما قد عفوتما ؟ قالوا : بلى ، قالوا : فإن عفوكما لا يغني عنا شيئا إن كان الله لم يعف عنا ، قال : فما تريدون يا بني ؟ قالوا : نريد أن تدعو الله لنا ، فإذا جاءك الوحي من عند الله بأنه قد عفا عما صنعنا قررت أعيننا واطمأنت قلوبنا ، وإلا فلا قرّة عين في الدنيا لنا أبدا . قال : فقام الشيخ واستقبل القبلة ، وقام يوسف خلف أبيه ، وقاموا خلفهما أذلة خاشعين ، قال : فدعا وأمن يوسف ، فلم يجب فيهم عشرين سنة ، قال صالح المري : يخيفهم . قال : حتى إذا كان رأس العشرين ، نزل جبرئيل صلى الله عليه وسلم على يعقوب عليه السلام ، فقال : إن الله تبارك وتعالى بعثني إليك أبشرك بأنه قد أجاب دعوتك في ولدك ، وأنه قد عفا عما صنعوا ، وأنه قد اعتقد موثيقهم من بعدك على النبوة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا جعفر بن سليمان ، عن أبي عمران الجوني ، قال : والله لو كان قتل يوسف مضي لأدخلهم الله النار كلهم ، ولكن الله جل ثناؤه أمسك نفس يوسف ليبلغ فيه أمره ورحمة لهم ، ثم يقول والله ما قص الله نبأهم يعيرهم بذلك لأنبياء من أهل الجنة ، ولكن الله قص علينا نبأهم لئلا يقنط عبده .

وذكر أن يعقوب توفي قبل يوسف ، وأوصى إلى يوسف وأمره أن يدفنه عند قبر أبيه إسحاق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : لما حضر الموت يعقوب ، أوصى إلى يوسف أن يدفنه عند إبراهيم وإسحاق ، فلما مات نفخ فيه المر وحمله إلى الشام ، قال : فلما بلغوا إلى ذلك المكان أقبل عيص أخو يعقوب ، فقال : غابني على الدعوة ، فوالله لا يغلبني على القبر ، فأبي أن يتركهم أن يدفنوه ، فلما احتبسوا قال هشام بن دار بن يعقوب ، وكان هشام أصم لبعض إخوته ما لجدتي لا يدفن ؟ قالوا : هذا عمك يمنع ، قال : أرونيه أين هو ؟ فلما رآه ، رفع هشام يده فوجأ بها رأس العيص وجأة سقطت عيناه على فخذ يعقوب ، فدفنا في قبر واحد .

القول في تأويل قوله تعالى :

ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾

❦ يقول تعالى ذكره : هذا الخبر الذي أخبرتك به من خبر يوسف ووالده يعقوب وإخوته وسائر ما في هذه السورة (مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ) يقول : من أخبار الغيب الذي لم تشاهده ، ولم تعينه ، ولكننا (نُوحِيهِ إِلَيْكَ) ونعرفك به ، لنثبت به فؤادك ، ونشجع به قلبك ، وتصبر على ما نالك من الأذى من قومك في ذات الله ، وتعلم أن من قبلك من رسل الله إذ صبروا على ما نالهم فيه ، وأخذوا بالعضو ، وأمروا بالعرف ، وأعرضوا عن الجاهلين ، فازوا بالظفر ، وأيدوا بالنصر ، ومكنوا في البلاد ، وغابوا من قصدوا من أعدائهم وأعداء دين الله ، يقول الله تبارك وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، فيهم يا محمد فتأس ، وآثارهم فقص (وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ) يقول : وما كنت حاضرا عند إخوة يوسف ، إذ أجمعوا ، واتفقت آراؤهم ، وصححت عزائمهم على أن يلقوا يوسف في غيابة الحب ، وذلك كان مكرهم الذي قال الله عز وجل وهم يَمْكُرُونَ .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ، يقول : ما كنت لديهم وهم يلقونه في غيابة الحب وهم يَمْكُرُونَ : أي بيوسف . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن

ابن عباس (وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ) . . . الآية ، قال : هم بنو يعقوب .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾

يقول جل ثناؤه : وما أكثر مشركى قومك يا محمد ، ولو حرصت على أن يؤمنوا بك فيصدقوك ، ويتبعوا ما جئتهم به من عند ربك بمصدقك ولا متبئيك .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾

يقول تعالى ذكره لمحمد صلى الله عليه وسلم : وما تسأل يا محمد هولاء الذين ينكرون نبوتك ، ويمتنعون من تصديقك ، والإقرار بما جئتهم به من عند ربك على ما تدعوهم إليه من إخلاص العبادة لربك ، وهجر عبادة الأوثان ، وطاعة الرحمن ، من أجر ، يعنى من ثواب وجزاء منهم ، بل إنما ثوابك وأجر عملك على الله ، يقول : ما تسألهم على ذلك ثوابا ، فيقولوا لك : إنما تريد بدعائك إيانا إلى اتباعك لنزل لك عن أموالنا إذا سألتنا ذلك ، وإذ كنت لا تسألهم ذلك ، فقد كان حقا عليهم أن يعلموا أنك إنما تدعوهم إلى ما تدعوهم إليه اتباعا منك لأمر ربك ، ونصيحة منك لهم ، وأن لا يستغشوك .

وقوله (إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ) يقول تعالى ذكره : ما هذا الذى أرسلك به ربك يا محمد من النبوة والرسالة إلا ذكر ، يقول : إلا عظة وتذكير للعالمين ، ليتعضوا ويتذكروا به .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾

يقول جل وعزّ : وكم من آية في السموات والأرض لله ، وعبرة وحجة ، وذلك كالشمس والقمر والنجوم ونحو ذلك من آيات السموات ، وكالجبال والبحار والنبات والأشجار ، وغير ذلك من آيات الأرض (يَمْرُونَ عَلَيْهَا) يقول : يعاينونها فيمرّون بها معرضين عنها ، لا يعتبرون بها ، ولا يفكرون فيها ، وفيما دلت عليه من توحيد ربها ، وأن الألوهة لا تتبغى إلا للواحد القهار الذى خلقها وخلق كل شىء ، فدبرها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمْرُونَ عَلَيْهَا) وهى فى مصحف عبد الله يمشون عليها السماء والأرض آيتان عظيمتان .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٦﴾

❖ يقول تعالى ذكره : وما يقر أكثر هؤلاء الذين وصف عز وجل صفتهم بقوله (وكأين من آية في السموات والأرض يمرّون عليها وهم عنها معرضون) بالله ، أنه خالقه ورازقه ، وخالق كل شيء ، إلا وهم به مشركون في عبادتهم الأوثان والأصنام ، واتخاذهم من دونه أربابا ، وزعمهم أن له ولدا ، تعالى الله عما يقولون .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمران بن عيينة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (وما يؤمن أكثرهم بالله) . . . الآية ، قال : من إيمانهم إذا قيل لهم من خلق السماء ، ومن خلق الأرض ، ومن خلق الجبال ؟ قالوا : الله ، وهم مشركون .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة ، في قوله (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) قال : تسألهم من خلقهم ، ومن خلق السموات والأرض ، فيقولون : الله ، فذلك إيمانهم بالله ، وهم يعبدون غيره .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر وعكرمة (وما يؤمن أكثرهم بالله) . . . الآية ، قالوا : يعلمون أنه ربهم ، وأنه خلقهم ، وهم مشركون به .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر وعكرمة بنحوه . قال : ثنا ابن نمير ، عن نصر ، عن عكرمة (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) قال : من إيمانهم إذا قيل لهم : من خلق السموات ؟ قالوا : الله ؛ وإذا سئلوا : من خلقهم ؟ قالوا : الله ، وهم يشركون به بعد .

قال : ثنا أبو نعيم ، عن الفضيل بن يزيد الثمالي ، عن عكرمة ، قال : هو قول الله (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) فإذا سئلوا عن الله وعن صفته ، وصفوه بغير صفته ، وجعلوا له ولدا ، وأشركوا به .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) إيمانهم قولهم : الله خالقنا ويرزقنا ويميتنا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) فإيمانهم قولهم : الله خالقنا ويرزقنا ويميتنا .

حدثني المثنى ، قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وما يؤمن

أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) إيمانهم قولهم : الله خالقنا ويرزقنا ويميتنا ، فهذا إيمان مع شرك عبادتهم غيره .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) قال : إيمانهم قولهم : الله خالقنا ويرزقنا ويميتنا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا هاني بن سعيد وأبو معاوية ، عن حماد ، عن القاسم ، عن مجاهد ، قال يقولون : الله ربنا ، وهو يرزقنا وهم يشركون به بعد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حماد ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : إيمانهم قولهم : الله خالقنا ويرزقنا ويميتنا .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو تيميلة ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، عن عكرمة ومجاهد وعامر ، أنهم قالوا في هذه الآية (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) قال : ليس أحد إلا وهو يعلم أن الله خلقه وخلق السموات والأرض ، فهذا إيمانهم ، ويكفرون بما سوى ذلك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) في إيمانهم هذا ، إنك لست تلتقي أحدا منهم إلا أنبأك أن الله ربه ، وهو الذي خلقه ورزقه ، وهو مشرك في عبادته .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ) . . . الآية ، قال : لا تسأل أحدا من المشركين من ربك إلا قال : ربي الله ، وهو يشرك في ذلك . حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) يعني النصارى ، يقول : ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ، ليقولنَّ الله ، ولئن سألتهم من خلقهم ؟ ليقولنَّ الله ، ولئن سألتهم من يرزقكم من السماء والأرض ؟ ليقولنَّ الله ، وهم مع ذلك يشركون به ، ويسجدون غيره ، ويسجدون للأنداد دونه . حدثني المثني ، قال : أخبرنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : كانوا يشركون به في تلبيتهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن عبد الملك ، عن عطاء (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ) . . . الآية ، قال : يعلمون أن الله ربهم ، وهم يشركون به بعد .

حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن عبد الملك ، عن عطاء ، في قوله (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) قال : يعلمون أن الله خالقهم ورازقهم ، وهم يشركون به .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال : سمعت ابن زيد يقول (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ) . . . الآية ، قال : ليس أحد يعبد مع الله غيره إلا وهو مؤمن بالله ، ويعرف أن الله ربه ، وأن الله

خالقه ورازقه ، وهو يشرك به ، ألا ترى كيف قال إبراهيم (أفرايستم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون ، فإنهم عدو لى إلا رب العالمين) قد عرف أنهم يعبدون رب العالمين مع ما يعبدون ، قال : فليس أحد يشرك به إلا وهو مؤمن به ، ألا ترى كيف كانت العرب تلبى ، تقول : لبيك اللهم لبيك ، لا شريك لك ، إلا شريك هو لك ، تملكه وما ملك ، المشركون كانوا يقولون هذا .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٧﴾

يقول جل ثناؤه : أفامن هؤلاء الذين لا يقرون بأن الله ربهم إلا وهم مشركون في عبادتهم إياه غيره ، (أن تأتيهم غاشية من عذاب الله) تغشاهم من عقوبة الله وعذابه ، على شركهم بالله ، أو تأتيهم القيامة فجأة وهم مقيمون على شركهم وكفرهم بربهم ، فيخلدهم الله عز وجل في ناره وهم لا يدرون بمجيئها وقيامها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (أن تأتيهم غاشية من عذاب الله) قال : تغشاهم .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شاذان ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (غاشية من عذاب الله) قال : تغشاهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله) : أى عقوبة من عذاب الله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (غاشية من عذاب

الله) قال : غاشية واقعة تغشاهم من عذاب الله .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ

الْمُشْرِكِينَ ﴿١٨﴾

يقول تعالى ذكره لنبى محمد صلى الله عليه وسلم (قل) يا محمد (هذه) الدعوة التى أدعو إليها ،

والطريقة التي أنا عليها من الدعاء إلى توحيد الله ، وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأوثان ، والانهاء إلى طاعته ، وترك معصيته (سَبِيلِي) وطريقي ودعوتي (أَدْعُو إِلَى اللَّهِ) وحده لا شريك له (على بصيرةٍ) بذلك ، ويقين علم مني به (أَنَا وَ) يدعو إليه على بصيرة أيضا (مَنْ اتَّبَعَنِي) وصدقني ، وآمن بي ، (وَسُبْحَانَ اللَّهِ) يقول له تعالى ذكره : وقل تنزيها لله وتعظيما له ، من أن يكون له شريك في ملكه أو معبود سواه في سلطانه (وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) يقول : وأنا برىء من أهل الشرك به ، لست منهم ، ولا هم مني .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، في قوله (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ) يقول : هذه دعوتي .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ) قال : هذه سبيلي ، هذا أمرى وسنتى ومنهاجى (أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي) قال : وحق الله وعلى من اتبعه أن يدعو إلى ما دعا إليه ، ويذكر بالقرآن والموعظة ، وينهى عن معاصي الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا حماد ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس ، قوله (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي) : هذه دعوتي .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن أبي جعفر ، عن الربيع (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي) قال : هذه دعوتي .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا
كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾

❖ يقول تعالى ذكره (وَمَا أَرْسَلْنَا) يا محمد (مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا) لانساء ، ولا ملائكة (نُوحِي إِلَيْهِمْ) آياتنا بالدعاء إلى طاعتنا ، وإفراد العبادة لنا (مِنْ أَهْلِ الْقُرَى) يعني من أهل الأمصار ، دون أهل البوادي .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى) لأنهم كانوا أحلم وأحلم من أهل العمود .

وقوله (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ) يقول تعالى ذكره : أفلم يسر هؤلاء المشركون الذين يكذبونك يا محمد ، ويحسدون نبوتك ، وينكرون ما جئتهم به من توحيد الله ، وإخلاص الطاعة والعبادة له في الأرض (فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) إذ كذبوا رسلنا ، ألم نُحِلِّ بِهَم عَقُوبَتَنَا ، فهلكهم بها ، ونج منها رسلنا وأتباعنا ، فاتفكروا في ذلك ويعتبروا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا حجاج ، قال : قال ابن جريج : قوله (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم) قال : إنهم قالوا : ما أنزل الله على بشر من شيء ، قال : وقوله (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين . وما تسألهم عليه من أجر) ، وقوله (وكأين من آية في السموات والأرض يمرّون عليها) ، وقوله (أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله) ، وقوله (أفلم يسروا في الأرض فينظروا) من أهلكنا ؟ قال : فكل ذلك قال لقريش : أفلم يسروا في الأرض فينظروا في آثارهم فيعتبروا ويتفكروا .

وقوله (ولدار الآخرة خير) يقول تعالى ذكره : هذا فعلنا في الدنيا بأهل ولايتنا وطاعتنا ، إن عقوبتنا إذا نزلت بأهل معاصينا والشرك بنا أنجيناهم منها ، وما في الدار الآخرة لهم خير ، وترك ذكر ما ذكرنا اكتفاء بدلالة قوله (ولدار الآخرة خير للذين اتقوا) عليه ، وأضيفت الدار إلى الآخرة ، وهي الآخرة لاختلاف لفظهما ، كما قيل : (إن هذا هو حق اليقين) وكما قيل : أتيتك عام الأول ، وبارحة الأولى ، وليلة الأولى ، ويوم الخميس ، وكما قال الشاعر :

أتمدح فقعسا وتدم عبسا ألا لله أمك من هجين
ولو أقوت عليك ديار عبس عرفت الدل عرفان اليقين

يعني عرفانا به يقينا .

فتأويل الكلام : وللدار الآخرة خير للذين اتقوا الله بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه ، وقوله (أفلا تعقلون) يقول : أفلا يعقل هؤلاء المشركون بالله حقيقة ما نقول لهم ونخبرهم به من سوء عاقبة الكفر ، وغب ما يصر إليه حال أهله مع ما قد عاينوا ورأوا وسمعوا مما حلّ بما قبلهم من الأمم الكافرة المكذبة رسل ربها .

القول في تأويل قوله تعالى :

حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىٰ مَنْ نَّشَاءُ
وَلَا يَرُدُّ بِاسْتِنَاعِ الْقَوْمِ الْمَجْرُمِينَ ﴿١١﴾

(١) البيتان مما رواه الفراء عن بعضهم في معاني القرآن (ص ١٥٧ مصورة جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٥٩) قال : أضيف الدار إلى الآخرة ، وهي الآخرة ؛ وقد تضيف العرب الشيء إلى نفسه إذا اختلف لفظه كقوله : (إن هذا هو حق اليقين) والحق هو اليقين وجميع الأيام تضاف إلى أنفسها لاختلاف لفظها ، وكذلك شهر ربيع ، والعرب تقول في كلامها ، أنشدني بعضهم : أتمدح
للحين . قال : وإنما معناه عرفانا يقينا .

يقول تعالى ذكره : وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا يوحي إليهم من أهل القرى ، فدعوا من أرسلنا إليهم ، فكذبوهم ، وردوا ما أتوا به من عند الله ، حتى إذا استيأس الرسل الذين أرسلناهم إليهم منهم أن يؤمنوا بالله ، ويصدقوهم فيما أتوهم به من عند الله ، وظنّ الذين أرسلناهم إليهم من الأمم المكذبة أن الرسل الذين أرسلناهم ، قد كذبوهم فيما كانوا أخبروهم عن الله من وعده إياهم نصرهم عليهم ، جاءهم نصرنا . وذلك قول جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو السائب سلم بن جنادة ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن ابن عباس ، في قوله (حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا) قال : لما أيست الرسل أن يستجيب لهم قومهم ، وظنّ قومهم أن الرسل قد كذبوهم ، جاءهم النصر على ذلك ، فننجزى من نشاء .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أبو معاوية الضريير ، قال : ثنا الأعمش ، عن مسلم ، عن ابن عباس بنحوه ، غير أنه قال في حديثه ، قال : أيست الرسل ، ولم يقل : لما أيست .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفیان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبیر (حتى إذا استيأس الرسل) أن يسلم قومهم ، وظنّ قوم الرسل أن الرسل قد كذبوا جاءهم نصرنا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفیان ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمران بن عيينة ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس (حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا) قال : حتى إذا استيأس الرسل من قومهم ، وظنّ قومهم أن الرسل قد كذبوا (جاءهم نصرنا) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفیان ، عن حصين ، عن عمران السلمى ، عن ابن عباس (حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا) أيست الرسل من قومهم ، وظنّ قومهم أن الرسل قد كذبوهم .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد ، قال : ثنا جرير ، عن حصين ، عن عمران بن الحرث السلمى ، عن عبد الله بن عباس ، في قوله (حتى إذا استيأس الرسل) قال : استيأس الرسل من قومهم أن يستجيبوا لهم (وظنوا أنهم قد كذبوا) قال : ظنّ قومهم أنهم جاءوهم بالكذب .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت حصينا ، عن عمران بن الحرث ، عن ابن عباس (حتى إذا استيأس الرسل) من أن يستجيب لهم قومهم ، وظنّ قومهم أن قد كذبوهم ، (جاءهم نصرنا) .

حدثني أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس ، قال : ثنا عبثر ، قال : ثنا حصين ، عن عمران بن الحرث ، عن ابن عباس ، في هذه الآية (حتى إذا استيأس الرسل) قال : استيأس الرسل من

قومهم أن يؤمنوا ، وظنّ قومهم أن الرسل قد كذبوهم فيما وعدوا وكذبوا (جاءهم نصرنا) .
حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عديّ ، عن شعبة ، عن حصين ، عن عمران بن الحرث ، عن
ابن عباس ، قال : (حتى إذا استيأس الرُّسلُ) من نصر قومهم (وظنُّوا أنّهم قد كذبوا)
ظنّ قومهم أنّهم قد كذبوهم .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا محمد بن الصباح ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن
عمران بن الحرث ، عن ابن عباس ، في قوله (حتى إذا استيأس الرُّسلُ) قال : من قومهم أن يؤمنوا
بهم ، وأن يستجيبوا لهم ، وظنّ قومهم أن الرسل قد كذبوهم (جاءهم نصرنا) يعني الرسل .
حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن حصين ، عن عمران بن الحرث ،
عن ابن عباس بمثله سواء .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن هارون ، عن عباد القرشي ، عن
عبد الرحمن بن معاوية ، عن ابن عباس (وظنُّوا أنّهم قد كذبوا) خفيفة ، وتأويلها عنده : وظنّ
القوم أن الرسل قد كذبوا .

حدثنا أبو بكر ، قال : ثنا طلق بن غنام ، عن زائدة ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن ابن عباس ،
قال (حتى إذا استيأس الرُّسلُ) من قومهم أن يصدّ قوهم ، وظنّ قومهم أن قد كذبهم رسلهم ،
(جاءهم نصرنا) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله
(حتى إذا استيأس الرُّسلُ وظنُّوا أنّهم قد كذبوا) يعني : أيس الرسل من أن يتبعهم قومهم ،
وظنّ قومهم أن الرسل قد كذبوا ، فينصر الله الرسل ، ويبعث العذاب .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس
قوله (حتى إذا استيأس الرُّسلُ وظنُّوا أنّهم قد كذبوا جاءهم نصرنا) حتى إذا استيأس
الرسل من قومهم أن يطيعوهم ويتبعوهم ، وظنّ قومهم أن رسلهم كذبوهم (جاءهم نصرنا) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن حصين ، عن عمران بن الحرث ،
عن ابن عباس (حتى إذا استيأس الرُّسلُ) من قومهم (وظنُّوا أنّهم قد كذبوا) قال : فما
أبطأ عليهم إلا من ظنّ أنّهم قد كذبوا .

قال : ثنا آدم العسقلاني ، قال : ثنا شعبة ، قال : أخبرنا حصين بن عبد الرحمن ، عن عمران بن الحرث
قال : سمعت ابن عباس يقول (وظنُّوا أنّهم قد كذبوا) خفيفة . وقال ابن عباس : ظنّ القوم
أن الرسل قد كذبوهم خفيفة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبیر ، في قوله (حتى إذا استيأس
الرُّسلُ) من قومهم ، وظنّ قومهم أن الرسل قد كذبوهم .

قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن خصيف ، قال : سألت سعيد بن جبير ، عن قوله (حتى إذا استتياأس الرُّسُلُ) من قومهم ، وظن الكفار أنهم هم كذَّبوا .

حدثني يعقوب والحسن بن محمد ، قالا : ثنا إسماعيل بن عليّة ، قال : ثنا كلثوم بن جبر ، عن سعيد ابن جبير ، قوله (حتى إذا استتياأس الرُّسُلُ) من قومهم أن يؤمنوا ، وظن قومهم أن الرسل قد كذبتهم . حدثني المثني ، قال : ثنا عارم أبو النعمان ، قال : ثنا حماد بن زيد ، قال : ثنا شعيب ، قال : ثنا إبراهيم بن أبي حمزة الجزري ، قال : سألت فتي من قريش سعيد بن جبير ، فقال له : يا أبا عبد الله كيف تقرأ هذا الحرف ، فإني إذا أتيت عليه تمنيت أن لا أقرأ هذه السورة (حتى إذا استتياأس الرُّسُلُ) وظنوا أنهم قد كذَّبوا) قال : نعم . حتى إذا استتياأس الرسل من قومهم أن يصدّ قوهم ، وظن المرسل إليهم أن الرسل كذبوا . قال : فقال الضحاك بن مزاحم : ما رأيت كاليوم قط رجلا يدعى إلى علم ، فية الكأ لو رحلت في هذه إلى اليمن كان قليلا .

حدثني المثني ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا ربيعة بن كلثوم ، قال : ثنا أبي ، أن مسلم بن يسار ، سأل سعيد بن جبير ، فقال : يا أبا عبد الله ، آية بلغت مني كل مبلغ (حتى إذا استتياأس الرُّسُلُ) وظنوا أنهم قد كذَّبوا) فهذا الموت أن تظن الرسل أنهم قد كذبوا ، أو نظن أنهم قد كذبوا مخففة : قال : فقال سعيد بن جبير : يا أبا عبد الرحمن ، حتى إذا استتياأس الرسل من قومهم أن يستجيبوا لهم . وظن قومهم أن الرسل كذبهم (جاءهم نصرنا فننجي من نشاء ، ولا يردُّ بأسنا عن القوم المجرمين) قال : فقام مسلم إلى سعيد ، فاعتنقه وقال : فرج الله عنك كما فرجت عنى .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يحيى بن عباد ، قال : ثنا وهيب ، قال : ثنا أبو المعلى العطار ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (حتى إذا استتياأس الرُّسُلُ) وظنوا أنهم قد كذبوا) قال : استتياأس الرسل من إيمان قومهم ، وظن قومهم أن الرسل قد كذبوهم ، ما كانوا يخبرونهم ويبلغونهم . قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (حتى إذا استتياأس الرُّسُلُ) أن يصدّقهم قومهم ، وظن قومهم أن الرسل قد كذبوا ، جاء الرسل نصرنا .

حدثني محمد بن عمرو . قال : ثنا أبو عاصم . قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح . عن مجاهد ، مثله .

حدثني المثني . قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد . عن عطاء بن السائب . عن سعيد بن جبير ،

في هذه الآية (حتى إذا استتياأس الرُّسُلُ) من قومهم . وظن قومهم أن الرسل قد كذبت .

قال : ثنا حماد . عن كلثوم بن جبر . قال : قال لي سعيد بن جبير : سألتني سيد من ساداتكم عن هذه

الآية . فقلت : استتياأس الرسل من قومهم . وظن قومهم أن الرسل قد كذبت .

حدثني يونس . قال : أخبرنا ابن وهب . قال : قال ابن زيد . في قوله (حتى إذا استتياأس

الرُّسُلُ) وظنوا أنهم قد كذبوا) قال : استتياأس الرسل أن يؤمن قومهم بهم ، وظن قومهم المشركون

أن الرسل قد كذبوا ما وعدهم الله من نصره إياهم عليهم وأُخْلِيفُوا ، وقرأ (جاءَهُمْ نَصْرُنَا) قال : جاء الرسل النصر حينئذ ، قال : وكان أبى يقرؤها : كذبوا .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن سعيد ، عن أبى المتوكل ، عن أبى ابن أبى صفوان ، عن عبد الله بن الحرث ، أنه قال (حتى إذا استنيس الرسل) من إيمان قومهم (وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا) وظن القوم أنهم قد كذبوهم فيما جاءوهم به .
حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : ظن قومهم أن رسلهم قد كذبوهم فيما وعدوهم به .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن جحش بن زياد الضبى ، عن تميم ابن حذلم ، قال : سمعت عبد الله بن مسعود يقول فى هذه الآية (حتى إذا استنيس الرسل) وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا) قال : استنيس الرسل من إيمان قومهم أن يؤمنوا بهم ، وظن قومهم حين أبطأ الأمر ، أنهم قد كذبوا بالتخفيف .

حدثنا أبو المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى المعلى ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله (حتى إذا استنيس الرسل) قال : استنيس الرسل من نصر قومهم ، وظن قوم الرسل أن الرسل قد كذبوهم .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عمرو بن ثابت ، عن أبىه ، عن سعيد بن جبير (حتى إذا استنيس الرسل) أن يصد قوهم ، وظن قومهم أن الرسل قد كذبوهم .

قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (حتى إذا استنيس الرسل) أن يصد قوهم قومهم ، وظن قومهم أن الرسل قد كذبوهم .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك فى قوله (حتى إذا استنيس الرسل) يقول : استنيسوا من قومهم أن يجيبوهم ، ويؤمنوا بهم ، وظنوا : يقول : وظن قوم الرسل أن الرسل قد كذبوهم الموعد .

والقراءة على هذا التأويل الذى ذكرنا فى قوله (كذبوا) بضم الكاف وتخفيف الدال ، وذلك أيضا قراءة بعض قراء أهل المدينة ، وعامة قراء أهل الكوفة .

وإنما اخترنا هذا التأويل وهذه القراءة ، لأن ذلك عقيب قوله (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِيَّاهُمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى ، أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) فكان ذلك دليلا على أن إياس الرسل كان من إيمان قومهم الذين أهلكوا ، وأن المضمرة فى قوله (وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا) إنما هو من ذكر الذين من قبلهم من الأمم الهالكة ، وزاد ذلك وضوحا أيضا ، اتباع الله فى سياق الخبر ، عن الرسل وأممهم قوله (فَسُجِّى مَنْ نَشَاءُ) إذ الذين أهلكوا هم الذين ظنوا أن الرسل قد كذبوهم ، فكذبوهم ظنا منهم أنهم قد كذبوهم .

وقد ذهب قوم ممن قرأ هذه القراءة إلى غير التأويل الذي اخترنا ، ووجهوا معناه إلى : حتى إذا استيأس الرسل من إيمان قومهم ، وظنت الرسل أنهم قد كذبوا فيما وعدوا من النصر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عثمان بن عمر ، قال : ثنا ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة ، قال : قرأ ابن عباس (حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا) قال : كانوا بشرا ضعفا ويثسوا . قال : ثنا حجاج بن محمد ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس ، قرأ (وظنوا أنهم قد كذبوا) خفيفة . قال ابن جريج : أقول كما يقول : أخلفوا ؛ قال عبد الله : قال لي ابن عباس : كانوا بشرا ، وتلا ابن عباس (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ، ألا إن نصر الله قريب) قال ابن جريج : قال ابن أبي مليكة : ذهب بها إلى أنهم ضعفا فظنوا أنهم أخلفوا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق عن عبد الله ، أنه قرأ (حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا) مخففة ، قال عبد الله : هو الذي تكره .

قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا سفيان ، عن سليمان ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، أن رجلا سأل عبد الله بن مسعود (حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا) قال : هو الذي تكره ، مخففة .

قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، أنه قال في هذه الآية (حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا) قلت : كذبوا ، قال : نعم ألم يكونوا بشرا . حدثنا الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قوله (حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا) قال : كانوا بشرا قد ظنوا . وهذا تأويل . وقول غيره من أهل التأويل أولى عندي بالصواب ، وخلافه من القول أشبه بصفات الأنبياء والرسل ، إن جاز أن يرتابوا بوعد الله إياهم ، ويشكوا في حقيقة خبره مع معاينتهم من حجج الله وأدلتها ما لا يعاينه المرسل إليهم ، فيعندوا في ذلك أن المرسل إليهم لأولى في ذلك منهم بالعدر ، وذلك قول إن قاله قائل لا يخفى أمره ، وقد ذكر هذا التأويل الذي ذكرناه أخيرا عن ابن عباس لعائشة ، فأنكرته أشد النكرة فيما ذكر لنا .

ذكر الرواية بذلك عنها رضوان الله عليها

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عثمان بن عمر ، قال : ثنا ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة ، قال : قرأ ابن عباس (حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا) فقال : كانوا بشرا ضعفا ويثسوا ؛ قال ابن أبي مليكة : فذكرت ذلك لعروة ، فقال : قالت عائشة : معاذ الله ، ما حدث الله

رسوله شيئاً قط إلا علم أنه سيكون قبل أن يموت ، ولكن لم يزل البلاء بالرسول ، حتى ظنّ الأنبياء أن من تبعهم قد كذبوهم ، فكانت تقرؤها قد كذبوا تثقلها .

قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني ابن أبي مليكة ، أن ابن عباس قرأ (وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا) خفيفة ؛ قال عبد الله : ثم قال لي ابن عباس : كانوا بشرا ، وتلا ابن عباس (حتى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ ، أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) قال ابن جريج : قال ابن أبي مليكة ، يذهب بها إلى أنهم ضعفوا ، فظنوا أنهم أخلفوا . قال ابن جريج : قال ابن أبي مليكة : وأخبرني عروة عن عائشة ، أنها خالفت ذلك وأبته ، وقالت : ما وعد الله محمدا صلى الله عليه وسلم من شيء إلا وقد علم أنه سيكون حتى مات ، ولكنه لم يزل البلاء بالرسول حتى ظنوا أن من معهم من المؤمنين قد كذبوهم . قال ابن أبي مليكة في حديث عروة : كانت عائشة تقرؤها (وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا) مثقلة للتكذيب .

قال : ثنا سليمان بن داود الهاشمي ، قال : ثنا إبراهيم بن سعد ، قال : ثنا صالح بن كيسان ، عن ابن شهاب ، عن عروة ، عن عائشة قال : قلت لها قوله (حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا) قال : قالت عائشة : لقد استيقنوا أنهم قد كذبوا ، قلت : كذبوا ، قالت : معاذ الله ، لم تكن الرسل تظن يوما ، إنما هم أتباع الرسل لما استأخر عنهم الوحي ، واشتد عليهم البلاء ظنت الرسل أن أتباعهم قد كذبوهم (جاءهم نصرنا) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : حتى إذا استيأس الرجل ممن كذبهم من قومهم أن يصدقوهم ، وظنت الرسل أن من قد آمن من قومهم قد كذبوهم ، جاءهم نصر الله عند ذلك .

فهذا ما روى في ذلك عن عائشة ، غير أنها كانت تقرأ (كَذَّبُوا) بالتشديد وضم الكاف ، بمعنى ما ذكرنا عنها ، من أن الرسل ظنت بأتباعها الذين قد آمنوا بهم أنهم قد كذبوهم ، فارتدوا عن دينهم ، استبطاء منهم للنصر .

وقد بيّنا أن الذي نختار من القراءة في ذلك والتأويل غيره في هذا الحرف خاصة .

وقال آخرون ممن قرأ قوله (كَذَّبُوا) بضم الكاف وتشديد الدال ، معنى ذلك : حتى إذا استيأس الرسل من قومهم أن يؤمنوا بهم ويصدقوهم ، وظنت الرسل : بمعنى واستيقنت أنهم قد كذبهم أممهم جاءت الرسل نصرتنا ؛ وقالوا : الظن في هذا بمعنى العلم ، من قول الشاعر :

فَظَنُّوا بِالْفَيْ فَارِسٍ مُتَلَبِّبٍ سَرَّاءَهُمْ فِي الْفَارِسِيِّ الْمُسَرِّدِ

(١) البيت لدريد بن الصمة الجشمي (اللسان : ظن) ورواية الشطر الأول فيه : « فقلت لهم ظنوا بالفى مدجج » واستشهد بالبيت على أن الظن قد يوضع موضع العلم . ثم قال بعد البيت : أى استيقنوا ، وإنما يخوف عدوه باليقن لا بالشك . قال : وكذلك قوله عز وجل : « وظنوا أنهم قد كذبوا » أى علموا ، يعنى الرسل أن قومهم قد كذبوا هم فلا يصدقونهم . وكذبوا بالتشديد هي =

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، وهو قول قتادة (حتى إذا استتياَسَ الرُّسُلُ) من إيمان قومهم (وظنُّوا أنَّهم قد كذَّبوا) : أي استيقنوا أنه لاخير عند قومهم ، ولا إيمان ، جاءهم نصرنا .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (حتى إذا استتياَسَ الرُّسُلُ) قال : من قومهم (وظنُّوا أنَّهم قد كذَّبوا) قال : وعلموا أنهم قد كذبوا (جاءهم) نصرنا) وبهذه القراءة كانت تقرأ عامة قراء المدينة والبصرة والشام ، أعني بتشديد الذال من كذبوا ، وضم كافها .

وهذا التأويل الذي ذهب إليه الحسن وقاتادة في ذلك إذا قرئ بتشديد الذال وضم الكاف خلاف لما ذكرنا من أقوال جميع من حكينا قوله من الصحابة ، لأنه لم يوجه الظن في هذا الموضع منهم أحد إلى معنى العلم واليقين ، مع أن الظن إنما استعمله العرب في موضع العلم فيما كان من علم أدرك من جهة الخبر أو من غير وجه المشاهدة والمعينة ، فأما ما كان من علم أدرك من وجه المشاهدة والمعينة ، فإنها لا تستعمل فيه الظن ، لانكاد نقول : أظني حيا ، وأظني إنسانا بمعنى : أعلمني إنسانا ، وأعلمني حيا ، والرسول الذين كذبتهم أمهم ، لاشك أنها كانت لأهمها شاهدة ، ولتكذيبها إياها منها سامعة ، فيقال فيها : ظننت بأهمها أنها كذبت بها .

وروي عن مجاهد في ذلك قول هو خلاف جميع ما ذكرنا من أقوال الماضين الذين سمينا أسماءهم ، وذكرنا أقوالهم ، وتأويل خلاف تأويلهم ، وقراءة غير قراءة جميعهم ، وهو أنه فيما ذكر عنه كان يقرأ (وظنُّوا أنَّهم قد كذَّبوا) بفتح الكاف والذال وتخفيف الذال .

ذكر الرواية عنه بذلك

حدثني أحمد بن يوسف ، قال : ثنا أبو عبيد ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، أنه قرأها (كذَّبوا) بفتح الكاف بالتخفيف .

وكان يتأوله كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد استتياَسَ الرجل أن تعذب قومهم ، وظن قومهم أن الرسل قد كذبوا ، جاءهم نصرنا ، قال : جاء الرسل نصرنا ؛ قال مجاهد : قال في المؤمن (فلما جاءتهم رُسُلنا بالبينات فَرِحُوا بما عندهم من العليم) قال : قولهم نحن أعلم منهم ، وإن نعذب . وقوله (وحق بهيم ما كانوا به يستهزئون) قال : حق بهم ما جاءت به رسلكم من الحق .

= قراءة أبي عمرو وابن كثير ونايف وابن عامر ، وبه قرأت عائشة ، وفسرته على ما ذكرناه . ورواية الديوان (شعراء النصرانية : ٧٥٦)
كرواية اللسان والمدجج : التام السلاح . والمتلبب : المتحزم بالسلاح وغيره . وسراهم : خيارهم . والمسرد : المتتابع الحلق في النسج .

وهذه القراءة لأستجيز القراءة بها لإجماع الحمجة من قرآء الأمصار على خلافها ، ولو جازت القراءة بذلك لاحتمل وجها من التأويل وهو أحسن مما تأوله مجاهد ، وهو (حتى إذا استيأس الرسل) من عذاب الله قومها المكذبة بها ، وظنت الرسل أن قومها قد كذبوا وافتروا على الله بكفرهم بها ، ويكون الظان موجها حينئذ إلى معنى العلم ، على ما تأوله الحسن وقتادة .

وأما قوله (فَنَجَّى مَنْ نَشَاءُ) فإن القراء اختلقت في قراءته ، فقرأه عامة قرآء أهل المدينة ومكة والعراق (فَنَجَّى مَنْ نَشَاءُ) بنونين ، بمعنى : فننجي نحن من نشاء من رسلنا والمؤمنين بنا ، دون الكافرين الذين كذبوا رسلنا إذا جاء الرسل نصرنا . واعتل الذين قرءوا ذلك كذلك ، أنه إنما كتبت في المصحف بنون واحدة ، وحكمه أن يكون بنونين ، لأن إحدى النونين حرف من أصل الكلمة ، من أنجى يُنجى ، والأخرى النون التي تأتي لمعنى الدلالة على الاستقبال ، من فعل جماعة مخبرة عن أنفسها ، لأنهما حرفان ، أعني النونين من جنس واحد ينحى الثاني منهما عن الإظهار في الكلام ، فحذفت من الخط واجتزى بالثبته من المحذوفة ، كما يفعل ذلك في الحرفين اللذين يدغم أحدهما في صاحبه ، وقرأ ذلك بعض الكوفيين على هذا المعنى ، غير أنه أدغم النون الثانية وشدّد الجيم ، وقرأه آخر منهم بتشديد الجيم ، ونصب الياء على معنى فعل ذلك به من نجيته أنجيه . وقرأ ذلك بعض المكيين (فَنَجَّا مَنْ نَشَاءُ) بفتح النون والتخفيف من نجا من عذاب الله من نشاء ينجو .

والصواب من القراءة في ذلك عندنا قراءة من قرأه (فَنَجَّى مَنْ نَشَاءُ) بنونين ، لأن ذلك هو القراءة التي عليها القراء في الأمصار ، وما خالفه من قرأ ذلك ببعض الوجوه التي ذكرناها فنفرده بقراءته عما عليه الحمجة مجمعة من القراء ، وغير جائز خلاف ما كان مستفيضاً بالقراءة في قرآء الأمصار . وتأويل الكلام فننجي الرسل ومن نشاء من عبادنا المؤمنين إذا جاء نصرنا .

كما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (فَنَجَّى مَنْ نَشَاءُ) فننجي الرسل ومن نشاء (وَلَا يُرَدُّ بِأَسْنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ) وذلك أن الله تبارك وتعالى بعث الرسل ، فدعوا قومهم ، وأخبروهم أنه من أطاع نجا ، ومن عصاه عذّب وغوى ، وقوله (وَلَا يُرَدُّ بِأَسْنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ) يقول : ولا تردّ عقوبتنا وبطشنا بمن بطشنا به من أهل الكفر بنا عن القوم الذين أجرموا ، فكفروا بالله ، وخالفوا رسله ، وما أتوهم به من عنده .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَتْ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

يقول تعالى ذكره : لقد كان في قصص يوسف وإخوته عبرة لأهل الحجج والعقول ، يعتبرون بها

وموعظة يتعظون بها، وذلك أن الله جلّ ثناؤه بعد أن ألقى يوسف في الحبّ ليبيك، ثم بيع بيع العبيد بالحسيس من اليمن، وبعد الإسار والحبس الطويل، ملكه مصر، ومكّن له في الأرض، وأعلاه على من بغاه سوءاً من إخوته، وجمع بينه وبين والديه وإخوته بقدرته بعد المدّة الطويلة، وجاء بهم إليه من الشُّقَّة النائية البعيدة، فقال جلّ ثناؤه للمشركين من قريش من قوم نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: لقد كان لكم أمُّها القوم في قصصهم عبرة لو اعتبرتم به، أن الذي فعل ذلك بيوسف وإخوته لا يتعدّر عليه أن يفعل مثله بمحمد صلى الله عليه وسلم، فيخرجه من بين أظهركم، ثم يظهره عليكم، ويمكن له في البلاد، ويؤيده بالجنود والرجال من الأتباع والأصحاب وإن مرت به شدائد، وأنت دونه الأيام والليالي والدهور والأزمان.

وكان مجاهد يقول: معنى ذلك: لقد كان في قصصهم عبرة ليوسف وإخوته.

ذكر الرواية بذلك

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ) ليوسف وإخوته.

حدثنا الحسن بن محمد، قال: ثنا شيبان، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: عبرة ليوسف وإخوته.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ) قال: يوسف وإخوته.

❖ وهذا القول الذي قاله مجاهد وإن كان له وجه يحتمله التأويل، فإن الذي قلنا في ذلك أولى به، لأن ذلك عقيب الخبر، عن نبينا صلى الله عليه وسلم، وعن قومه من المشركين، وعقيب تهديدهم ووعيدهم، على الكفر بالله وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم، ومنقطع عن خبر يوسف وإخوته، ومع ذلك أنه خبر عام عن جميع ذوى الألباب، أن قصصهم لهم عبرة، وغير مخصوص ببعض به دون بعض، فإذا كان الأمر على ما وصفت في ذلك، فهو بأن يكون خبراً عن أنه عبرة لغيرهم أشبه، والرواية التي ذكرناها عن مجاهد، رواية ابن جريج أشبه به أن تكون من قوله، لأن ذلك موافق القول الذي قلناه في ذلك.

وقوله (مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى) يقول تعالى ذكره: ما كان هذا القول حديثاً يُخْتَلَقُ وَيُتَكَدَّبُ وَيُتَخَرَّصُ.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى) والفريية: الكذب (ولكن تصديق الذي بين يديه) يقول: ولكنه تصديق الذي بين يديه، من كتب الله التي أنزلها قبله على أنبيائه، كالتوراة والإنجيل والزبور، ويصدق ذلك كله، ويشهد عليه أن جميعه حق من عند الله.

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَكِنَّ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ) والفرقان تصديق الكتب التي قبله ، ويشهد عليها .
 وقوله (وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ) يقول تعالى ذكره : وهو أيضا تفصيل كل ما بالعباد إليه حاجة من بيان أمر الله ونهيه وحلاله وحرامه وطاعته ومعصيته .
 وقوله (وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) يقول تعالى ذكره : وهو بيان أمره ، ورشاد من جهل سبيل الحق ، فعمى عنه إذا تبعه فاهتدى به من ضلالاته ورحمة لمن آمن به وعمل بما فيه ، ينقذه من سخط الله وأليم عذابه ، ويورثه في الآخرة جنانه ، والخلود في النعيم المقيم (لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) يقول : لقوم يصدقون بالقرآن ، وبما فيه من وعد الله ووعيده وأمره ونهيه ، فيعملون بما فيه من أمره ، وينتهون عما فيه من نهيه .
 آخر تفسير سورة يوسف .

(١٣) سُورَةُ الرَّحْمَنِ
وَأَيَّانَهَا ثَلَاثٌ وَأَرْبَعُونَ

القول في تفسير السورة التي يذكر فيها الرعد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَرْتَلِكُ أَيُّ الْكُتُبِ وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾

قال أبو جعفر : قد بينا القول في تأويل قوله (المر) و (المر) ونظائرها من حروف المعجم التي افتتح بها أوائل بعض سور القرآن فيما مضى بما فيه الكفاية من إعادتها ، غير أنا نذكر من الرواية ما جاء خاصا به كل سورة افتتح أولها بشيء منها ، فمما جاء من الرواية في ذلك في هذه السورة عن ابن عباس ، من نقل أبي الضحى مسلم بن صبيح وسعيد بن جبيرة عنه ، التفريق بين معنى ما ابتدئ به أولها مع زيادة الميم التي فيها على سائر سور ذوات الراء ، ومعنى ما ابتدئ به أخواتها ، مع نقصان ذلك منها عنها .
 ذكر الرواية بذلك عنه

حدثنا ابن المني ، قال : ثنا عبد الرحمن ، عن هشيم ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس (المر) قال : أنا الله أرى .
 حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي الضحى ، عن ابن عباس ، قوله (المر) قال : أنا الله أرى .
 حدثني المني ، قال : ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ، قال : ثنا سفيان ، عن مجاهد (المر) : فواتح يفتح بها كلامه .

وقوله (تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ) يقول تعالى ذكره : تلك التي قصصت عليك خبرها آياتُ الكتاب الذي أنزلته قبل هذا الكتاب الذي أنزلته إليك ، إلى من أنزلته إليه من رسلي قبلك .
وقيل : عنى بذلك : التوراة والإنجيل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (المرّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ) الكتب التي كانوا قبل القرآن .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن مجاهد (تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ) قال : التوراة والإنجيل .

وقوله (وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ) فاعمل بما فيه واعتصم به .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ، قال : ثنا سفيان ، عن مجاهد (وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ) قال : القرآن .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ) : أي هذا القرآن .

وفي قوله (وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ) وجهان من الإعراب : أحدهما الرفع على أنه كلام مبتدأ ، فيكون مرفوعا بالحقّ والحقّ به . وعلى هذا الوجه تأويل مجاهد وقتادة الذي ذكرنا قبل عنهما . والآخر : الخفض على العطف به على الكتاب ، فيكون معنى الكلام حينئذ : تلك آيات التوراة والإنجيل والقرآن ، ثم يبتدئ الحقّ بمعنى ذلك الحقّ ، فيكون رفعه بمضمّر من الكلام قد استغنى بدلالة الظاهر عليه منه . ولو قيل : معنى ذلك : تلك آيات الكتاب الذي أنزل إليك من ربك الحقّ ، وإنما أدخلت الواو في « والذي » ، وهو نعت للكتاب ، كما أدخلها الشاعر في قوله :

إلى الملكِ القرمِ وابنِ الهمامِ وليثِ الكتيبةِ في المزدحمِ^١

(١) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (مصورة جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٥٩ ص ١٥٧) قال : وقوله (والذي أنزل إليك من ربك الحق) . فوضع الذي رفع تستأنفه على الحق ، وترفع كل واحد بصاحبه . وإن شئت جعلت (الذي) في موضع خفض ، تريد : تلك آيات الكتاب ، وآيات الذي أنزل إليك من ربك ، فيكون خفضا ، ثم ترفع الحق ، أي ذلك هو الحق ، كقوله في البقرة : (وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون . الحق من ربك) فترفع على إضمار ذلك الحق ، أو هو الحق : وإن شئت جعلت (الذي) خفضا ، فخفضت الحق ، فجعلته من صفة الذي ، ويكون الذي نعتا للكتاب ، مردودا عليه ، وإن كانت فيه الواو ، كما قال الشاعر : (إلى الملك . . الخ) فعطف الواو ، وهو يريد واحدا . ومثله في الكلام : أتانا هذا الحديث عن أبي حفص والفاروق ، فأنت تريد عمر بن الخطاب اه . والقرم بفتح القاف : السيد . والهمام : الملك العظيم الهمة ، والسيد الشجاع السخي . والكتيبة : جماعة الخيل إذا أغارت ، من المثة إلى الألف . والمزدحم : محل الازدحام . يقال : ازدحم القوم وتزاحموا : أي تضايقوا ، وأراد به المعركة .

فعطف بالواو ، وذلك كله من صفة واحد كان مذهبا من التأويل ولكن ذلك إذا تؤول كذلك ، فالصواب من القراءة في الحق الحفض ، على أنه نعت للذي .

وقوله (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ) من مشركي قومك لا يصدقون بالحق الذي أنزل إليك من ربك ، ولا يقرّون بهذا القرآن ، وما فيه من محكم آية .

القول في تأويل قوله تعالى :

اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿١٠﴾

❖ يقول تعالى ذكره : الله يا محمد هو الذي رفع السموات السبع بغير عمد ترونها ، فجعلها للأرض سقفا مسموكا ، والعمد جمع عمود ، وهي السواري ، وما يُعمد به البناء ، كما قال النابغة :

وخييس الحين آني قد أذنت لهم يبشون تدمر بالصفاح والعمد

وجمع العمود : عمد ، كما جمع الأديم : آدم ، ولو جمع بالضم فقليل : عمد جاز ، كما يجمع الرسول : رسل ، والشكور : شكر .

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله (رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) فقال بعضهم : تأويل ذلك : الله الذي رفع السموات بعمد لا ترونها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن هشام ، قال : ثنا معاذ بن معاذ ، قال : ثنا عمران بن حدير ، عن عكرمة ، قال : قلت لابن عباس : إن فلانا يقول : إنها على عمد ، يعني السماء ، قال : فقال : اقرأها بغير عمد ترونها : أي لا ترونها .

حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح ، قال : ثنا معاذ بن معاذ ، عن عمران بن حدير ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا حماد ، قال : ثنا حميد ، عن الحسن بن مسلم ، عن مجاهد ، في قوله (بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) قال : بعمد لا ترونها .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، عن حميد ، عن الحسن بن مسلم ، عن مجاهد ، في قول الله (بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) قال : هي لا ترونها .

(١) البيت للنابغة الذبياني زياد بن معاوية (مختار الشعر الجاهل ، بشرح مصطفي السقا طبعة الحلبي ص ١٥٢) . استشهد به أبو عبيدة في (مجاز القرآن ١ : ٣٢٠) على أن معنى العمدة : السواري والدعائم ، وما يعمد به البناء . ومعنى خيس : ذلل . وتدمر مدينة في البرية بين الشام والعراق . والصفاح : حجارة عراض .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد بغير عمد ١ يقول : عمد .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الحسن وقتادة ، قوله (اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) قال قتادة : قال ابن عباس : بعمد ولكن لاترونها .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قوله (رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) قال : ما يدريك لعلها بعمد لاترونها . ومن تأول ذلك كذلك ، قصد مذهب تقديم العرب الجحد من آخر الكلام إلى أوله ، كقول الشاعر :

ولا أراها تنزال ظلمةً تُحدثُ لي نكبةً وتنكؤها ٢

يريد : أراها لاتزال ظلمة ، فقدم الجحد عن موضعه من تنزال ، وكما قال الآخر :

إذا أعجبتك الدهر حال من امرئٍ فدعه وواكل حاله والليالي

يجئن على ما كان من صالح به وإن كان فيما لا ترى الناس آليا ٣

يعني : وإن كان فيما يرى الناس لا يألو .

وقال آخرون : بل هي مرفوعة بغير عمد .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن خلف العسقلاني ، قال : أخبرنا آدم ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن إياس بن معاوية ،

في قوله (رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) قال : السماء مقببة على الأرض مثل القبة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (بغيرِ عمدٍ تَرَوْنَهَا) قال :

رفعها بغير عمد .

❖❖ وأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال كما قال الله تعالى (اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ

تَرَوْنَهَا) فهي مرفوعة بغير عمد نراها ، كما قال ربنا جل ثناؤه ، ولا خبر بغير ذلك ، ولا حجة يجب

التسليم لها بقول سواه .

وأما قوله (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) فإنه يعني : علا عليه .

وقد بينا معنى الاستواء واختلاف المختلفين فيه ، والصحيح من القول فيما قالوا فيه بشواهد في ما مضى

بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

(١) لعله : يقول عمد لاترونها .

(٢) البيت من شواهد الفراء (معاني القرآن مصورة جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٥٩ ص ١٥٧) قال : وقال الآخر : ولا أراها ...

البيت . ومعناها : أراها لاتزال . ويقال : نكأ القرحة ينكؤها نكأ : قشرها قبل أن تبرأ ، فنديت . والبيت كالشاهد الذي بعده

على أن العرب قد تقدم الجحد من آخر الكلمة إلى أولها يكون ذلك جائزا . هـ . يريد تقدمه على موضعه المتأخر .

(٣) البيتان من شواهد الفراء في معاني القرآن (مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩ ص ١٥٧) قال : والعرب قد تقدم الجحد من آخر

الكلمة إلى أولها ، يكون ذلك جائزا . أنشدني بعضهم : إذا أعجبتك . . . الخ البيتين . معناه : وإن كان فيما يرى الناس لا يألو .

وقوله (وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ) يقول: وأجرى الشمس والقمر في السماء، فسخرهما فيها لمصالح خلقه، وذللهما لمنافعهم، ليعلموا بجريهما فيها عدد السنين والحساب، ويفصلوا به بين الليل والنهار. وقوله (كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى) يقول جل ثناؤه: كل ذلك يجري في السماء لأجل مسمى: أي لوقت معلوم، وذلك إلى فناء الدنيا وقيام القيامة التي عندها تكور الشمس، ويُخسف القمر، وتنكد النجوم؛ وحذف ذلك من الكلام لفهم السامعين من أهل لسان من نزل بلسانه القرآن معناه، وأن « كلٌّ » لا بد لها من إضافة إلى ما تحيط به.

وبنحو الذي قلنا في قوله (لِأَجَلٍ مُّسَمًّى) قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى) قال: الدنيا. وقوله (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ) يقول تعالى ذكره: يقضي الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها أمور الدنيا والآخرة كلها، ويدبر ذلك كله وحده، بغير شريك، ولا ظهير، ولا معين سبحانه. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ) يقضيه وحده.

قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، بنحوه. حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، بنحوه. وقوله (يُفَصِّلُ الْآيَاتِ) يقول: يفصل لكم ربكم آيات كتابه، فيبينها لكم احتجاجا بها عليكم أيها الناس (لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ) يقول: لتوقنوا بقاء الله، والمعاد إليه، فتصدقوا بوعدته ووعدته، وتنزجروا عن عبادة الآلهة والأوثان، وتخلصوا له العبادة إذا تيقنتم ذلك. وبنحو ما قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ) وأن الله تبارك وتعالى إنما أنزل كتابه، وأرسل رسوله لنؤمن بوعدته، ونستيقن ببقائه.

القول في تأويل قوله تعالى:

وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤﴾

❖❖❖ يقول تعالى ذكره : والله الذي مدّ الأرض ، فبسطها طولاً وعرضاً . وقوله (وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ) يقول جلّ ثناؤه : وجعل في الأرض جبالاتاً ثابتة ؛ والرواسي : جمع راسية ، وهي الثابتة ، يقال منه : أرسيت الوتد في الأرض : إذا أثبتته ، كما قال الشاعر :

بِهِ خَالِدَاتٌ مَا يَرْمُنَ وَهَامِدٌ
وَأَشْعَثُ أُرْسَتَهُ الْوَالِيدَةُ بِالْفِهْرِ ١

يعنى : أثبتته .

وقوله (وَأَنْهَارًا) يقول : وجعل في الأرض أنهاراً من ماء . وقوله (وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) فمن في قوله (وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) من صفة جعل الثاني لا الأول . ومعنى الكلام : وجعل فيها زوجين اثنين من كل الثمرات ، وعنى بزواجين اثنين : من كل ذكرٍ اثنان ، ومن كل أنثى اثنان ، فذلك أربعة من الذكور اثنان ، ومن الإناث اثنان في قول بعضهم . وقد بينا فيما مضى أن العرب تسمى الاثنين زوجين ، والواحد من الذكور زوجاً لأنثاه ، وكذلك الأنثى الواحدة زوجاً وزوجةً لذكرها بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع . ويزيد ذلك إيضاحاً قول الله عزّ وجلّ (وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى) فسمى الاثنين الذكر والأنثى زوجين . وإنما عني بقوله (مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) : نوعين وضربين .

وقوله (يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ) يقول : يجلل الليل النهار فيلبسه ظلمته ، والنهار الليل بضياءه . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ) : أي يلبس الليل النهار .

وقوله (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) يقول تعالى ذكره : إن فيما وصفت وذكرت من عجائب خلق الله وعظيم قدرته ، التي خلق بها هذه الأشياء ، لدلالات وحججها وعظمت ، لقوم يتفكرون فيها ، فيستدلون ويعتبرون بها ، فيعلمون أن العبادة لا تصلح ولا تجوز إلا لمن خلقها ودبرها دون غيره من الآلهة والأصنام التي لا تقدر على ضرر ولا نفع ، ولا لشيء غيرها إلا لمن أنشأ ذلك ، فأحدثه من غير شيء تبارك وتعالى ، وأن القدرة التي أبدع بها ذلك ، هي القدرة التي لا يتعدّر عليه إحياء من هلك من خلقه ، وإعادة ما في منه ، وابتداع ما شاء ابتداعه بها .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مِّنْ جَبُورَاتٍ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ
وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى

(١) البيت للأحوص (اللسان : رسا) . والشطر الأول فيه : « سوى خالديات ما يرمن وهامد » بجر خالديات وهامد . ورواية المؤلف كرواية أبي عبيدة في مجاز القرآن (١ : ٣٢١) . واستشهد به على أن الرواسي : الجبال الثابتات ، يقال : أرسيت الوتد : أي أثبتته في الأرض .

بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٩٧﴾

❦ يقول تعالى ذكره : (وفي الأرض قطعٌ متجاوراتٌ) : وفي الأرض قطع منها متقاربات متدانيات يقرب بعضها من بعض بالحوار ، وتختلف بالتفاضل مع تجاورها ، وقرب بعضها من بعض ، فمنها قطعة سبخة لاتنبت شيئا في جوار قطعة طيبة ، تنبت وتنفع .

وينحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (وفي الأرض قطعٌ متجاوراتٌ) قال : السبخة والعذبة ، والمالح والطيب .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، قوله (وفي الأرض قطعٌ متجاوراتٌ) قال : سبخ وعذوبة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا سعيد بن سليمان ، قال : ثنا إسحاق بن سليمان ، عن أبي سنان ، عن ابن عباس في قوله (وفي الأرض قطعٌ متجاوراتٌ) قال : العذبة والسبخة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (وفي الأرض قطعٌ متجاوراتٌ) يعني : الأرض السبخة ، والأرض العذبة ، يكونان جميعا متجاورات ، نفضل بعضها على بعض في الأكل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (قطعٌ متجاوراتٌ) العذبة والسبخة متجاورات جميعا ، تنبت هذه ، وهذه إلى جنبها لاتنبت .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (قطعٌ متجاوراتٌ) طيبها : عذبتها ، ونخبها : السبخة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وفي الأرض قطعٌ متجاوراتٌ) قرى قربت متجاورات بعضها من بعض .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وفي الأرض قطعٌ متجاوراتٌ) قال : قرى متجاورات .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا هشيم ، عن أبي إسحاق الكوفى ، عن الضحاك ، فى قوله (قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ) قال : الأرض السَّبِيخَةُ بينها الأرض العَدِيَّة .

حدثت عن الحسين بن الفرّج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ) يعنى الأرض السَّبِيخَةُ والأرض العَدِيَّة ، متجاورات بعضها عند بعض .

حدثنا الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، فى قوله (وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ) قال : الأرض تنبت حلّوا ، والأرض تنبت حامضا ، وهى متجاورة (تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ) .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ) قال : يكون هذا حلّوا ، وهذا حامضا ، وهو يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ ، وهنّ متجاورات .

حدثني عبد الجبار بن يحيى الرملى ، قال : ثنا ضميرة بن ربيعه ، عن ابن شوذب فى قوله (وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ) قال : عذبة ومالحة .

وقوله (وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ ، يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ ، وَنُفْضَلٌ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ) يقول تعالى ذكره . وفى الأرض مع القطع المختلفة المعانى منها ، بالملوحة والعذوبة ، والحبيث والطيب ، مع تجاورها وتقارب بعضها من بعض ، بساتين من أعناب وزرع ونخيل أيضا ، متقاربة فى الخليقة ، مختلفة فى الطعوم والألوان ، مع اجتماع جميعها على شرب واحد ، فَمِنْ طَيِّبٍ طَعْمُهُ مِنْهَا حَسَنٌ مَنْظَرُهُ طَيِّبٌ رَائِحَتُهُ ، وَمِنْ حَامِضٍ طَعْمُهُ وَلَا رَائِحَةَ لَهُ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله (وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ) قال : مجتمع وغير مجتمع (يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفْضَلٌ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ) قال : الأرض الواحدة يكون فيها الخوخ والكمثرى والعنب الأبيض والأسود ، وبعضها أكثر حملا من بعض ، وبعضه حلّو ، وبعضه حامض ، وبعضه أفضل من بعض .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله : (وَجَنَّاتٌ) قال : وما معها .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبلى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال المثنى ، وثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

واختلفت القراء فى قراءة قوله (وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ) فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والكوفة (وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ) بالخفض عطفًا بذلك على الأعناب ، بمعنى : وفى الأرض قطع متجاورات ، وجنّات من أعناب

ومن زرع ونخيل . وقرأ ذلك بعض قرآء أهل البصرة (وزرعٌ ونخيلٌ) بالرفع عطفاً بذلك على الجنات ، بمعنى : وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب ، وفيها أيضاً زرع ونخيل .
 والصواب من القول في ذلك أن يقال : إنهما قراءتان متقاربتا المعنى . وقرأ بكل واحد منهما قرآء مشهورون ، فبأيتهما قرأ القارئ فصيب ، وذلك أن الزرع والنخل إذا كانا في البساتين فهما في الأرض ، وإذا كانا في الأرض ، فالأرض التي هما فيها جنة ، فسواء وصفنا بأتهما في بستان أو في أرض .
 وأما قوله (وِنخيلٌ صِنْوَانٌ وغيرُ صِنْوَانٍ) فإن الصنوان : جمع صنو ، وهي النخلات يجمعهن أصل واحد ، لا يفرق فيه بين جميعه واثنيه إلا بالإعراب في النون ، وذلك أن تكون نونه في اثنيه مكسورة بكل حال ، وفي جميعه متصرفة في وجوه الإعراب ، ونظيره القِنْوَان : واحدها قِنْو .
 وبنحو الذي قلنا في معنى الصنوان ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن البراء (صِنْوَانٌ) قال : المجتمع (وغيرُ صِنْوَانٍ) : المتفرق .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن أبي إسحاق ، عن البراء ، قال : (صِنْوَانٌ) : هي النخلة التي إلى جنبها نخلات إلى أصلها (وغيرُ صِنْوَانٍ) : النخلة وحدها .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب (صِنْوَانٌ وغيرُ صِنْوَانٍ) قال : الصنوان : النخلتان أصلهما واحد (وغيرُ صِنْوَانٍ) النخلة والنخلتان المتفرقتان .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، قال : سمعت البراء يقول في هذه الآية ، قال : النخلة يكون لها النخلات (وغيرُ صِنْوَانٍ) النخل المتفرق .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عمرو بن الهيثم أبو قطن ، ويحيى بن عباد وعفان ، واللفظ لفظ أبي قطن ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن البراء ، في قوله (صِنْوَانٌ وغيرُ صِنْوَانٍ) قال : الصنوان : النخلة إلى جنبها النخلات (وغيرُ صِنْوَانٍ) : المتفرق .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء في قوله (صِنْوَانٌ وغيرُ صِنْوَانٍ) قال : الصنوان : النخلات الثلاث والأربع ، والثنتان أصلهن واحد ، وغير صِنْوَانٍ : المتفرق .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان وشريك ، عن أبي إسحاق ، عن البراء في قوله (صِنْوَانٌ وغيرُ صِنْوَانٍ) قال : النخلتان يكون أصلهما واحد ، وغير صِنْوَانٍ : المتفرق .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (صِنْوَانٌ) يقول : مجتمع .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس ،

قوله (وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ) يعنى بالصنوان: النخلة يخرج من أصلها النخلات، فيحمل بعضه، ولا يحمل بعضه، فيكون أصله واحدا، ورعوسه متفرقة.

حدثني الحارث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا إسرائيل، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، في قوله (صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ) النخيل في أصل واحد، وغير صنوان: النخيل المتفرق.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن عطاء، عن سعيد بن جبير (وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ) قال: مجتمع، وغير مجتمع.

حدثني المثنى، قال: ثنا النفيلي، قال: ثنا زهير، قال: ثنا أبو إسحاق، عن البراء، قال: الصنوان: ما كان أصله واحدا وهو متفرق، وغير صنوان: الذي نبت وحده.

حدثنا الحسن بن محمد، قال: ثنا شباية، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله (صِنَوَانٌ) النخلتان وأكثر في أصل واحد (وَغَيْرُ صِنَوَانٍ) وحدها.

حدثنا المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (صِنَوَانٌ) : النخلتان أو أكثر في أصل واحد (وَغَيْرُ صِنَوَانٍ) واحدة.

قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سلمة بن نبيط، عن الضحاك (صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ) قال: الصنوان: المجتمع أصله واحد، وغير صنوان: المتفرق أصله.

حدثني المثنى، قال: ثنا عمرو بن عون، قال: أخبرنا هشيم، عن جوير، عن الضحاك، في قوله (صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ) قال: الصنوان: المجتمع الذي أصله واحد، وغير صنوان: المتفرق.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ) أما الصنوان: فالنخلتان والثلاث أصولهن واحدة، وفروعهن شتى، وغير صنوان: النخلة الواحدة.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة (صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ) قال: صنوان: النخلة التي يكون في أصلها نخلتان وثلاث أصلهن واحد.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله (وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ) صنوان: الصنوان: النخلتان أو الثلاث يكن في أصل واحد، فذلك يعدّه الناس صنوانا.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، قال: حدثني رجل أنه كان بين عمر ابن الخطاب وبين العباس قول، فأسرع إليه العباس، فجاء عمر إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، ألم تر عباسا فعل بي وفعل، فأردت أن أجيبه، فذكرت مكانه منك، فكففت، فقال « يَرَحْمُكَ اللهُ إِنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنَوُ أَبِيهِ ».

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة (صِنَوَانٌ) :

النخلة التي يكون في أصلها نخلتان وثلاث أصلهنّ واحد ؛ قال : فكان بين عمر بن الخطاب وبين العباس رضى الله عنهما قول ، فأسرع إليه العباس ، فجاء عمر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا نبي الله ألم تر عباسا فعل بي وفعل ؟ فأردت أن أجيبه ، فذكرت مكانه منك فكففت عند ذلك ، فقال : « يَرَحْمُكَ اللهُ إِنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنُو أَبِيهِ » .

قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن داود بن شابور ، عن مجاهد ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « لا تُؤذُونِي فِي الْعَبَّاسِ فَإِنَّهُ بِبَقِيَّةِ آبَائِي ، وَإِنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنُو أَبِيهِ » حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حمجاج ، عن عطاء وابن أبي مليكة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر : « يَا عُمَرُ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنُو أَبِيهِ ؟ »

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حمجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد (صِنُوَانٌ) قال : في أصل واحد ثلاث نخلات ، كمثل ثلاثة بني أمّ وأب يتفاضلون في العمل ، كما يتفاضل ثمر هذه النخلات الثلاث في أصل واحد . قال ابن جريج : قال مجاهد : كمثل صالح بن آدم وخبِيثهم أبوهم واحد .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا حمجاج بن محمد ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني إبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله ، عن مجاهد ، نحوه .

حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حمجاج ، عن أبي بكر بن عبد الله ، عن الحسن ، قال : هذا مثل ضربه الله لقلوب بني آدم كانت الأرض في يد الرحمن طينة واحدة ، فسَطَحَهَا وبَطَحَهَا ، فصارت الأرض قطعاً متجاورات ، فينزل عايبها الماء من السماء ، فتخرج هذه زهرتها وثمرها وشجرها ، وتخرج نباتها ، وتحي موتها ، وتخرج هذه سَبَخَهَا ومِلْحَهَا وخبِيثها ، وكلماتهما تسقى بماء واحد ، فلو كان الماء مالخاً ، قيل : إنما استسبخت هذه من قبل الماء ، كذلك الناس خلقوا من آدم ، فينزل عليهم من السماء تذكرة ، فترقّ قلوب فتخشع وتخضع ، وتقسو قلوب فتلهو وتسهو وتجنّفو ؛ قال الحسن : والله ما جالس القرآن أحدٌ إلا قام من عنده بزيادة أو نقصان ، قال الله (وَنُنزِلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا) .

وقوله (تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ) اختلفت القراء في قوله (تُسْقَى) ، فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والعراق من أهل الكوفة والبصرة (تُسْقَى) بالتاء ، بمعنى : تسقى الجنات والزرع والنخيل . وقد كان بعضهم يقول : إنما قيل : تُسقى بالتاء لتأنيث الأعناب ، وقرأ ذلك بعض المكيين والكوفيين (يُسْقَى) بالياء . وقد اختلف أهل العربية في وجه تذكيره إذا قرئ كذلك ، وإنما ذلك خبر عن الجنات والأعناب والنخيل والزرع أنها تسقى بماء واحد ، فقال بعض نحوي البصرة : إذا قرئ ذلك بالتاء ، فذلك على الأعناب كما ذكروا الأنعام في قوله (مَا فِي بُطُونِهِ) وَأَنْتَ بَعْدُ فَقَالَ (وَعَدَسِيهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تَحْمَلُونَ) فمن قال : (يُسْقَى) بالياء جعل الأعناب مما تذكر وتؤنث ، مثل الأنعام . وقال بعض نحوي الكوفة : من

قال (تُسْقَى) ذهب إلى تأنيث الزرع والجنات والنخيل ، ومن ذكر ذهب إلى أن ذلك كله يسقى بماء واحد ، وأكله مختلف حامض وحلو ، ففي هذا آية .
وأعجب القراءتين إلى أن أقرأ بها ، قراءة من قرأ ذلك بالتاء (تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ) على أن معناه : تسقى الجنات والنخل والزرع بماء واحد ، لمحبيء تسقى بعد ما قد جرى ذكرها ، وهي جماع من غير بني آدم ، وليس الوجه الآخر بممتنع على معنى يسقى ذلك بماء واحد : أي جميع ذلك يسقى بماء واحد عذب دون المالح .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شباة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ) ماء السماء كمثل صالح بن آدم وخبيثهم أبوهم واحد .
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ) قال : ماء السماء .
حدثني أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله .
حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو ، قال : أخبرنا هشيم ، عن أبي إسحاق الصوفى ، عن الضحاك (تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ) قال : ماء المطر .

حدثني المثني ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، قرأه ابن جريج ، عن مجاهد (تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ) قال : ماء السماء كمثل صالح بن آدم وخبيثهم أبوهم واحد .
قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، وحدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .
حدثنا عبد الجبار بن يحيى الرملى ، قال : ثنا ضمرة بن ربيعة ، عن ابن شوذب (تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ) قال : بماء السماء .

وقوله (وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأه عامة قراء المكين والمدنيين والبصريين ، وبعض الكوفيين ، ونفضل بالنون بمعنى ونفضل نحن بعضها على بعض في الأكل . وقرأته عامة قراء الكوفيين : ويفضل بالياء ، ردا على قوله (يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ) ويفضل بعضها على بعض ، وهما قراءتان مستفيضتان بمعنى واحد ، فبأيهما قرأ القارىء فصيح ، غير أن الياء أعجبهما إلى في القراءة ، لأنه في سياق كلام ابتداءه « الله الذى رفع السموات » فقراءته بالياء إذ كان كذلك أولى .
ومعنى الكلام : أن الجنات من الأعناب والزرع والنخيل ، الصنوان وغير الصنوان ، تسقى بماء واحد عذب لاملح ، ويخالف الله بين طعوم ذلك ، فيفضل بعضها على بعض في الطعم ، فهذا حلو ، وهذا حامض .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ) قال : الفارسي والدقيل والحلو والحامض .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير (وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ) قال : الأرض الواحدة يكون فيها الخوخ والكمثرى والعنب الأبيض والأسود ، وبعضها أكثر حملا من بعض ، وبعضه حلو ، وبعضه حامض ، وبعضه أفضل من بعض .

حدثني المثني ، قال : ثنا عارم أبو النعمان ، قال : ثنا حماد بن زيد ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد ابن جبير (وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ) قال : برني وكذا وكذا ، وهذا بعضه أفضل من بعض .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، في قوله (وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ) قال : هذا حامض ، وهذا حلو ، وهذا مز . حدثني محمود بن خدّاش ، قال : ثنا سيف بن محمد بن أحمد ، عن سفيان الثوري ، قال : ثنا الأعمش عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم في قوله (وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ) قال : الدقل والفارسي والحلو والحامض .

حدثنا أحمد بن الحسن الترمذي ، قال : ثنا سليمان بن عبد الله الرقي ، قال : ثنا عبيد الله بن عمر الزرق ، عن زيد بن أبي أنيسة ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، في قوله (وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ) قال : الدقل والفارسي والحلو والحامض .

وقوله (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) يقول تعالى ذكره : إن في مخالفة الله عز وجل بين هذه القطع الأرض المتجاورات وثمار جناتها وزروعها على ما وصفنا وبيننا لدليلا واضحا ، وعبرة لقوم يعقلون اختلاف ذلك ، أن الذي خالف بينه على هذا النحو الذي خالف بينه ، هو الخالف بين خلقه فيما قسم لهم من هداية وضلال وتوفيق وخذلان ، فوفق هذا وخذل هذا ، وهدى ذا ، وأضلّ ذا ، ولو شاء لسوى بين جميعهم ، كما لو شاء سوى بين جميع أكل ثمار الجنة التي تشرب شربا واحدا ، وتسقى سقيا ، وهي متفاضلة في الأكل .

القول في تأويل قوله تعالى :

* وَإِن تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَوْنَا لِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾

يقول تعالى ذكره : وإن تعجب يا محمد من هؤلاء المشركين المتخذين ما لا يضر ولا ينفع آلهة يعبدونها من دونه ، فعجب قولهم (أئذا كنا ترابا) وبلينا فعدمنا (أئنا لئني خلق جديد) إنا لهجدد إنشاؤنا

وإعادتنا خلقا جديدا كما كنا قبل وفاتنا؟ تكذيبا منهم بقدره الله ، وجحودا للثواب والعقاب ، والبعث بعد الممات .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ) إن عجبت يا محمد فعجب (قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَيْنَا لَنِي خَلَقَ جَدِيدٍ) عجب الرحمن تبارك وتعالى من تكذيبهم بالبعث بعد الموت .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا إبراهيم ، قال : قال ابن زيد في قوله (وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ) قال : إن تعجب من تكذيبهم ، وهم قد رأوا من قدرة الله وأمره ، وما ضرب لهم من الأمثال ، فأراهم من حياة الموتى في الأرض الميتة ، إن تعجب من هذه ، فتعجب من قولهم : (أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَيْنَا لَنِي خَلَقَ جَدِيدٍ) أو لا يرون أنا خلقناهم من نطفة ، فالخلق من نطفة أشد أم الخلق من تراب وعظام ؟ واختلف في وجه تكرير الاستفهام في قوله (أَيْنَا لَنِي خَلَقَ جَدِيدٍ) بعد الاستفهام الأول في قوله (أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا) أهل العربية ، فقال بعض نحوي البصرة : الأول ظرف ، والآخر هو الذي وقع عليه الاستفهام كما تقول : أيوم الجمعة زيد منطلق ؟ قال : ومن أوقع استفهاما آخر على قوله : أئذا متنا وكنا ترابا ؟ جعله ظرفا لشيء مذكور قبله ، كأنهم قيل لهم تبعثون ، فقالوا : أئذا كنا ترابا ؟ ثم جعل هذا استفهاما آخر ، قال : وهذا بعيد . قال : وإن شئت لم تجعل في قولك : أئذا استفهاما ، وجعلت الاستفهام في اللفظ على أئنا ، كأنك قلت : أيوم الجمعة أعبد الله منطلق ، وأضمر نفيه ، فهذا موضع قد ابتدأت فيه أئذا ، وليس بكبير في الكلام لو قلت اليوم : إن عبد الله منطلق لم يحسن ، وهو جائز ، وقد قالت العرب ما علمت أنه لصالح ، تريد : إنه لصالح ما علمت ، وقال غيره : أئذا جزاء وليست بوقت ، وما بعدها جواب لها إذا لم يكن في الثاني استفهام ، والمعنى له ، لأنه هو المطلوب ، وقال : ألا ترى أنك تقول : إن تقم يقوم زيد ويقم من جزم ، فلأنه وقع موقع جواب الجزاء ، ومن رفع فلأن الاستفهام له ، واستشهد بقول الشاعر :

حَلَفْتُ لَهُ إِنْ تَدْلَجَ اللَّيْلَ لَا يَنْزِلُ أَمَامَكَ بَيْتٌ مِّنْ بِيُوتِي سَائِرًا

فجزم جواب اليمين ، لأنه وقع موقع جواب الجزاء ، والوجه الرفع ، قال : فهكذا هذه الآية ، قال : ومن أدخل الاستفهام ثانية ، فلأنه المعتمد عليه ، وترك الجزاء الأول .

وقوله (أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ) يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين أنكروا البعث ، وجحدوا الثواب والعقاب (وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَيْنَا لَنِي خَلَقَ جَدِيدٍ) هم الذين جحدوا قدرة ربهم ، وكذبوا رسوله ، وهم الذين في أعناقهم الأغلال يوم القيامة في نار جهنم ، فأولئك أصحاب النار : يقول : هم سكان النار يوم القيامة ، هم فيها خالدون : يقول : هم فيها ما كثون أبدا ، لا يموتون فيها ، ولا يخرجون منها .

(١) البيت ينسب للراعي ، وقد تقدم الاستشهاد به في الجزء الرابع ص ١١٤ من هذه الطبعة ، فانظره ثمة .

القول في تأويل قوله تعالى : **وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ۝**

❖ يقول تعالى ذكره : ويستعجلونك يا محمد مشركو قومك بالبلاء والعقوبة قبل الرخاء والعافية ، فيقولون : (اللَّهُمَّ إِنَّ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ ، فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ ، أَوْ ائْتِنَا بَعْدَ آبِ إِلِيمٍ) وهم يعلمون ما حلَّ بمن خلا قبلهم من الأمم التي عصت ربها ، وكذبت رسلها من عقوبات الله وعظيم بلائه ، فمن بين أمة مُسِيخَت قِرْدَةٍ وأخرى خنازير ، ومن بين أمة أهلكت بالرجففة ، وأخرى بالخسف ، وذلك هو المثلثات التي قال الله جل ثناؤه (وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ) والمثلثات : العقوبات المنكّلات ، والواحدة منها : مثلة بفتح الميم وضمّ الثاء ، ثم تجمع مثلثات كما واحدة الصدقات صدقة ، ثم تجمع صدقات . وذكر أن تميما من بين العرب تضم الميم والثاء جميعا من المثلثات ، فالواحدة على لغتهم منها مثلة ، ثم تجمع على مثلثات ، مثل غُرْفَةٌ وغُرُفَات ، والفعل منه : مثلت به أمثل مثلا بفتح الميم وتسكين الثاء ، فإذا أردت أنك أقصصته من غيره ، قلت : أمثلته من صاحبه أمثله إمثالا ، وذلك إذا أقصصته منه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ) : وقائع الله في الأمم فيمن خلا قبلكم .

وقوله (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ) وهم مشركو العرب استعجلوا بالشر قبل الخير ، وقالوا (اللَّهُمَّ إِنَّ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بَعْدَ آبِ إِلِيمٍ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ) قال : بالعقوبة قبل العافية (وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ) قال : العقوبات .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شاذان ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (الْمَثَلَاتُ) قال : الأمثال .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد . وحدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ)

المَثَلَاتُ) قال: المَثَلَاتُ: الذي مَثَّلَ اللهُ في الأُهم من العذاب الذي عذبهم تولَّت المَثَلَاتُ من العذاب ، قد خَلَّت من قبلهم ، وعرفوا ذلك ، وانتهى إليهم ما مَثَّلَ اللهُ بهم حين عصَوْه وعصَوْا رسله .
 حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سليم ، قال : سمعت الشعبي يقول في قوله (وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمُ المَثَلَاتُ) قال : القردة والحنازير هي المثلثات .
 وقوله (وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ) يقول تعالى ذكره : وإن ربك يا محمد لدوستر على ذنوب من تاب من ذنوبه من الناس ، فتارك فضيحتة بها في موقف القيامة ، وصافح له عن عقابه عليها ، عاجلا وأجلا على ظلمهم . يقول : على فعلهم ما فعلوا من ذلك بغير إذن لهم بفعله (وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ) لمن هلك مُصِرًّا على معاصيه في القيامة إن لم يُعَجَّلْ له ذلك في الدنيا ، أو يجمعهما له في الدنيا والآخرة ، وهذا الكلام وإن كان ظاهره ظاهر خير ، فإنه وعيد من الله وتهديد للمشركين من قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إن هم لم ينيبوا ويتوبوا من كفرهم قبل حلول نقمة الله بهم .
 حدثني علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس (وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ) يقول : ولكن ربك .
 القول في تأويل قوله تعالى :

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾

❦ يقول تعالى ذكره (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا) يا محمد من قومك (لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ) هلا أنزل على محمد آية من ربه ، يعنون : علامة وحجة له على نبوته ، وذلك قولهم (لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابٌ ، أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ) يقول الله له : يا محمد (إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ) لهم ، تنذرهم بأس الله أن يحل بهم على شركهم (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) : يقول ولكل قوم إمام يأتون به ، وهاد يتقدمهم ، فيهديهم إما إلى خير ، وإما إلى شر ، وأصله من هادى الفرس ، وهو عنقه الذي يهدي سائر جسده .
 وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل على اختلاف منهم في المعنى بالهادى في هذا الموضع ، فقال بعضهم : هو رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ) هذا قول مشركى العرب ، قال الله (إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) لكل قوم داع يدعوهم إلى الله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن السدي ، عن عكرمة ومنصور ، عن أبي الضحى (إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) قالوا : محمد هو المنذر وهو الهاد .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن السدى ، عن عكرمة ، مثله .
حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن أبيه ، عن عكرمة ، مثله .
وقال آخرون : عني بالهادى فى هذا الموضع : الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير (إِنَّمَا
أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) قال : محمد المنذر ، والله الهادى .
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير
(إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) قال محمد المنذر ، والله الهادى .
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا الأشجعي ، عن سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير
(إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ) قال : أنت يا محمد منذر ، والله الهادى .

حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن عبد الملك ، عن قيس ، عن مجاهد
فى قوله (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) قال : المنذر : النبي صلى الله عليه وسلم (وَلِكُلِّ قَوْمٍ
هَادٍ) قال : الله هادى كل قوم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمى ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس
قوله (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) يقول : أنت يا محمد منذر وأنا هادى كل قوم .
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک
يقول (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) المنذر : محمد صلى الله عليه وسلم ، والهادى : الله عز وجل .
وقال آخرون : الهادى فى هذا الموضع ، معناه نبي .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : المنذر :
محمد صلى الله عليه وسلم ، (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) قال : نبي .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ،
عن مجاهد فى قوله (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) قال : نبي .
قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن عبد الملك ، عن قيس ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أسباط بن محمد ، عن عبد الملك ، عن قيس ، عن مجاهد ، فى قوله
(إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) قال : لكل قوم نبي ، والمنذر : محمد صلى الله عليه وسلم .
قال : ثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا عبد الملك ، عن قيس ، عن مجاهد ، فى قول الله (وَلِكُلِّ
قَوْمٍ هَادٍ) قال : نبي .

قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ)
يعنى : لكل قوم نبي .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ)
قال : نبي .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ)
قال : نبي يدعوهم إلى الله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) قال :
لكل قوم نبي ، الهادي : النبي صلى الله عليه وسلم ، والمندر أيضا : النبي صلى الله عليه وسلم ، وقرأ (وَإِنْ
مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ) وقال (نَذِيرٌ مِّنَ النَّذِيرِ الْأُولَى) قال : نبي من الأنبياء .
وقال آخرون : بل عيسى به : ولكل قوم قائد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح (إِنَّمَا أَنْتَ
مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) قال : إنما أنت يا محمد منذر ، ولكل قوم قادة .

قال : ثنا الأشجعي ، قال : ثنا إسماعيل أو سفيان ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح :
(وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) قال : لكل قوم قادة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبي العالية
(إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) قال : الهادي : القائد ، والقائد : الإمام ، والإمام : العمل .

حدثني الحسن ، قال : ثنا محمد ، وهو ابن يزيد ، عن إسماعيل ، عن يحيى بن رافع ، في قوله (إِنَّمَا
أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) قال : قائد .

وقال آخرون : هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن يحيى الصوفي ، قال : ثنا الحسن بن الحسين الأنصاري ، قال : ثنا معاذ بن مسلم ، ثنا
الهروي ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، قال : « لما نزلت (إِنَّمَا أَنْتَ
مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) وضع صلى الله عليه وسلم يده على صدره ، فقال أنا المنذر ، ولكل قوم هادي .

هادي ، وأوما بيده إلى منكب علي ، فقال : أنت الهادي يا علي ، بك يهتدي المهتدون بعدى . »

وقال آخرون : معناه : لكل قوم داع .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ)
قال : داع ، وقد بينت معنى الهداية ، وأنه الإمام المتبع الذي يقدم القوم ، فإذا كان ذلك

كذلك ، فبجائز أن يكون ذلك هو الله الذي يهدي خلقه ، ويتبع خلقه هداة ، ويأتمون بأمره ونهيه ، وجائز أن يكون نبي الله الذي تأتم به أمته ، وجائز أن يكون إماما من الأئمة يؤتم به ، ويتبع منهج وطريقته أصحابه ، وجائز أن يكون داعيا من الدعاة إلى خير أو شر .

❦ وإذا كان ذلك كذلك ، فلا قول أولى في ذلك بالصواب من أن يقال كما قال جل ثناؤه : إن محمدا هو المنذر من أرسل إليه بالإنذار ، وإن لكل قوم هاديا يهديهم ، فيتبعونه ويأتمون به .

القول في تأويل قوله تعالى :

اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿١٠٩﴾

❦ يقول تعالى ذكره (وإن تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد) منكرين قدرة الله على إعادتهم خلقا جديدا بعد فناهم وبلائهم ، ولا ينكرون قدرته على ابتدائهم وتصويرهم في الأرحام ، وتدبيرهم وتصريفهم فيها حالا بعد حال ، فابتدأ الخبر عن ذلك ابتداء ، والمعنى فيه ما وصف ، فقال جل ثناؤه (الله يعلم ما تحمّل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزدد) يقول : وما تنقص الأرحام من حملها في الأشهر التسعة بإرسالها دم الحيض ، وما تزدد في حملها على الأشهر التسعة لتمام ما نقص من الحمل في الأشهر التسعة بإرسالها دم الحيض (وكل شيء عند الله بمقدار) لا يجاوز شيء من قدره عن تقديره ، ولا يقصر أمر أراده ، فدبره عن تدبيره ، كما لا يزداد حمل أنثى على ما قدر له من الحمل ، ولا يقصر عما حد له من القدر والمقدار ، مفعال من القدر .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن ماهان ، قال : ثنا القاسم بن مالك ، عن داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله (يعلم ما تحمّل كل أنثى وما تغيض الأرحام) قال : ما رأت المرأة من يوم دما على حملها زاد في الحمل يوما .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (الله يعلم ما تحمّل كل أنثى وما تغيض الأرحام) يعني السقط (وما تزدد) يقول : ما زادت الرحم في الحمل على ما غاضت ، حتى ولدتها تماما ، وذلك أن من النساء من تحمل عشرة أشهر ، ومنهن من تحمل تسعة أشهر ، ومنهن من تزيد في الحمل ، ومنهن من تنقص ، فذلك الغيض ، والزيادة التي ذكر الله ، وكل ذلك بعلمه .

حدثنا سعيد بن يحيى الأموي ، قال : ثنا عبد السلام ، قال : ثنا خصيف ، عن مجاهد أو سعيد بن جبير في قول الله (وما تغيض الأرحام) قال : غيضا دون التسعة ، والزيادة فوق التسعة .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن مجاهد ، أنه قال : الغيض : ما رأت

الحامل من الدم في حملها ، فهو نقصان من الولد ، والزيادة : ما زاد على التسعة أشهر ، فهو تمام للنقصان وهو زيادة .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن مجاهد ، في قوله (وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ) قال : ما ترى من الدم ، وما تزداد على تسعة أشهر .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن مجاهد ، أنه قال (يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ) قال : ما زاد على التسعة الأشهر ؛ وما تغيض الأرحام :

قال : الدم تراه المرأة في حملها .

حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون والحجاج بن المنهال ، قالا : ثنا هشيم ، عن أبي بشر ، عن مجاهد ، في قوله (وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ) قال : الغيض : الحامل ترى الدم في حملها فهو الغيض ، وهو نقصان من الولد ، وما زاد على تسعة أشهر فهو تمام لذلك النقصان ، وهي الزيادة .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عبد السلام ، عن خصيف ، عن مجاهد (وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ) قال : إذا رأت دون التسعة زاد على التسعة مثل أيام الحيض .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ) قال : خروج الدم (وَمَا تَزْدَادُ) قال : استمسك الدم .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ) إرارة المرأة حتى يخس الولد (وَمَا تَزْدَادُ) قال : إن لم تهرق المرأة تم الولد وعظم .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا شعبة ، عن جعفر ، عن مجاهد ، في قوله (وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ) قال : المرأة ترى الدم وتحمل أكثر من تسعة أشهر .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا محمد بن الصباح ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، في قوله (وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ) قال : هي المرأة ترى الدم في حملها .

قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ) إهراق الدم حتى يخس الولد ، وتزداد إن لم تهرق المرأة تم الولد وعظم .

قال : ثنا الحكم بن موسى ، قال : ثنا هقل ، عن عثمان بن الأسود ، قال : قلت لمجاهد : امرأتى رأت دما ، وأرجو أن تكون حاملا « قال أبو جعفر : هكذا هو في الكتاب » ، فقال مجاهد : ذلك غيض الأرحام

(يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ) . الولد لا يزال يقع في النقصان ما رأت الدم ، فإذا انقطع الدم وقع في الزيادة ، فلا يزال حتى يتم ، فذلك قوله (وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ) .

قال : ثنا محمد بن الصباح ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن مجاهد ، في قوله (وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ)

تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ) قال: الغَيْضُ: الحامل ترى الدم في حملها، وهو الغَيْضُ، وهو نقصان من الولد، فما زادت على التسعة الأشهر، فهي الزيادة، وهو تمام للولادة.

حدثنا ابن المنى، قال: ثنا عبد الوهاب، قال: ثنا داود، عن عكرمة في هذه الآية (اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ) قال: كلما غاضت بالدم زاد ذلك في الحمل.

قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن عكرمة نحوه.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا عباد بن العوام، عن عاصم، عن عكرمة (وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ) قال: غيض الرحم: الدم على الحمل كلما غاض الرحم من الدم يوما زاد في الحمل يوما حتى تستكمل وهي طاهرة.

قال: ثنا عباد، عن سعيد، عن يعلى بن مسلم، عن سعيد بن جبير، مثله.

حدثنا الحسن بن محمد، قال: ثنا الوليد بن صالح، قال: ثنا أبو يزيد، عن عاصم، عن عكرمة في هذه الآية (وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ) قال: هو الحيض على الحمل (وَمَا تَزْدَادُ) قال: فلها بكل يوم حاضت على حملها يوم تزاده في طهرها حتى تستكمل تسعة أشهر طاهرا.

قال: ثنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا عمران بن حدير، عن عكرمة، في قوله (وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ) قال: ما رأت الدم في حملها زاد في حملها.

حدثنا عبد الحميد بن بيان، قال: أخبرنا إسحاق، عن جويبر، عن الضحاك، في قوله (وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ) ما تغيض أقل من تسعة، وما تزداد: أكثر من تسعة.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا ابن المبارك، عن الحسن بن يحيى، قال: سمعت الضحاك يقول: قد يولد المولود لسنتين، قد كان الضحاك ولد لسنتين، والغيض: ما دون التسعة، وما تزداد: فوق تسعة أشهر.

قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن جويبر، عن الضحاك (وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ) قال: دون التسعة، وما تزداد: قال: فوق التسعة.

قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن جويبر، عن الضحاك، قال: ولدت لسنتين.

حدثني المنى، قال: ثنا سويد بن نصر، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن الحسن بن يحيى، قال: ثنا الضحاك أن أمه حملته سنتين، قال (وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ) قال: ما تنقص من التسعة (وَمَا تَزْدَادُ) قال: ما فوق التسعة.

قال: ثنا عمرو بن عون، قال: أخبرنا هشيم، عن جويبر، عن الضحاك، في قوله (اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ) قال: كل أنثى من خلق الله.

قال: ثنا هشيم، عن جويبر، عن الضحاك، ومنصور عن الحسن، قال: الغَيْضُ ما دون التسعة الأشهر.

قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن داود بن عبد الرحمن ، عن ابن جريج ، عن جميلة بنت سعد ، عن عائشة قالت : لا يكون الحمل أكثر من سنتين ، قدر ما يتحوّل ظلّ مغزل .
 حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا فضيل بن مرزوق ، عن عطية العوفى (وما تَغِيضُ الأَرْحَامُ) قال : هو الحمل لتسعة أشهر وما دون التسعة (وما تَزْدَادُ) قال : على التسعة .
 قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عمرو بن ثابت عن أبيه ، عن سعيد بن جبير (وما تَغِيضُ الأَرْحَامُ) قال : حيض المرأة على ولدها .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وما تَغِيضُ الأَرْحَامُ وما تَزْدَادُ) . قال : الغيض : السَّقَطُ ؛ وما تزداد : فوق التسعة الأشهر .
 حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن سعيد بن جبير : إذا رأت المرأة الدم على الحمل ، فهو الغيض للولد ، يقول : نقصان في غذاء الولد ، وهو زيادة في الحمل .
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (اللهُ يَعْلَمُ ما تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وما تَغِيضُ الأَرْحَامُ وما تَزْدَادُ) قال : كان الحسن يقول : الغيضة أن تضع المرأة لسته أشهر أو لسبعة أشهر ، أو لما دون الحد . قال قتادة : وأما الزيادة ، فما زاد على تسعة أشهر .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا قيس ، عن سالم الأفظس ، عن سعيد بن جبير ، قال : غيض الرحم : أن ترى الدم على حملها ، فكلّ شيء رأت فيه الدم على حملها ازدادت على حملها مثل ذلك .
 قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن قيس بن سعد ، عن مجاهد ، قال : إذا رأت الحاملُ الدم كان أعظم للولد .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وما تَغِيضُ الأَرْحَامُ وما تَزْدَادُ) الغيض : النقصان من الأجل ، والزيادة : ما زاد على الأجل وذلك أن النساء لا يلدن لعدة واحدة ، يولد المولود لسته أشهر فيعيش ، ويولد لسنتين فيعيش ، وفيما بين ذلك . قال : وسمعت الضحاك يقول : ولدت لسنتين ، وقد نبتت ثناياي .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وما تَغِيضُ الأَرْحَامُ) قال : غيض الأرحام : الإهراقة التي تأخذ النساء على الحمل ، وإذا جاءت تلك الإهراقة ، لم يعتدّ بها من الحمل ، ونقص ذلك حملها حتى يرتفع ذلك ؛ وإذا ارتفع استقبلت عدة مستقبلة تسعة أشهر ؛ وأما ما دامت ترى الدم ، فإن الأرحام تغيض وتنقص ، والولد يرقّ ، فإذا ارتفع ذلك الدم ربا الولد واعتدت حين يرتفع عنها ذلك الدم ، عدة الحمل تسعة أشهر ، وما كان قبله فلا تعتدّ به هو هِرَاقَةٌ يُبْطَلُ ذلك أجمع أكتع .
 وقوله (وكلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ) حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (وكلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ) إى والله ، لقد حفظ عليهم رزقهم وآجالهم ، وجعل لهم أجلا معلوما

القول في تأويل قوله تعالى :

عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿١٠﴾

يقول تعالى ذكره : والله عالم ما غاب عنكم وعن أبصاركم فلم ترووه وما شاهدتموه ، فعاینتم بأبصاركم ، لا يخفى عليه شيء ، لأنهم خلقه ، وتدبيره الكبير الذي كل شيء دونه ، المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته ، وهو المتفاعل من العلو مثل المتقارب من القرب ، والمتداني من الدنو .

القول في تأويل قوله تعالى :

سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١١﴾

يقول تعالى ذكره : معتدل عند الله منكم أيها الناس الذي أسر القول ، والذي جهر به ، والذي (سر) مستخف بالليل (وسارب بالنهار) يقول : وظاهر بالنهار في ضوئه ، لا يخفى عليه شيء من ذلك ، سواء عنده سر خلقه وعلايتهم ، لأنه لا يستسر عنده شيء ، ولا يخفى ، يقال منه : سَرَبَ يَسْرِبُ سُرُوبًا إِذَا ظَهَرَ ، كما قال قيس بن الخطيم :

أَتَى سَرَبْتٍ وَكُنْتُ غَيْرَ سَرُوبٍ وَتَقَرُّبُ الْأَحْلَامِ غَيْرُ قَرِيبٍ ۱

يقول : كيف سریت بالليل بعد هذا الطريق ، ولم تكوني تبرزين وتظهرين . وكان بعضهم يقول : هو السالك في سربه : أي في مذهبه ومكانه .

واختلف أهل العلم بكلام العرب في السرب ، فقال بعضهم : هو آمن في سربه ، بفتح السين ، وقال بعضهم : هو آمن في سربه بكسر السين .
وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ ، وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ) يقول : هو صاحب ريبة مستخف بالليل ، وإذا خرج بالنهار أرى الناس أنه برىء من الإثم .

(١) البيت لقيس بن الخطيم (اللسان : سرب) قال : سربت الإبل سروبا : أي مضت في الأرض ظاهرة حيث شاءت . والسارب الذهاب على وجهه في الأرض . قال قيس بن الخطيم : أتى سربت . . . الخ . قال ابن بري : رواه ابن دريد : سربت بباء موحدة ، لقوله : وكنت غير سروب . ومن رواه «سريت» ، يالياه باثنتين ، فعناه : كيف سريت ليلا ، وأنت لاتسرين نهارا ؟ وقال أبو عبيدة (مجاز القرآن ١ : ٣٢٣) في قوله : وسارب بالنهار : مجازه : سالك في سربه ، أي في مذهبه ، وأينا توجه . ومنه : انسرب فلان . وظاهر أن المؤلف وجه البيت على الرواية الثانية «سريت» بالياء ، ثم استدرك فوجهه على الأولى .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس :
(وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ) : ظاهر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن عوف ، عن أبي رجاء ، في قوله (سَوَاءٌ مِّنْكُمْ
مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ ، وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ) قال : إن الله أعلم
بهم ، سواء من أسر القول ، ومن جهر به ، ومن هو مستخف بالليل ، وسارب بالنهار .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا علي بن عاصم ، عن عوف ، عن أبي رجاء (سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَنْ
أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ ، وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ) قال : من هو مستخف
في بيته ، وسارب بالنهار : ذاهب على وجهه علمه فيهم واحد .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (سَوَاءٌ مِّنْكُمْ
مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ) يقول : السر والجهر عنده سواء (وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ
وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ) أما المستخفي في بيته ، وأما السارب : الخارج بالنهار حيثما كان المستخفي غيبه الذي يغيب
فيه والخارج عنده سواء .

قال : ثنا الحَمَانِي ، قال : ثنا شريك ، عن خَصِيف ، في قوله (مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ) قال : رآك
رأسه في المعاصي (وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ) قال : ظاهر بالنهار .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ
وَمَنْ جَهَرَ بِهِ) كل ذلك عنده تبارك وتعالى سواء السر عنده علانية ، قوله (وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ
بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ) : أي في ظلمة الليل ، وسارب : أي ظاهر بالنهار .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن خَصِيف ، عن مجاهد وعكرمة
(وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ) قال : ظاهر بالنهار ، ومن في قوله (مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ ، وَمَنْ
هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ) رفع الأولى منهن بقوله سواء ، والثانية معطوفة على الأولى والثالثة على الثانية .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَهُمْ مَعْقَبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا
مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَالَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَاٍ ﴿١١﴾

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : لله تعالى ذكره مَعْقَبَاتٌ ، قالوا الهاء في قوله
« له » من ذكر اسم الله ، والمعقبات التي تتعقب على العبد ، وذلك أن ملائكة الليل إذا صعدت بالنهار
أعقبها ملائكة النهار ، فإذا انقضى النهار صعدت ملائكة النهار ، ثم أعقبها ملائكة الليل ، وقالوا : قيل
معقبات ، والملائكة : جمع ملك مذكر غير مؤنث ، وواحد الملائكة معقب ، وجماعتها مَعْقَبَةٌ ، ثم جمع

جمعه ، أعني جمع معقب بعد ما جمع معقبة . وقيل : معقبات ، كما قيل : أبناوات سعد ، ورجالات بني فلان جمع رجال .

وقوله (مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) يعني بقوله (مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ) من قدام هذا المستخفي بالليل ، والسارب بالنهار (وَمِنْ خَلْفِهِ) : من وراء ظهره .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، يعني ابن زاذان ، عن الحسن في هذه الآية (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) قال : الملائكة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إبراهيم بن عبد السلام بن صالح القشيري ، قال : ثنا علي بن جرير ، عن حماد بن سلمة ، عن عبد الحميد بن جعفر ، عن كنانة العدوي ، قال : دخل عثمان بن عفان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا رسول الله ، أخبرني عن العبد كم معه من ملك ؟ قال : مملكتك على يمينك على حسناتك ، وهو أمير على الذي على الشمال ، فإذا عملت حسنة كتبت عشرا ، وإذا عملت سيئة ، قال الذي على الشمال للذي على اليمين : اكتب ، قال : لا لعله يستغفر الله ويتوب ، فإذا قال ثلاثا ، قال : نعم اكتب أراحنا الله منه ، فبئس القرين ، ما أقل مراقبته لله ، وأقل استحياءه منا ، يقول الله (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) ومملكان من بين يديك ومن خلفك ، يقول الله (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ، يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) ومملكتك قابض على ناصيتك ، فإذا تواضعت لله رفعك ، وإذا تجبرت على الله قصمك ؛ ومملكان على شفقتك ليس يحفظان عليك إلا الصلاة على محمد ؛ ومملكتك قائم على فيك لا يدع الحية تدخل في فيك ؛ ومملكان على عينيك ، فهؤلاء عشرة أملاك على كل آدمي ، ينزلون ملائكة الليل على ملائكة النهار ، فهؤلاء عشرون ملكا على كل آدمي ، وإبليس بالنهار وولده بالليل .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شباة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) الملائكة (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ)

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن عبد الملك ، عن قيس ، عن مجاهد ، في قوله (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ) قال : مع كل إنسان حفظة يحفظونه من أمر الله .

قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) وهي الملائكة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) قال : ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه ، فإذا جاء قدره خللوا عنه .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) فإذا جاء القدر خلّوا عنه .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم في هذه الآية ، قال : الحفظة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) قال : ملائكة .

حدثنا أحمد بن حازم ، قال : ثنا يعلى ، قال : ثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح ، في قوله (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ) قال : ملائكة الليل يعقبون ملائكة النهار .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) هذه ملائكة الليل يتعاقبون فيكم بالليل والنهار ، وذكر لنا أنهم يجتمعون عند صلاة العصر وصلاة الصبح . وفي قراءة أبي بن كعب : له معقبات من بين يديه ، ورقيب من خلفه يحفظونه من أمر الله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ) قال : ملائكة يتعاقبون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) قال : الملائكة . قال ابن جريج : معقبات : قال : الملائكة تعاقب الليل والنهار ، وبلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يجتمعون فيكم عند صلاة العصر وصلاة الصبح » وقوله (مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ) قال ابن جريج : مثل قوله (عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ) قال : الحسنات من بين يديه ، والسيئات من خلفه ، الذي عن يمينه يكتب الحسنات والذي عن شماله يكتب السيئات .

حدثنا سوار بن عبد الله ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : سمعت ليثا يحدث عن مجاهد أنه قال : ما من عبد إلا له ملك موكّل يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام ، فما منها شيء يأتيه يريد به إلا قال : وراءك إلا شيئا يأذن الله فيه فيصيبه .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) قال : يعني الملائكة .

وقال آخرون : بل عنى بالمعقبات في هذا الموضع : الحرس الذي يتعاقب على الأمير .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو هشام الرفاعي ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا سفيان عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) قال : ذلك ملك من ملوك الدنيا له حرس من دونه حرس .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

قوله (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) يعنى : ولى السلطان يكون عليه الحرس .
 حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن شَرِّقٍ أَنَّهُ سَمِعَ عِكْرَمَةَ يَقُولُ
 فِي هَذِهِ الْآيَةِ (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) قَالَ : هَؤُلَاءِ الْأَمْرَاءُ .
 حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا عمرو بن نافع ، قال : سمعت عكرمة يقول (لَهُ
 مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) قَالَ : الْمَوَاكِبُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ .
 حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت
 الضحاك يقول ، في قوله (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ)
 قَالَ : هُوَ السُّلْطَانُ الْحُرُوسُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ، وَهُمْ أَهْلُ الشَّرْكِ .
 وَأَوْلَى التَّأْوِيلِينَ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ ، قَوْلٌ مِنْ قَالَ : الْهَاءُ فِي قَوْلِهِ (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ) مِنْ ذِكْرِ مَنْ التَّى
 فِي قَوْلِهِ (وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ) وَأَنَّ الْمُعَقَّبَاتُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ، وَمِنْ خَلْفِهِ ، هِيَ حَرَسُهُ وَجَنَادُوزَتُهُ
 كَمَا قَالَ ذَلِكَ مَنْ ذَكَرْنَا قَوْلَهُ .

وإنما قلنا : ذلك أولى التأويلين بالصواب ، لأن قوله (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ) أقرب إلى قوله (وَمَنْ هُوَ
 مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ) منه إلى عالم الغيب ، فهي أقربها منه أولى بأن تكون من ذكره ، وأن يكون المعنى
 بذلك هذا ، مع دلالة قول الله (وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ) على أنهم المعنيون بذلك ،
 وذلك أنه جل ثناؤه ذكر قوما أهل معصية له وأهل ريبة ، يستخفون بالليل ، ويظهرون بالنهار ،
 ويمتنعون عند أنفسهم بحرس يحرسهم ، ومنعته تمنعهم من أهل طاعته أن يحولوا بينهم وبين ما يأتون من
 معصية الله ، ثم أخبر أن الله تعالى ذكره إذا أراد بهم سوءا لم ينفعهم حرسهم ، ولا يدفع عنهم حفظهم .
 وقوله (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) اختلف أهل التأويل في تأويل هذا الحرف على نحو اختلافهم
 في تأويل قوله (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ) فمن قال : المعقبات هي الملائكة ، قال : الذين يحفظونه من أمر الله هم
 أيضا الملائكة ؛ ومن قال : المعقبات هي الحرس والجلالوزة من بني آدم ، قال : الذين يحفظونه من أمر
 الله هم أولئك الحرس .

واختلفوا أيضا في معنى قوله (مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) فقال بعضهم : حفظهم إياه من أمره . وقال بعضهم :
 يحفظونه من أمر الله بأمر الله .

ذكر من قال : الذين يحفظونه هم الملائكة ، ووجه قوله (بأمر الله) إلى

معنى : أن حفظها إياه من أمر الله

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله
 (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) يَقُولُ : بِإِذْنِ اللَّهِ ، فَالْمُعَقَّبَاتُ : هِيَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ، وَهِيَ الْمَلَائِكَةُ .
 حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير (يَحْفَظُونَهُ مِنْ
 أَمْرِ اللَّهِ) قَالَ : الْمَلَائِكَةُ : الْحَفِظَةُ ، وَحَمِيظُهُمْ إِيَّاهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، قال : ثنى عبد الملك ، عن ابن عبيد الله ، عن مجاهد ، في قوله (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) قال : الحَفَظَةُ هم من أمر الله .

قال : ثنا علي ، يعنى ابن عبد الله بن جعفر ، قال : ثنا سفيان ، عن عمرو ، عن ابن عباس (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ) رُقَبَاءُ (وَمِنْ خَلْفِهِ) مِنْ أَمْرِ اللَّهِ (يَحْفَظُونَهُ) .

قال : ثنا عبد الوهاب ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن الجارود ، عن ابن عباس (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ) رَقِيب (وَمِنْ خَلْفِهِ) .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن خصيف ، عن مجاهد (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) قال : الملائكة من أمر الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) قال : الملائكة من أمر الله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) قال : الحَفَظَةُ .

ذكر من قال : عنى بذلك : يحفظونه بأمر الله

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) : أى بأمر الله .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) .

وفي بعض القراءات : بأمر الله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن عبد الملك ، عن قيس ، عن مجاهد في قوله (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) قال : مع كل إنسان حفظة يحفظونه من أمر الله .

ذكر من قال : تحفظه الحرس من بنى آدم من أمر الله

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) يعنى : ولى السلطان يكون عليه الحرس ، يحفظونه من بين يديه ومن خلفه : يقول الله عز وجل : يحفظونه من أمرى ، فإنى إذا أردت بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال .

حدثني أبو هريرة الضبعى ، قال : ثنا أبو قتبية ، قال : ثنا سعيد ، عن شرفى ، عن عكرمة : (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) قال : الجلاوزة .

وقال آخرون : معنى ذلك : يحفظونه من أمر الله ، وأمر الله الجن ، ومن يبغي أذاه ومكروهه قبل مجيء قضاء الله ، فإذا جاء قضاؤه خلوا بينه وبينه .

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو هريرة الضُّبَعِيُّ ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا ورقاء ، عن منصور ، عن طلحة ، عن إبراهيم (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) قال : من الجن .

حدثنا سَوَّار بن عبد الله ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت ليثا يحدث عن مجاهد أنه قال : ما من عبد إلا له ملك موكل يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام ، فما منهم شيء يأتيه يريد به إلا قال : وراءك ، إلا شيئاً يأذن الله فيصيبه .

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا إسماعيل بن عياش ، عن محمد بن زياد الألهاني ، عن يزيد بن شريح عن كعب الأحبار ، قال : لو تجلَّى لابن آدم كلُّ سهل وحزَن ، لرأى على كلِّ شيء من ذلك شياطين ، لولا أن الله وكلَّ بكم ملائكة يدُبُّون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم إذن لتُخَطِّفتم .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عليه ، قال : ثنا عمارة بن أبي حفصة ، عن أبي مجلز ، قال : جاء رجل من مُراد إلى عليّ رضي الله عنه ، وهو يصلي ، فقال : احترس ، فإن ناساً من مُراد يريدون قتلك ، فقال : إن مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدر ، فإذا جاء القدر خلتا بينه وبينه ، وإن الأجل جنة حصينة . حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب ، عن الحسن بن ذكوان ، عن أبي غالب ، عن أبي أمامة قال : ما من آدمي إلا ومعه ملك موكل يدود عنه حتى يُسَلِّمَهُ للذي قُدِّر له . وقال آخرون : معنى ذلك : يحفظون عليه من الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) قال : يحفظون عليه من الله .

قال أبو جعفر : يعني ابن جريج بقوله : يحفظون عليه الملائكة الموكِّلة بابن آدم ، يحفظ حسناته وسيئاته ، وهي المعقبات عندنا ، تحفظ على ابن آدم حسناته وسيئاته من أمر الله ، وعلى هذا القول يجب أن يكون معنى قوله (مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) أن الحفظ من أمر الله ، أو تحفظ بأمر الله ، ويجب أن تكون الهاء التي في قوله (يَحْفَظُونَهُ) وحدثت وذكرت ، وهي مراد بها الحسنات والسيئات ، لأنها كناية عن ذكر من الذي هو مستخف بالليل ، وسارب بالنهار ، وأن يكون المستخفي بالليل أقيم ذكره مقام الخبر عن سيئاته وحسناته ، كما قيل (وَأَسْئَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا) . وكان عبد الرحمن بن زيد يقول في ذلك خلاف هذه الأقوال كلها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ) قال : أتى عامر بن الطفيل ، وأربد بن ربيعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عامر : ما تجعل لي إن أنا اتبعتك ؟ قال : أنت فارس أعطيك أعينة الخيل ، قال : لا ، قال فما تمنا تبغني ؟ قال : لي الشرق ولك الغرب ، قال : لا ، قال : فلي الوبر ولك المدر ، قال : لا ، قال :

(١) أربد بن قيس : أخو لبيد بن ربيعة الشاعر المشهور لأمه ، هلك قبل أخيه لبيد ، فبكاه بكاء شديداً .

لأملأها عليك إذا خيلا ورجالا ، قال : يَمْنَعُكَ اللهُ ذَاكَ وَأَبْنَاءَ قَبِيلَةٍ ، يريد الأوس والخزرج ، قال فخرجا ، فقال عامر لأربد : إن كان الرجل لنا لممكننا : لو قتلناه ما انتطحت فيه عنزان ، ولرضوا بأن نعقله لهم ، وأحبوا السلم ، وكرهوا الحرب إذا رأوا أمرا قد وقع ، فقال الآخر : إن شئت فتشاورا ، وقال : ارجع وأنا أشغله عنك بالمجادلة ، وكن وراءه فاضربه بالسيف ضربة واحدة ، فكانا كذلك ، واحد وراء النبي صلى الله عليه وسلم ، والآخر قال : اقضص علينا قصصك ، قال : ما يقول قرآنك ، فجعل يجادله ويستبطئه حتى قال : مالك أحشمت ، قال : وضعت يدي على قائم سيفي فيبست ، فما قدرت على أن أحلى ولا أمر ولا أحرّكها ، قال : فخرجا ؛ فلما كانا بالحرّة سمع بذلك سعد بن معاذ وأسيد بن حضير ، فخرجا إليهما ، على كل واحد منهما لأمته ورمحه بيده وهو متقلد سيفه ، فقالا لعامر بن الطفيل : يا أعور يا خبيث يا أملخ ، أنت الذي تشترط على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لولا أنك في أمان من رسول الله صلى الله عليه وسلم مارمت المنزل حتى ضربت عنقك ، ولكن لاتستبقين ، وكان أشدّ الرجلين عليه أسيد بن الحضير ، فقال : لو كان أبوه حيا لم يفعل بي هذا ، ثم قال لأربد : اخرج أنت يا أربد إلى ناحية عذبة ، وأخرج أنا إلى نجد ، فنجتمع الرجال فنلتقي عليه ، فخرج أربد حتى إذا كان بالرقم بعث الله سحابة من الصيف فيها صاعقة فأحرقتة . قال : وخرج عامر ، حتى إذا كان بواد يقال له الجريير ، أرسل الله عليه الطاعون ، فجعل يصيح : يا آل عامر ، أغدة كغدة البكر تقتلني ، يا آل عامر أغدة كغدة البكر تقتلني ، وموت أيضا في بيت سلولية ، وهي امرأة من قيس ، فذلك قول الله (سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ أَسْرَ الْقَوْلِ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ) فقرا حتى بلغ (يَحْفَظُونَهُ) تلك المعقبات من أمر الله ، هذا مقدم ومؤخر لرسول الله صلى الله عليه وسلم معقبات يحفظونه من بين يديه ومن خلفه ، تلك المعقبات من أمر الله وقال لذين (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) فقرا حتى بلغ (وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ) . . . الآية ، فقرا حتى بلغ (وَمَادُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ) . قال وقال لبيد في أخيه أربد ، وهو يبكيه :

أخشيت على أربد الحتوف ولا أرهب نوء السماء والأسد

فجعتني الرعد والصواعق بال فارس يوم الكريهة النجد^٢

❖ قال أبو جعفر : وهذا القول الذي قاله ابن زيد في تأويل هذه الآية قول بعيد من تأويل الآية مع خلافه أقوال من ذكرنا قوله من أهل التأويل ، وذلك أنه جعل الهاء في قوله (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ) من ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يجر له في الآية التي قبلها ، ولا في التي قبل الأخرى ذكر ، إلا أن يكون أراد أن يردّها على قوله (إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ لَهُ مُعَقَّبَاتٌ) فإن كان أراد ذلك ، فنظرك

(١) إن (بسكون النون) مخففة من إن (بتشديدها) . وهي هنا غير عاملة ، يريد : إنه كان ممكننا لو أردنا قتله .
(٢) البيتان للبيد في رثاء أخيه أربد (اللسان : صعق) . قال : يقال : أصعقت الصاعقة ، تصعقه : إذا أصابته ، وهي الصواعق والصواعق . ويقال للبرق إذا أحرق إنسانا أصابته صاعقة . وقال لبيد يذكر أخاه أربد : فجعتني . . . الخ . وقال أبو زيد : الصاعقة تسقط من السماء في رعد شديد . وفي سيرة ابن هشام (٤ : ٢١٣ - ٢١٦) خبر هلاك أربد وعامر ، وما قاله زيد ابن أسلم في تأويل الآية ، ورواه عنه بنوه .

بعيد لما بينهما من الآيات بغير ذكر الخبر ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وإذا كان كذلك ، فكونها عائدة على « من » التي في قوله (وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ) أقرب ، لأنه قبلها والخبر بعدها عنه . فإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الكلام : سواء منكم أيها الناس من أسر القول ومن جهر به عند ربكم ، ومن هو مستخف بنفسه ورعبته في ظلمة الليل ، وسارب : يذهب ويحىء في ضوء النهار ممتعا بجنده وحرسه الذين يتعقبونه من أهل طاعة الله أن يحولوا بينه وبين ما يأتي من ذلك ، وأن يقيموا حد الله عليه ، وذلك قوله (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) ، وقوله (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) يقول تعالى ذكره : إن الله لا يغير ما بقوم من عافية ونعمة ، فيزيل ذلك عنهم ويهلكهم حتى يغيروا ما بأنفسهم من ذلك بظلم بعضهم بعضا ، واعتداء بعضهم على بعض ، فتحل بهم حينئذ عقوبته وتغييره . وقوله (وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ) يقول : وإذا أراد الله بهؤلاء الذين يستخفون بالليل ، ويسربون بالنهار ، لهم جند ومنعة من بين أيديهم ومن خلفهم ، يحفظونهم من أمر الله هلاكاً وخزياً في عاجل الدنيا ، فلا مرد له : يقول : فلا يقدر على رد ذلك عنهم أحد غير الله . يقول تعالى ذكره (وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ آلٍ) يقول : وما لهؤلاء القوم ، والهاء والميم في « لهم » من ذكر القوم الذين في قوله (وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا) من دون الله من وال : يعني : من وال يلبهم ، ويلى أمرهم وعقوبتهم . وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول : السوء : الهلكة ، ويقول : كل جذام وبرص وعمى وبلاء عظيم فهو سوء مضموم الأول ، وإذا فتح أوله فهو مصدر سؤت ، ومنه قولهم : رجل سوء .

واختلف أهل العربية في معنى قوله (وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ) فقال بعض نحوي أهل البصرة : معنى قوله (وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ) : ومن هو ظاهر بالليل ، من قولهم : خفيت الشيء : إذا أظهرته ، وكما قال امرؤ القيس :

فان تكتتموا الداء لا نخفه وإن تبعثوا الحرب لا نقعدا

وقال : وقد قرئ (أكاد أخفيها) بمعنى : أظهرها . وقال في قوله (وساربٌ بالنهار) السارب : هو المتوارى ، كأنه وجهه إلى أنه صار في السرب بالنهار مستخفيا . وقال بعض نحوي البصرة والكوفة : إنما معنى ذلك : ومن هو مستخف : أي مستر بالليل من الاستخفاء ، وسارب بالنهار : وذهب بالنهار ،

(١) البيت لامرؤ القيس في شعره : مختار الشعر الجاهلي ، بشرح مصطفي السقا طبعة مصطفي البابي الحلبي وأولاده (ص ١٣٢) وفيه : فإن تدفنوا الداء . . الخ . يقول : إن تركوا ما بيننا وبينكم من عداوة ، لا نخفه أي لا نظهره ، يقال : خفا : إذا أظهره . وأخفاه إذا ستره . وإن تهبجوا الحرب من مرقدها ، فإننا لانقعد عن حربكم جبنا ولا خوفا . وفي (اللسان : خفا : خفا البرق خفوا : لمع ، وخفى الشيء خفيا وخفيا (على فعول) : أظهره واستخرجه . يقال : خفى المطر الفأر : إذا أخرجهن من أنفاقهن ، قال امرؤ القيس يصف فرسا :

خفاهن من أنفاقهن كأنما خفاهن ودق من سحاب مركب

ومن قولهم : سربت الإبل إلى المراعى ، وذلك ذهابها إلى المراعى ، وخروجها إليها . وقيل : إن السروب بالعشى ، والسروح بالغداة .

واختلفوا أيضا في تأنيث معقبات ، وهى صفة لغير الإناث ، فقال بعض نحوي البصرة : إنما أنثت لكثرة ذلك منها ، نحو : نسابة وعلامة ، ثم ذكر لأن المعنى مذكر ، فقال : يحفظونه . وقال بعض نحوي الكوفة : إنما هى ملائكة معقبة ، ثم جمعت معقبات ، فهو جمع جمع ، ثم قيل : يحفظونه ، لأنه للملائكة ، وقد تقدم قولنا فى معنى المستخفى بالليل ، والسارب بالنهار . وأما الذى ذكرناه عن نحوي البصريين فى ذلك فقول وإن كان له فى كلام العرب وجه خلاف لقول أهل التأويل ، وحسبه من الدلالة على فساده خروج وجه عن قول جميعهم . وأما المعقبات ، فإن التعقيب فى كلام العرب العود بعد البدء والرجوع إلى الشئ بعد الانصراف عنه من قول الله تعالى (وَلى مُدْبِرًا وَاَمْ يُعَقِّبُ) : أى لم يرجع ، وكما قال سلامة بن جندل وكرنا الخيل فى آثارها رجعا كس السنابك من بدء وتعقيب ١

يعنى : فى غزو ثمان عقبوا ، وكما قال طرفة :

وَأَقْدَ كُنْتُ عَلَيْكُمْ عَاتِبًا فَعَقَبْتُمْ بِذُنُوبٍ غَيْرِ مُرَّةٍ ٢

يعنى بقوله : عقبتكم : رجعتكم ، وأتاها التأنيث عندنا ، وهى من صفة الحرس الذى يحرسون المستخفى بالليل والسارب بالنهار ، لأنه عني بها حرس معقبة ، ثم جمعت المعقبة ، فقيل : معقبات ، فذلك جمع جمع المعقب والمعقب : واحد المعقبة ، كما قال لبيد :

حَتَّى تَهَجَّرَ فى الرِّوَّاحِ وَهَاجَبَهَا طَلَبَ الْمُعَقَّبِ حَقَّةُ الْمَظْلُومِ ٣

والمعقبات جمعها ، ثم قال : يحفظونه ، فرد الخبر إلى تذكير الحرس والجنود .

وأما قوله (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) فإن أهل العربية اختلفوا فى معناه ، فقال بعض نحوي الكوفة معناه : له معقبات من أمر الله يحفظونه ، وليس من أمره ١ ، إنما هو تقديم وتأخير ، قال : ويكون

(١) البيت فى ديوانه (طبع بيروت سنة ١٩١٠ ص ٨) ورواية الشطر الأول فيه : « وكرنا خيلنا أدرابها رجعا . . . الخ وقوله أدرابها : أى رجوعها من حيث جاءت فى طريقها . وكس السنابك جمع أكس ، وهو الذى تحاتت سنابكه وذهبت ، فقصرت . والسنابك جمع سنبك بضم أوله : مقدم الحافر . والبدء : ابتداء الشئ . والتعقيب : الرجوع والعطف والبدء والتعقيب كالغدو والرواح .

(٢) البيت لطرفة بن العبد البكرى ، من رائيته المقيدة ، التى مطلعها : « أصحوت اليوم أم شاتتك هر » : (ديوانه طبع شالون بفرنسا سنة ١٩٠٠ ص ٦٨ ، وطبع روسيا سنة ١٩٠٩ ص ٧٥ ، ومختار الشعر الجاهلى طبعة الحلبي بالقاهرة ص ٣٣٤) . وقوله : عاتبا : أى واجدا . وعقبتم : عطفتهم ورجعتهم . والذنوب بفتح الذال : الدلو . ضربها مثلا للحظ الذى نال منهم . وغير مر : أى لم يطلوا به ولا منوا ، فىكون مرا ، أى عقبتم عتبي عليكم بعباء حلوا .

(٣) هذا البيت من شواهد النحاة (خزنة الأدب الكبرى للبغدادى ١ : ٣٣٤) قال : التهجرج : السير فى الهاجرة ، وهى نصف النهار ، وحتى : بمعنى إلى . والرواح : اسم للوقت من زوال الشمس إلى الليل ، وهو نقيض الغدو . وهاجبا أزعجها . وطلب : مصدر تشبيهى ، أى هاج هذا المسحل أنشاء لطلب الماء طلبا حثيثا ، كطلب المعقب ، وهو اسم فاعل من التعقيب ، وهو الذى يطلب حقه مرة بعد مرة ، أو هو الذى يطلب الدين من الغريم ، يقال : عقب فى الأمر : إذا تردد فى طلبه مجدا .

(٤) أى : وليس يحفظونه من أمره ، بتعليق الجار والمجرور بالفعل .

يحفظونه ذلك الحفظ من أمر الله وبإذنه ، كما تقول للرجل : أجببتك من دعائك إياي ، وبدعائك إياي .
وقال بعض نحويي البصريين : معنى ذلك : يحفظونه عن أمر الله ، كما قالوا : أطعمني من جوع وعن جوع ،
وكساني عن عُرْي ومن عُرْي .

❖ وقد دللنا فيما مضى على أن أولى القول بتأويل ذلك أن يكون قوله (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) من
صفة حرس هذا المستخفي بالليل وهي تحرسه ظنا منها أنها تدفع عنه أمر الله ، فأخبر تعالى ذكره أن حرسه
ذلك لا يغني عنه شيئا إذا جاء أمره ، فقال (وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ، وَمَا لَهُمْ مِنْ
دُونِهِ مِنْ آلٍ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ۝ وَيَسْبِغُ الرِّعْدُ بِحَمْدِهِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْيُسْرَى ۝

❖ يقول تعالى ذكره (هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ) يعني أن الرب هو الذي يرى عباده البرق . وقوله
(هُوَ) كناية اسمه جل ثناؤه ، وقد بينا معنى البرق فيما مضى ، وذكرنا اختلاف أهل التأويل فيه بما أغنى
عن إعادته في هذا الموضع . وقوله (خَوْفًا) يقول : خوفا للمسافر من أذاه .
وذلك أن البرق : الماء في هذا الموضع ، كما حدثني المثنى ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنا حماد ، قال :
أخبرنا موسى بن سالم أبو جهضم ، مولى ابن عباس ، قال : كتب ابن عباس إلى أبي الجلد يسأله عن البرق ،
فقال : البرق : الماء .

وقوله (وَطَمَعًا) يقول : وطمعا للمقيم أن يمطر فينتفع .
كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ)
خَوْفًا وَطَمَعًا) يقول : خوفا للمسافر في أسفاره ، يخاف أذاه ومشتمته ، وطمعا للمقيم يرجو بركته ومنفعته
ويطمع في رزق الله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (خَوْفًا وَطَمَعًا) خوفا
للمسافر ، وطمعا للمقيم .

وقوله (وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ) : ويثير السحاب الثقال بالمطر ، ويبدئه ، يقال منه : أنشأ الله
السحاب : إذا أبدأه ، ونشأ السحاب : إذا بدأ ينشأ نشأ ، والسحاب في هذا الموضع وإن كان في لفظ واحد
فإنها جمع ، واحدها سحابة ، ولذلك قال : الثقال ، فنعها بنعت الجمع ، ولو كان جاء : السحاب الثقيل
كان جائزا ، وكان توحيداً للفظ السحاب ، كما قيل (جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا) .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شباية ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثَّقَالَ) قال : الذي فيه الماء .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَيُنشِئُ

السَّحَابَ الثَّقَالَ) قال : الذي فيه الماء .

وقوله (وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ) قال أبو جعفر : وقد بينا معنى الرعد فيما مضى بما أغنى عن

إعادته في هذا الموضع .

وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا سمع صوت الرعد ، قال كما حدثنا الحسن بن محمد ،

قال : ثنا كثير بن هشام ، قال : ثنا جعفر ، قال : بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا سمع صوت

الرعد الشديد ، قال « اللَّهُمَّ لَا تَقْتُلْنَا بِغَضَبِكَ ، وَلَا تَهْلِكْنَا بِعَذَابِكَ ، وَعَافِنَا قَبْلَ ذَلِكَ » .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبيه ، عن رجل ، عن أبي هريرة

رفع الحديث « أنه كان إذا سمع الرعد قال : سُبْحَانَ مَنْ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ » .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا مسعدة بن اليسع الباهلي ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن علي

رضي الله عنه ، كان إذا سمع صوت الرعد ، قال : سبحان من سبحت له .

قال : ثنا إسماعيل بن علي ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنه كان إذا سمع

الرعد ، قال : سبحان الذي سبحت له .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا يعلى بن الحارث ، قال : سمعت أبا بصيرة يحدث

عن الأسود بن يزيد ، أنه كان إذا سمع الرعد ، قال : سبحان من سبحت له ، أو سبحان الذي يسبح الرعد

بحمده ، والملائكة من خيفته .

قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا ابن علي ، عن ابن طاوس ، عن أبيه وعبد الكريم ، عن طاوس أنه

كان إذا سمع الرعد ، قال : سبحان من سبحت له .

حدثنا الداسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ميسرة ، عن الأوزاعي ، قال : كان ابن

أبي زكريا يقول : من قال حين يسمع الرعد : سبحان الله وبحمده ، لم تصبه صاعقة .

ومعنى قوله (وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ) ويعظم الله الرعد ويمجده ، فيثني عليه بصفاته ، وينزهه

بما أضاف إليه أهل الشرك به ، ومما وصفوه به من اتخاذ الصاحبة والولد ، تعالى ربنا وتقدس .

وقوله (مِنْ خَيْفَتِهِ) يقول : وتسبح الملائكة من خيفة الله ورهيبته .

وأما قوله (وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ) فقد بيننا معنى الصاعقة فيما مضى بما أغنى عن إعادته بما فيه الكفاية من الشواهد ، وذكرنا ما فيها من الرواية .
وقد اختلف فيمن أنزلت هذه الآية ، فقال بعضهم : نزلت في كافر من الكفار ذكّر الله تعالى وتقدس غير ما ينبغي ذكره ، فأرسل عليه صاعقة أهلكته .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا أبان بن يزيد ، قال : ثنا أبو عمران الجوني ، عن عبد الرحمن بن صبحر العبدى ، أنه بلغه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى جبّار يدعو ، فقال : أرايتم ربكم ، أذهب هو أم فضة هو أم لؤلؤ هو؟ قال : فبينما هو يجادلهم ، إذ بعث الله سبحانه فرعدت ، فأرسل الله عليه صاعقة فذهبت بقحف رأسه فأنزل الله هذه الآية (وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ ، وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ ، وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق بن سليمان ، عن أبي بكر بن عياش ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : « جاء يهودى إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : أخبرني عن ربك من أى شىء هو ، من لؤلؤ أو من ياقوت ؟ فجاءت صاعقة فأخذته ، فأنزل الله (وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ ، وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ ، وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله .
قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن هاشم ، قال : ثنا سيف ، عن أبي روق ، عن أبي أيوب ، عن علي ، قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد حدثني من هذا الذى تدعو إليه ؟ أياقوت هو ، أذهب هو ، أم ماهو ؟ قال : فنزلت على السائل الصاعقة فأحرقته ، فأنزل الله (وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ) . . . الآية .

حدثنا محمد بن مرزوق ، قال : ثنا عبد الله بن عبد الوهاب ، قال : ثنا علي بن أبي سارة الشيباني ، قال : ثنا ثابت البناني ، عن أنس بن مالك ، قال « بعث النبي صلى الله عليه وسلم مرة رجلا إلى رجل من فراعنة العرب ، أن ادعه لى ، فقال : يا رسول الله ، إنه أعتى من ذلك ، قال : اذهب إليه فادعه ، قال : فأتاه ، فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك ، فقال : من رسول الله ، وما الله ؟ أمن ذهب هو ، أم من فضة ، أم من نحاس ؟ قال : فأتى الرجل النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال : ارجع إليه فادعه . قال : فأتاه فأعاد عليه وردّ عليه مثل الجواب الأول ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال : ارجع إليه فادعه ، قال : فرجع إليه ، فبينما هما يتراجعان الكلام بينهما ، إذ بعث الله سبحانه بجبال رأسه فرعدت ، فوقعت منها صاعقة ، فذهبت بقحف رأسه ، فأنزل الله (وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ ، وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ ، وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ) .

وقال آخرون : نزلت في رجل من الكفار أنكر القرآن ، وكذب النبي صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أن رجلاً أنكر القرآن وكذب النبي صلى الله عليه وسلم ، فأرسل الله عليه صاعقة فأهلكته ، فأنزل الله عز وجل فيه (وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ ، وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ) .
وقال آخرون : نزلت في أربد أخى لبيد بن ربيعة ، وكان هم يقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وعامر بن الطفيل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : نزلت ، يعنى قوله (وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ) في أربد أخى لبيد بن ربيعة ، لأنه قدِم أربد وعامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر ، على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال عامر : يا محمد أأُسَلِمُ وأكون الخليفة من بعدك ؟ قال : لا . قال : فأكون على أهل الوبر وأنت على أهل المدر ؟ قال : لا ، قال : فماذا ؟ قال : أعطيك أعنة الخيل تقاتل عليها ، فإنك رجل فارس ، قال : أوليست أعنة الخيل بيدي ، أما والله لأملأنها عليك خيلاً ورجالا من بنى عامر ، وقال لأربد : إما أن تكفينيه وأضربه بالسيف ، وإما أن أكفيكه وتضربه بالسيف ، قال أربد : أكفيكه واضربه ، فقال عامر بن الطفيل : يا محمد إن لى إليك حاجة ، قال ادن ، فلم يزل يدنو ، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم ، ادن ، حتى وضع يديه على ركبتيه وحنى عليه ، واستل أربد السيف ، فاستل منه قليلاً ؛ فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم بريقه ، تعوذ بآية كان يتعوذ بها ، فبست يد أربد على السيف ، فبعث الله عليه صاعقة فأحرقتة ، فذلك قول أخيه :

أخشى على أربد الحتوف ولا

أرهب نوء السماء والأسد

فجعني البرق والصواعق بال

فارس يوم الكريهة النجد^٢

وقد ذكرت قبل خبر عبد الرحمن بن زيد بنحو هذه القصة .
وقوله (وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ) يقول : وهؤلاء الذين أصابهم الله بالصواعق ، أصابهم في حال خصومتهم في الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم .
وقوله (وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ) يقول تعالى ذكره : والله شديدة مماحلتة في عقوبة من طغى عليه وعتتاً وتمادى في كفره ، والمحال : مصدر من قول القائل : ماحلت فلانا فأنا أماحله مماحله ومحالا ، وفعلت منه : محلت أمحل محلاً : إذا عرض رجل رجلاً لما يهلكه ؛ ومنه قوله : وماحِلٌ مُصَدِّقٌ^٣ ؛ ومنه قول أعشى بنى ثعلبة :

(١) لعله : أكفينيه ، كما تدل عليه بقية القصة .

(٢) البيتان للبيد ، وقد تقدم الاستشهاد بهما قريباً في هذا الجزء من التفسير .

(٣) هذا جزء من حديث رواد ابن عباس : « إن هذا القرآن شافع مشفع ، وماحل مصدق » . قال أبو عبيدة : جملة يمحله بصاحبه إذا لم يتبع ما فيه ، أو إذا هو ضيعه . وقال ابن الأثير : أى خصم مجادل مصدق .

فَرَعُ نَبْعٍ يَهْتَزُّ فِي غُصْنِ الْمَجْدِ غَزِيرُ النَّدَى شَدِيدُ الْمِحَالِ ١
 هكذا كان يُنشدُه معمر بن المثنى فيما حدثت عن علي بن المغيرة عنه . وأما الرواة بعدُ فإنهم ينشدونه :
 فَرَعُ فَرَعٍ يَهْتَزُّ فِي غُصْنِ الْمَجْدِ كَثِيرُ النَّدَى عَظِيمُ الْمِحَالِ
 وفسر ذلك معمر بن المثنى ، وزعم أنه عنى به العقوبة والمكر والنكال ؛ ومنه قول الآخر :
 وَكَبَسَ بَيْنَ أَقْوَامٍ فُكْلًا أَعَدَّ لَهُ الشَّغَابَ وَالْمِحَالَ ٢
 وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن هاشم ، قال : ثنا سيف ، عن أبي روق ، عن
 أبي أيوب ، عن علي رضي الله عنه (وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ) قال : شديد الأخذ .
 حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد (وَهُوَ
 شَدِيدُ الْمِحَالِ) قال : شديد القوة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ) أي القوة والحيلة .
 حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (شَدِيدُ الْمِحَالِ)
 يعني : الهلاك ، قال : إذا محل فهو شديد . وقال قتادة : شديد الحيلة ٣ .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا رجل ، عن عكرمة (وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ
 وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ) قال : المحال : جدال أربد ، وهو شديد المحال ، قال : ما أصاب أربد من الصاعقة .
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ) قال :
 قال ابن عباس : شديد الحول .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ)
 قال : شديد القوة . المحال : القوة . والقول الذي ذكرناه عن قتادة في تأويل المحال أنه الحيلة ، والقول الذي
 ذكره ابن جريج ، عن ابن عباس يدلان على أنهما كانا يقرآن (وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ) . بفتح الميم ،
 لأن الحيلة لا يأتي مصدرها محالا بكسر الميم ، ولكن قد يأتي على تقدير المفعلة منها ، فيكون محالة ،

(١) البيت لأعشى بن ثعلبة ميمون بن قيس (ديوانه ص ٧ طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين) وهو من لاميته المطولة
 التي مطلعها : « ما بكاء الكبير بالأطلال » يمدح بها الأسود بن المنذر اللخمي . يقول : إنه فرع في غصون المجد غزير الندى ، وهو مع
 ذلك شديد النكال بأعدائه . والنبع : شجر تتخذ منه القسي ، ومن أغصانه السهام ، ينبت في قلال الجبال . والمحال : العقوبة
 والمكر ، والنكال . ومعمر بن المثنى : هو أبو عبيدة البصرى . وعلي بن المغيرة : هو الأثرم .

(٢) البيت لنبي الرمة (اللسان : محل) . قال : والمحال : المكر بالحق ، وفلان يماحل عن الإسلام : أي يماكر ويدافع .
 والماحلة : المماكرة والمكايدة ، ومنه قوله تعالى : « شديد المحال » . اه . وفي « اللسان : شغزب » : والشغزبية : ضرب من
 الحيلة في الصراع ، وهي أن تلوى برجله رجلك ، تقول : شغزبته شغزبة ، وأخذته بالشغزبية ، قال ذو الرمة : « وليس بين
 أقوامي فكل » . الخ . وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن (١ : ٣٢٦) والشغزبية : الالتواء . اه .

(٣) قال ابن قتيبة : وأصل المحال الحيلة . ورد عليه أبو منصور الأزهرى فقال : قول القتيبي غلط فاحش ، وكأنه توهم
 أن ميم المحال : ميم مفعل (بالكسر) ، وأنها زائدة ، وليس كما توهمه . (اللسان : محل) .

ومن ذلك قولهم : المرء يعجز لآمحالة ، والمحالة في هذا الموضع : المفعلة من الحيلة . فأما بكسر الميم ، فلا تكون إلا مصدرا ، من ما حلت فلانا أماحله محالا ، والمماحلة بعيدة المعنى من الحيلة ، ولا أعلم أحدا قرأه بفتح الميم ، فإذا كان ذلك كذلك ، فالذى هو أولى بتأويل ذلك ، ما قلنا من القول .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفَّيْهِ إِلَى السَّمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغٍ وَمَا دَعَا الْكُفْرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٤﴾

يقول تعالى ذكره : لله من خاتمه الدعوة الحق ، والدعوة هي الحق كما أضيفت الدار إلى الآخرة في قوله (وَلَدَارُ الْآخِرَةِ) وقد بينا ذلك فيما مضى ، وإنما عنى بالدعوة الحق : توحيد الله ، وشهادة أن لا إله إلا الله .

وبنحو الذى قلنا ، تأوله أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (دَعْوَةُ الْحَقِّ) قال : لا إله إلا الله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ) قال : شهادة أن لا إله إلا الله .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن هاشم ، قال : ثنا سيف ، عن أبي روق ، عن أبي أيوب ، عن علي رضي الله عنه (لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ) قال : التوحيد .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ) قال : لا إله إلا الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، في قوله (لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ) قال : لا إله إلا الله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ) : لا إله إلا الله ليست تنبغى لأحد غيره ، لا ينبغى أن يقال : فلان إله بنى فلان .

وقوله (وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ) يقول تعالى ذكره : والآلهة التي يدعونها المشركون أربابا وآلهة . وقوله (مِنْ دُونِهِ) يقول : من دون الله ، وإنما عنى بقوله (مِنْ دُونِهِ) الآلهة أنها مقصرة عنه ، وأنها لا تكون لها ، ولا يجوز أن يكون لها إلا الله الواحد القهار ؛ ومنه قول الشاعر :

أَتُوْعِدُنِي وَرَاءَ بَنِي رِيَّاحٍ كَذَبْتَ لَتَقْصُرَنَّ يَدَاكَ دُونِي ١

يعنى : لتقصرن يداك عنى .

وقوله (لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ) يقول : لا تجيب هذه الآلهة التي يدعوها هؤلاء المشركون آلهة بشيء يريدونه من نفع أو دفع ضرر (إِلَّا كَبَّاسِطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ) يقول : لا ينفع داعى الآلهة دعاؤه إياها إلا كما ينفع باسط كفيه إلى الماء ، بسطه إياهما إليه من غير أن يرفعه إليه فى إناء ، ولكن ليرتفع إليه بدعاؤه إياه ، وإشارته إليه ، وقبضه عليه ، والعرب تضرب لمن سعى فيما لا يدركه مثلا بالقابض على الماء . قال بعضهم :

فَاتْنِي وَإِيَّاكُمْ وَشَوْقًا إِلَيْكُمْ كَقَابِضِ مَاءٍ لَمْ تَسْقِهِ أَنَامِلُهُ ٢

يعنى بذلك : أنه ليس فى يده من ذلك ، إلا كما فى يد القابض على الماء ، لأن القابض على الماء لاشيء فى يده . وقال آخر :

فَأَصْبَحْتُ مَمَّا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا مِنْ الْوُدِّ مِثْلَ الْقَابِضِ الْمَاءَ بِالْيَدِ ٣
وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا سيف ، عن أبى روق ، عن أبى أيوب ، عن على بن رضى الله عنه ، فى قوله (إِلَّا كَبَّاسِطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَسْبُلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ) قال : كالرجل العطشان يمد يده إلى البئر ليرتفع الماء إليه وما هو ببالغه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شباة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (كَبَّاسِطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ) يدعو الماء بلسانه ، ويشير إليه بيده ، ولا يأتيه أبدا . قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنى الأعرج ، عن مجاهد (لِيَسْبُلُغَ فَاهُ) يدعوه ليأتيه وما هو بآتيه ، كذلك لا يستجيب من هو دونه .

(١) البيت لجرير (ديوانه طبعة الصاوى بالقاهرة ص ٥١٧) وهو من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣٢٦) قال فى شرح قوله تعالى : « والذين يدعون من دونه » مجازه : والذين يدعون غيره من دونه ، أى يقصرون عنه . و « يدعون » من الدعاء . ومجاز « دونه » مجاز « عنه » . قال : أتوعدنى وراء . . . الخ البيت ، « دونى » : أى عنى .
(٢) البيت لضابى بن الحارث البرجمى ، قال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣٢٧) عند تفسير قوله تعالى : « إلا كباسط كفيه إلى الماء ليلبغ فاه » : مجازه : إن الذى يبسط كفه ليقبض على الماء ، حتى يؤديه إلى فيه ، لا يتم له ذلك . ولم تسقه أنامله : أى تجمه . . . الخ . قال : يقول : ليس من يدى فى ذلك شيء ، كما أنه ليس فى يد القابض على الماء شيء . ومعنى : لم تسقه : لم تحمله (اللسان : وسق) . وفى الخزانة (١ : ٨٠) لم تطمه .
(٣) وهذا الشاهد أيضا من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣٢٧) . وهو فى معنى الشاهد الذى قبله . يقول : لم أظفر من حب هذه الحبيبة إلا بمثل ما يظفر به من يقبض على الماء بيده . أى أنه لم ينل من حبها شيئا ، كما أن القابض على الماء لا يجمع فى يده منه شيئا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (كَبَّاسِطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ) يدعو الماء بلسانه ، ويشير إليه بيده فلا يأتيه أبدا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ؛ قال : وثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثل حديث الحسن ، عن حجاج ، قال ابن جريج : وقال الأعرج عن مجاهد (لِيَبْلُغَ فَاهُ) قال : يدعو له لأن يأتيه وما هو بآتيه ، فكذلك لا يستجيب من هو دونه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَإِيِسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ) ، إلا كَبَّاسِطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ) وليس ببالغه حتى يتمزغ عنقه ويهلك عطشا ، قال الله تعالى (وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ) هذا مثل ضربه الله : أى هذا الذى يدعو من دون الله هذا الوثن وهذا الحجر لا يستجيب له بشىء أبدا ، ولا يسوق إليه خيرا ، ولا يدفع عنه سوءا حتى يأتيه الموت ، كمثل هذا الذى بسط ذراعيه إلى الماء ليبلغ فاه ، ولا يبلغ فاه ، ولا يصل إليه ذلك حتى يموت عطشا .

وقال آخرون : معنى ذلك : والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشىء إلا كَبَّاسِطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ) .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (كَبَّاسِطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ) فقال : هذا مثل المشرك مع الله غيره ، فشكله كمثل الرجل العطشان الذى ينظر إلى خياله فى الماء من بعيد ، فهو يريد أن يتناوله ، ولا يقدر عليه .

وقال آخرون فى ذلك ما حدثني به محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَإِيِسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ) . . . إلى (وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ) يقول : مثل الأوثان الذين يُعبدون من دون الله كمثل رجل قد بلغه العطش حتى كربه الموت وكفاه فى الماء قد وضعهما لا يبلغان فاه ، يقول الله : لا تستجيب الآلهة ، ولا تنفع الذين يعبدونها حتى يبلغ كفا هذا فاه ، وما هما ببالغتين فاه أبدا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَإِيِسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ) إلا كَبَّاسِطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ) قال : لا ينفعونهم بشىء إلا كما ينفع هذا بكفَيْهِ ، يعنى بسطهما إلى ما لا ينال أبدا .

وقال آخرون فى ذلك ما حدثنا به محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إِلَّا كَبَّاسِطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ) وليس الماء ببالغ فاه ما قام باسطا كفيه لا يقبضهما

(وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ) قال : هذا مثل ضربه الله لمن اتخذ من دون الله لها أنه غير نافع ، ولا يدفع عنه سوءا حتى يموت على ذلك .

وقوله (وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ) يقول : وما دعاء من كفر بالله ما يدعو من الأوثان والآلهة إلا في ضلال : يقول : إلا في غير استقامة ولا هُدًى ، لأنه يشرك بالله .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالًا لَهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿١٥﴾

يقول تعالى ذكره : فإن امتنع هؤلاء الذين يدعون من دون الله الأوثان والأصنام لله شركاء من أفراد الطاعة والإخلاص بالعبادة له ، فله يسجد من في السموات من الملائكة الكرام ، ومن في الأرض من المؤمنين به طوعا ، فأما الكافرون به ، فإنهم يسجدون له كرها حين يكرهون على السجود .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا) فأما المؤمن فيسجد طائعا ، وأما الكافر فيسجد كارها .

حدثني المثني ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن سفيان ، قال : كان ربيع بن خيثم إذا تلا هذه الآية (وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا) قال : بلى يا رباه . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا) قال : من دخل طائعا هذا طوعا ، وكرها من لم ير يدخل إلا بالسيف . وقوله (وَظِلَالًا لَهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ) يقول : ويسجد أيضا ظلال كل من سجد لله طوعا وكرها بالغدوات والعشايا ، وذلك أن ظل كل شخص فإنه ينفى بالعشى كما قال جل ثناؤه (أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُ ظِلَالَهُ عَنِ الِیَمَیْنِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ) . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَظِلَالًا لَهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ) يعني : حين ينفى ظل أحدهم عن يمينه أو شماله .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن سفيان ، قال في تفسير مجاهد (وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالًا لَهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ) قال : ظل المؤمن يسجد طوعا وهو طائع ، وظل الكافر يسجد طوعا وهو كاره .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (وَظِلَالًا لَهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ) قال : ذكر أن ظلال الأشياء كلها تسجد له ، وقرأ « سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ » قال : تلك الظلال

(١) كذا في الأصل المخطوط رقم ١٠٠ تفسير بدار الكتب المصرية . وفي الدر المنثور عن مجاهد : يسجد كرها وهو كاره .

تسجد لله، والآصال : جمع أصل، والأصل : جمع أصيل، والأصيل : هو العشي، وهو ما بين العصر إلى مغرب الشمس؛ قال أبو ذؤيب :

لَعَمْرِي لَأَنْتَ الْبَيْتُ أَكْرَمُ أَهْلُهُ وَأَقْعُدُ فِي أَفْيَائِهِ بِالْأَصَائِلِ (١)

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ نَفَعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾

❖ يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله من رب السموات والأرض ومدبرها ، فإنهم سيقولون الله ، وأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول الله ، فقال له : قل يا محمد : ربها الذي خلقها وأنشأها ، هو الذي لا تصلح العبادة إلا له ، وهو الله ، ثم قال : فإذا أجابوك بذلك فقل لهم : أفتأخذتم من دون رب السموات والأرض أولياء لا تملك لأنفسها نفعا تجلبه إلى نفسها ، ولا ضرا تدفعه عنها ، وهي إذ لم تملك ذلك لأنفسها ، فمن ملكه لغيرها أبعد فبعدتموها ، وتركتم عبادة من بيده النفع والضرر والحياة والموت ، وتدير الأشياء كلها ، ثم ضرب لهم جل ثناؤه مثلا ، فقال (قل هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ) .

● القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ، أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ، أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ ، فَتَشَبَّهُهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ، قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ، وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ :

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين عبدوا من دون الله ، الذي بيده نفعهم وضرهم ما لا ينفع ولا يضر ، هل يستوى الأعمى الذي لا يبصر شيئا ، ولا يهتدى لمحججة يسلكها ، إلا بأن يهتدى ، والبصير الذي يهتدى لمحججة الطريق الذي لا يبصر ، إنهما لاشك لغير مستويين ، يقول : فكذلك لا يستوى المؤمن الذي يبصر الحق فيتبعه ، ويعرف الهدى فيسلكه ؛ وأنتم أيها المشركون الذين لا تعرفون حقا ولا تبصرون رشدا .

(١) البيت لأبي ذؤيب الهدى (اللسان : أصل) قال : الأصيل : العشى ، والجمع : أصل وأصلان ، مثل بعير وبعران ، وآصال وأصائل ، كأنه جمع أصيلة . وقال الزجاج : آصال : جمع أصل . فهو على هذا جمع الجمع ، ويجوز أن يكون أصل واحدا كطنب واستشهد به أبو عبيدة في مجاز القرآن (١ : ٣٢٨) عند قوله تعالى « بالعشى والآصال » قال : واحدا : أصل ، وواحد الأصل : أصيل ، وهو ما بين العصر إلى مغرب الشمس ؛ وقال أبو ذؤيب . . . البيت .

وقوله (أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ) يقول تعالى ذكره: وهل تستوى الظلمات التي لا ترى فيها الحجّة فتُسلك، ولا يرى فيها السبيل فيركب، والنور الذي يبصر به الأشياء، ويجلو ضوءه الظلام، يقول: إن هذين لا شك لغير مستويين، فكذلك الكفر بالله، إنما صاحبه منه في حيرة يضرب أبداً في عمرة لا يرجع منه إلى حقيقة، والإيمان بالله صاحبه منه في ضياء يعمل على علم بربه، ومعرفة منه بأن له مثيباً يثيبه على إحسانه، ومعاقباً يعاقبه على إساءته، ورازقاً يرزقه، ونافعاً ينفعه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ، أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ): أما الأعمى والبصير، فالكافر والمؤمن؛ وأما الظلمات والنور، فالهوى والضلالة.

وقوله (أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ، فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء المشركين: أخلق أوثانكم التي اتخذتموها أولياء من دون الله كخلق الله، فاشتبه عليكم أمرها فيما خلقت وخلق الله، فجعلتموها له شركاء من أجل ذلك، أم إنما بكم الجهل والذهاب عن الصواب، فإنه لا يشكلى على ذى عقل أن عبادة ما لا يضر ولا ينفع من الفعل جهل، وأن العبادة إنما تصلح للذى يرجى نفعه، ويخشى ضرره، كما أن ذلك غير مُشكلى خطؤه وجهل فاعله، كذلك لا يشكلى جهل من أشرك في عبادة من يرزقه ويكفله ويمونه، من لا يقدر له على ضرر ولا نفع.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال بعض أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ) حملهم ذلك على أن شكوا في الأوثان.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله. حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حماد، عن ابن جريج، عن مجاهد (أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ، فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ) خلقوا كخلقهم، فحملهم ذلك على أن شكوا في الأوثان.

حدثنا الحسن بن محمد، قال: ثنا شابة، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله. قال: ثنا حماد، عن ابن جريج، قال: قال ابن كثير: سمعت مجاهداً يقول (أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ، فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ) ضربت مثلاً.

وقوله (قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل لهؤلاء

المشركين إذا أقرّوا لك أن أوثانهم التي أشركوها في عبادة الله لا تخلق شيئا ، فالله خالقكم وخالق أوثانكم ، وخلق كل شيء ، فما وجه إشراككم ما لا تخلق ولا تضر .

وقوله (وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) يقول : وهو الفرد الذي لا ثاني له ، القهار الذي يستحق الألوهة والعبادة ، لا الأصنام والأوثان التي لا تضر ولا تنفع .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حَلِيَّةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾

قال أبو جعفر : وهذا مثل ضرب به الله للحق والباطل ، والإيمان به والكفر ، يقول تعالى ذكره : مثل الحق في ثباته ، والباطل في اضمحلاله ، مثل ماء أنزله الله من السماء إلى الأرض (فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا) يقول : فاحتملته الأودية بملأها الكبير بكبره ، والصغير بصغره (فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا) يقول : فاحتمل السيل الذي حدث عن ذلك الماء الذي أنزله الله من السماء زبدا عاليا فوق السيل ، فهذا أحد مثالي الحق والباطل ، فالحق هو الماء الباقي الذي أنزله الله من السماء ، والزبد الذي لا ينتفع به هو الباطل . والمثل الآخر (وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حَلِيَّةٍ) يقول جل ثناؤه : ومثل آخر للحق والباطل ، مثل فضة أو ذهب يُوقد عليها الناس في النار ، طلب حلية يتخذونها ، أو متاع ، وذلك من النحاس والرصاص والحديد ، يوقد عليه ليتخذ منه متاع ينتفع به (زَبَدٌ مِثْلُهُ) يقول تعالى ذكره : ومما يوقدون عليه من هذه الأشياء زبد مثله ، بمعنى : مثل زبد السيل لا ينتفع به ويذهب باطلا ، كما لا ينتفع بزبد السيل ويذهب باطلا . ورفع الزبد بقوله (وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ) ومعنى الكلام : ومما يوقدون عليه في النار زبد مثل زبد السيل في بطول زبده ، وبقاء خالص الذهب والفضة . يقول الله تعالى (كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ) يقول : كما مثل الله الإيمان والكفر في بطول الكفر ، وخيبة صاحبه عند مجازاة الله بالباقي النافع من ماء السيل وخالص الذهب والفضة ، كذلك يمثل الله الحق والباطل (فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً) يقول : فأما الزبد الذي علا السيل ، والذهب والفضة والنحاس والرصاص عند الوقود عليها ، فيذهب بدفع الرياح وقذف الماء به ، وتعلقه بالأشجار وجوانب الوادي (وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ) من الماء والذهب والفضة والرصاص والنحاس ، فالماء يمشك في الأرض فتشربه ، والذهب والفضة تمكث للناس (كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ) يقول : كما مثل هذا المثل للإيمان والكفر ، كذلك يمثل الأمثال .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله (أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا) فهذا مثل ضرب به الله احتملت منه القلوب على قدر يقينها وشكها ، فأما الشك فلا ينفع معه العمل ، وأما اليقين فينفع الله به أهله ، وهو قوله (فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذَرُ هَبًّا جُفَاءً) وهو الشك (وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُتُ فِي الْأَرْضِ) وهو اليقين ، كما يجعل الحلى فى النار ، فيؤخذ خالصه ، ويترك خبثه فى النار ، فكذلك يقبل الله اليقين ، ويترك الشك .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبىه ، عن ابن عباس قوله (أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ، فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا) يقول : احتمل السيل ما فى الوادى من عود ودمنة (وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ) فهو الذهب والفضة والحلية والمتاع والنحاس والحديد ، وللنحاس والحديد خبث ، فجعل الله مثل خبثه كزبد الماء (فَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ) فالذهب والفضة ، وأما ما ينفع الأرض فما شربت من الماء فأنبئت ، فجعل ذلك مثل العمل الصالح يبقى لأهله ، والعمل السيئ يضمحل عن أهله ، كما يذهب هذا الزبد ، فكذلك الهدى والحق جاء من عند الله ، فمن عمل بالحق كان له ، وبقي كما يبقى ما ينفع الناس فى الأرض ، وكذلك الحديد لا يستطيع أن يجعل منه سكين ولا سيف حتى يدخل فى النار فتأكل خبثه ، فيخرج جوده فينتفع به ، فكذلك يضمحل الباطل إذا كان يوم القيامة وأقيم الناس ، وعرضت الأعمال ، فيرى الباطل ويهلك ، وينتفع أهل الحق بالحق ، ثم قال (وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حَلِيَّةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ) .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ) . . . إلى (أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ) فقال : ابتغاء حلية الذهب والفضة ، أو متاع الصفر والحديد ، قال : كما أوقد على الذهب والفضة والصفر والحديد فخلص خالصه ، قال (كذلك يضرب الله الحق والباطل) ، فأما الزبد فَيَذَرُ هَبًّا جُفَاءً ، وأما ما يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُتُ فِي الْأَرْضِ) كذلك بقاء الحق لأهله فانتفعوا .

حدثنا الحسن بن محمد الزعفرانى ، قال : ثنا حماد بن محمد ، قال : قال ابن جريج : أخبرنى عبد الله بن كثير أنه سمع مجاهدا يقول (أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا) قال : ما أطاقت ملأها (فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا) قال : انقضت الكلام ، ثم استقبل فقال (وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حَلِيَّةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ) قال : المتاع : الحديد والنحاس والرصاص وأشباهه ، زبد مثله ، قال : خبث ذلك مثل زبد السيل . قال (وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُتُ فِي الْأَرْضِ) - فأما الزبد فَيَذَرُ هَبًّا جُفَاءً) قال : فذلك مثل الحق والباطل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حماد ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن

(١) قرأ « يوقدون » بالياء : حميد ، وابن محيصن ، والأعمش ، وحمزة ، والكسائى ، وحفص ، وقرأ الباقون بالتاء المثناة الفوقية .

مجاهد ، أنه سمعه يقول ، فذكر نحوه . وزاد فيه : قال : قال ابن جريج : قال مجاهد : قوله (فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً) قال : جمودا في الأرض (وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ) يعني الماء وهما مثلان : مثل الحق والباطل .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (زَبَدًا رَابِيًا) السيل مثل خبث الحديد والحلية (فَيَذْهَبُ جُفَاءً) جمودا في الأرض (وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حُلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ) الحديد والنحاس والرصاص وأشباهه . وقوله (وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ) إنما هما مثلان للحق والباطل .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : وثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، يزيد أحدهما على صاحبه في قوله (فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا) قال : بملئها ، (فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا) قال : الزبد : السيل (ابْتِغَاءَ حُلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ) قال : خبث الحديد والحلية (فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً) قال : جمودا في الأرض (وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ) قال : الماء وهما مثلان للحق والباطل حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا) الصغير بصغره ، والكبير بكبره (فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا) ، أي عاليا (وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حُلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ) ، كذلك يضرب الله الحق والباطل ، فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً) والجفاء : ما يتعلق بالشجر (وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ) هذه ثلاثة أمثال ضربها الله في مثل واحد . يقول : كما اضمحل هذا الزبد فصار جفاء لا ينتفع به ولا ترجى بركته ، كذلك يضمحل الباطل عن أهله ، كما اضمحل هذا الزبد ، وكما مكث هذا الماء في الأرض ، فأمرعت هذه الأرض ، وأخرجت نباتها ، كذلك يبقى الحق لأهله ، كما بقي هذا الماء في الأرض ، فأخرج الله به ما أخرج من النبات . قوله (وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ) . . . الآية ، كما يبقى خالص الذهب والفضة ، حين أدخل النار وذهب خبثه ، كذلك يبقى الحق لأهله . قوله (أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ) يقول : هذا الحديد والصفر الذي ينتفع به ، فيه منافع : يقول : كما يبقى خالص هذا الحديد وهذا الصفر حين أدخل النار وذهب خبثه ، كذلك يبقى الحق لأهله كما بقي خالصهما .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا) الكبير بقدره ، والصغير بقدره (زَبَدًا رَابِيًا) قال : ربا فوق الماء الزبد (وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ) قال : هو الذهب إذا أدخل النار بقي صفوه ونقى ما كان من كدره ، وهذا مثل ضربه الله للحق والباطل (فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً) يتعلق بالشجر فلا يكون شيئا مثل الباطل (وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ) وهذا يخرج النبات ، وهو مثل الحق (أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ) قال : المتاع : الصفر والحديد .

حدثنا الحسن بن محمد، قال : ثنا هُوَذَةُ بن خليفة ، قال : ثنا عوف ، قال : بلغني في قوله (أنزلَ من السماء ماءً فسالتْ أوديةً بِقَدَرِها) قال : إنما هو مثل ضربه الله للحقّ والباطل ، (فسالتْ أوديةً بِقَدَرِها) الصغير على قدره ، والكبير على قدره ، وما بينهما على قدره (فاحتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا) يقول : عظيمًا ، وحيث استقرّ الماء يذهب الزبد جُفَاء فتطير به الريح ، فلا يكون شيئًا ، ويبقى صريح الماء الذي ينفع الناس منه شراهم ونباتهم ومنفعتهم (أو متاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ) ومثل الزبد كل شيء يوقد عليه في النار الذهب والفضة والنحاس والحديد ، فيذهب خبثه ، ويبقى ما ينفع في أيديهم ، والخبث والزبد مثل الباطل ، والذي ينفع الناس مما تحصل في أيديهم مما ينفعهم المال الذي في أيديهم .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (و مما يوقدُونَ عَلَيْهِ في النارِ ابتِغَاءَ حَلِيَّةٍ أو متاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ) قال : هذا مثل ضربه الله للحقّ والباطل ، فقرأ (أنزلَ من السماء ماءً فسالتْ أوديةً بِقَدَرِها ، فاحتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا) هذا الزبد لا ينفع (أو متاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ) هذا لا ينفع أيضا ، قال : وبقي الماء في الأرض فنفع الناس ، وبقي الحلي الذي صلح من هذا ، فانتفع الناس به (فأما الزَبَدُ فَيَذَرُ جُفَاءً ، وأما ما يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ في الأرضِ ، كذلك يَضْرِبُ اللهُ الأمثالَ) وقال : هذا مثل ضربه الله للحقّ والباطل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : (أوديةً بِقَدَرِها) قال : الصغير بصغره ، والكبير بكبره .
حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا طلحة بن عمرو ، عن عطاء : ضرب الله مثلا للحقّ والباطل ، فضرب مثل الحقّ ، كمثل السيل الذي يمكث في الأرض ، وضرب مثل الباطل ، كمثل الزَبَد الذي لا ينفع الناس ، وعنى بقوله (رَابِيًا) : عاليا منتفخا ، من قولهم : ربا الشيء يربو ربوا فهو راب ، ومنه قيل للنشز من الأرض كهيئة الأكمة : رابية ؛ ومنه قول الله تعالى (اهتَزَّتْ وَرَبَّتْ) ، وقيل للنحاس والرصاص والحديد في هذا الموضع : المتاع ، لأنه يُسْتَمْتَعُ به ، وكل ما يتمتع به الناس فهو متاع ؛ كما قال الشاعر :

تَمْتَعُ يَا مُشَعَّثُ إِنَّ شَيْئًا سَبَقَتْ بِهِ الْمَمَاتَ هُوَ الْمَتَاعُ^١

وأما الجُفَاءُ فإني حدثت عن أبي عبيدة معمر بن المثنى ، قال : قال أبو عمرو بن العلاء ، يقال : قد أجمت القيدر ، وذلك إذا غلّت فانصب زَبَدُها ، أو سكنت فلا يبقى منه شيء^٢ . وقد زعم بعض أهل العربية من أهل البصرة ، أن معنى قوله (فَيَذَرُ جُفَاءً) تَنَشَّفُهُ الأرض ، وقال : يقال : جفا الوادي وأجفى في معنى نَشَفٍ ، وانجفى الوادي : إذا جاء بذلك الغطاء ، وغنى الوادي فهو يَغْنِي غَشِيًا وغَشِيَانًا ، وذكر عن

(١) البيت للمشعث العامري ، ذكره المرزباني في معجم الشعراء ، في مقطوعة له يخاطب نفسه . وذكره أبو عبيدة في مجاز القرآن (١ : ٣٢٨) شاهدا على معنى المتاع في قوله تعالى « أو متاع زبد » مثله . وأورده صاحب (اللسان : متع) شاهدا على معنى المتاع ؛ قال : والمتاع : كل ما ينتفع به من عروض الدنيا قليلها وكثيرها . وكذلك أنشده صاحب تاج العروس : (متع) .
(٢) نقله في مجاز القرآن (١ : ٣٢٩) والقرطبي (٩ : ٣٠٥) .

العرب أنها تقول: جَفَأَتْ القَدَرُ أَجْفَأَتْهَا: إذا أخرجت جُفَاءَهَا، وهو الزَّبَدُ الذي يعلوها، وأجْفَأَتْهَا إِجْفَاءً لُغَةً. قال: وقالوا: جَفَأَتْ الرجلُ جَفَاءً: صرعته. وقيل: (فَيَذْهَبُ جُفَاءً) بمعنى جَفَأَتْ، لأنه مصدر من قول القائل: جَفَأَ الوادي غُثَاءَهُ، فمَخْرَجَ مَخْرَجَ الاسم وهو مصدر، كذلك تفعل العرب في مصدر كل ما كان من فعل شيء اجتمع بعضه إلى بعض كالقماش والدُّقَّاق والحطام والغُثَاءُ، تخرجه على مذهب الاسم، كما فعلت ذلك في قولهم: أعطيته عطاءً، بمعنى الإِعْطَاءِ، ولو أريد من القماش المصدر على الصحة ل قيل: قد قَمَشْتَهُ قَمَشًا ١.

القول في تأويل قوله تعالى:

لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٥٩﴾

❖ يقول تعالى ذكره: أما الذين استجابوا لله فآهونوا به حين دعاهم إلى الإيمان به وأطاعوه فاتبعوا رسوله وصدقوه فيما جاءهم به من عند الله، فإن لهم الحسنَى، وهي الجنة. كذلك حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى) وهي الجنة.

وقوله (وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ) يقول تعالى ذكره: وأما الذين لم يستجيبوا له حين دعاهم إلى توحيدهِ والإقرار بربوبيته، ولم يطيعوه فيما أمرهم به، ولم يتبعوا رسوله فيصدقوه فيما جاءهم به من عند ربهم، فلو أن لهم ما في الأرض جميعاً من شيء ومثله معه ملكاً لهم، ثم مثل ذلك وقبيل ذلك من العذاب الذي أعدّه الله لهم في نار جهنم، وعضوا لافتدوا به أنفسهم منه، يقول الله (أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ) يقول: هؤلاء الذين لم يستجيبوا لله لهم سوء الحساب: يقول: لهم عند الله أن يأخذهم بذنوبهم كلها، فلا يغفر لهم منها شيئاً، ولكن يعذبهم على جميعها.

كما حدثنا الحسن بن عرفة، قال: ثنا يونس بن محمد، قال: ثنا عون، عن فرقد السبَخِيّ، قال: قال لنا شهر بن حوشب (سوءُ الحسابِ) أن لا يتجاوز لهم عن شيء. حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عليه، قال: ثنا الحجاج بن أبي عثمان، قال: ثنا فرقد السبَخِيّ، قال: قال إبراهيم النخعي: يافرقد أتدرى ما سوء الحساب؟ قلت: لا، قال: هو أن يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر له منه شيء.

وقوله (وَمَا وَآهْمُ جَهَنَّمَ) يقول: ومسكنهم الذي يسكنونه يوم القيامة جهنم (وَبِئْسَ الْمِهَادُ) يقول: وبئس الفراش والوطاء جهنم، التي هي مأواهم يوم القيامة.

(١) هذا القول للفراء في معاني القرآن (الصفحة ١٥٩). وفي (اللسان: جفا).

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ١١

يقول تعالى ذكره: أهذا الذي يعلم أن الذي أنزله الله عليك يا محمد حق، فيؤمن به، ويصدق ويعمل بما فيه، كالذي هو أعمى، فلا يعرف موقع حجة الله عليه به، ولا يعلم ما ألزمه الله من فرائضه. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا إسحاق، قال: ثنا هشام، عن عمرو، عن سعيد، عن قتادة في قوله (أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ) قال: هؤلاء قوم انتفعوا بما سمعوا من كتاب الله وعقلوه ووعوه، قال الله (كَمَنْ هُوَ أَعْمَى) قال: عن الخير فلا يبصره. وقوله (إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ) يقول: إنما يتعظ بآيات الله، ويعتبر بها ذوو العقول، وهي الأبواب، واحدها: لُبٌّ.

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ ١٢ ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ ١٣

يقول تعالى ذكره: إنما يتعظ ويعتبر بآيات الله أولو الأبواب الذين يوفون بوصية الله التي أوصاهم، (ولا ينقضون الميثاق) ولا يخالفون العهد الذي عاهدوا الله عليه إلى خلافه، فيعملوا بغير ما أمرهم به، ويخالفوا إلى ما نهى عنه.

وقد بينا معنى العهد والميثاق فيما مضى بشواهد، فأغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني المثني، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا هشام، عن عمرو، عن سعيد، عن قتادة، قال (إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ) فقال (الَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ) فعلمت بوفاء العهد، ولا تنقضوا هذا الميثاق، فإن الله تعالى قد نهى وقدّم فيه أشدّ التقدمة، فذكره في بضع وعشرين موضعا، نصيحة لكم، وتقدمة إليكم، وحثّجه عليكم، وإنما يعظم الأمر بما عظّمه الله به عند أهل الفهم والعقل، فعظّموا ما عظم الله. قال قتادة: وذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في خطبته: « لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له ».

وقوله (وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ) يقول تعالى ذكره: والذين يصلون الرحم التي أمرهم الله بوصولها ، فلا يقطعونها (وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ) يقول: ويخافون الله في قطعها أن يقطعوها ، فيعاقبهم على قطعها ، وعلى خلافهم أمره فيها. وقوله (وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ) يقول: ويحذرون مناقشة الله إياهم في الحساب ، ثم لا يصفح لهم عن ذنب ، فهم لرهبتهم ذلك جادون في طاعته ، محافظون على حدوده .

كما حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا جعفر بن سليمان ، عن عمرو بن مالك ، عن أبي الجوزاء ، في قوله (الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ) قال : المناقشة بالأعمال . قال : ثنا عفان ، قال : ثنا حماد ، عن فرقد ، عن إبراهيم ، قال : سوء الحساب أن يحاسب . من لا يغفر له حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ) قال : فقال : وما سوء الحساب ؟ قال : الذي لا جواز فيه .

حدثني ابن سنان القزاز ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن الحجاج ، عن فرقد ، قال : قال لي إبراهيم : تدري ما سوء الحساب ؟ قلت : لا أدري ، قال : يحاسب العبد بذنبه كله لا يغفر له منه شيء .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرءُونَ بِالْحَسَنَةِ
السَّيِّئَةِ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿١٣﴾

❖ يقول تعالى ذكره (وَالَّذِينَ صَبَرُوا) على الوفاء بعهد الله ، وترك نقض الميثاق ، وصلة الرحم (ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ) ويعنى بقوله « ابتغاء وجه ربهم » طلب تعظيم الله ، وتنزيها له أن يخالف في أمره ، أو يأتي أمره إتيانه فيعصيه به (وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ) يقول : وأدوا الصلاة المفروضة بحدودها في أوقاتها (وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً) يقول : وأدوا من أموالهم زكاتها المفروضة ، وأنفقوا منها في السبل التي أمرهم الله بالنفقة فيها ، سرا في خفاء ، وعلانية في الظاهر .

كما حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ) يعنى الصلوات الخمس (وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً) يقول الزكاة . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد الصبر : الإقامة ، قال : وقال الصبر في هاتين ، فصبر لله على ما أحب وإن ثقل على الأنفس والأبدان ، وصبر عما يكره وإن نازعت إليه الأهواء ، فن كان هكذا فهو من الصابرين وقرأ (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنَغْنَمُ عُقْبَى الدَّارِ) . وقوله (وَيَدْرءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ) يقول : ويدفعون إساءة من أساء إليهم من الناس ، بالإحسان إليهم .

(١) في الأصل المخطوط رقم ١٠٠ تفسير (ج ١٣ ص ١٥٤ ظ) أبي الحفنا ، وهو تحريف من الناسخ ، لأن عمرو بن مالك النكري ، بضم النون أبو يحيى البصرى ، يروى عن أبي الجوزاء ، لأبي الحفنا ، كما في خلاصة الحزرجى .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَيَدْرَعُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ) قال : يدفعون الشرّ بالخير ، لا يكافئون الشرّ بالشرّ ، ولكن يدفعونه بالخير .
وقوله (أُولَئِكَ لَهُمْ عُقُوبَى الدَّارِ) يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين وصفنا صفتهم هم الذين لهم عُقُوبَى الدار ، يقول : هم الذين أعقبهم الله دار الجنان ، من دارهم التي لو لم يكونوا مؤمنين كانت لهم في النار ، فأعقبهم الله من تلك هذه . وقد قيل : معنى ذلك : أولئك الذين لهم عُقُوبَى طاعتهم ربهم في الدنيا دار الجنان .

القول في تأويل قوله تعالى :

جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾

❖ يقول تعالى : (جَنَّاتٌ عَدْنٌ) ترجمة عن عُقْبَى الدار ، كما يقال : نعم الرجل عبد الله ، فعبد الله هو الرجل المقول له : نعم الرجل ، وتأويل الكلام : أولئك لهم عُقُوبَى طاعتهم ربهم الدار التي هي جنات عدن . وقد بينا معنى قوله : عدن ، وأنه بمعنى الإقامة التي لا طَعْنَ معها .
وقوله (وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ) يقول تعالى ذكره : جنات عدن يدخلها هؤلاء الذين وصفت صفتهم ، وهم الذين يوفون بعهد الله ، والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ، والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم ، وأقاموا الصلاة ، وفعلوا الأفعال التي ذكرها جل ثناؤه في هذه الآيات الثلاث (وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ) وَهِيَ نِسَاؤُهُمْ وَأَهْلُوهُمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ، وصلاحهم إيمانهم بالله واتباعهم أمره ، وأمر رسوله عليه الصلاة والسلام .

كما حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شباغة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ) قال : من آمن في الدنيا .

حدثني المنثي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، وثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ) قال : من آمن من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم .

وقوله (وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ) يقول تعالى ذكره : وتدخل الملائكة على هؤلاء الذين وصف جل ثناؤه صفتهم في هذه الآيات الثلاث في جنات عدن ، من كل باب منها ، يقولون لهم : (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ) على طاعة ربكم في الدنيا (فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ) وذكر أن جنات عدن خمسة آلاف باب .

حدثني المنثي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا علي بن جرير ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن يعلى بن

عطاء ، عن نافع بن عاصم ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : إن في الجنة قصرا يقال له عدن ، حوله البروج والمروج ، فيه خمسة آلاف باب ، على كل باب خمسة آلاف حبرة ، لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد . قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مغراء ، عن جويبر ، عن الضحاك ، في قوله (جَنَّاتٌ عَدْنٌ) قال : مدينة الجنة ، فيها الرسل والأنبياء والشهداء ، وأئمة الهدى ، والناس حولهم بعدد الجنات حولها . وحذف من قوله (وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ) يقولون اكتفاء بدلالة الكلام عليه ، كما حذف ذلك من قوله (وَلَا وَتَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسَ رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن بقرية بن الوليد ، قال : ثنا أروطة ابن المنذر ، قال : سمعت رجلا من مشيخة الجند يقال له أبو الحجاج ، يقول : جلست إلى أبي أمية فقال : « إن المؤمن ليكون متكئا على أريكته إذا دخل الجنة ، وعنده سباطان من خدم ، وعند طرف السماء سور ، فيقبل المملك يستأذن ، فيقول للذي يليه : ملك يستأذن ، ويقول الذي يليه : ملك يستأذن ، ويقول الذي يليه للذي يليه ملك يستأذن ، حتى يبلغ المؤمن فيقول : ائذنوا ، فيقول : أقر بهم إلى المؤمن ائذنوا ، ويقول الذي يليه للذي يليه ائذنوا ، فكذلك حتى يبلغ أقصاهم الذي عند الباب ، فيفتح له ، فيدخل فيسلم ثم ينصرف » .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن إبراهيم بن محمد ، عن سهل بن أبي صالح ، عن محمد بن إبراهيم ، قال : « كان النبي صلى الله عليه وسلم يأتي قبور الشهداء على رأس كل حول فيقول : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ، وأبو بكر وعمر وعثمان » . وأما قوله (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ) فإن أهل التأويل قالوا في ذلك ، نحو قولنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، عن جعفر بن سليمان ، عن أبي عمران الجوني أنه تلا هذه الآية (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ) قال : على دينكم . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ) قال : حين صبروا لله بما يحبه الله فقدّموه ، وقرأ (وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا) حتى بلغ (وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا) وصبروا عما كره الله وحرّم عليهم ، وصبروا على ما ثقل عليهم وأحبه الله ، فسلم عليهم بذلك ، وقرأ (وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ . سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ) .

وأما قوله (فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ) فإن معناه : إن شاء الله كما حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، عن جعفر ، عن أبي عمران الجوني في قولهم (فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ) قال : الجنة من النار .

(١) من هنا : للبدل ، أي الجنة بدل النار .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ
أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿١٥﴾

❖ يقول تعالى ذكره : (وَ) أما (الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ) ، ونقضهم ذلك : خلاف فهم أمر الله ، وعملهم بمعصيته (مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ) يقول : من بعد ما وثقوا على أنفسهم لله أن يعملوا بما عهد إليهم (وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ) يقول : ويقطعون الرحم التي أمرهم الله بوصلها (وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ) فسادهم فيها : عملهم بمعاصي الله (أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ) يقول : فهؤلاء لهم اللعنة ، وهي البعد من رحمته ، والإقصاء من جنانه (وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) يقول : ولهم ما يسوءهم في الدار الآخرة .
حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قال أكبر الكبائر : الإشراف بالله ، لأن الله يقول (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ) ، ونقض العهد ، وقطيعة الرحم ، لأن الله تعالى يقول (أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) يعني : سوء العاقبة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حماد ، قال : قال ابن جريج ، في قوله (وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ) قال : بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِذَا لَمْ تَمْشِ إِلَى ذِي رَحِمِكَ بِرِجْلِكَ وَ لَمْ تُعْطِهِ مِنْ مَالِكَ فَقَدْ قَطَعْتَهُ » .

حدثني محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن مصعب ابن سعد ، قال : سألت أبي عن هذه الآية (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا. الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) أهم الحرورية؟ قال : لا ، ولكن الحرورية (الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ) ، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ، ويفسدون في الأرض ، أولئك لهم اللعنة ، ولهم سوء الدار (فكان سعد يسميهم الفاسقين) .

حدثنا ابن المثني ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، قال : سمعت مصعب بن سعد ، قال : كنت أمسك على سعد المصحف ، فأتى على هذه الآية ، ثم ذكر نحو حديث محمد بن جعفر .

القول في تأويل قوله تعالى :

اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴿١٦﴾

❖ يقول تعالى ذكره : الله يوسع على من يشاء من خلقه في رزقه ، فيبسط له منه ، لأن منهم من لا يصلحه

إلا ذلك (وَيَقْدِرُ) يقول : ويقتر على من يشاء منهم في رزقه وعيشه ، فيضيقه عليه ، لأنه لا يصلحه إلا الإقتار (وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا) يقول تعالى ذكره : وفرح هؤلاء الذين بسط لهم في الدنيا من الرزق على كفرهم بالله ، ومعصيتهم إياه بما بسط لهم فيها ، وجهلوا ما عند الله لأهل طاعته ، والإيمان به في الآخرة من الكرامة والنعيم ، ثم أخبر جل ثناؤه عن قدر ذلك في الدنيا فيما لأهل الإيمان به عنده في الآخرة وأعلم عباده قلته ، فقال (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ) يقول : وما جميع ما أعطى هؤلاء في الدنيا من السعة ، وبسط لهم فيها من الرزق ورغد العيش فيما عند الله لأهل طاعته في الآخرة إلا متاع قليل ، وشيء حقير ذاهب .

كما حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِلَّا مَتَاعٌ) قال : قليل ذاهب .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد . قال : وثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ) قال : قليل ذاهب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن بكير بن الأحنس ، عن عبد الرحمن بن سابط في قوله (وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ) قال : كزاد الراعي يزوده أهله الكف من التمر ، أو الشيء من الدقيق ، أو الشيء يشرب عليه اللبن .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّا اللَّهُ يَصِلُ مِنْ نِشَاءٍ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنْابَ ﴿١٧﴾

❖ يقول تعالى ذكره : ويقول لك يا محمد مشركو قومك : هلا أنزل عليك آية من ربك ، إما ملكك يكون معك نذيرا ، أو يلقي إليك كنز ، فقل : إن الله يصل من نشاء أيها القوم فيخذله عن تصديقي ، والإيمان بما جئته به من عند ربي ، ويهدي إليه من أناب ، فرجع إلى التوبة من كفره ، والإيمان به ، فيوفقه لاتباعي وتصديقي به على ما جئته به من عند ربه ، وليس ضلال من يصل منكم بأن لم ينزل على آية من ربي ولا هداية من يهتدي منكم بأنها أنزلت علي ، وإنما ذلك بيد الله ، يوفق من يشاء منكم للإيمان ، ويخذل من يشاء منكم فلا يؤمن . وقد بيّنت معنى الإنابة في غير موضع من كتابنا هذا بشواهد بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنْابَ) : أى من تاب وأقبل .

القول في تأويل قوله تعالى :

الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴿٢٩﴾

يقول تعالى ذكره : (وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنْابَ) بالتوبة الذين آمنوا ، والذين آمنوا في موضع نصب ردّ على مَنْ ، لأن الذين آمنوا هم من أناب ، ترجم بها عنها .

وقوله (وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ) يقول : وتسكن قلوبهم وتستأنس بذكر الله .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ

بِذِكْرِ اللَّهِ) يقول : سكنت إلى ذكر الله ، واستأنست به .

وقوله (أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) يقول : ألا بذكر الله تسكن وتستأنس قلوب المؤمنين .

وقيل : إنه عنى بذلك قلوب المؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله

(أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) لمحمد وأصحابه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثنا المثنى قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا

عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) قال : لمحمد وأصحابه .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أحمد بن يونس قال : ثنا سفيان بن عيينة في قوله (وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ

بِذِكْرِ اللَّهِ) قال : هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم .

وقوله (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) الصالحات من الأعمال ، وذلك العمل بما أمرهم ربهم ،

(طُوبَىٰ لَهُمْ) وطوبى في موضع رفع بلهم . وكان بعض أهل البصرة والكوفة يقول ذلك رفع ، كما يقال

في الكلام : وَيَلِّ لِعَمْرُو ، وإنما أوتر الرفع في طُوبَىٰ لحسن الإضافة فيه بغير لام ، وذلك أنه يقال فيه

طوباك ، كما يقال : وَيَلِّكَ وَيَيْبُكَ ، ولولا حسن الإضافة فيه بغير لام لكان النصب فيه أحسن وأفصح ،

كما النصب في قولهم : تَعَسَا لزيد وبُعَدَا له وسَحَقَا أحسن ، إذ كانت الإضافة فيها بغير لام لا تحسن .

وقد اختلف أهل التأويل في تأويل قوله (طُوبَىٰ لَهُمْ) فقال بعضهم : معناه : نِعْمَ مَا لَهُمْ .

ذكر من قال ذلك

حدثني جعفر بن محمد البروري (١) من أهل الكوفة ، قال : ثنا أبو زكريا الكلبى ، عن عمرو بن نافع ،

قال : سئل عكرمة ، عن طوبى لهم ، قال : نِعْمَ مَا لَهُمْ .

(١) لم أعثر على هذا الراوى ولا نسبته في تهذيب التهذيب ولا في الأنساب للسماعى ، ولعل في لفظ النسبة تحريفا .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عمرو بن نافع ، عن عكرمة ، في قوله (طُوْبِي لَهُمْ) قال : نِعِمَّ مَا لَهُمْ .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا عمرو بن نافع ، قال : سمعت عكرمة ، في قوله (طُوْبِي لَهُمْ) قال : نِعِمَّ مَا لَهُمْ .

وقال آخرون : معناه : غِبْطَةٌ لَهُمْ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا أبو خالد الأحمر ، عن جوير ، عن الضحاك (طُوْبِي لَهُمْ) قال : غِبْطَةٌ لَهُمْ .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مغراء ، عن جوير ، عن الضحاك ، مثله .

قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جوير ، عن الضحاك ، مثله .

وقال آخرون : معناه : فَرَحٌ وَقَرَّةٌ عَيْنٍ .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن داود المثني بن إبراهيم ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (طُوْبِي لَهُمْ) يقول : فَرَحٌ وَقَرَّةٌ عَيْنٍ .

وقال آخرون : معناه : حُسْنَتِي لَهُمْ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (طُوْبِي لَهُمْ) يقول : حُسْنَتِي لَهُمْ ، وهي كلمة من كلام العرب .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (طُوْبِي لَهُمْ) هذه كلمة عربية ، يقول الرجل : طُوْبِي لَكَ : أي أصبت خيرا .

وقال آخرون : معناه : خير لهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (طُوْبِي لَهُمْ) قال : اسم الجنة بالحبشية .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (طُوْبِي لَهُمْ) قال : اسم الجنة بالحبشية .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن مشجوع في قوله (طُوْبَى لَهُمْ) قال طُوْبَى : اسم الجنة بالهندية .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا داود بن مهران ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن مشجوع ، قال : اسم الجنة بالهندية : طُوْبَى .

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا سفيان ، عن السدي ، عن عكرمة (طُوْبَى لَهُمْ) قال : الجنة .

قال : ثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (طُوْبَى لَهُمْ) قال : الجنة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوْبَى لَهُمْ) قال : لما خلق الله الجنة ، وفرغ منها قال (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوْبَى لَهُمْ) وذلك حين أعجبه .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن ليث ، عن مجاهد (طُوْبَى لَهُمْ) قال الجنة . وقال آخرون : (طُوْبَى لَهُمْ) : شجرة في الجنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا قرة بن خالد ، عن موسى بن سالم ، قال : قال ابن عباس (طُوْبَى لَهُمْ) : شجرة في الجنة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الأشعث بن عبد الله ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي هريرة (طُوْبَى لَهُمْ) : شجرة في الجنة يقول لها : تفتقي لعبدي عما شاء ، فتفتق له عن الخيل بسروجها ورجلها ، وعن الإبل بأزمته ، وعما شاء من الكسوة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن شهر بن حوشب . قال : طوبى : شجرة في الجنة ، كل شجر الجنة منها ، أغصانها من وراء سور الجنة .

حدثني المثني ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن الأشعث ، بن عبد الله ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي هريرة قال : في الجنة شجرة يقال لها طُوْبَى ، يقول الله لها : تفتقي ، فذكر نحو حديث بن عبد الأعلى ، عن ابن ثور .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الجبار ، قال : ثنا مروان ، قال : أخبرنا العلاء ، عن شمّر بن عطية ، في قوله (طُوْبَى لَهُمْ) قال : هي شجرة في الجنة يقال لها طوبى .

حدثني المثني ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن سفيان ، عن منصور ، عن حسان أبي الأشرس ، عن مغيث بن سمي ، قال : طُوْبَى : شجرة في الجنة ، ليس في الجنة دار إلا فيها غصن

منها ، فيجىء الطائر فيقع فيدعوه ، فيأكل من أحد جنبيه قديداً ، ومن الآخر شواء ، ثم يقول : طير فيطير .
قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن بعض أهل الشام ، قال : إن ربك أخذ لؤلؤة فوضعها
على راحتيه ، ثم دملجها بين كفتيه ، ثم غرسها وسط أهل الجنة ، ثم قال لها : امتدى حتى تبلغى مرضاتى ،
ففعلت ، فلما استوت تفجرت من أصولها أنهار الجنة ، وهى طوبى .

حدثنا الفضل بن الصباح ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم الصنعاني ، قال : ثنى عبد الصمد بن
معقل ، أنه سمع وهبا يقول : إن فى الجنة شجرة يقال لها : طوبى ، يسير الراكب فى ظلها مئة عام لا يقطعها ؛
زهرا رباط ، وورقها برود ، وقضبانها عنبر ، وبطحاؤها ياقوت ، وترابها كافور ، ووحلها مسك ،
يخرج من أصلها أنهار الخمر واللبن والعسل ، وهى مجلس لأهل الجنة . فبينما هم فى مجلسهم إذ أتتهم ملائكة
من ربهم ، يقودون نجبا مزومة بسلاسل من ذهب ، وجوهها كالمصابيح من حسنها ، وبرها كخز المرعى
من لينه ، عليها رحال ألواحها من ياقوت ، ودفوفها من ذهب ، وثيابها من سندس وإستبرق ، فيذبحونها
ويقولون : إن ربنا أرسلنا إليكم لتزوروه وتسلموا عليه ، قال : فيركبونها ، قال : فهى أسرع من الطائر ،
وأوطأ من الفراش نجبا من غير مهنة ، يسير الرجل إلى جنب أخيه وهو يكلمه ويناجيه ، لا تصيب أذن
راحلة منها أذن صاحبتها ، ولا برك راحلة برك صاحبتها ، حتى أن الشجرة لتتنحى عن طرفهم لئلا تفرق بين
الرجل وأخيه ، قال : فيأتون إلى الرحمن الرحيم ، فيسفر لهم عن وجهه الكريم حتى ينظروا إليه ، فإذا
رأوه قالوا : اللهم أنت السلام ومنك السلام ، وحق لك الجلال والإكرام ، قال : فيقول تبارك وتعالى
عند ذلك : أنا السلام ، ومنى السلام ، وعليكم حقت رحمتى ومحبتى ، مرحبا بعبادى الذين خشونى بغيب
وأطاعوا أمرى ، قال : فيقولون : ربنا إنا لم نعبدك حق عبادتك ، ولم نقدرك حق قدرك ، فأذن لنا
بالسجود قدامك ، قال : فيقول الله : إنها ليست بدار نصب ولا عبادة ، ولكنها دار ملك ونعيم ، وإنى
قد رفعت عنكم نصب العبادة ، فسلونى ما شئتم ، فإن لكل رجل منكم أمنيته ، فيسألونه حتى إن أقصرهم
أمنية ليقول : رب تنافس أهل الدنيا فى دنياهم فتضايقوا فيها ، رب فأتنى كل شىء كانوا فيه من يوم
خلقتها إلى أن انتهت الدنيا ، فيقول الله : لقد قصرت بك اليوم أمنيتك ، ولقد سألت دون منزلتك ، هذا
لك منى ، وسأتخفك بمنزلتى ، لأنه ليس فى عطائى تكبد ولا تصريد ، قال : ثم يقول : أعرضوا على
عبادى ما لم تبلغ أمانيتهم ، ولم يخطر لهم على بال ، قال : فيعرضون عليهم حتى يقضوهم أمانيتهم التى فى
أنفسهم ، فيكون فيما يعرضون عليهم براذين مقرنة ، على كل أربعة منها سرير من ياقوتة واحدة ، على كل
سرير منها قبة من ذهب ، مفرغة ، فى كل قبة منها فرش من فرش الجنة مظاهرة ، فى كل قبة منها جاريتان من
الخور العين ، على كل جاريتة منهن ثوبان من ثياب الجنة ، ليس فى الجنة لون إلا وهو فيهما ، ولا ريح طيبة
إلا قد عبقتا به ، ينفذ ضوء وجوههما غلاظ القبة ، حتى يظن من يراها أنهما من دون القبة ، يرى نهما
من فوق سوقهما كالسلك الأبيض من ياقوتة حمراء ، يريان له من الفضل على صحابته كفضل الشمس على
الحجارة أو أفضل ، ويرى هو لهما مثل ذلك ، ثم يدخل إليهما فيحييانه ويقبلانه ويعانقانه ، ويقولان له :

والله ماظننا أن الله يخلق مثلك ، ثم يأمر الله الملائكة فيسيرون بهم صفوا في الجنة حتى ينتهى كل رجل منهم إلى منزلته التى أعدت له .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا على بن جرير ، عن حماد ، قال : شجرة فى الجنة فى دار كل مؤمن غصن منها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن حسّان بن أبى الأشرس ، عن مغيث بن سُمَيّ : قال : طوبى : شجرة فى الجنة لو أن رجلا ركب قلوفا جذعا أو جذعة ، ثم دار بها لم يبلغ المكان الذى ارتحل منه حتى يموت هرما ، وما من أهل الجنة منزل إلا فيه غصن من أغصان تلك الشجرة متدلّ عليهم ، فإذا أرادوا أن يأكلوا من الثمرة تدلى إليهم فياً كلون منه ما شاءوا ، ويجىء الطير فياً كلون منه قديدا وشواء ما شاءوا ، ثم يطير .

وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر بنحو ما قال ، من قال هى شجرة .

ذكر الرواية بذلك

حدثنى سليمان بن داود التومسى ، قال : ثنا أبو توبة الربيع بن نافع ، قال : ثنا معاوية بن سلام ، عن زيد ، أنه سمع أبا سلام ، قال : ثنا عامر بن زيد البكالى ، أنه سمع عتبة بن عبد السلام يقول : « جاء أعرابى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إن فى الجنة فاكهة ؟ قال : نعم ، فيها شجرة تدعى طوبى ، هى تطابق الفردوس ، قال : أى شجر أرضنا تشبهه ؟ قال : ليست تشبه شئنا من شجر أرضك ، ولكن أتيت الشام ؟ فقال : لا يا رسول الله ، فقال : فإنها تشبه شجرة تدعى الجوزة ، تذبّت على ساق واحدة ثم ينتشر أعلاها ، قال : ما عظم أصلها ؟ قال : لو اتحلت جذعة من إبل أهلِكَ ما أحاطت بأصلها حتى تنكسر ترقوقاتها هرما . »

حدثنا الحسن بن شبيب ، قال : ثنا محمد بن زياد الجريرى ، عن فرات بن أبى الفرات ، عن معاوية ابن قرة ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « (طوبى لهم وحسن مآب) : شجرة غرسها الله بيده ، وتنفخ فيها من روجه بالخلّى والخلل ، وإن أغصانها لترى من وراء سور الجنة . »

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى عمرو بن الحارث ، أن دراجا حدثه أن أبا الهيثم حدثه ، عن أبى سعيد الخدرى ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أن رجلا قال له : يا رسول الله ما طوبى ؟ قال : شجرة فى الجنة مسيرة مئة سنة ، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها » [☆] فعلى هذا التأويل الذى ذكرنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الرواية به ، يجب أن يكون القول فى رفع قوله (طوبى لهم) خلاف القول الذى حكيناه عن أهل العربية فيه ، وذلك أن الخبر عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم، أن طوبى اسم شجرة في الجنة ، فإذا كان كذلك فهو اسم لمعرفة كزيد وعمرو. وإذا كان ذلك كذلك ، لم يكن في قوله (وَحُسْنُ مَابٍ) إلا الرفع عطفًا به على طوبى .
وأما قوله (وَحُسْنُ مَابٍ) فإنه يقول : وحسن منقلب .
كما حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاک :
(وَحُسْنُ مَابٍ) قال : حسن منقلب .

القول في تأويل قوله تعالى :

كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِنَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ
بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٍ ﴿٤٠﴾

❖❖❖ يقول تعالى ذكره : هكذا أرسلناك يا محمد في جماعة من الناس ، يعنى إلى جماعة قد خلت من قبلها جماعات على مثل الذى هم عليه ، فضت (لِنَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ) يقول : لتبلغهم ما أرسلتك به إليهم من وحي الذى أوحيته إليك (وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ) يقول : وهم يجحدون وحدانية الله ، ويكذبون بها (قُلْ هُوَ رَبِّي) يقول : إن كفر هؤلاء الذين أرسلتك إليهم يا محمد بالرحمن ، فقل : أنت الله ربى (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٍ) يقول : وإليه مرجعى وأوتى ، وهو مصدر من قول القائل : تبت متابا وتوبة .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ) ذكر لنا « أن نبي الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديدية حين صالح قريشا ، كتب : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ، فقال مشركو قريش : أين كنت رسول الله ثم قاتلناك لقد ظلمناك ، ولكن اكتب : هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله ، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعنا يا رسول الله نقاتلهم ، فقال : لا ، ولكن اكتبوا كما يريدون إني محمد بن عبد الله ، فلما كتب الكاتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، قالت : قريش : أما الرحمن فلا نعرفه ، وكان أهل الجاهلية يكتبون : باسمك اللهم ، فقال أصحابه : يا رسول الله دعنا نقاتلهم ، قال : لا ولكن اكتبوا كما يريدون . »

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : قوله (كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ) . . . الآية ، قال : هذا لما كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا في الحديدية كتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، قالوا : لاتكتب الرحمن ، وما ندرى ما الرحمن ، ولا نكتب إلا : باسمك اللهم ، قال الله (وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ) ، قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ . . . الآية .

القول في تاويل قوله تعالى :

وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَ سِيرَتْ بِهٖ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهٖ الْأَرْضُ أَوْ كَلَّمَ بِهٖ الْمَوْتَىٰ بَلِّغْ لِلَّهِ الْأَمْرَ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِئْسَ
الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا نَزَّلُ الَّذِينَ كَفَرُوا نَصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةً
أَوْ تَحُلُّ قَرْبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ ﴿١٣١﴾

اختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : معناه : وهم يكفرون بالرحمن (وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَ
سُيِّرَتْ بِهٖ الْجِبَالُ) : أى يكفرون بالله ، ولو سير لهم الجبال بهذا القرآن ، وقالوا : هو من المؤخر
الذى معناه التقديم ، وجعلوا جواب لو مقدما قبلها ، وذلك أن الكلام على معنى قيلهم : ولو أن هذا القرآن
سيرت به الجبال ، أو قُطِعَتْ به الأرض ، لكفروا بالرحمن .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،
قوله (وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَ سُيِّرَتْ بِهٖ الْجِبَالُ ، أَوْ قُطِعَتْ بِهٖ الْأَرْضُ ، أَوْ كَلَّمَ بِهٖ الْمَوْتَى) قال :
هم المشركون من قريش ، قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم « لو وسعت لنا أودية مكة ، وسيرت
جبالها ، فاحترثناها ، وأحييت من مات منا ، أو قطع به الأرض ، أو كلم به الموتى ، فقال الله تعالى (وَلَوْ
أَنَّ قُرْءَانَ سُيِّرَتْ بِهٖ الْجِبَالُ ، أَوْ قُطِعَتْ بِهٖ الْأَرْضُ ، أَوْ كَلَّمَ بِهٖ الْمَوْتَى ، بَلِّغْ لِلَّهِ الْأَمْرَ جَمِيعًا) .
حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله
(وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَ سُيِّرَتْ بِهٖ الْجِبَالُ ، أَوْ قُطِعَتْ بِهٖ الْأَرْضُ ، أَوْ كَلَّمَ بِهٖ الْمَوْتَى) قول كفار قريش
لمحمد : سير جبالنا تتسع لنا أرضنا فإنها ضيقة ، أو قرب لنا الشام فإننا نتجر إليها ، أو أخرج لنا آباءنا من
القبور نكلمهم ، فقال الله تعالى (وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَ سُيِّرَتْ بِهٖ الْجِبَالُ ، أَوْ قُطِعَتْ بِهٖ الْأَرْضُ ،
أَوْ كَلَّمَ بِهٖ الْمَوْتَى) .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

قال ابن جريج : وقال عبد الله بن كثير ، قالوا : لو فسحت عنا الجبال ، أو أجريت لنا الأنهار ، أو
كلمت به الموتى ، فنزل ذلك . قال ابن جريج ، وقال ابن عباس : قالوا : سير بالقرآن الجبال ، قطع
بالقرآن الأرض ، أخرج به موتانا .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن كثير ، قالوا : لو

فسحت عنا الجبال أو أجريت لنا الأنهار ، أو كلمت به الموتى ، فنزل (أَفَلَمْ يَأْتِئْسَ الَّذِينَ آمَنُوا) .

وقال آخرون : بل معناه (وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَ سُيِّرَتْ بِهٖ الْجِبَالُ) كلام مبتدأ منقطع ، عن قوله

(وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ) قال : وجواب لو محذوف استغنى بمعرفة السامعين المراد من الكلام عن ذكر جوابها ، قالوا : والعرب تفعل ذلك كثيرا ، ومنه قول امرئ القيس :

فَلَوْ أَنَّهَا نَفْسٌ تَمُوتُ سَرِيحَةً وَلَكِنَّهَا نَفْسٌ تَقَطَّعُ أَنْفُسًا ١

وهو آخر بيت في القصيدة ٢ ، فترك الجواب اكتفاء بمعرفة سامعه مراده ، وكما قال الآخر :

فَأُقْسِمُ لَوْ شِئْتُ أَنَا رَسُولُهُ سِوَاكَ وَلَكِنْ لَمْ نَجِدْكَ مَدْفَعًا ٣

ذكر من قال نحو معنى ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ ، أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ ، أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى) ذكر لنا أن قريشا قالوا : إن سرّك يا محمد اتباعك ، أو أن نتبعك ، فسير لنا جبال تهامة ، أو زد لنا في حرماننا ، حتى نتخذ قطائع نخترف فيها ، أو أحى لنا فلانا وفلانا ، ناسا ماتوا في الجاهلية ، فأنزل الله تعالى (وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ ، أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ ، أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى) يقول : لو فعل هذا بقرآن قبل قرآنكم لفعل بقرآنكم . حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة أن كفار قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم أذهب عنا جبال تهامة ، حتى نتخذها زرعاً فتكون لنا أرضين ، أو أحى لنا فلانا وفلانا يخبروننا حق ما تقول ، فقال الله (وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ ، أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ ، أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلِ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا) يقول : لو كان فعل ذلك بشيء من الكتب فيما مضى كان ذلك .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحّاك يقول في قوله (وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ) الآية . . . قال : قال كفار قريش لمحمد صلى الله عليه وسلم : سير لنا الجبال كما سُخِّرَتْ لداود ، أو قطع لنا الأرض كما قطع لسليمان ، فاغتندي

(١) البيت لامرئ القيس في ديوانه (مختار الشعر الجاهلي بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبي ص ٨٦) وفيه جمعة : في موضع سريحة . والسريحة : السهلة كما في اللسان والسريعة . وقال شارحه : جمعة : قال في اللسان إنما أراد جميعا . فبالغ بإلحاق الهاء . وحذف الجواب للعلم به ، كأنه قال : لغنيت واستراحت . ويجوز أن تكون « لو » هنا للتمنى ، فلا تحتاج إلى جواب . ويروى : سوية ، بدل جمعة . يقول : لو أني أموت بدفعة لاسترحنت ، ولكن نفسي لما بها من المرض تغلغ شيئا فشيئا . وفي الديوان أيضا : تساقط أي تتساقط ، في موضع : تقطع .

(٢) ليس البيت آخر بيت في القصيدة ، ولكن بعده ثلاثة أبيات . (انظر مختار الشعر) .

(٣) البيت لامرئ القيس (خزنة الأدب الكبرى للبغدادى ٤ : ٢٢٧) شاهد على أن الجواب فيه محذوف ، وهو جواب القسم ، لاجواب لو ، عملا بمقتضى الضابط في اجتماع قسم وشرط . وتقدير الجواب كما ذكره الفراء وغيره : لو أتانا رسول سواك لدفعناه ، بدليل قوله « مدفعا » . وفيه أن الجواب مذكور في البيت الذي بعده ، وهو : « إذن لرددناه ولو طال مكثه » وعلى هذا يكون قوله : « ولكن لم نجد لك مدفعا » جملة اعتراضية . وعذرهم في تقدير الجواب ، أن هذا البيت ساقط في أكثر الروايات ، وقد ذكره الزجاجي في أماليه الصغرى والكبرى ، في جملة أبيات ثمانية رواها عن المبرد من قصيدة لامرئ القيس ، ورواية البيت الخامس فيها :

وَجَدَّكَ لَوْ شِئْتُ أَنَا رَسُولُهُ سِوَاكَ وَلَكِنْ لَمْ نَجِدْكَ مَدْفَعًا

بها شهرا وراح بها شهرا ، أو كلم لنا الموتى كما كان عيسى يكلمهم ، يقول : لم أنزل بهذا كتابا ، ولكن كان شيئا أعطيته أنبيائي ورسلي .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُورِتْ بِهِ الْجِبَالُ) . . . الآية . قال : قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : إن كنت صادقا فسير عنا هذه الجبال ، واجعلها حروثا كهيئة أرض الشام ومصر والبُلندان ، أو ابعث موتانا فأخبرهم ، فإنهم قد ماتوا على الذي نحن عليه ، فقال الله تعالى (وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُورِتْ بِهِ الْجِبَالُ ، أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ ، أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى) : لم يصنع ذلك بقرآن قطُّ ولا كتاب ، فيصنع ذلك بهذا القرآن .

● القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَيَّأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَن لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ :
اختلف أهل المعرفة بكلام العرب في معنى قوله (أفلم ييأس) فكان بعض أهل البصرة يزعم أن معناه : ألم يعلم ويتبين ويستشهد لقيه ذلك بيت سحيم بن وثيل الرياحي :

أَقُولُ لَهُمْ بِالشَّعْبِ إِذْ يَأْسِرُونِي أَلَمْ تَيَّأَسُوا أَنِّي ابْنُ فَارِسِ زَهْدِمِ ۱

ويروى : ييسروني ، فمن رواه : ييسروني فإنه أراد : يقتسموني من الميسر ، كما يقتسم الجزور . ومن رواه : يأسروني ، فإنه أراد : الأسر . وقال : غنى بقوله : ألم تيأسوا : ألم تعلموا . وأنشدوا أيضا في ذلك :

أَلَمْ يَيَّأَسِ الْأَقْوَامُ أَنِّي أَنَا ابْنُهُ وَإِنْ كُنْتُ عَنَ أَرْضِ الْعَشِيرَةِ نَائِيًا ۲

وفسروا قوله : ألم ييأس : ألم يعلم ويتبين . وذكر عن ابن الكلبي أن ذلك لغة لحي من النخع ، يقال لهم :

(١) البيت لسحيم بن وثيل الرياحي اليربوعي . وقيل إنه لولده جابر بن سحيم ، بدليل قوله فيه : « إني ابن فارس زهدم » ، وزهدم : فارس سحيم . قال : يئس يئس ويئس (بكسر العين في الماضي ، وبكسرها أو فتحها في المضارع) : يقول : ألم تعلموا ، وعلى هذا استشهد به المؤلف هنا . وقوله ييسروني : من أيسر الجزور ، أي يجتزوني ، ويقتسموني . ويروى يأسروني ، كرواية المؤلف ، من الأسر . وأما قوله بيسروني ، فإنما ذكر ذلك ، لأنه كان قد وقع عليه سباء ، فضربوا عليه بالميسر ، يتحاسبون على قسمة فدائه . وزهدم : فارس . ويروى أني ابن قاتل زهدم ، وهو رجل من عبس . فعلى هذا يصح أن يكون الشعر لسحيم . قال صاحب اللسان : وقال القاسم بن معن : يئست بمعنى علمت : لغة هوازن . وقال الكلبي : هي لغة وهليل : حى من النخع ، وهم رهط شريك . وفي الصحاح في لغة النخع ، وفي التنزيل . أفلم ييأس الذين آمنوا » أي أفلم يعلم . وقال أهل اللغة : أفلم يعلم الذين آمنوا علما يئسوا معه أن يكون غير ما علموه . وقيل معناه : أفلم ييأس الذين آمنوا من إيمان هؤلاء الذين وصفهم الله بأنهم لا يؤمنون . قال أبو عبيد : كان ابن عباس يقرأ : أفلم يتبين الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا . قال ابن عباس : كتب الكاتب : « أفلم يئس الذين آمنوا » وهو ناعس . وقال الفراء في معاني القرآن (الورقة ١٥٩ من مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩) : قال المفسرون : ييأس : يعلم ، وهو في المعنى على تفسيرهم ، لأن الله قد أوقع إلى المؤمنين أنه لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ، فقال : أفلم يئسوا علما . يقول : يؤيسهم العلم ، فكان فيهم العلم مضمرا ، كما تقول في الكلام : قد يئست منك ألا تفلح علما ، كأنك قلت : علمته علما . وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال يئس في معنى يعلم لغة للنخع . قال : ولم نجد في العربية إلا على ما فسرت اه . وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن (١ : ٣٣٢) « أفلم ييأس الذين آمنوا » مجازه ألم يعلم ويتبين ؟

(٢) هذا الشاهد في معنى الشاهد قبله ، على أن « ألم ييأس » : بمعنى ألم يعلم ويتبين . وفي الإقتان (١ : ١٢٢) أن البيت لمالك ابن عوف ، وصدره فيه : « لقد يئس الأقوام أني أنا ابنه » .

وَهَبِيل ، تقول : ألم تياس ، كذا بمعنى : ألم تعلمه . وذكر عن القاسم بن معن أنها لغة هوازن ، وأنهم يقولون : يئست كذا : علمت .

وأما بعض الكوفيين فكان ينكر ذلك ، ويزعم أنه لم يسمع أحدا من العرب يقول : يئست بمعنى : علمت ، ويقول هو في المعنى وإن لم يكن مسموعا : يئست بمعنى : علمت ، يتوجه إلى ذلك أن الله قد أوقع إلى المؤمنين ، أنه لو شاء لهدى الناس جميعا ، فقال : أفلم يياسوا علما ، يقول : يؤيسهم العلم ، فكان فيه العلم مضمرا ، كما يقال : قد يئست منك أن لاتنلح علما ، كأنه قيل : علمته علما ، قال : وقول الشاعر :

حتى إذا يئس الرماة وأرسلوا غصفا دواجن قافلا أعصامها

معناه : حتى إذا يئسوا من كل شيء مما يمكن ، إلا الذي ظهر لهم أرسلوا ، فهو في معنى : حتى إذا علموا أن ليس وجه إلا الذي رأوا وانتهى علمهم ، فكان ماسوا ياسا .

وأما أهل التأويل ، فإنهم تأولوا ذلك بمعنى : أفلم يعلم ويتبين .

ذكر من قال ذلك منهم

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن أبي إسحاق الكوفي ، عن مولى يخبر أن عليا رضي الله عنه كان يقول : أفلم يتبين الذين آمنوا .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب ، عن هارون ، عن حنظلة ، عن شهر بن حوشب ، عن ابن عباس (أفلم يئس) يقول : أفلم يتبين .

حدثنا أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا يزيد ، عن جرير ، بن حازم ، عن الزبير بن الحارث ، أو يعلى بن حكيم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنه كان يقرأها (أفلم يتبين الذين آمنوا) قال : كتب الكاتب الأخرى وهو ناعس .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا حجاج بن محمد ، عن ابن جريج ، قال في القراءة الأولى : زعم ابن كثير وغيره : أفلم يتبين .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (أفلم يئس الذين آمنوا) يقول : ألم يتبين .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية بن صالح ، عن علي ، عن ابن عباس قوله (أفلم يئس الذين آمنوا) يقول : يعلم .

(١) البيت للبيد في معلقته (شرح المعلقات السبع للزوزني ص ١٣٦) : قال : الغصف من الكلاب : المسترخية الآذان ، والغصف (بالتحريك) : استرخاء الآذان ، يقال : كلب أغصف ، وكلبة غضفاء ، وهو مستعمل في غير الكلاب استعماله فيها ؛ والدواجن : الملمات ، والقفول : اليبس . وأعصامها : بطونها ، وقيل بل سواجيرها ، وهي قلائدها من الحديد . يقول : حتى إذا يئس الرماة من البقرة ، وعلمو أن سهامهم لاتنلها ، وأرسلوا كلابا مسترخية الآذان معلمة ، ضوامر البطون ، أو يابسة السواجير اه . وقال الفراء في معاني القرآن (الورقة ١٥٩) معناه : حتى إذا يئسوا من كل شيء مما يمكن ، إلا الذي ظهر لهم . أرسلوا ، فهو في معنى : حتى إذا علموا أن ليس وجه إلا الذي رأوا ، أرسلوا . كان ما واه ياسا . اه .

حدثنا عمران بن موسى ، قال : ثنا عبد الوارث ، قال : ثنا ليث ، عن مجاهد ، في قوله (أفلم يبين) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله (أفلم يبين الذين آمنوا) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أفلم يبين الذين آمنوا) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أفلم يبين الذين آمنوا) .

❖ والصواب من القول في ذلك ، ما قاله أهل التأويل : إن تأويل ذلك : أفلم يبين ويعلم لإجماع أهل التأويل على ذلك ، والآيات التي أنشدناها فيه .

فتأويل الكلام إذن : ولو أن قرآنا سوى هذا القرآن كان سيرت به الجبال ، لسير بهذا القرآن ، أو قطعت به الأرض لقطعت بهذا ، أو كلمت به الموتى لكلمت بهذا ، ولو يفعل بقرآن قبل هذا القرآن لفعل بهذا (بل لله الأمر جميعا) يقول : ذلك كله إليه وبيده ، يهدي من يشاء إلى الإيمان فيوفقه له ، ويضل من يشاء فيخذله ، أفلم يبين الذين آمنوا بالله ورسوله ، إذ طمعوا في إجابتي من سأل نبيهم من تسير الجبال عنهم ، وتقريب أرض الشام عليهم ، وإحياء موتاهم ، أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا إلى الإيمان به من غير إيجاد آية ، ولا إحداث شيء مما سألوا إحدائه ، يقول تعالى ذكره : فما معنى محبتهم ذلك مع علمهم بأن الهداية والإهلاك إلى وبیدی أنزلت آية أو لم أنزلها ؛ أهدي من أشاء بغير إنزال آية ، وأضل من أردت مع إنزالها .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّنْ دَارِهِمْ ، حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ ﴾ :

يقول تعالى ذكره : ولا يزال يا محمد الذين كفروا من قومك تُصيبهم بما صنعوا من كفرهم بالله ، وتكذيبهم إياك ، وإخراجهم لك من بين أظهرهم قارعة ، وهي ما يقرعونهم من البلاء والعذاب والنقم ، بالقتل أحيانا ، وبالحراب أحيانا ، والقحط أحيانا ، أو تحل أنت يا محمد ، يقول : أو تنزل أنت قريبا من دارهم بجيشك وأصحابك حتى يأتي وعد الله الذي وعدك فيهم ، وذلك ظهورك عليهم ، وفتحك أرضهم ، وقهرك إياهم بالسيف (إن الله لا يخلف الميعاد) يقول : إن الله منجزك يا محمد ما وعدك من الظهور عليهم ، لأنه لا يخلف وعده .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو داود ، قال : ثنا المسعودي ، عن قتادة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله (وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ) قال : سرية (أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّنْ دَارِهِمْ) قال محمد : حتى يأتي وعد الله ، قال : فتح مكة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن المسعودي ، عن قتادة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس بنحوه ، غير أنه لم يذكر سرية .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أبو قطن ، قال : ثنا المسعودي ، عن قتادة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، أنه تلا هذه الآية (وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ) قال : القارعة : السرية (أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّنْ دَارِهِمْ) قال : هو محمد صلى الله عليه وسلم (حتى يأتي وَعَدُ اللَّهِ) قال : فتح مكة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو غسان ، قال : ثنا زهير ، أن خصيفا حدثهم ، عن عكرمة ، في قوله (وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّنْ دَارِهِمْ) قال : نزلت بالمدينة في سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو تحل أنت يا محمد قريبا من دارهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن النضر بن عربي ، عن عكرمة (وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ) قال : سرية (أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّنْ دَارِهِمْ) قال : أنت يا محمد .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ) يقول : عذاب من السماء ينزل عليهم (أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّنْ دَارِهِمْ) يعني : نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم ، وقتاله إياهم .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ) : تصاب منهم سرية ، أو تصاب منهم مصيبة ، أو يحل محمد قريبا من دارهم . وقوله (حتى يَأْتِيَ وَعَدُ اللَّهِ) قال : الفتح .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد بن زيد ، عن عبد الله بن أبي نجيح (أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّنْ دَارِهِمْ) يعني النبي صلى الله عليه وسلم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحو حديث الحسن ، عن شبابة .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا قيس ، عن خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قارعة ، قال : السرايا .

قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا عبد الغفار ، عن منصور ، عن مجاهد ، (قَارِعَةٌ) : مصيبة من

محمد (أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّنْ دَارِهِمْ) قال : أنت يا محمد (حَتَّى يَأْتِيَ وَعَدُّ اللَّهِ) قال : الفتح .
قال : ثنا إسرائيل ، عن خصيف ، عن مجاهد (قَارِعَةٌ) قال : كتيبة .

قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا عمرو بن ثابت ، عن أبيه ، عن سعيد بن جبير (تُصِيبُهُمْ بِمَا
صَنَعُوا قَارِعَةً) قال : سرية (أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّنْ دَارِهِمْ) قال : أنت يا محمد .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا
تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةً) : أى بأعمالهم أعمال السوء ، وقوله (أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّنْ دَارِهِمْ)
أنت يا محمد (حَتَّى يَأْتِيَ وَعَدُّ اللَّهِ) ووعد الله : فتح مكة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (قَارِعَةٌ) قال : وقية
(أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّنْ دَارِهِمْ) قال : يعنى النبي صلى الله عليه وسلم ، يقول : أو تحل أنت قريبا من
دارهم .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا محمد بن طلحة ، عن طلحة ، عن مجاهد
(تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةً) قال : سرية .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (تُصِيبُهُمْ
بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةً) قال : السرايا : كان يبعثهم النبي صلى الله عليه وسلم (أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّنْ دَارِهِمْ)
أنت يا محمد (حَتَّى يَأْتِيَ وَعَدُّ اللَّهِ) قال : فتح مكة .

قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن بعض أصحابه ، عن مجاهد (تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا
قَارِعَةً) قال : كتيبة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا
تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةً) قال : قارعة من العذاب .

وقال آخرون : معنى قوله (أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّنْ دَارِهِمْ) تحل القارعة قريبا من دارهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : قال الحسن :
(أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّنْ دَارِهِمْ) قال : أو تحل القارعة قريبا من دارهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، قال (أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا
مِّنْ دَارِهِمْ) قال : أو تحل القارعة .

وقال آخرون فى قوله (حَتَّى يَأْتِيَ وَعَدُّ اللَّهِ) هو يوم القيامة .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثني ، قال : ثنا معلى بن أسد ، قال : ثنا إسماعيل بن حكيم ، عن رجل قد سماه عن الحسن ،

فى قوله (حَتَّى يَأْتِيَ وَعَدُّ اللَّهِ) قال : يوم القيامة

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ آسَتْهُنَّ زِيَّ بُرْسِلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٦﴾

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : يا محمد إن يستهزئ هؤلاء المشركون من قومك ، ويطلبوا منك الآيات تكديبا منهم ما جئتهم به ، فاصبر على أذاهم لك ، وامض لأمر ربك في إعدارهم ، والإعذار إليهم ، فلقد استهزأت أم من قبلك ، قد خلت فضت برسلى ، فأطلت لهم في المهل ، ومددت لهم في الأجل ، ثم أحلت بهم عذابي ونقمتى ، حين تمادوا في غيهم وضلالهم ، فانظر كيف كان عقابي إياهم حين عاقبتهم ، ألم أذقهم أليم العذاب ، وأجعلهم عبرة لأولى الألباب . والإملاء في كلام العرب : الإطالة ، يقال منه : أمليت لفلان : إذا أطلت له في المهل ، ومنه الملاءة من الدهر ، ومنه قولهم : تمليت حيناً ، ولذلك قيل لليل والنهار : الملوان لطولهما ، كما قال ابن مقبل :

ألا يا ديارَ الحَيِّ بالسَّبْعانِ أَلَحَّ عَلَيَّهَا بِالْبِلَى الْمَلَوَانِ ١

وقيل للخرق الواسع من الأرض : ملا ، كما قال الشاعر :

فَاخْضَلَّ مِنْهَا كُلُّ بَالٍ وَعَيْنٍ وَجَفَّ الرَّوَايَا بِالْمَلَا الْمُتَبَاظِنِ ٢

لطول ما بين طرفيه وامتداده .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ آمِ بظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصَدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٣٧﴾

يقول تعالى ذكره : أفالرب الذي هو دائم لا يبيد ولا يهلك قائم بحفظ أرزاق جميع الخلق ، متضمن لما ، عالم بهم وبما يكسبونه من الأعمال ، رقيب عليهم ، لا يعزب عنه شيء أيما كانوا ، آمن هو هالك بائد لا يسمع ولا يبصر ولا يفهم شيئاً ، ولا يدفع عن نفسه ، ولا عمن يعبده ضراً ، ولا يجلب إليهما نفعا ،

(١) البيت لقيم بن مقبل (اللسان : ملا) استشهد به على أن الملوان طرفا النهار . واحدهما : ملا ، متصور ، يقال : لأفعله ما اختلف الملوان واستشهد به المؤلف على أن الملوين : الليل والنهار . وفي مجاز القرآن لأبي عبيدة (١ : ٣٣٣) ويقال لليل والنهار الملوان لطولهما ، وقال ابن مقبل . . . البيت . ويقال للخرق الواسع من الأرض : ملا مقصور ، قال : « ملا لا تخطاه العيون رغيب » .
(٢) البيت للسطرماج بن حكيم (اللسان : عين) قال : وسقاء عين ، وعين (بفتح الياء المشددة وكسرها) والكسر أكثر ، كلاهما إذا سال ماؤه ، عن اللحياني . وقيل : الحديد ، طائفة ، قال الطرمح : فاخضل . . . البيت . واستشهد به المؤلف على أن الخرق الواسع من الأرض : يقال له ملا .

كلاهما سواء ، وحذِف الجواب في ذلك فلم يَتَمَل ، وقد قيل (أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) ككذا وكذا ، اكتفاء بعلم السامع بما ذُكِرَ عما تَبُرِكَ ذكره ، وذلك أنه لما قال جل ثناؤه : (وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ) عُلِمَ أن معنى الكلام كشركتهم التي اتخذوها آلهة ، كما قال الشاعر :

تَخَيَّرِي خَيْرَتِ أُمَّ عَالٍ بَيْنَ قَصِيرٍ شَبْرُهُ تَنْبَالٍ
أَذَاكَ أُمَّ مُنْخَرِقِ السَّرْبَالِ وَلَا يَزَالُ آخِرَ اللَّيَالِي
مُتْلِفَ مَالٍ وَمُفِيدَ مَالٍ ١

ولم يقل : وقد قال : «شَبْرُهُ تَنْبَالٌ» ، وبين كذا وكذا ، اكتفاء منه بقول : أذاك أم منخرق السربال ، ودلالة الخبر عن المنخرق السربال على مراده في ذلك .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) ذلكم ربكم تبارك وتعالى ، قائم على بني آدم بأرزاقهم وآجالهم ، وحفظ عليهم والله أعمالمهم .
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) ٢ .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) يعني بذلك نفسه ، يقول : هو معكم أيما كنتم ، فلا يعمل عامل إلا وهو حاضر ، ويقال : هم الملائكة الذين وكلوا ببني آدم .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج (أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) على رزقهم وعلى طعامهم ، فأنا على ذلك قائم وهم عبيدي ثم جعلوا لي شركاء .
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) فهو الله قائم على كل نفس برّ وفاجر ، يرزقهم ويكلؤهم ، ثم يُشرك به منهم من أشرك .
وقوله (وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلُوبَهُمْ) تَنْبِئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ ، أم بظاهري

(١) هذا الرجز : رواه الفراء في معاني القرآن في الورقتين (١٥٩ ؛ ١٦٠) شاهدا عند قوله تعالى : « أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت » قال : ترك جوابه ، ولم يقل ككذا وكذا ، لأن المعنى معلوم ، وقد بينه ما بعده إذ قال : وجعلوا لله شركاء ، كأنه في المعنى قال : شركاء هم الذين اتخذوهم ، ومثله قول الشاعر : تخيري . . . الخ (الأبيات) كأنه قال : تخيري بين كذا وبين منخرق السربال . فلما أن أتى به في الذكر ، كفى من إعادة الإعراب عليه . ومعنى التنبال : القصير . والشبر بالفتح : قياس الشيء بالشبر . والسربال القميص . ومتلف مال : منفق . ومفيد مال : كاسبه .
(٢) أي إلى آخر ما رواه عنه بشر بن معاذ ، في الحديث الأول .

مِنَ الْقَوْلِ) يقول تعالى ذكره : أنا القائم بأرزاق هؤلاء المشركين ، والمدبر أمورهم ، والحافظ عليهم أعمالهم ، وجعلوا لي شركاء من خلقي ، يعبدونها دوني ، قل لهم يا محمد : سمّوا هؤلاء الذين أشركتموهم في عبادة الله ، فإنهم إن قالوا آلهة ، فقد كذبوا ، لأنه لا إله إلا الواحد القهار لا شريك له (أمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ) يقول : أتخبرونه بأن في الأرض إلهًا ، ولا إله غيره في الأرض ولا في السماء . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلُوبًا سَمَوْهُمْ) ولو سموهم آلهة لكذبوا ، وقالوا في ذلك غير الحق ، لأن الله واحد ليس له شريك ، قال الله (أمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ) أمْ بظاهري من القول) يقول : لا يعلم الله في الأرض إلهًا غيره .

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلُوبًا سَمَوْهُمْ) والله خلقهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حماد ، عن ابن جريج (وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلُوبًا سَمَوْهُمْ) ولو سموهم كذبوا ، وقالوا في ذلك ما لا يعلم الله من إله غير الله ، فذلك قوله (أمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ) أمْ بظاهري من القول) مسموع ، وهو في الحقيقة باطل لا صحة له . وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل ، غير أنهم قالوا : أم بظاهر ، معناه : أم يبطل ، فأتوا بالمعنى الذي تدل عليه الكلمة دون البيان عن حقيقة تأويلها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (بظاهري من القول) بظن .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حماد ، عن ابن جريج ، عن قتادة ، قوله (أمْ بظاهري من القول) والظاهر من القول : هو الباطل .

حدثت عن الحسين بن الفرغ ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (أمْ بظاهري من القول) يقول : أم يبطل من القول وكذب ، ولو قالوا ، قالوا الباطل والكذب .

وقوله (بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ) يقول تعالى ذكره : ما لله من شريك في السموات ولا في الأرض ، ولكن زين للمشركين الذين يدعون من دونه إلهًا مكرهم ، وذلك افتراؤهم وكذبهم على الله ، وكان مجاهد يقول : معنى المكر ههنا : القول ، كأنه قال : قولهم بالشرك بالله .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ) قال : قولهم .
حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .
وأما قوله (وَصَدُّوا عَنِ السَّبِيلِ) فإن القراء اختلفت فى قراءته ، فقراءته عامة قراء الكوفيين :
(وَصَدُّوا عَنِ السَّبِيلِ) بضم الصاد ، بمعنى : وصدّهم الله عن سبيله لكفرهم به ، ثم جعلت الصاد مضمومة ، إذ لم يسم فاعله . وأما عامة قراء الحجاز والبصرة ، فقرعوه بفتح الصاد ، على معنى أن المشركين هم الذين صدّوا الناس عن سبيل الله .

❖❖❖ والصواب من القول فى ذلك عندى أن يُقال : إنهما قراءتان مشهورتان ، قد قرأ بكل واحدة منهما أئمة من القراء ، متقاربتا المعنى ؛ وذلك أن المشركين بالله كانوا مصدودين عن الإيمان به ، وهم مع ذلك كانوا يصدّون غيرهم ، كما وصفهم الله به بقوله (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ)
وقوله (وَهَنَ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) يقول تعالى ذكره : ومن أضله الله عن إصابة الحق والهدى بخذلانه إياه ، فما له أحد يهتديه لإصابتهما ، لأن ذلك لا يُنال إلا بتوفيق الله ومعونته ، وذلك بيد الله وإليه دون كل أحد سواه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٢٤﴾

❖❖❖ يقول تعالى ذكره : لهؤلاء الكفّار الذين وصف صفتهم فى هذه السورة عذاب فى الحياة الدنيا . بالقتل والإسار والآفات التى يصيبهم الله بها (وَلِعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ) يقول : ولتعذيب الله إياهم فى الدار الآخرة أشدّ من تعذيبه إياهم فى الدنيا وأشقّ ، إنما هو أفعل من المشقة . وقوله (وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ) يقول تعالى ذكره : وما لهؤلاء الكفّار من أحد يقيهم من عذاب الله إذا عذبهم ، لا حميم ولا ولى ولا نصير ، لأنه جلّ جلاله لا يعاده أحد فيقهره فيخلصه من عذابه بالقهر ، ولا يشفع عنده أحد إلا بإذنه وليس يأذن لأحد فى الشفاعة لمن كفر به فمات على كفره قبل التوبة منه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلُّهَا دَائِمٌ وَظُلُمَاتُهَا نَبْطِئُ الْعَبْقَابُ مِنْ نِبْطِئَاتِهَا وَمِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴿٢٥﴾

❖❖❖ اختلف أهل العلم بكلام العرب فى رافع المثل ، فقال بعض نحوّي الكوفيين الرافع للمثل قوله (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) فى المعنى ، وقال : هو كما تقول حليّة فلان أسمر كذا وكذا ، فليس الأسمر بمرفوع

(١) فى اللسان : العداد والبداد : المناهدة .

بالحلية ، إنما هو ابتداء : أى هو أسمر هو كذا ، قال : ولو دخل أن في مثل هذا كان صوابا ، قال : ومثله في الكلام مثلك أنك كذا وأنتك كذا . وقوله (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ أَنَا) من وجه . (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا) ومن قال : (أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ) أظهر الاسم ، لأنه مردود على الطعام بالخفض ، ومستأنف : أى طعامه أنا صببنا ثم فعلنا . وقال : معنى قوله (مَثَلُ الْجَنَّةِ) : صفات الجنة . وقال بعض نحووي البصريين : معنى ذلك : صفة الجنة ، قال : ومنه قول الله تعالى (وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى) معناه : والله الصفة العليا . قال : فعنى الكلام في قوله (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) أو فيها أنهار ، كأنه قال : وصَفَ الجنة صفة تجرى من تحتها الأنهار ، أو صفة فيها أنهار والله أعلم . قال : ووجه آخر كأنه إذا قيل : مثل الجنة ، قيل : الجنة التي وعد المتقون . قال : وكذلك قوله (وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) كأنه قال : بالله الرحمن الرحيم ، والله أعلم . قال : وقوله (عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ) في ذات الله ، كأنه عندنا قيل : في الله ، قال وكذلك قوله (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) إنما المعنى : ليس كشيء ، وليس مثله شيء ، لأنه لا مثل له . قال : وليس هذا كقولك للرجل : ليس كمثلك أحد ، لأنه يجوز أن يكون له مثل ، والله لا يجوز ذلك عليه . قال : ومثله قول لبيد :

إِلَى الْحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا ١

قال : وفسر لنا أنه أراد : السلام عليكما ، قال أوس بن حجر :

وَقَتْلِي كَرَامٍ كَمِثْلِ الْجُدُوعِ تَغَشَّاهُمْ سَبِيلٌ مِنْهُمْ مِرٌّ ٢

قال : والمعنى عندنا : كالجدوع ، لأنه لم يزد أن يجعل للجدوع مثلا ثم يشبه القتلى به . قال : ومثله قول أمية :

زُحَلٌ وَثَوْرٌ تَحْتَ رِجْلِ يَمِينِهِ وَالنَّسْرُ لِلْأُخْرَى وَكَيْتٌ مُرْصَدٌ ٣

(١) هذا شطر بيت للبيد بن ربيعة العامري في ديوانه وفي خزانة الأدب بالبغدادى (٢ : ٣١٧ وما بعدها) من كلمة له يخاطب بها ابنته حين حضرته الوفاة ، قال :

تَمَنَى ابْنَتَايَ أَنْ يَعِيشَ أَبُوهُمَا وَمَا أَنَا إِلَّا مِنْ رِبِيعَةَ أَوْ مَضَرَ

فَقَوْمًا فَقَوْلًا بِالَّذِي تَعْلَمَانِهِ وَلَا تَخْمِشَا وَجْهًا وَلَا تَحْلِقَا شَعْرًا

وَقَوْلًا هُوَ الْمَرْءُ الَّذِي لَا صَدِيقَهُ أَضَاعَ وَلَا خَانَ الْخَلِيلَ وَلَا غَدَرَ

إِلَى الْحَوْلِ ثُمَّ اسْمِ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا وَمَنْ يَبْكُ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ اعْتَذَرَ

ويستشهد النحويون بالبيت على أن لفظ اسم « مقحم عند بعض النحاة . قال ابن جني في الخصائص : هذا قول أبو عبيدة ؛ وكذلك قال في باسم الله .

وقال السهيلي : لم يرد الشاعر إيقاع التسليم عليهما حينه ، وإنما أراد به بعد الحول ، فلو قال : ثم السلام عليكما ، لكان مسلما في وقته ، الذي نطق به في البيت ، فلذا ذكر الاسم ، وانظر تفصيل الكلام على البيت في الخزانة . وقد استشهد به الطبري على زيادة لفظ « اسم » كما قال أبو عبيدة .

(٢) تغشاهم : غطاهم ، والسبل : المطر . والمنهمر : الغزير . والبيت شاهد على أن لفظ « مثل » زائد . يريد : وقتلي كرام كالجذوع . ولم أجد البيت في شعراء النصرانية .

(٣) البيت لأمية بن أبي الصلت الثقفى (ديوانه طبعة ليبسج ص ٢٩) وقد أشار في هامشه إلى رواية الطبري هذه وفي متنه :

« رجل » في موضع « زحل » .

قال : فقال تحت رجل يمينه ، كأنه قال : تحت رجله أو تحت رجله النبي ؛ قال : وقول لبيد :

أضَلَّ صَوَارَهُ وَتَضَيَّفْتَهُ نَطُوفٌ أَمْرُهَا بِيَدِ الشَّمَالِ ١

كأنه قال : أمرها بالشمال وإلى الشمال ؛ وقول لبيد أيضا :

حَتَّى إِذَا أَلْقَتْ يَدًا فِي كَافِرٍ ٢

فكأنه قال : حتى وقعت في كافر . وقال آخر منهم : هو المكفوف عن خبره ، قال : والعرب تفعل ذلك .

قال : وله معنى آخر (للذين استجابوا لربهم الحسنى) مثل الجنة موصول صفة لها على الكلام الأول .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال ذكر المثل ، فقال مثل الجنة ، والمراد

الجنة ، ثم وصفت الجنة بصفتها ، وذلك أن مثلها إنما هو صفتها ، وليست صفتها شيئا غيرها . وإذا كان

ذلك كذلك ، ثم ذكر المثل ، فقيل : مثل الجنة ، ومثلها صفتها وصفة الجنة ، فكان وصفها كوصف المثل ،

وكان كأن الكلام جرى بذكر الجنة ، فقيل : الجنة تجرى من تحتها الأنهار ، كما قال الشاعر :

أَرَى مَرَّ السِّنِينَ أَخَذَنَ مِنِّي كَمَا أَخَذَ السَّرَارُ مِنَ الْهَيْلِ ٣

فذكر المر ، ورجع في الخبر إلى السنين .

وقوله (أكلها دائم وظلها) يعني : ما يؤكل فيها ؛ يقول : هو دائم لأهلها ، لا ينقطع عنهم ، ولا

يزول ، ولا يبدي ، ولكنه ثابت إلى غير نهاية . وظلها : يقول : وظلها أيضا دائم ، لأنه لا شمس فيها

(تِلْكَ عَقَبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا) يقول : هذه الجنة التي وصف جل ثناؤه عاقبة الذين اتقوا الله ،

فاجتنبوا معاصيه ، وأدوا فرائضه .

وقوله (وَعَقَبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ) يقول : وعاقبة الكافرين بالله النار .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ

أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَعَابِدُ ٤

(١) البيت للبيد في ديوانه (رواية الطوسي طبعة فينا سنة ١٨٨٠) قال في (١ : ١١٢) أضل هذا الناشط بقرة . وتضيفته

نزلت به . ونطوف : سحابة تنطف بالماء ، أمرها بيد الشمال : أراد البرد والمطر . قال أبو عمرو : نطوف : سحابة تسيل

قليلا قليلا . والصوار : قطع بقر الوحش . يقول : أضله فلم يدر كيف أخذ وبقي فردا . وقوله تضيفته نطوف : هذا مثل ، أي

نزلت به منزل الضيف نطوف سائلة ، وهي سحابة تمطر ، أمرها بيد الشمال بإذن الله .

(٢) هذا صدر بيت للبيد بن ربيعة من معلقته المشهورة (جمهرة أشعار العرب لمحمد بن أبي الخطاب القرشي ص ٧٢) وتمامه

« وأجن عورات الثغور ظلامها » . وقال الزوزني في شرحه للمعلقات السبع : الكافر : الليل ، سمي به لكفره الأشياء ، أي لستره ،

والكفر : الستر . والإجنان الستر أيضا . والثغر : موضع الخفاة ، والجمع : الثغور ، وعورته : أشد مخافة . يقول : حتى

إذا ألفت الشمس يدها في الليل أي ابتدأت في الغروب ، وعبر عن هذا المعنى بإلقاء اليد ، لأن من ابتداء بالشئ قيل ألقى يده فيه

وستر الظلام مواضع الخفاة . والضمير الذي بعد ظلامها : للعوامات . وتحرير المعنى : حتى إذا غربت الشمس ، وأظلم الليل .

(٣) البيت سبق الاستشهاد به وشرحه في الجزء الثاني عشر من هذه الطبعة ، فراجعه ثمة (١٢ : ١٥٧) .

❦❦❦ يقول تعالى ذكره : والذين أنزلنا إليهم الكتاب ممن آمن بك واتبعك يا محمد (يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ) منه (وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنْكِرُ بَعْضَهُ) يقول : ومن أهل الملل المتحزبين عليك ، وهم أهل أديان شتى ، من ينكر بعض ما أنزل إليك ، فقل لهم (إِنَّمَا أُمِرْتُ) أيها القوم (أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ) وحده دون ماسواه (وَلَا أُشْرِكَ بِهِ) فأجعل له شريكا في عبادتي ، فأعبد معه الآلهة والأصنام ، بل أخلص له الدين حنيفا مسلما (إِلَيْهِ أَدْعُو) يقول : إلى طاعته ، وإخلاص العباداة له أَدْعُو الناس (وَإِلَيْهِ مَأْبٍ) يقول : وإليه مصيرى ، وهو ممنوع من قول القائل : آب يثوب وأبا ومآبا .
وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ) أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، فرحوا بكتاب الله وبرسوله وصدقوا به . قوله (وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنْكِرُ بَعْضَهُ) يعنى اليهود والنصارى .
حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شاذان ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنْكِرُ بَعْضَهُ) قال : من أهل الكتاب .
حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .
حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ) من أهل الكتاب والأحزاب أهل الكتب ، تفریقهم لحزبهم . قوله (وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ) قال : لتحزبهم على النبي صلى الله عليه وسلم . قال ابن جريج ، وقال عن مجاهد (يُنْكِرُ بَعْضَهُ) قال : بعض القرآن .
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَإِلَيْهِ مَأْبٍ) : وإليه مصير كل عبد .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ) قال : هذا من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب فيفرحون بذلك ، وقرأ (وَمِنْهُمْ مَن يُوْمِنُ بِهِ ، وَمِنْهُمْ مَن لَا يُؤْمِنُ بِهِ) ، وفي قوله (وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنْكِرُ بَعْضَهُ) قال : الأحزاب : الأمم اليهود والنصارى والمجوس منهم من آمن به ، ومنهم من أنكره .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَّلِيٍّ

وَلَا وَاقٍ ﴿٢٧﴾

❖ يقول تعالى ذكره : وكما أنزلنا عليك الكتاب يا محمد، فأنكره بعض الأحزاب، كذلك أيضا أنزلنا الحكم والدين حكما عربيا؛ وجعل ذلك عربيا، ووصفه به لأنه أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وهو عربي، فنسب الدين إليه إذ كان عاياه أنزل، فكذب به الأحزاب، ثم نهاه جل ثناؤه عن ترك ما أنزل إليه واتباع الأحزاب، وتهدده على ذلك إن فعله، فقال: ولئن اتبعت يا محمد أهواءهم، أهواء هؤلاء الأحزاب ورضاهم ومحبتهم، وانتقلت من دينك إلى دينهم، مالك من يقيلك من عذاب الله إن عذباك على اتباعك أهواءهم، ومالك من ناصر ينصرك، فيستنقذك من الله إن هو عاقبك، يقول: فاحذر أن تتبع أهواءهم.

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِعَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾

❖ يقول تعالى ذكره (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا) يا محمد (رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ) إلى أمم قد دخلت من قبل، أمتك فجعلناهم بشرا مثلك، لهم أزواج ينكحون، وذرية أنسلوهم، ولم نجعلهم ملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون، فنجعل الرسول إلى قومك من الملائكة مثلهم، ولكن أرسلنا إليهم بشرا مثلهم، كما أرسلنا إلى من قبلهم من سائر الأمم بشرا مثلهم (وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِعَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) : يقول تعالى ذكره : وما يقدر رسول أرسله الله إلى خلقه أن يأتي أمته بآية وعلامة من تسيير الجبال، ونقل بلدة من مكان إلى مكان آخر وإحياء الموتى ونحوها من الآيات إلا بإذن الله، يقول: إلا بأمر الله الجبال بالسير، والأرض بالانتقال، والميت بأن يحيى (لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ) يقول: لكل أجل أمر قضاءه الله كتاب قد كتبه، فهو عنده. وقد قيل: معناه: لكل كتاب أنزله الله من السماء أجل.

ذكر من قال ذلك

حدثني المثني، قال: ثنا إسحاق بن يوسف، عن جوير، عن الضمحاك، في قوله (لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ) يقول: لكل كتاب ينزل من السماء أجل، فيسحق الله من ذلك ما يشاء ويثبت، وعنده أم الكتاب. ❖ قال أبو جعفر: وهذا على هذا القول نظير قول الله: (وَجَاءَت سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ) وكان أبو بكر رضي الله عنه يقول: وجاءت سكرة الحق بالموت؛ وذلك أن سكرة الموت تأتي بالحق، والحق يأتي بها، فكذلك الأجل له كتاب، وللكتاب أجل.

القول في تأويل قوله تعالى :

يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: يمحو الله ما يشاء من أمور عبادته، فيغيره، إلا الشقاء والسعادة فإنهما لا يغيران.

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا بحر بن عيسى ، عن ابن أبي ليلى ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله (يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) قال : يدبر الله أمر العباد فيمحو ما يشاء ، إلا الشقاء والسعادة والموت .
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي ليلى ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله (يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) قال : كل شيء غير السعادة والشقاء ، فإنهما قد فرغ منهما .

حدثني علي بن سهل ، قال : ثنا يزيد ، وحدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، عن سفيان ، عن ابن أبي ليلى ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس يقول (يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) قال : إلا الشقاء والسعادة ، والموت والحياة .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين وقبيصة قالا : ثنا سفيان ، عن ابن أبي ليلى ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، مثله .
حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا وكيع ، قال : ثنا ابن أبي ليلى ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قوله (يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) قال : قال ابن عباس : إلا الحياة والموت ، والشقاء والسعادة .

حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن ابن أبي ليلى ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله (يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) قال : يقدر الله أمر السنة في ليلة القدر ، إلا الشقاء والسعادة والموت والحياة .

حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، في قوله (يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ) قال : إلا الحياة والموت ، والسعادة والشقاوة فإنهما لا يتغيران .

حدثنا عمرو قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا معاذ بن عقبة ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، قال : قلت لمجاهد : إن كنت كتبتني سعيدا فأثبتني ، وإن كنت كتبتني شقيا فامحني ، قال : الشقاء والسعادة قد فرغ منهما .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : ثنا سعيد بن سلمان ، قال : ثنا شريك ، عن منصور ، عن مجاهد (يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ) قال : ينزل الله كل شيء في السنة في ليلة القدر ، فيمحو ما يشاء من الآجال والأرزاق والمقادير ، إلا الشقاء والسعادة ، فإنهما ثابتان .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، قال : سألت مجاهدا فقلت : رأيت دعاء أحدنا

يقول : اللهم إن كان اسمي في السعداء فأثبتته فيهم ، وإن كان في الأشقياء فامحُ منه ، واجعله في السعداء ، فقال : حسن ، ثم أتيت بعد ذلك بحول أو أكثر من ذلك ، فسألته عن ذلك ، فقال (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ . فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) قال : يُقْضَى فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ مَا يَكُونُ فِي السَّنَةِ مِنْ رِزْقٍ أَوْ مُصِيبَةٍ ، ثُمَّ يَقْدَمُ مَا يَشَاءُ وَيُؤَخَّرُ مَا يَشَاءُ . فَأَمَّا كِتَابُ الشَّقَاءِ وَالسَّعَادَةِ فَهُوَ ثَابِتٌ لَا يَغْيُرُ . وَقَالَ آخَرُونَ : مَعْنَى ذَلِكَ : أَنَّ اللَّهَ يَمْحُو مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ مِنْ كِتَابٍ سِوَى أُمَّ الْكِتَابِ الَّذِي لَا يَغْيُرُ مِنْهُ شَيْءٌ .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، عن سليمان التيمي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية (يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) قال : كتابان : كتاب يَمْحُو مِنْهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ، وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ .

حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا سهل بن يوسف ، قال : ثنا سليمان التيمي ، عن عكرمة ، في قوله (يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) قال : الكتاب كتابان ، كتاب يَمْحُو اللَّهُ مِنْهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ، وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ .

قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن سليمان التيمي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس بمثله . حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن عكرمة ، قال : الكتاب كتابان (يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) . وقال آخرون : بل معنى ذلك أنه يَمْحُو كُلَّ مَا يَشَاءُ ، وَيُثَبِّتُ كُلَّ مَا أَرَادَ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثام ، عن الأعمش ، عن شقيق أنه كان يقول : اللهم إن كنت كتبتنا أشقياء ، فامحنا واكتبنا سعداء ، وإن كنت كتبتنا سعداء فأثبتنا ، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت ، وعندك أم الكتاب .

حدثنا عمرو ، قال : ثنا وكيع ، قال : ثنا الأعمش ، عن أبي وائل ، قال : كان مما يكثر أن يدعو بهؤلاء الكلمات : اللهم إن كنت كتبتنا أشقياء فامحنا واكتبنا سعداء ، وإن كنت كتبتنا سعداء فأثبتنا ، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت ، وعندك أم الكتاب .

قال : ثنا معاذ بن هشام ، قال : ثنا أبي ، عن أبي حكيم ، عن أبي عثمان النهدي أن عمر بن الخطاب قال وهو يطوف بالبیت ويبيكي : اللهم إن كنت كتبت علي شقوة أو ذنبا فامحه ، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب ، فاجعله سعادة ومغفرة . قال : ثنا معتمر ، عن أبيه ، عن أبي حكيم ، عن أبي عثمان ، قال : وأحسبني قد سمعته من أبي عثمان ، مثله .

قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا قرّة بن خالد ، عن عيصمة بن أبي حكيم ، عن أبي عثمان النهدي ، عن عمر رضى الله عنه ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، قال : ثنا أبو حكيم ، قال : سمعت أبا عثمان النهدي ، قال : سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول وهو يطوف بالكعبة : اللهم إن كنت كتبتني في أهل السعادة فأثبتني فيها ، وإن كنت كتبت عليّ الذنب والشقوة فامحني وأثبتني في أهل السعادة ، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت ، وعندك أم الكتاب .

قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد ، عن خالد الحذاء ، عن أبي قلابة ، عن ابن مسعود ، أنه كان يقول : اللهم إن كنت كتبتني في أهل الشقاء فامحني ، وأثبتني في أهل السعادة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ، وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) يقول : وهو الرجل يعمل الزمان بطاعة الله ، ثم يعود لمعصية الله فيموت على ضلاله ، فهو الذي يمحو والذي يثبت : الرجل يعمل بمعصية الله . وقد كان سبق له خير حتى يموت ، وهو في طاعة الله ، فهو الذي يثبت .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن هلال بن حميد ، عن عبد الله بن حكيم ، عن عبد الله ، أنه كان يقول : اللهم إن كنت كتبتني في السعداء ، فأثبتني في السعداء ، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت ، وعندك أم الكتاب .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، عن أبي حمزة ، عن إبراهيم ، أن كعبا قال لعمر رضى الله عنه : يا أمير المؤمنين ، لولا آية في كتاب الله ، لأنبأتك ما هو كائن إلى يوم القيامة ، قال : وما هي ؟ قال : قول الله (يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) .

حدثت من الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله (لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ) . . . الآية ، يقول (يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ) يقول : أنسخ ما شئت ، وأصنع من الأفعال ما شئت ، إن شئت زدت فيها ، وإن شئت نقصت .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا همام ، قال : ثنا الكلبي ، قال (يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ) قال : يمحي من الرزق ويزيد فيه ، ويمحي من الأجل ويزيد فيه . قلت : من حدثك ؟ قال : أبو صالح ، عن جابر بن عبد الله بن رثاب الأنصاري ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فقدم الكلبي بعد ، فسئل عن هذه الآية (يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ) قال : يكتب القول كله ، حتى إذا كان يوم الخميس طرح منه كل شيء ليس فيه ثواب ، ولا عليه عقاب ، مثل قولك : أكلت ، شربت ، دخات ، خرجت ، ونحو ذلك من الكلام ، وهو صادق ، ويثبت ما كان فيه الثواب وعليه العقاب .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : سمعت الكلبي ، عن أبي صالح نحوه ، ولم يجاوز أبا صالح . وقال آخرون : بل معنى ذلك : أن الله ينسخ ما يشاء من أحكام كتابه ، ويثبت ما يشاء منها فلا ينسخه .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ) قال : من القرآن ، يقول : يبدل الله ما يشاء فينسخه ، ويثبت ما يشاء فلا يبدله (وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) يقول : وجملة ذلك عنده في أم الكتاب : النسخ والمنسوخ ، وما يبدل ، وما يثبت ، كل ذلك في كتاب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ هِيَ مِثْلُ قَوْلِهِ) (مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِئُهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا) ، وقوله (وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) : أى جملة الكتاب وأصله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ) ما يشاء ، وهو الحكيم (وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) وأصله .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ) بما ينزل على الأنبياء ، (وَيُثَبِّتُ) ما يشاء مما ينزل على الأنبياء ، قال (وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) لا يغير ولا يبدل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج (يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ) قال : ينسخ ، قال (وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) قال : الذكر .
وقال آخرون : معنى ذلك أنه يمحو من قد حان أجله ، ويثبت من لم يجيء أجله إلى أجله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن عوف ، عن الحسن ، فى قوله (يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ، وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) يقول : يمحو من جاء أجله فذهب ، والمثبت الذى هو حى يجرى إلى أجله :
حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا عوف ، قال : سمعت الحسن (يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ) قال : من جاء أجله (وَيُثَبِّتُ) قال : من لم يجيء أجله إلى أجله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا هوزة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، نحو حديث ابن بشار ؛
قال : ثنا عبد الوهاب بن عطاء ، قال : أخبرنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، فى قوله (لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ) قال : آجال بنى آدم فى كتاب (يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ) من أجله (وَيُثَبِّتُ ، وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) .

قال : ثنا شابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قول الله (يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ) قالت قريش حين أنزل (وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) ما نراك يا محمد تملك من شىء ، ولقد فرغ من الأمر ، فأنزلت هذه الآية تخويفا ووعيدا لهم ، إنا إن شئنا أحدثنا له من

أمرنا ما شئنا ، ونحدث في كل رمضان ، فنمحو ونثبت ما نشاء من أرزاق الناس ومصائبهم ، وما نعطيهم ، وما نقسم لهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد نحوه .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .
وقال آخرون : معنى ذلك : ويغفر ما يشاء من ذنوب عباده ، ويترك ما يشاء فلا يغفر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن سعيد ، في قوله (يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ) قال : يثبت في البطن الشقاء والسعادة وكل شيء ، فيغفر منه ما يشاء ، ويؤخر ما يشاء .
❖ وأولى الأقوال التي ذكرت في ذلك بتأويل الآية ، وأشبهها بالصواب ، القول الذي ذكرناه عن الحسن ومجاهد ، وذلك أن الله تعالى ذكره توعد المشركين الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات بالعقوبة ، وتهددهم بها ، وقال لهم : (وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ) يعلمهم بذلك أن لقضائه فيهم أجلا مثبتا في كتاب هم مؤخرون إلى وقت مجيء ذلك الأجل ، ثم قال لهم : فإذا جاء ذلك الأجل يجيء الله بما شاء من قد دنا أجله ، وانقطع رزقه ، أو حان هلاكه أو اتضاعه ، من رفعة أو هلاك مال ، فيقضى ذلك في خلقه ، فذلك محوه ، ويثبت ما شاء من بقي أجله ورزقه وأكله ، فيتركه على ما هو عليه فلا يمحوه ، وبهذا المعنى جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وذلك ما حدثني محمد بن سهل بن عسكر ، قال : ثنا ابن أبي مريم ، قال : ثنا الليث بن سعد ، عن زيادة بن محمد ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن فضالة بن عبيد ، عن أبي الدرداء ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ يَفْتَحُ الذِّكْرَ فِي ثَلَاثِ سَاعَاتٍ يَبْقَيْنَ مِنَ اللَّيْلِ ، فِي السَّاعَةِ الْأُولَى مِنْهُنَّ يَنْظُرُ فِي الْكِتَابِ الَّذِي لَا يَنْظُرُ فِيهِ أَحَدٌ غَيْرُهُ ، فَيَمْحُو مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ، ثُمَّ ذَكَرَ مَا فِي السَّاعَتَيْنِ الْآخِرَتَيْنِ » .

حدثنا موسى بن سهل الرملي ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا الليث ، قال : ثنا زيادة بن محمد ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن فضالة بن عبيد ، عن أبي الدرداء ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ فِي ثَلَاثِ سَاعَاتٍ يَبْقَيْنَ مِنَ اللَّيْلِ ، يَفْتَحُ الذِّكْرَ فِي السَّاعَةِ الْأُولَى الَّذِي لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ غَيْرُهُ ، يَمْحُو مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ مَا يَشَاءُ » .

حدثني محمد بن سهل بن عسكر ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : إن لله لوحا محفوظا مسيرة خمس مئة عام ، من ذرة بيضاء لها دفتان من ياقوت ، والدفتان لوحان لله ، كل يوم ثلاث مئة وستون لحظة ، يمحو ما يشاء ويثبت ، وعنده أم الكتاب .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، قال : ثنى رجل ، عن أبيه ، عن قيس بن عباد ، أنه قال : العاشر من رجب هو يوم يمحو الله فيه ما يشاء .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ : (تفسير الطبري) قال : قال بعض المفسرين :
اختلف أهل التأويل ، في تأويل قوله (وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) فقال بعضهم : معناه : وعنده الحلال
والحرام .

ذكر من قال ذلك
حدثني المثنى ، قال : ثنا مسلم بن إبراهيم ، قال : ثنا محمد بن عقبة ، قال : ثنا مالك بن دينار ، قال :
سألت الحسن : قلت (أُمُّ الْكِتَابِ) قال : الحلال والحرام ، قال : قلت : فما الحمد لله رب العالمين ؟ قال :
هذه أم القرآن .
وقال آخرون : معناه : وعنده حملة الكتاب وأصله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) قال :
جملة الكتاب وأصله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله
(وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) قال : كتاب عند رب العالمين .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق بن يوسف ، عن جويبر ، عن الضحاك (وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ)
قال : جملة الكتاب وعلمه ، يعني بذلك ما ينسخ منه وما يثبت .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (وَعِنْدَهُ
أُمُّ الْكِتَابِ) يقول : وجملة ذلك عنده في أم الكتاب : الناسخ والمنسوخ ، وما يبدل ، وما يثبت ، كل
ذلك في كتاب .

وقال آخرون في ذلك : ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا معتمر بن سليمان ، عن أبيه ،
عن شيبان ، عن ابن عباس ، أنه سأل كعبا عن أم الكتاب ، قال : علم الله ما هو خالق وما خلقه عاملون ،
فقال لعلمه : كن كتابا ، فكان كتابا .

وقال آخرون : هو الذكر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج . قال أبو جعفر : لأدرى فيه ابن جريج أم لا؟
قال : قال ابن عباس (وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) قال : الذكر .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : وعنده أصل الكتاب وجملة ، وذلك أنه تعالى ذكره
أخبر أنه يمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء ، ثم عقب ذلك بقوله (وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) فكان بيننا أن معناه :
وعنده أصل المثبت منه والممحو ، وجملة في كتاب لديه .

واختلفت القراء في قراءة قوله (وَيُثَبِّتُ) فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة (وَيُثَبِّتُ) بتشديد الباء بمعنى : ويتركه ويقره على حاله ، فلا يمحوه . وقرأه بعض المكيين وبعض البصريين ، وبعض الكوفيين (ويثبت) بالتخفيف ، بمعنى : يكتب ، وقد بيّدنا قبل أن معنى ذلك عندنا : إقراره مكتوبا ، وترك محوه . على ما قد بيّدنا ، فإذا كان ذلك كذلك فالتثبيت به أولى ، والتشديد أصوب من التخفيف ، وإن كان التخفيف قد يحتمل توجيهه في المعنى إلى التشديد ، والتشديد إلى التخفيف ، لتقارب معنيهما .
وأما المحو ، فإن للعرب فيه لغتين : فأما مضر فإنها تقول : محوت الكتاب أمحوه محوا ، وبه التنزيل ، ومحوته أمحاه محوا . وذكر عن بعض قبائل ربيعة : أنها تقول : محيت أمحي .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ نتُوفِينَاكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وإما نريَنَّك يا محمد في حياتك بعض الذي نعد هؤلاء المشركين بالله من العقاب على كفرهم ، أو نتوفينَّاك قبل أن نريك ذلك ، فإنما عليك أن تنتهي إلى طاعة ربك فيما أمرك به من تبليغهم رسالته ، لا طلب صلاحهم ولا فسادهم ، وعلينا محاسبتهم ، فمجازاتهم بأعمالهم ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ

الْحِسَابِ ﴾

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : أو لم ير هؤلاء المشركون من أهل مكة ، الذين يسألون محمدا الآيات ، أنا نأتى الأرض ، فنفتحها له أرضا بعد أرض ، حوالى أرضهم ، أفلا يخافون أن نفتح له أرضهم كما فتحنا له غيرها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا محمد بن الصباح ، قال : ثنا هشيم ، عن حصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قوله (أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) قال : أو لم يروا أنا نفتح لمحمد الأرض بعد الأرض .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) يعني بذلك : ما فتح الله على محمد ، يقول : فذلك نقصانها .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أنبي ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك ، قال : ما تغلبت عليه من أرض العدو .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : كان الحسن يقول في قوله (أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) فهو ظهور المسلمين على المشركين .
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله : (أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) يعني أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان ينتقص له ما حوله من الأرضين ، ينظرون إلى ذلك ، فلا يعتبرون ، قال الله في سورة الأنبياء : (نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ) بل نبي الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه هم الغالبون .

وقال آخرون : بل معناه : أو لم يروا أنا نأتي الأرض فنخرّبها ، أو لا يخافون أن نفعل بهم وبأرضهم مثل ذلك ، فهلكهم ، ونخرّب أرضهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا علي بن عاصم ، عن حصين بن عبد الرحمن ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قوله (أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) قال : أو لم يروا إلى القرية تخرب حتى يكون العمران في ناحية .

قال : ثنا حماد بن محمد ، عن ابن جريج ، عن الأعرج ، أنه سمع مجاهدا يقول (نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) قال : خرابها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حماد ، عن ابن جريج ، عن الأعرج ، عن مجاهد ، مثله . قال : وقال ابن جريج : خرابها وهلاك الناس .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي جعفر الفراء ، عن عكرمة ، قوله (أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) قال : نخرّب من أطرافها .
وقال آخرون : بل معناه : ننقص من بركتها وثمرتها وأهلها بالموت .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) يقول : نقصان أهلها وبركتها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد ، في قوله (نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) قال : في الأنفس وفي الثمرات ، وفي خراب الأرض .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أنبي ، عن طلحة القناد ، عن سمع الشعبي ، قال : لو كانت الأرض تنقص لضاق عليك حشك ، ولكن تنقص الأنفس والثمرات .

وقال آخرون : معناه : أنا نأتى الأرض ننقصها من أهلها ، فنتطرفهم بأخذهم بالموت .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) قال : موت أهلها .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) قال : الموت .

حدثني المثنى ، قال : ثنا مسلم بن إبراهيم ، قال : ثنا هارون النحوى ، قال : ثنا الزبير بن الحرث عن عكرمة ، فى قوله (نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) قال : هو الموت ، ثم قال : لو كانت الأرض تنقص لم نجد مكانا نجلس فيه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) قال : كان عكرمة يقول : هو قبض الناس .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : سئل عكرمة ، عن نقص الأرض قال : قبض الناس .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا جرير بن حازم ، عن يعلى بن حكيم ، عن عكرمة ، فى قوله (أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) قال : لو كان كما يقولون لما وجد أحدكم جبا يخرأ فيه .

حدثنا الفضل بن الصباح ، قال : ثنا إسماعيل بن عليه ، عن أبي رجاء ، قال : سئل عكرمة وأنا أسمع عن هذه الآية (أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) قال : الموت .

وقال آخرون : ننقصها من أطرافها : بذهاب فقهاؤها وخيارها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا طلحة بن عمرو ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : ذهب علمائها وفقهاؤها وخيار أهلها .

قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عبد الوهاب ، عن مجاهد ، قال : موت العلماء .

❖❖ وأولى الأقوال فى تأويل ذلك بالصواب ، قول من قال (أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) بظهور المسلمين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم عليها ، وقهرهم أهلها ، أفلا يعتبرون بذلك فيخافون ظهورهم على أرضهم ، وقهرهم إياهم ، وذلك أن الله توعد الذين سألوا رسوله الآيات من مشركى قومه بقوله (وَإِنَّمَا نُرِيكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ) ، ثم وبخهم تعالى ذكره بسوء اعتبارهم بما يعاينون من فعل الله بضرابهم من الكفار ، وهم مع

ذلك يسألون الآيات ، فقال (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) بقهر أهلها ، والغلبة عليها من أطرافها وجوانبها ، وهم لا يعتبرون بما يرون من ذلك .
 وأما قوله (وَاللَّهُ يُحْكِمُ لِمُتَعَقِّبِ لِحُكْمِهِ) يقول : والله هو الذي يحكم فينفذ حكمه ، ويقضي فيمضي قضاؤه ، وإذا جاء هؤلاء المشركين بالله من أهل مكة حكم الله وقضاؤه لم يستطيعوا رده ، ويعنى بقوله (لا مُتَعَقِّبَ لِحُكْمِهِ) : لا راد لحكمه ، والمتعقب في كلام العرب : هو الذي يكر على الشيء ، وقوله (وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) يقول : والله سريع الحساب يحصى أعمال هؤلاء المشركين لا ينحى عليه شيء وهو من وراء جزأهم عليها .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفْرَانَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٤٢﴾

يقول تعالى ذكره : قد مكر الذين من قبل هؤلاء المشركين من قريش من الأمم التي سلفت بأنبياء الله ورسوله فله المكر جميعا : يقول : فله أسباب المكر جميعا ، ويبيده وإليه ، لا يضر مكر من مكر منهم أحدا إلا من أراد ضره به ، يقول : فلم يضر الماكرون بمكرهم إلا من شاء الله أن يضره ذلك ، وإنما ضرّوا به أنفسهم لأنهم أخطوا ربهم بذلك على أنفسهم حتى أهلكتهم ، ونجى رسله : يقول : فكذلك هؤلاء المشركون من قريش يمكرون بك يا محمد ، والله منجيك من مكرهم ، وملحق ضرّ مكرهم بهم دونك . . . وقوله (يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ) يقول : يعلم ربك يا محمد ما يعمل هؤلاء المشركون من قومك ، وما يسعون فيه من المكر بك ، ويعلم جميع أعمال الخلق كلهم ، لا ينحى عليه شيء منها (وَسَيَعْلَمُ الْكُفْرَانَ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ) يقول : وسيعلمون إذا قدموا على ربهم يوم القيامة لمن عاقبة الدار الآخرة حين يدخلون النار ، ويدخل المؤمنون بالله ورسوله الجنة .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته قراء المدينة ، وبعض أهل البصرة (وَسَيَعْلَمُ الْكُفْرَانَ) على التوحيد . وأما قراء الكوفة فإنهم قرءوه (وَسَيَعْلَمُ الْكُفْرَانَ) على الجمع .

والصواب من القراءة في ذلك القراءة على الجمع ، وسيعلم الكفار ، لأن الخبر جرى قبل ذلك عن جماعتهم ، وأتبع بعده الخبر عنهم ، وذلك قوله (وَإِنَّمَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَّبِعَنَّكَ) وبعده قوله (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا) وقد ذكر أنها في قراءة ابن مسعود (وَسَيَعْلَمُ الْكُفْرُونَ) ، وفي قراءة أبي (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا) وذلك كله دليل على صحة ما اخترنا من القراءة في ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ
عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾

❖❖ يقول تعالى ذكره (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالله من قومك يا محمد (لَسْتَ مُرْسَلًا) تكذيباً منهم لك ، وجحوداً لنبوتك ، (فَقُلْ) لهم إذا قالوا ذلك ، (كَفَىٰ بِاللَّهِ) يقول : قل حسبي الله (شَهِيدًا) ، يعني شاهداً (بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ) على وعليكم بصدق وكذبكم (وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ) فمن إذا قرئ به كذلك في موضع خفض عطفاً به على اسم الله ، وكذلك قرأ قرأة الأمصار بمعنى : والذين عندهم علم الكتاب الكتب التي نزلت قبل القرآن كالتوراة والإنجيل ، وعلى هذه القراءة ، فسر ذلك المفسرون .

ذكر الرواية بذلك

حدثني علي بن سعيد الكندي ، قال : ثنا أبو محيية يحيى بن يعلى ، عن عبد الملك بن عمير ، عن ابن أخي عبد الله بن سلام ، قال : قال عبد الله بن سلام : نزلت في (كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ) ، وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ .

حدثنا الحسين بن علي الصدائي ، قال : ثنا أبو داود الطيالسي ، قال : ثنا شعيب بن صفوان ، قال : ثنا عبد الملك بن عمير ، أن محمد بن يوسف بن عبد الله بن سلام ، قال : قال عبد الله بن سلام : أنزل في (قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ) .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس ، قوله (قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ) فالذين عندهم علم الكتاب : هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا الأشجعي ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ) قال : هو عبد الله بن سلام .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا هشيم ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح ، في قوله (وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ) قال : رجل من الإنس ، ولم يسمه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ) عبد الله بن سلام .

قال : ثنا يحيى بن عباد ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد (وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ) ١ . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا) قال : قول مشركي قريش (قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ)

(١) كذا في الأصل رقم ١٠٠ بدار الكتب المصرية ، ولم يذكر لفظ الحديث .

(الكتاب) أناس من أهل الكتاب كانوا يشهدون بالحق ويقرّون به، ويعلمون أن محمداً رسول الله، كما يحدث أن منهم عبد الله بن سلام.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن قتادة (وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ) قال: كان منهم عبد الله بن سلام، وسلمان الفارسي، وتميم الداري.

حدثنا الحسن، قال: ثنا عبد الوهاب، عن سعيد، عن قتادة (وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ) قال هو عبد الله بن سلام.

وقد ذكر عن جماعة من المتقدمين أنهم كانوا يقرءونه (وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الْكِتَابِ) بمعنى: من عند الله علم الكتاب.

ذكر من ذكر ذلك عنه

حدثنا الحسن بن محمد، قال: ثنا عبد الوهاب بن عطاء، عن هارون، عن جعفر بن أبي وحشية، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس (وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الْكِتَابِ) يقول: من عند الله علم الكتاب. حدثني محمد بن المثني، قال: ثنا محمد بن جعفر، عن شعبة، عن الحكم، عن مجاهد (وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الْكِتَابِ) قال: من عند الله.

قال: ثنا ابن أبي عدي، عن شعبة، عن الحكم، عن مجاهد (وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الْكِتَابِ) قال: من عند الله علم الكتاب.

وقد حدثنا هذا الحديث الحسن بن محمد، قال: ثنا شبابة، قال: ثنا شعبة، عن الحكم، عن مجاهد (وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الْكِتَابِ) قال: هو الله، هكذا قرأ الحسن (وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الْكِتَابِ). قال: ثنا شعبة، عن منصور بن زاذان، عن الحسن، مثله.

قال: ثنا علي، يعني ابن الجعد، قال: ثنا شعبة، عن منصور بن زاذان، عن الحسن (وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الْكِتَابِ) قال: الله، قال شعبة: فذكرت ذلك للحكم، فقال: قال مجاهد، مثله.

حدثنا ابن المثني، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، قال: سمعت منصور بن زاذان يحدث عن الحسن، أنه قال في هذه الآية (وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الْكِتَابِ) قال: من عند الله.

قال: ثنا الحسن بن محمد، قال: ثنا هوزة، قال: ثنا عوف، عن الحسن (وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الْكِتَابِ) قال: من عند الله علم الكتاب.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الحسن (وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الْكِتَابِ) قال: من عند الله علم الكتاب، هكذا قال ابن عبد الأعلى.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: كان الحسن يقرؤها (قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الْكِتَابِ) يقول: من عند الله علم الكتاب، وجملته

هكذا ، حدثنا به بشر : علم الكتاب ، وأنا أحسبه وهم فيه ، وأنه (وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمَ الْكِتَابِ) لأن قوله وجملته اسم لا يعطف باسم على فعل ماض .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عبد الوهاب ، عن هارون (وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمَ الْكِتَابِ) يقول : من عند الله علم الكتاب .

حدثني المثني ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن أبي بشر ، قال : قلت لسعيد ابن جبير (وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمَ الْكِتَابِ) أهو عبد الله بن سلام ، قال : هذه السورة مكية ، فكيف يكون عبد الله بن سلام ؟ قال : وكان يقرأها (وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمَ الْكِتَابِ) يقول : من عند الله .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا سعيد بن منصور ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن أبي بشر ، قال : سألت سعيد ابن جبير ، عن قول الله (وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمَ الْكِتَابِ) أهو عبد الله بن سلام ، قال : فكيف وهذه السورة مكية ، وكان سعيد يقرأها (وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمَ الْكِتَابِ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى عباد ، عن عوف ، عن الحسن وجويبر ، عن الضحاك ابن مزاحم ، قال (وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمَ الْكِتَابِ) قال : من عند الله .

❖❖❖ وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر بتصحيح هذه القراءة وهذا التأويل ، غير أن في إسناده نظرا . وذلك ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى عباد بن العوام ، عن هارون الأعور ، عن الزهري ، عن سالم بن عبد الله ، عن أبيه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأ (وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمَ الْكِتَابِ) عند الله علم الكتاب ، وهذا خبر ليس له أصل عند الثقات من أصحاب الزهري ، فإذا كان ذلك كذلك ، وكانت قرآء الأمصار من أهل الحجاز والشام والعراق على القراءة الأخرى ، وهي (وَمِنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ) كان التأويل الذي على المعنى الذي عليه قرآء الأمصار أولى بالصواب ممن خالفه ، إذ كانت القراءة بما هم عليه مجمعون أحق بالصواب .

آخر تفسير سورة الرعد ، والحمد لله صادق الوعد .

(١٤) سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ كِتَابَةٌ
وآيَاتُهَا ثِنْتَانِ وَخَمْسُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

الرَّكَّابُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ

الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١٤﴾

قال أبو جعفر الطبري : قد تقدم منا البيان عن معنى قوله (الرَّ) فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

وأما قوله (كتابٌ أنزلناه إليك) فإن معناه : هذا كتاب أنزلناه إليك يا محمد : يعنى القرآن ، (لتُخرجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) يقول : لتهديهم به من ظلمات الضلالة والكفر إلى نور الإيمان وضيائه ، وتبصر به أهل الجهل والعمى سبل الرشاد والهدى . وقوله (بإذنِ رَبِّهِمْ) يعنى : بتوفيق ربهم لهم بذلك ، ولطفه بهم (إلى صراطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) يعنى : إلى طريق الله المستقيم ، وهو دينه الذى ارتضاه ، وشرعه خلّقه ، والحميد : فعيل ، صرف من مفعول إلى فعيل ، ومعناه : المحمود بآلائه ، وأضاف تعالى ذكره : لإخراج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم لهم بذلك إلى نبيه صلى الله عليه وسلم ، وهو الهادى خلقه ، والموفّق من أحبّ منهم للإيمان ، إذ كان منه دعاؤهم إليه ، وتعريفهم ما لهم فيه وعليهم ، فبين بذلك صحة قول أهل الإثبات الذين أضافوا أفعال العباد إليهم كسبا ، وإلى الله جل ثناؤه إنشاء وتدبيراً ، وفساد قول أهل القدر ، الذين أنكروا أن يكون لله فى ذلك صنع .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (لتُخرجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) : أى من الضلالة إلى الهدى .

القول فى تأويل قوله تعالى :

اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿١٥﴾

اختلقت القراء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة والشام (اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ) برفع اسم الله على الابتداء ، وتصيير قوله (الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ) خبره ، وقراءته عامّة قراء أهل العراق والكوفة والبصرة (اللَّهُ الَّذِي) بخفض اسم الله على إتباع ذلك (الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) وهما خفض . وقد اختلف أهل العربية فى تأويله إذا قرئ كذلك ، فذكر عن أبي عمرو بن العلاء ، أنه كان يترؤه

بالخفض ويقول : معناه : بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد ، الذى له ما فى السموات ، ويقول : هو من المؤخر الذى معناه التقديم ، ويمثله بقول القائل : مررت بالظريف عبد الله ، والكلام الذى يوضع مكان الاسم : النعت ، ثم يجعل الاسم مكان النعت ، فيتبع إعرابه إعراب النعت الذى وضع موضع الاسم كما قال بعض الشعراء :

لَوْ كُنْتُ ذَا نَبَلٍ وَذَا شَرِيبٍ مَا خَفِئْتُ شَدَّاتِ الْخَبِيثِ الذَّيْبِ ۱

وأما الكسائي فإنه كان يقول فيما ذكر عنه من خفض أراد أن يجعله كلاماً واحداً ، وأتبع الخفض الخفض ، وبالخفض كان يقرأ .

❖❖❖ والصواب من القول فى ذلك عندى ، أنهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما أئمة من القراء معناهما واحد ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب . وقد يجوز أن يكون الذى قرأه بالرفع ، أراد معنى من خفض فى إتباع الكلام بعضه بعضاً ، ولكنه رفع لانفصاله من الآية التى قبله ، كما قال جل ثناؤه (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ) ... إلى آخر الآية ، ثم قال (التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ) . ومعنى قوله (اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) الله الذى يملك جميع ما فى السموات وما فى الأرض يقول لنبىه محمد صلى الله عليه وسلم : أنزلنا إليك هذا الكتاب لتدعو عبادى إلى عبادة من هذه صفته ، ويدعوا عبادة من لا يملك لهم ولا لنفسه ضراً ولا نفعاً من الآلهة والأوثان ، ثم توعد جل ثناؤه من كفر به ، ولم يستجب لدعاء رسوله إلى ما دعاه إليه من إخلاص التوحيد له ، فقال (وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ) يقول : الوادى الذى يسيل من صديد أهل جهنم ، لمن جحد وحدانيته ، وعبد معه غيره من عذاب الله الشديد .

القول فى تأويل قوله تعالى :

الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ۝

❖❖❖ يعنى جل ثناؤه بقوله (الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ) الذين يختارون الحياة الدنيا ومتاعها ، ومعاصى الله فيها على طاعة الله ، وما يقربهم إلى رضاه من الأعمال النافعة فى الآخرة ، (وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) يقول : ويمنعون من أراد الإيمان بالله ، واتباع رسوله على ما جاء به من عند الله من الإيمان به واتباعه (وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا) يقول : ويلتمسون سبيل الله ، وهى دينه الذى ابتعث به رسوله . عوجاً : تحريفها وتبديلاً بالكذب ، والزور والعوج بكسر العين وفتح الواو فى الدين والأرض

(١) الشزيب : القضيبي من الشجر قبل أن يصلح ، وجمعه : شزوب ، حكاه أبو حنيفة (اللسان : شزب) . والبيت شاهد للنعت الذى يتقدم على المنعوت فيعرب الاسم الذى بعده حينئذ بدلاً . وقد مثل النحاة لذلك بهذه الآية : (إلى صراط العزيز الحميد الله) بخفض لفظ الله على البدل . قالوا والأصل صراط الله العزيز الحميد . والله أعلم .

وكلّ ما لم يكن قائماً ، فأما في كل ما كان قائماً كالحائط والرمح والسنّ فإنه يقال : بفتح العين والواو جميعاً عَوَجَ : يقول الله عزّ ذكره (أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ) يعني : هؤلاء الكافرين الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ، يقول : هم في ذهاب عن الحقّ بعيد ، وأخذ على غير هدى ، وجور عن قصد السبيل .

وقد اختلف أهل العربية في وجه دخول على في قوله (على الآخرة) فكان بعض نحويّ البصرة يقول أوصل الفَعَلُ بعلى ، كما قيل في ضربوه في السيف ، يريد بالسيف ، وذلك أن هذه الحروف يوصل بها كلها ، وتحذف نحو قول العرب : نزلت زيدا ، ومررت زيدا ، يريدون : مررت به ، ونزلت عليه . وقال بعضهم : إنما أدخل ذلك ، لأن الفعل يؤدّى عن معناه^١ من الأفعال ، ففي قوله (يَسْتَحِبُّونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ) ولذلك أدخلت على . وقد بيّنت هذا ونظائره في غير موضع من الكتاب بما أغنى عن الإعادة .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥٥﴾

❖ يقول تعالى ذكره : وما أرسلنا إلى أمة من الأمم يا محمد من قبلك ، ومن قبل قومك رسولا إلا بلسان الأمة التي أرسلناه إليها ولغتهم ، ليبين لهم : ليفهمهم ما أرسله الله به إليهم من أمره ونهيه ، ليثبت حجة الله عليهم ، ثم التوفيق والخذلان بيد الله ، فيخذل عن قبول ما أتاه به رسوله من عنده من شاء منهم ، ويوفّق لقبوله من شاء ، ولذلك رفع فيضلّ ، لأنه أريد به الابتداء لا العطف على ما قبله ، كما قيل : لنبين لكم ، ونقرّ في الأرحام ما نشاء ، وهو العزيز الذي لا يمتنع مما أراده من ضلال أو هداية من أراد ذلك به ، والحكيم في توفيقه للإيمان من وفقه له ، وهدايته له من هداه إليه ، وفي إضلاله من أضلّ عنه ، وفي غير ذلك من تدبيره .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ) : أي بلغة قومه ما كانت ، قال الله عزّ وجلّ (لِيُبَيِّنَ لَهُمْ) الذي أرسل إليهم ليتخذ بذلك الحجة ، قال الله عزّ وجلّ (فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) ، وهو العزيز الحكيم .

(١) يريد أن الفعل يتضمن معنى فعل آخر بمعناه ، فيكون مثله تعديا ولزوما ، والفعل « يستحبون » هنا : مضمن معنى « يختارون » كما قال أبو عبيدة في مجاز القرآن (١ : ٣٣٥) أو معنى « يؤثرون » الحياة الدنيا على الآخرة . ولذلك عدى بعلى .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا
اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٠﴾

❖❖❖ يقول تعالى ذكره : ولقد أرسلنا موسى بأدلتنا وحميجنا من قبلك يا محمد ، كما أرسلناك إلى قومك
بمثلها من الأدلة والحميج .

كما حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح « ح » ؛
وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن الأشيب ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد « ح » ؛
وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول
الله (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا) قال : بالبينات .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا) قال : التسع الآيات : الطوفان وما معه .
حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد
(أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا) قال : التسع البينات .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
وقوله (أَنْ أَخْرِجَ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) كما أنزلنا إليك يا محمد هذا الكتاب ، لتخرج
الناس من الظلمات إلى النور (بِإِذْنِ رَبِّهِمْ) ، ويعنى بقوله (أَنْ أَخْرِجَ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى
النُّورِ) : أي ادعهم من الضلالة إلى الهدى ، ومن الكفر إلى الإيمان .

كما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس
قوله (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجَ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) يقول : من الضلالة
إلى الهدى .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، عن عمرو ، عن سعيد ، عن قتادة ، مثله .
وقوله (وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا) يقول عز وجل : وعظهم بما سلف من نعمي عليهم في الأيام التي
نحلت ، فاجزئ بذكر الأيام من ذكر النعم التي عناها ، لأنها أيام كانت معلومة عندهم ، أنعم الله عليهم
فيها نعمًا جليلة ، أنقذهم فيها من آل فرعون بعد ما كانوا فيما كانوا من العذاب المهين ، وغرق عدوهم
فرعون وقومه ، وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم . وكان بعض أهل العربية يقول : معناه : خوفهم بما
نزل بعاد وثمود وأشباهم من العذاب ، وبالعهو عن الآخرين ، قال : وهو في المعنى كقولك : خذهم
بالشدّة واللين . وقال آخرون منهم : قد وجدنا لتسمية النعم بالأيام شاهدة في كلامهم ، ثم استشهد لذلك
بقول عمرو بن كلثوم .

(١) « ح » : رمز عند المحدثين إلى تحويل الإسناد من راو إلى آخر ، لجمع الروايات المختلفة على أصل واحد .

وَأَيَّامٍ لَنَا غُرًّا طَوَّالٍ عَصَيْنَا الْمَلِكَ فِيهَا أَنْ نَدِينَا

وقال : فقد يكون إنما جعلها غرًّا طوالاً لإنعامهم على الناس فيها . وقال : فهذا شاهد لمن قال (وَذَكَرَهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ) بنعم الله . ثم قال : وقد يكون تسميتها غرًّا ، لعلوهم على الملك وامتناعهم منه ، فأيامهم غرًّا لهم ، وطوال على أعدائهم .

قال أبو جعفر : وليس للذى قال هذا القول ، من أن فى هذا البيت دليلاً على أن الأيام معناها : النعم وجه ، لأن عمرو بن كلثوم إنما وصف ما وصف من الأيام بأنها غرّ ، لغزّ عشيرته فيها ، وامتناعهم على الملك ، من الإذعان له بالطاعة ، وذلك كقول الناس : ما كان لفلان قطّ يوم أبيض ، يعنون بذلك : أنه لم يكن له يوم مذكور بخير . وأما وصفه إياها بالطول ، فإنها لا توصف بالطول إلا فى حال شدّة ، كما قال النابغة :

كَلَيْبِي لَهْمٌ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٍ وَلَيْلٍ أُقَاسِيهِ بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ ٢

فإنما وصفها عمرو بالطول لشدّة مكروهاها على أعداء قومه ، ولا وجه لذلك غير ما قلت .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يحيى بن طلحة اليربوعى ، قال : ثنا فضيل بن عياض ، عن أيث ، عن مجاهد (وَذَكَرَهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ) قال : بأنعم الله .

حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن سفیان ، عن عبيد المكتب عن مجاهد (وَذَكَرَهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ) قال : بنعم الله .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفیان ، عن عبيد المكتب ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عبثر ، عن حصين ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى « ح » ؛ وحدثني الحرث ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (بِأَيَّامِ اللَّهِ) قال : بنعم الله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

(١) البيت لعمرو بن كلثوم الشغلبسى من معاقتة (انظر شرح المعلقات السبع للزوزنى) قال : يقول : نخبرك بوقائع لنا مشاهير . كالفر من الخيل . عصينا الملك فيها كراهية أن نطيعه ونتذلل له . والأيام الوقائع هنا ، والفر : بمعنى المشاهير ، كالخيل الفر ، لاشتهارها فيما بين الخيل ، وقوله أن ندين : كراهية أن ندين ، فحذف المضاف . هذا على قول البصريين . وقال الكوفيون : تقديره أن لا ندين ، فحذف لا . والبيت شاهد على أن الأيام المراد بها النعم لا الشدائد . وقال التبريزى : إنما سمي الأيام غرًّا طوالاً ، لعلوهم على الملك ، وامتناعهم منه لعزهم ، فأيامهم غرهم ، طوال على أعدائهم .

(٢) البيت للنابغة الذبياني فى ديوانه (مختار الشعر الجاهلى ، بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبي ص ١٥٩) . وكلينى : دعيتى وأميمة بالفتح ، والأحسن بالضم . قال الخليل : من عادة العرب أن تنادى المؤنث بالترخيم ، فلما لم يرخم هنا (بسبب الوزن) أجراها على لفظها مرخمة ، وأتى بها بالفتح . وناصر : متعب . وبطىء الكواكب : لا تغور كواكبه . وإنما كان الليل طويلاً بطىء الكواكب ، لأن الشاعر كان فى حال كرب وشدّة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
حدثني المثنى ، قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَذَكَرَهُمْ
بِأَيَّامِ اللَّهِ) قال : بالنعم التي أنعم بها عليهم : أنجاهم من آل فرعون ، وخلق لهم البحر ، وظلل عليهم
الغمام ، وأنزل عليهم المن والسلوى .
حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا حبيب بن حسان ، عن سعيد بن جبير (وَذَكَرَهُمْ
بِأَيَّامِ اللَّهِ) قال : بنعم الله .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَذَكَرَهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ) يقول : ذكرهم
بنعم الله عليهم .
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَذَكَرَهُمْ بِأَيَّامِ
اللَّهِ) قال : بنعم الله .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قول الله (وَذَكَرَهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ)
قال : أيامه التي انتقم فيها من أهل معاصيه من الأمم خوفهم بها ، وخذّرهم إياها ، وذكرهم أن يصيبهم
ما أصاب الذين من قبلهم .
حدثني المثنى ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا محمد بن أبان ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن
ابن عباس ، عن أبي بن كعب ، عن النبي صلى الله عليه وسلم (وَذَكَرَهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ) قال : نعم الله .
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن الثوري ، عن عبيد الله أو غيره ، عن مجاهد
(وَذَكَرَهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ) قال : بنعم الله (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) يقول : إن
في الأيام التي سلفت بنعمي عليهم ، يعني على قوم موسى لآيات ، يعني : لعبرا ومواعظ لكل صبار
شكور : يقول : لكل ذي صبر على طاعة الله ، وشكر له على ما أنعم عليه من نعمه .
حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، عن عمرو ، عن سعيد ، عن قتادة ، في قول الله
عز وجل (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) قال : نعم العبد عبد إذا ابتلى صبر ، وإذا
أعطى شكر .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ
سُوءَ الْعَذَابِ وَيُدَّبُّوْنَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦٠﴾

❖❖❖ يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر يا محمد إذ قال موسى بن عمران لقومه من

بنى إسرائيل (اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ) التي أنعم بها عليكم (إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ) يقول : حين أنجاكم من أهل دين فرعون وطاعته (يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ) : أي يذيقونكم شديد العذاب (وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ) وأدخلت الواو في هذا الموضع لأنه أريد بقوله (وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ) الخبر عن أن آل فرعون كانوا يعذبون بنى إسرائيل بأنواع من العذاب غير التذبيح وبالتذبيح. وأما في موضع آخر من القرآن ، فإنه جاء بغير الواو (يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ، يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ) في موضع ؛ وفي موضع (يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ) ، ولم تدخل الواو في المواضع التي لم تدخل فيها لأنه أريد بقوله (يُذَبِّحُونَ) وبقوله (يُقَتِّلُونَ) تبيينه صفات العذاب الذي كانوا يسومونهم ، وكذلك العمل في كل جملة أريد تفصيلها ، فبغير الواو تفصيلها . وإذا أريد العطف عليها بغيرها وغير تفصيلها فالواو .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، في قوله (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ) : أي أيدى الله عندكم وأيامه . وقوله (وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ) يقول : ويبقون نساءكم فيتركون قتلهن ، وذلك استحياؤهم كان إياهن . وقد بينا ذلك فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع ، ومعناه : يتركونهم ، والحياة هي الترك . ومنه الخبر الذي روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اُقْتُلُوا شُبُوحَ الْمُشْرِكِينَ وَاسْتَحْيُوا شُرَجَّهُمْ » بمعنى : استبقوهم فلا تقتلوهم (وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ) يقول تعالى : وفيما يصنع بكم آل فرعون من أنواع العذاب بلاء لكم من ربكم عظيم : أي ابتلاء واختبار لكم من ربكم عظيم . وقد يكون البلاء في هذا الموضع نعماء ، وقد يكون معناه : من البلاء الذي قد يصيب الناس في الشدائد وغيرها .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾

يقول جل ثناؤه : واذكروا أيضا حين آذنتكم ربكم . وتأذَّن : تفعلل من أذن ، والعرب ربما وضعت تفعلل موضع أفعل ، كما قالوا : أوعدته وتوعدته بمعنى واحد ، وأذن : أعلم ، كما قال الحارث بن حلزة :
 آذَنْتَنَا بِبَيْنِنِهَا أَسْمَاءُ رَبِّ تَأْوِيْمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ ١
 يعني بقوله : آذنتنا : أعلمتنا .

وذكر عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقرأ (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ) « وإذ قال ربكم » .

(١) البيت مطلع معلقة الحارث بن حلزة اليشكري : انظر شرح الزوزني للمعلقات السبع ، قال : الإيذان الإعلام (وهو محل الشاهد في البيت) والبين : الفراق . والثواء والثوى : الإقامة ، والفعل : ثوى يثوى (كضرب يضرب) . يقول : أعلمتنا أسماء بمفارقتها إيانا ، أي بعزمها على فراقنا ، ثم قال : رب مقيم يمل إقامة ، ولم تكن أسماء منهم . يريد أنها وإن طالت إقامتها لم أملها .

حدثني بذلك الحارث ، قال : ثنى عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش عنه ؛ حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ) : وإذ قال ربكم ذلك التأذن .

وقوله (لَسَيْنُ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) يقول : لئن شكرتم ربكم بطاعتكم إياه فيما أمركم ونهاكم لأزيدنكم في أياديه عندكم ونعمه عليكم على ما قد أعطاكم من النجاة من آل فرعون ، والخلاص من عذابهم .

وقيل في ذلك قول غيره ، وهو ما حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا الحسين بن الحسن ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، قال : سمعت علي بن صالح ، يقول في قول الله عز وجل (لَسَيْنُ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) قال : أي من طاعتي .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا ابن المبارك قال : سمعت علي بن صالح ، فذكر نحوه . حدثني أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان (لئن شكرتم لَأَزِيدَنَّكُمْ) قال : من طاعتي .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا مالك بن مغول ، عن أبان بن أبي عياش ، عن الحسن ، في قوله (لَسَيْنُ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) قال : من طاعتي ، ولا وجه لهذا القول يفهم ، لأنه لم يجر للطاعة في هذا الموضع ذكر ، فيقال : إن شكرتموني عليها زدتك منها ، وإنما جرى ذكر الخبر عن إنعام الله على قوم موسى بقوله (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِذْ كُورُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ) ثم أخبرهم أن الله أعلمهم إن شكروه على هذه النعمة زادهم ، فالواجب في المفهوم أن يكون معنى الكلام : زادهم من نعمه ، لا مما لم يجر له ذكر من الطاعة ، إلا أن يكون أريد به : لئن شكرتم فأطعتموني بالشكر لأزيدنكم من أسباب الشكر ما يعينكم عليه ، فيكون ذلك وجهها .

وقوله (وَلَسَيْنُ كَفَرْنَا إِنْ عَادَآبِي لَشَدِيدٌ) يقول : ولئن كفرتم أيها القوم نعمة الله ، فوجدتموها ، بترك شكره عليها ، ونخلافه في أمره ونهيه ، وركوبكم معاصيته (إِنْ عَادَآبِي لَشَدِيدٌ) : أعذبكم كما أعذب من كفر بي من خلقي . وكان بعض البصريين يقول في معنى قوله (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ) وتأذن ربكم . ويقول : إذ من حروف الزوائد ، وقد دللنا على فساد ذلك فيما مضى قبل .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرًا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ جَمِيدٌ ﴿٨﴾

يقول تعالى ذكره (وَقَالَ مُوسَى) لقومه (إِنَّ تَكْفُرًا) أيها القوم ، فتجحدوا نعمة الله التي أنعمها عليكم أنتم ، ويفعل في ذلك مثل فعلكم (مَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ، فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ) عنكم وعنهم .

من جميع خلقه ، لاحاجة به إلى شكركم إياه على نعمه عند جميعكم (حميد) ذو حمد إلى خلقه بما أنعم به عليهم .

كما حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن هاشم ، قال : أخبرنا سيف ، عن أبي روق عن أبي أيوب ، عن عليّ (فإن الله لغني) قال : غني عن خلقه (حميد) قال : مستحمد إليهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثمودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا مِمَّا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ رَبِّ ۗ

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل موسى لقومه : يا قوم (أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ) يقول : خبر الذين من قبلكم من الأمم التي مضت قبلكم (قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثمودَ) وقوم عاد ، فبينهم عن الذين ، وعاد معطوف بها على قوم نوح (وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ) يعني : من بعد قوم نوح وعاد وثمود (لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ) يقول : لا يحصى عددهم ، ولا يعلم مبلغهم إلا الله .

كما حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ابن ميمون (وَعَادٍ وَثمودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ) قال : كذب النسابون . حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون : عن عبد الله بن مسعود بمثل ذلك .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، قال : ثنا ابن مسعود ، أنه كان يقرأها (وَعَادٍ وَثمودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ) ثم يقول : كذب النسابون .

حدثني ابن المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عيسى بن جعفر ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله ، مثله .

وقوله (جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) يقول : جاءت هؤلاء الأمم رسلهم الذين أرسلهم الله إليهم بدعائهم إلى إخلاص العبادة له بالبينات ، يعني بالحجج الواضحات ، والدلالات البينات الظاهرات على حقيقة ما دعواهم إليه من معجزات .

وقوله (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : فعصوا على أصابعهم تغيظا عليهم في دعائهم إياهم إلى ما دعواهم إليه .

(١) (قوله قوم عاد) لعله زائد من قلم الناسخ ؛ لأن عادا مذكورة في الآية .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثني، قالا : ثنا عبد الرحمن، قال : ثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) قال : عضوا عليها تغيظا .

حدثنا الحسن بن يحيى، قال : أخبرنا عبد الرزاق، قال : أخبرنا الثوري، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله، في قوله (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) قال : غيظا هكذا، وعض يده . حدثني المثني، قال : ثنا أبو نعيم، قال : ثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) قال : عضوها .

حدثني المثني، قال : ثنا عبد الله بن رجاء البصري، قال : ثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله في قول الله عز وجل (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) قال : عضوا على أصابعهم .

حدثني المثني، قال : ثنا الحماني، قال : ثنا شريك، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) قال : عضوا على أطراف أصابعهم .

حدثنا محمد بن المثني، قال : ثنا محمد بن جعفر، قال : ثنا شعبة، عن أبي إسحاق، عن هبيرة، عن عبد الله أنه قال في هذه الآية (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) قال : أن يجعل إصبعه في فيه .

حدثنا الحسن بن محمد، قال : ثنا أبو قطن، قال : ثنا شعبة، عن أبي إسحاق، عن هبيرة، عن عبد الله في قول الله عز وجل (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) ووضع شعبة أطراف أنامله اليسرى على فيه . حدثنا الحسن، قال : ثنا يحيى بن عباد، قال : ثنا شعبة، قال : أخبرنا أبو إسحاق، عن هبيرة، قال : قال عبد الله (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) قال : هكذا، وأدخل أصابعه في فيه .

حدثنا الحسن، قال : ثنا عفان، قال : ثنا شعبة، قال أبو إسحاق : أنبأنا عن هبيرة، عن عبد الله أنه قال في هذه الآية (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) قال أبو علي : وأرانا عفان، وأدخل أطراف أصابع كفه مبسوطة في فيه، وذكر أن شعبة أراه كذلك .

حدثنا أحمد، قال : ثنا أبو أحمد، قال : ثنا سفيان وإسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) قال : عضوا على أناملهم . وقال سفيان : عضوا غيظا .

حدثني يونس، قال : أخبرنا ابن وهب، قال : قال ابن زيد، في قوله (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) فقرا (عَضُّوا عَلَيْكُمْ الْأَنْمَالَ مِنَ الْغَيْظِ) قال : ومعنى (رَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) قال : أدخلوا أصابعهم في أفواههم، وقال : إذا اغتاض الإنسان عض يده .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أنهم لما سمعوا كتاب الله عجبوا منه، ووضعوا أيديهم على أفواههم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد، قال : ثنا أبي، قال : ثنا عمي، قال : ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس

(فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) قال : لما سمعوا كتاب الله عجبوا ورجعوا بأيديهم إلى أفواههم .
وقال آخرون : بل معنى ذلك : أنهم كذبوهم بأفواههم .
ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد « ح »
وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله
فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ (قال : ردوا عليهم قولهم وكذبوهم .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ
فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) يقول : قومهم كذبوا رسلهم ، وردوا عليهم ما جاءوا به من البيِّنات
وردوا عليهم بأفواههم ، وقالوا (إِنَّا لَنَسِي شَاكٍ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (فَرَدُّوا
أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) قال : ردوا على الرسل ما جاءت به ، وكان مجاهدا وجه قوله (فَرَدُّوا
أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) إلى معنى : ردوا أيادي الله التي لو قبلوها كانت أيادي ونعما عندهم فلم
يقبلوها . ووجه قوله (فِي أَفْوَاهِهِمْ) إلى معنى : بأفواههم ، يعني : بألسنتهم التي في أفواههم . وقد
ذكر عن بعض العرب سماعا : أدخلك الله بالجنة ، يعنون في الجنة ، وينشد هذا البيت :

وَأَرْغَبُ فِيهَا عَنْ لَقِيْطٍ وَرَهْطِهِ
وَلَكِنِّي عَنْ سِنْبِسٍ لَسْتُ أَرْغَبُ

يريد : وأرغب فيها : يعني أرغب بها عن لقيط ، ولا أرغب بها عن قبيلتي .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أنهم كانوا يضعون أيديهم على أفواه الرسل ردوا عليهم قولهم ،
وتكذبا لهم . وقال آخرون : هذا مثل ، وإنما أريد أنهم كفوا عما أمروا بقبوله من الحق ، ولم يؤمنوا به
ولم يسلموا ، وقال : يقال للرجل إذا أمسك عن الجواب ، فلم يجب : ردّ يده في فمه . وذكر بعضهم أن
العرب تقول : كلمت فلانا في حاجة فردّ يده في فيه : إذا سكت عنه فلم يجب ، وهذا أيضا قول لا وجه له
لأن الله عز وجل ذكره ، قد أخبر عنهم أنهم قالوا : إنا كفرنا بما أرسلتم به ، فقد أجابوا بالتكذيب .
❖ وأشبه هذه الأقوال عندي بالصواب في تأويل هذه الآية القول الذي ذكرناه عن عبد الله بن مسعود
أنهم ردوا أيديهم في أفواههم ، فعضوا عليها غيظا على الرسل ، كما وصف الله عز وجل به إخوانهم من

(١) هذا البيت من شواهد الفراء أنشده إياه بعضهم (معاني القرآن مصورة جامعة القاهرة الورقة ١٦١) قال في قوله تعالى : « فردوا

أيديهم في أفواههم » حاكيا قول بعض المفسرين : يقول : ردوا ما لو قبلوه لكان نعما وأيادي من الله . في أفواههم : يقول :
بأفواههم أي بألسنتهم . وقد وجدنا من العرب من يجعل « في » في موضع « الباء » ، فيقول : أدخلك الله بالجنة ، يريد : في الجنة .
قال : وأنشدني بعضهم : وأرغب فيها . . . البيت . فقال : أرغب فيها ، يعني بنتا له ، أي إني أرغب بها عن لقيط .

المنافقين ، فقال (وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ) فهذا هو الكلام المعروف والمعنى المفهوم من ردّ اليد إلى الفم .

وقوله (وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ) يقول عزّ وجلّ : وقالوا لرسولهم : إنا كفرنا بما أرسلكم به من أرسلكم من الدعاء إلى ترك عبادة الأوثان والأصنام وإنا لنرى شكّ من حقيقة ما تدعوننا إليه من توحيد الله . مريب : يقول : يربينا ذلك الشكّ : أى يوجب لنا الريبة والتهمّة فيه ، يقال منه : أراب الرجل : إذا أتى بريبة ، يريب إرابة .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾

❖❖ يقول تعالى ذكره : قالت رسل الأمم التي أتتها رسلها : أفى الله أنه المستحقّ عليكم أيها الناس الألوهة والعبادة دون جميع خلقه ، شكّ ؟ . وقوله (فاطر السّموات والأرض) يقول : خالق السموات والأرض (يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ) يقول : يدعوكم إلى توحيدهِ وطاعته ، (لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ) يقول : فيستر عليكم بعض ذنوبكم بالعفو عنها ، فلا يعاقبكم عليها (وَيُؤَخِّرَكُمْ) يقول : وينسى في آجالكم ، فلا يعاقبكم في العاجل فيهلككم ، ولكن يؤخركم إلى الوقت الذي كتب في أمّ الكتاب أنه يقبضكم فيه ، وهو الأجل الذي سمى لكم ، فقالت الأمم لهم (إِنْ أَنْتُمْ) أيها القوم (إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا) في الصورة والهيئة ، ولستم ملائكة ، وإنما تريدون بقولكم هذا الذي تقولون لنا (أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا) يقول : إنما تريدون أن تصرفونا بقولكم ، عن عبادة ما كان يعبد من الأوثان آبائنا (فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ) يقول : فأتونا بحجة على ما تقولون ، تبين لنا حقيقته وصحته ، فنعلم أنكم فيما تقولون محقّون .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

❖❖ يقول تعالى ذكره : قال : الأمم التي أتتهم الرسل لرسولهم (إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ) صدقتم في قولكم (إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا) فما نحن ، إلا بشر من بنى آدم إنس مثلكم (وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ)

(١ - ١) كذا في النسخ ، ولعل الأصل : قالت الرسل للأمم التي أرسلوا إليها : إن نحن . . . الخ .

مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) يقول : ولكن الله يتفضل على من يشاء من خلقه ، فيهديه ويوفقه للحق ، ويفضله على كثير من خلقه (وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ) يقول : وما كان لنا أن نأتيكم بحجة وبرهان على ما ندعوكم إليه (إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) يقول : إلا بأمر الله لنا بذلك (وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) يقول : وباللّٰه فليثق به من آمن به وأطاعه فإننا به نثق وعليه نتوكل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ) قال : السلطان المبين : البرهان والبيّنة . وقوله (مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا) قال : بيّنة وبرهاننا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا لَنَا إِلَّا نَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدانا سُبُلًا وَلَنصَبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمونا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾

❖❖ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الرسل لأمتها (وَمَا لَنَا أَنْ لَنَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ) فنتق به وبكفايته ودفاعه إياكم عنا ، (وَقَدْ هَدانا سُبُلًا) يقول : وقد بصرنا طريق النجاة من عذابه ، فبين لنا ، (وَلَنصَبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمونا) في الله ، وعلى ما نلقى منكم من المكروه فيه بسبب دعائنا إليكم إلى ما ندعوكم إليه من البراءة من الأوثان والأصنام ، وإخلاص العبادة له (وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ) يقول : وعلى الله فليتوكل من كان به واثقا من خلقه ، فأما من كان به كافرا ، فإن وليه الشيطان .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾

❖❖ يقول عزّ ذكره : وقال الذين كفروا بالله لرسولهم الذين أرسلوا إليهم حين دعوهم إلى توحيد الله ، وإخلاص العبادة له ، وفراق عبادة الآلهة والأوثان (لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا) يعنون : من بلادنا ، فنطردكم عنها (أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا) يعنون : إلا أن تعودوا في ديننا الذي نحن عليه من عبادة الأصنام وأدخلت في قوله (لَتَعُودُنَّ) لام ، وهو في معنى شرط ، كأنه جواب لليمين .

ولنما معنى الكلام : : لنخرجنكم من أرضنا ، أو تعودن في ملتنا ، ومعنى « أو » ههنا معنى « إلا » أو معنى « حتى » كما يقال في الكلام : لأضربنك أو تقرّ لي ، فمن العرب من يجعل ما بعد « أو » في مثل هذا الموضع عطفًا على ما قبله ، إن كان ما قبله جز ما جزموه ، وإن كان نصبا نصبوه ، وإن كان فيه لام جعلوا فيه

لأما ، إذ كانت « أو » حرف نَسْتَق . ومنهم من ينصب « ما » بعد « أو » بكل حال ، ليعلم بنصبه أنه عن الأول منقطع عما قبله ، كما قال امرؤ القيس :

بِكَيْ صَاحِبِي لَمَّا رَأَى الدَّرْبَ دُونَهُ وَأَيْقَنَ أَنَّا لَاحِقَانِ بِقَيْصَرَ
فَقُلْتُ لَهُ : لَا تَبِكْ عَيْنُكَ إِنَّمَا نَحْوِلُ مُلُوكًا أَوْ نَمُوتُ فَنُعْذَرَا

فنصب نموت فنعدرا ، وقد رفع نحاول ، لأنه أراد معنى : إلا أن نموت ، أو حتى نموت ، ومنه قول الآخر :

لَا أَسْتَطِيعُ نَزُوعًا عَن مَوَدَّتِهَا أَوْ يَصْنَعُ الحُبُّ بِي غَيْرَ الَّذِي صَنَعَا

وقوله (فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهَلِكَنَّ الظَّالِمِينَ) الذين ظلموا أنفسهم ، فأوجبوا لها عقاب

الله بكفرهم ، وقد يجوز أن يكون قيل لهم : الظالمون لعبادتهم ، ممن لا تجوز عبادته من الأوثان والآلهة ، فيكون بوضعهم العبادة في غير موضعها ، إذ كان ظلما سموا بذلك ظالمين .

وقوله (وَلَنُنَسِّكَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِمَّنْ بَعَدِهِمْ) هذا وعد من الله ممن وعده من أنبيائه النصر على

الكفرة به من قومه ، يقول : لما تبادت أمم الرسل في الكفر ، وتوعدوا رسلهم بالوقوع بهم ، أوحى الله

إليهم بإهلاك من كفر بهم من أممهم ووعدهم النصر ، وكل ذلك كان من الله وعيدا وتهديدا لمشركي قوم

نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، على كفرهم به وجراعتهم على نبيه ، وتثبيتا لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وأمر

له بالصبر على ما لقي من المكروه فيه من مشركي قومه ، كما صبر من كان قبله من أولى العزم من رسله ،

ومعرفة أن عاقبة أمر من كفر به الهلاك ، وعاقبته النصر عليهم (سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَنُنَسِّكَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِمَّنْ بَعَدِهِمْ)

قال : وعدهم النصر في الدنيا ، والجنة في الآخرة .

وقوله (ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ) يقول جل ثناؤه : هكذا فعلى لمن خاف مقامه بين

يدي ، وخاف وعيدي فاتقاني بطاعته ، وتجنب سخطي ، أنصره على من أراد به سوءا ، وبغاه مكروها

من أعدائي ، أهلك عدوه ، وأخزيه وأورثه أرضه ودياره ، وقال (لِمَنْ خَافَ مَقَامِي) ومعناه :

ماقلت من أنه لمن خاف مقامه بين يدي بحيث أقيمه هنالك للحساب ، كما قال (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ

(١) البيتان لامرؤ القيس يخاطب بهما صاحبه عمرو بن قميصة الشاعر ، وكان رحل معه إلى قيصر يستعين به على حرب بني أسد

الذين قتلوا أباه . (انظر مختار الشعر الجاهلي بشرح مصطلحي السقا طبعة الحلبي ص ٥٨) والدرب المدخل بين جبلين ، والمراد الطريق

بين بلاد العرب وبلاد الروم . يقول : لما رأى صاحبي أننا نسير في الدرب الموصل إلى بلاد الروم ، (وكان امرؤ القيس طوى

عنه خبر رحلته إلى قيصر) حن إلى بلاده ، وبكى إشفاقا من طول الرحلة .

والشاهد هنا في البيت الثاني أن الفعل نموت منصوب بأن بعد أو لأنها هنا بمعنى إلا . وهو ما قرره النحاة ، واستشهدوا عليه بهذا

البيت وغيره . قال الفراء في معاني القرآن (الورقة ١٦١ - ١٦٢) بعد أن أنشد البيتين ونسبهما إلى امرؤ القيس ، فنصب آخره : نموت

ورفع نحاول ؛ على معنى « إلا » . وفي إحدى القراءتين : « تقاتلونهم أو يسلموا » . والمعنى والله أعلم - تقاتلونهم حتى يسلموا .

(٢) وهذا البيت من شواهد الفراء (معاني القرآن للفراء مصورة الجامعة الورقة ١٦٢) قال : وقال الشاعر : لا أستطيع . . . الخ ثم

قال بعده : وأنت قائل في الكلام : لست لأبي إن لم أقتلك أو تسبقني في الأرض ، فتنصب « تسبقني » وتجزمها .

أَنْكُمْ تَكْذِبُونَ) معناه : وتجعلون رزقي إياكم أنكم تكذبون، وذلك أن العرب تضيف أفعالها إلى أنفسها ، وإلى ما أوقعت عليه ، فتقول : قد سررت برؤيتك وبرؤيتي إياك، فكذلك ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾

❖ يقول تعالى ذكره : واستفتحت الرسل على قومها : أى استنصرت الله عليها (وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ) يقول : هلك كل متكبر جائر حائد عن الإقرار بتوحيد الله، وإخلاص العبادة له . والعنيد والعاند والعنود بمعنى واحد ، ومن الجبار تقول : هو جبار بين الجبرية والجبروتية والجبروتية والجبروت . وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَأَسْتَفْتَحُوا) قال : الرسل كلها ، يقول : استنصروا على أعدائهم ومعانديهم : أى على من عاند عن اتباع الحق وتجنبه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله . حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، « ح » ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَأَسْتَفْتَحُوا) قال : الرسل كلها استنصروا (وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ) قال : معاند للحق مجانبه . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله ؛ وقال ابن جريج : استفتحوا على قومهم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ) قال : كانت الرسل والمؤمنون يستضعفهم قومهم ، ويتقهروهم ، ويكذبونهم ، ويدعونهم إلى أن يعودوا فى ملتهم ، فأبى الله عز وجل لرسله وللمؤمنين أن يعودوا فى ملّة الكفر ، وأمرهم أن يتوكلوا على الله ، وأمرهم أن يستفتحوا على الجبابرة ، ووعدهم أن يسكنهم الأرض من بعدهم ، فأجز الله لهم ما وعدهم ، واستفتحوا كما أمرهم أن يستفتحوا (وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن المغيرة ، عن إبراهيم ، فى قوله (وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ) قال : هو الناكب عن الحق : أى الحائد عن اتباع طريق الحق . حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا مطرف ، عن بشر ، عن هشيم ، عن مغيرة ، عن سماك ، عن إبراهيم (وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ) قال : الناكب عن الحق .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَاسْتَفْتَحُوا) يقول : استنصرت الرسل على قومها . قوله (وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ) والجبار العنيد : الذي أبن أن يقول : لا إله إلا الله . حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَاسْتَفْتَحُوا) قال : استنصرت الرسل على قومها (وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ) يقول : بعيد عن الحق معرض عنه . حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله ، وزاد فيه : معرض عنه أبن أن يقول : لا إله إلا الله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ) قال : العنيد عن الحق الذي يعند عن الطريق ، قال : والعرب تقول : شر الإبل العنيد الذي يخرج عن الطريق .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ) قال : الجبار : هو المتجبر . وكان ابن زيد يقول في معنى قوله ، (وَاسْتَفْتَحُوا) خلاف قول هؤلاء ، ويقول : إنما استفتحت الأهم ، فأجيب .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَاسْتَفْتَحُوا) قال : استفتاحهم بالبلاء ، قالوا : اللهم إن كان هذا الذي أتى به محمد هو الحق من عندك ، فأمطر علينا حجارة من السماء كما أمطرتها على قوم لوط ، أو ائتنا بعذاب أليم ، قال : كان استفتاحهم بالبلاء ، كما استفتح قوم هود (ائتنا بما تعدنا إن كنا من الصّادقين) قال : فلا استفتاح : العذاب . قال : قيل لهم : إن لهذا أجلا ، حين سألو الله أن ينزل عليهم ، فقال : بل نؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار ، فقالوا : لا نريد أن نؤخر إلى يوم القيامة (ربنا عجل لنا قطننا) عذابنا قبل يوم الحساب . وقرأ (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْ أَعْجَلْ مُسَمِّيَ لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ) حتى بلغ (وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ : ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

مِّنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَنْجَرِعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾

يقول عز ذكره (مِنْ وَرَائِهِ) من أمام كل جبار (جَهَنَّمُ) يردونها . ووراء في هذا الموضع : يعني أمام ، كما يقال : إن الموت من ورائك : أي قدامك ، وكما قال الشاعر :

أَتُوْعِدُنِي وَرَاءَ بَنِي رِيَا حِ
كَذَبْتَ لَتَقْصُرَنَّ يَدَاكَ دُونِي ١

(١) البيت لجرير في ديوانه ، وفي (مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ٣٣٧) وقد استشهد به المؤلف في هذا الجزء ص ١٢٩ على أن « دوفى » بمعنى « عنى » والشاهد هنا أن قوله « وراء بني رباح » بمعنى أمامهم ، وذلك عند تفسير قوله تعالى : « من ورائه جهنم » قال : مجازه : قدامه وأمامه ؛ يقال : إن الموت من ورائك ، أي قدامك . وقال : أتوعدني . . . البيت

يعنى : وراء بنى رياح : قدّام بنى رياح وأمامهم .
 وكان بعض نحويي أهل البصرة يقول : إنما يعنى بقوله (مِنْ وَرَائِهِ) : أى من أمامه ، لأنه وراء ما هو فيه ، كما يقول لك : وكلّ هذا من ورائك : أى سيأتى عليك ، وهو من وراء ما أنت فيه ، لأن ما أنت فيه قد كان قبل ذلك ، وهو من ورائه . وقال (وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا) من هذا المعنى : أى كان وراء ما هم فيه أمامهم . وكان بعض نحويي أهل الكوفة يقول : أكثر ما يجوز هذا فى الأوقات ، لأن الوقت يمرّ عليك ، فيصير خلفك إذا جُزّته ، وكذلك كان وراءهم ملك ، لأنهم يجوزونه فيصير وراءهم . وكان بعضهم يقول : هو من حروف الأضداد ، يعنى وراء : يكون قدّاما وخلفا .
 وقوله (وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ) يقول : ويسقى من ماء ، ثم بين ذلك الماء جلّ ثناؤه ، وما هو ، فقال : هو صديد ، ولذلك ردّ الصديد فى إعرابه على الماء ، لأنه بيان عنه ، والصديد : هو القيح والدم . وكذلك تأوّل أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ؛ قال : ثنا ورقاء « ح » ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ) قال : قيح ودم .
 حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ) والصديد : ما يسيل من دمه ولحمه وجاده .
 حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ) قال : ما يسيل من بين لحمه وجلده .
 حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، عن ذكره ، عن الضحاك (وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ) قال : يعنى بالصديد : ما يخرج من جوف الكافر قد خالط القيح والدم .
 وقوله (يَتَجَرَّعُهُ) يتحسّاه (وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ) يقول : ولا يكاد يزدرده من شدّة كراهته ، وهو يسيفه من شدّة العطش ، والعرب تجعل « لا يكاد » فيما قد فعل ، وفيما لم يفعل . فأما ما قد فعل فنه هذا ، لأن الله جلّ ثناؤه جعل لهم ذلك شرابا ؛ وأما ما لم يفعل ، وقد دخات فيه « كاد » ، فقوله (حتى إذا أخرج يده لم يكذبها) فهو لا يراها .
 وبنحو ما قلنا من أن معنى قوله (وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ) وهو يسيفه ، جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر الرواية بذلك .

حدثني محمد بن المثنى ، قال : ثنا إبراهيم أبو إسحاق الطالقاني ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن صفوان

ابن عمرو ، عن عبيد الله بن بسر ، عن أبي أمامة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم « في قوله (وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ) فَإِذَا شَرِبَهُ قَطَعَ أَمْعَاءَهُ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ دُبُرِهِ » يقول الله عز وجل (وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ) ، ويقول (وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ، بِئْسَ الشَّرَابُ) .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا معمر ، عن ابن المبارك ، قال : ثنا صفوان بن عمرو ، عن عبيد الله بن بسر ، عن أبي أمامة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، في قوله (وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ) فذكر مثله ، إلا أنه قال (سَقُوا مَاءً حَمِيمًا) .

حدثني محمد بن خلف العسقلاني ، قال : ثنا حيوة بن شريح الحمصي ، قال : ثنا بقية ، عن صفوان ابن عمرو ، قال : ثنا عبيد الله بن بسر ، عن أبي أمامة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله سواء . وقوله (وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ) فإنه يقول : ويأتيه الموت من بين يديه ومن خلفه ، وعن يمينه وشماله ، ومن كل موضع من أعضاء جسده (وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ) لأنه لا يخرج نفسه فيموت فيستريح ، ولا يحيا لتعلق نفسه بالحناجر ، فلا ترجع إلى مكانها .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، في قوله (يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ ، وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ) قال : تعلق نفسه عند حنجرتة ، فلا تخرج من فيه فيموت ، ولا ترجع إلى مكانها من جوفه فيجد لذلك راحة فتنبه الحياة . حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : ثنا العوام بن حوشب ، عن إبراهيم التيمي قوله (وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ) قال : من تحت كل شعرة في جسده . وقوله (وَمِنْ وَّرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ) يقول : ومن وراء ما هو فيه من العذاب ، يعني أمامته وقدامته عذاب غليظ .

القول في تأويل قوله تعالى :

مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ
لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾

❖ اختلف أهل العربية في رافع مَثَلٌ ، فقال بعض نحويي البصرة : إنما هو كأنه قال : ومما نقص عليك (مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا) ، ثم أقبل يفسر كما قال (مَثَلُ الْجَنَّةِ) ، وهذا كثير . وقال بعض نحويي الكوفيين : إنما المَثَلُ للأعمال ، ولكن العرب تُقَدِّمُ الأسماء ، لأنها أعرف ، ثم تأتي بالخبر الذي تخبر عنه مع صاحبه . ومعنى الكلام : مثل أعمال الذين كفروا بربهم كرماد ، كما قيل : (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُسْوَدَّةٌ) ومعنى الكلام : ترى ويوم القيامة وجوه الذين كذبوا على الله مسودة ، قال : ولو خفض الأعمال جاز ، كما قال (يَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ)

قِتَالٍ فِيهِ) . . . الآية . وقوله (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) قال : فتجرى هو في موضع الخبر ، كأنه قال : أن تجرى ، وأن يكون كذا وكذا ، فلو أدخل « أن » جاز ، قال : ومنه قول الشاعر :

ذَرِينِي إِنَّ أَمْرَكَ لَنْ يُطَاعَا وَمَا أَلْفَيْتَنِي حِلْمِي مُضَاعَا

قال : فالحلم منصوب بألفيت على التكرير ، قال : ولو رفعه كان صوابا ، قال : وهذا مثل ضربه الله لأعمال الكفار ، فقال : مثل أعمال الذين كفروا يوم القيامة التي كانوا يعملونها في الدنيا يزعمون أنهم يريدون الله بها ، مثل رماد عصفت الريح عليه في يوم ريح عاصف ، فنسفته ، وذهبت به ، فكذلك أعمال أهل الكفر به يوم القيامة ، لا يجدون منها شيئا ينفعهم عند الله ، فينجيهم من عذابه ، لأنهم لم يكونوا يعملونها لله خالصا ، بل كانوا يشركون فيها الأوثان والأصنام ، يقول الله عز وجل (ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ) يعنى أعمالهم التي كانوا يعملونها في الدنيا التي يشركون فيها مع الله شركاء ، هي أعمال عملت على غير هدى واستقامة ، بل على جور عن الهدى بعيد ، وأخذ على غير استقامة شديد . وقيل (فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ) فوصف بالعصوف ، وهو من صفة الريح ، لأن الريح تكون فيه كما يقال : يوم بارد ، ويوم حار ، لأن البرد والحرارة يكونان فيه ؛ وكما قال الشاعر :

يَوْمَيْنِ غَيْمَيْنِ وَيَوْمًا شَمْسًا ٢

فوصف اليومين بالغيمةين ، وإنما يكون الغيم فيهما ، وقد يجوز أن يكون أريد به في يوم عاصف الريح ، فحذفت الريح ، لأنها قد ذكرت قبل ذلك ، فيكون ذلك نظير قول الشاعر :

إِذَا جَاءَ يَوْمٌ مُظْلِمٌ الشَّمْسِ كَاسِفٌ ٣

يريد : كاسف الشمس ، وقيل : هو من نعت الريح خاصة ، غير أنه لما جاء بعد اليوم أتبع إعرابه ، وذلك أن العرب تتبع الحفص الحفص في النعوت ، كما قال الشاعر :

(١) البيت لعدي بن زيد العبادي على الصحيح ، كما قاله الفراء والزجاج وصاحب الحماسية البصرية . ونسبه سيبويه لرجل من خثعم أو بجيلة ، وهو شاهد عند النحاة على أن قوله « حلمي » بدل اشتمال من الياء في « ألفتني » . قال ابن جني في إعراب الحماسة : إنما يجوز البدل من ضمير المتكلم وضمير المخاطب إذا كان بدل البعض أو بدل الاشتمال نحو قولك : عجبت منك عقلك ، وضربتك رأسك . وقال الفراء في معاني القرآن (الورقة ١٦٣) فالحلم منصوب بالإلقاء على التكرير (البدل) ولو رفعته كان صوابا . قلت : وإنما يكون ذلك إذا رفع لفظ « مضاع » على أن الجملة من المبتدأ والخبر في محل نصب مفعول ثان لألفتني . ولكن قوافي القصيدة مرفوعة ، فلا يجوز إذن غير القول الأول في البيت .

(٢) البيت من الرجز أنشده الفراء في معاني القرآن (مصورة الجامعة الورقة ١٦٣) عند قوله تعالى : « في يوم عاصف » ، قال : فجعل العصف تابعا لليوم في إعرابه ، وإنما العصف للريح ، وذلك جائز على جبهتين : إحداهما : أن العصف وإن كان للريح ، فإن اليوم يوصف به ، لأن الريح فيه تكون ، فجاز أن تقول : يوم بارد ويوم حار . وقد أنشدني بعضهم : « يومين غيمين ويوما شمسا » فوصف اليومين بالغيمةين ، وإنما يكون الغيم فيهما . والوجه الآخر : أن يريد في يوم عاصف الريح ، فتحذف الريح لأنها قد ذكرت في أول الكلمة ، كما قال الشاعر :

وَيُضْحِكُ عِرْفَانَ الدُّرُوعِ جَاوِدَنَا إِذَا جَاءَ يَوْمٌ مُظْلِمٌ الشَّمْسِ كَاسِفٌ

يريد : كاسف الشمس .

(٣) هذا عجز بيت استشهد به الفراء على أن معناه : كاسف الشمس ، وذكرنا البيت كله في الكلام على الشاهد الذي قبله .

تُرِيكَ سُنَّةَ وَجْهِ غَيْرِ مُقْرِفَةٍ مَلَسَاءَ لَيْسَ بِهَا خَالٌ وَلَا نَدَبٌ ۱

فخفض غير إتباعا لإعراب الوجه، وإنما هي من نعت السنة، والمعنى : سُنَّةَ وَجْهِ غَيْرِ مُقْرِفَةٍ ، وكما قالوا : هذا جُحْرٌ ضَبٌّ خَرِبٌ ۲ .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، في قوله (كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ

بِهِ الرِّيحُ) قال : حملته الريح (فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ) .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

قوله (مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ)

يقول : الذين كفروا بربهم وعبدوا غيره ، فأعمالهم يوم القيامة كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف ،

لا يقدر على شيء من أعمالهم ينفعهم ، كما لا يقدر على الرماد إذا أرسل عليه الريح في يوم عاصف .

وقوله (ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ البَعِيدُ) : أى الخطأ البين البعيد عن طريق الحق .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ

﴿ وَمَا ذَالِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾

❖ يقول عز ذكره لنبه محمد صلى الله عليه وسلم : ألم تر يا محمد بعين قلبك ، فتعلم أن الله أنشأ السموات

والأرض بالحق منفردا بإنشائها بغير ظهير ولا معين (إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ)

يقول : إن الذى تفرّد بخلق ذلك وإنشائه من غير معين ولا شريك ، إن هو شاء أن يُذْهِبْكُمْ فَيَفْنِيَكُمْ أَذْهِبْكُمْ

وأفناكم ، ويأت بخلق آخر سواكم مكانكم ، فيجدّد خلقهم (وَمَا ذَالِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ) يقول : وما

إذهابكم وإفناؤكم وإنشاء خلق آخر سواكم مكانكم على الله بممتنع ولا متعذر ، لأنه القادر على ما يشاء .

واختلفت القراء في قراءة قوله (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ) فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والبصرة

وبعض الكوفيين : خَلَقَ عَلَى فَعَلٍ . وقرأته عامة قراء أهل الكوفة خالِقَ عَلَى فاعل ، وهما قراءتان

مستفيضتان ، قد قرأ بكل واحد منهما أئمة من القراء متقاربتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارى فمصيب .

(١) البيت من شواهد الفراء . في معاني القرآن (مصورة الجامعة ص ١٦٣) على الخفض على المجاورة . قال في الآية « ريح

عاصف » . وإن نويت أن تجعل « عاصف » من نعت الريح خاصة ، فلما جاء بعد اليوم أتبعته بإعراب اليوم ، وذلك من كلام

العرب : أن يتبعوا الخفض الخفض إذا أشبهه ، قال الشاعر : تريك سنة وجه ... البيت اه . وقال بعضهم : سمعت الفراء قال : قلت

لأبي ثروان وقد أنشدنى هذا البيت بخفض : كيف تقول : تريك سنة وجه غير مقرفة ؟ قال : تريك سنة وجه غير مقرفة (بجر غير)

قلت : فأنشد ، فخفض غير ، فأعدت القول عليه فقال : الذى تقول أنت أجود مما أقول أنا . وكان إنشاده على الخفض .

(٢) يذهب ابن جنى في تخريج هذا المثال مذهبا لعله استمده من كلام الفراء ، فيجعل خرب نعتا سببيا لضب المجرور ، وفاعله

محذوف ، والتقدير : خرب جحره ؛ وعليه فلا شذوذ فيه ، كما قال في الخصائص (طبعة جديدة بدار الكتب ١ : ١٩١ - ١٩٢) .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُّعْتَدُونَ
عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالَ الْوَاهِدُونَ اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرٌ عَلَيْنَا أَمْ صَبْرُنَا
مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ ﴿٢١﴾

❖ يعني تعالى ذكره بقوله (وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا) وظهر هؤلاء الذين كفروا به يوم القيامة من قبورهم فصاروا بالبراز من الأرض جميعا ، يعني كلهم (فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا) يقول : فقال التابع منهم للمتبوعين ، وهم الذين كانوا يستكبرون في الدنيا عن إخلاص العبادة لله ، واتباع الرسل الذين أرساوا إليهم (إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا) في الدنيا ، والتَّبَعُ : جمع تابع ، كما الغيَّبُ جمع غائب ، وإنما عَنَّا بقولهم : إنا كنا لكم تبعًا ، أنهم كانوا أتباعهم في الدنيا يأتمرون لما يأمرونهم به من عبادة الأوثان والكفر بالله ، وينتهون عما نهوهم عنه من اتباع رسل الله (فَهَلْ أَنْتُمْ مُّعْتَدُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ) يعنون : فهل أنتم دافعون عنا اليوم من عذاب الله من شيء . وكان ابن جريج يقول نحو ذلك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَقَالَ الضُّعَفَاءُ) قال : الأتباع (لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا) قال : للقادة .

وقوله (لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ) يقول عزّ ذكره : قالت القادة على الكفر بالله لتباعها (لَوْ هَدَانَا اللَّهُ) يعنون : لو بين لنا شيئًا ندفع به عذابه عنا اليوم (لَهْدَيْنَاكُمْ) لبيّنا ذلك لكم حتى تدفعوا العذاب عن أنفسكم ، ولكننا قد جزعنا من العذاب ، فلم ينفعنا جزعنا منه وصبرنا عليه (سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرٌ عَلَيْنَا أَمْ صَبْرُنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ) يعنون : ما لهم من مزاغ يزوغون عنه ، يقال منه : حاص عن كذا إذا زاغ عنه يحيص حيصًا وحیوصًا وحیصانًا .

حدثني المثني ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن الحكم ، عن عمرو بن أبي ليلى أحد بني عامر ، قال : سمعت محمد بن كعب القُرَظِيّ يقول : بلغني أو ذُكر لي أن أهل النار قال بعضهم لبعض : يا هؤلاء ، إنه قد نزل بكم من العذاب والبلاء ما قد تَرَوْنَ ، فهلمّ فلنصبر ، فاعلّ الصبر ينفعنا كما صبر أهل الدنيا على طاعة الله ، فنفعهم الصبر إذ صبروا ، قال : فيجمعون رأيهم على الصبر ، قال : فصبروا فطال صبرهم ، ثم جزعوا فنادوا (سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرٌ عَلَيْنَا أَمْ صَبْرُنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ) أي منتهجي .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرٌ عَلَيْنَا أَمْ صَبْرُنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ) قال : إن أهل النار قال بعضهم لبعض : تعالوا ، فإنما أدرك أهل الجنة الجنة بيكأهم وتضرعهم إلى الله ، فتعالوا نبكي ونتضرع إلى الله ، قال : فبكوا ، فلما رأوا ذلك لا ينفعهم

قالوا : تعالوا ، فأدرك أهل الجنة الجنة إلا بالصبر ، تعالوا نصبر فصبروا صبراً لم ير مثله ، فلم ينفعهم ذلك فعند ذلك قالوا (سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرٌ عَلَيْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنَ مَحِيصٍ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَّ الْحَقُّ وَوَعَدْتُمْ فَأَخْلَفْتُمْ
وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلَا أَنْفُسُكُمْ
مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾

❖ يقول تعالى ذكره : وقال إبليس لما قُضِيَ الأمر ، يعني لما أدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، واستقرت بكل فريق منهم قرارهم : إن الله وعَدكم أيها الأتباع النار ، ووعَدتكم النصرَة فأخلفتكم وعدى ، ووفى الله لكم بوعده (وما كان لي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ) يقول : وما كان لي عليكم فيما وعدتكم من النصرَة من حجة تثبت لي عليكم بصدق قولي (إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ) وهذا من الاستثناء المنقطع عن الأول كما تقول : ما ضربته إلا أنه أحق ، ومعناه : ولكن دعوتكم (فَاسْتَجَبْتُمْ لِي) يقول : إلا أن دعوتكم إلى طاعتي ومعصية الله ، فاستجبت لدعائي (فَلَا تَلُمُونِي) على إجابتيكم إياي (وَلَوْلَا أَنْفُسُكُمْ) عليها (مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ) يقول : ما أنا بمغيثكم (وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ) ولا أنتم بمغيثي من عذاب الله فنجيتني منه (إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ) يقول : إني جحدت أن أكون شريكاً لله فيما أشركتموني فيه من عبادتكم من قبل في الدنيا (إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) يقول : إن الكافرين بالله لهم عذاب أليم من الله مُوجع ، يقال : أصرخت الرجل : إذا أغثته إصراخاً ، وقد صرخ الصارخ يصرخ ، ويصرخ قليلاً وهو الصريخ والصراخ .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن المثني ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عامر في هذه الآية (ما أنا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ ، إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ) قال : خطيبان يقومان يوم القيامة : إبليس ، وعيسى بن مريم ، فأما إبليس فيقوم في حزبه فيقول : هذا القول ؛ وأما عيسى عليه السلام فيقول (ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن أعبدوا الله ربّي وربّكم ، وكنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً ما دُمْتُ فِيهِمْ ، فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) .

(١) لعله يريد أن الفعل يصرخ بضم الراء ، وأن فيه لغة قليلة بفتحها . ولم أجدها في المعاجم التي بين أيدينا ، ولا في معاني القرآن ولا في مجاز القرآن لأبي عبيدة .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عليه ، عن داود ، عن الشعبي ، قال : يقوم خطيبان يوم القيامة : أحدهما عيسى ، والآخر إبليس ؛ فأما إبليس فيقوم في حزبه فيقول : (إِنَّ اللَّهَ وَعَدَّكُمْ وَعَدَّ الْحَقَّ) فتلا داود حتى بلغ (بِمَا أَشْرَكْتُمُونَ مِن قَبْلُ) فلا أدري أتم الآية أم لا ؟ وأما عيسى عليه السلام فيقال له : (أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ) ، فتلا حتى بلغ (إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا علي بن عاصم ، عن داود بن أبي هند ، عن عامر ، قال : يقوم خطيبان يوم القيامة على رعوس الناس ، يقول الله عز وجل : يا عيسى بن مريم (أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ) . . . إلى قوله (هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ) قال : ويقوم إبليس فيقول : (وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ، فَلَاتُلُومَ لِي وَلَوْلَا أَنفُسُكُمْ ، مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي) ما أنا بمغيثكم ، وما أنتم بمغيثي .

حدثنا الحسين ، قال : ثنا سعيد بن منصور ، قال : ثنا خالد ، عن داود ، عن الشعبي ، في قوله (مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ ، وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي) قال : خطيبان يقومان يوم القيامة ؛ فأما إبليس فيقول هذا ؛ وأما عيسى فيقول (مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ) .

حدثنا المثني ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن رشدين بن سعد ، قال : أخبرني عبد الرحمن بن زياد ، عن دُخَيْنِ الْحَجْرِيِّ ، عن عقبة بن عامر ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ذكر الحديث قال « يقول عيسى ذلكم النبي الأُمِّيُّ فَيَأْتُونَنِي ، فَيَأْذَنُ اللَّهُ لِي أَنْ أَقُومَ فَيَثُورُ مِنِّي مَجْلِسِي مِن أَطْيَبِ رِيحٍ شَمَّهَا أَحَدٌ حَتَّى آتَى رَبِّي ، فَيَشْفَعَنِي ، وَيَجْعَلُ لِي نُورًا إِلَى نُورٍ مِن شَعْرِ رَأْسِي إِلَى ظَهْرِي قَدَمِي ، ثُمَّ يَقُولُ الْكَافِرُونَ : قَدْ وَجَدَ الْمُؤْمِنُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَهُمْ فَقُمْ أَنْتَ فَاشْفَعْ لَنَا ، فَإِنَّكَ أَنْتَ أَضَلَلْتَنَا ، فَيَقُومُ فَيَثُورُ مِنِّي مَجْلِسِي أَنْتُمْ رِيحٍ شَمَّهَا أَحَدٌ ، ثُمَّ يَعْظُمُ نَحْيِيَهُمْ ، وَيَقُولُ عِنْدَ ذَلِكَ : إِنَّ اللَّهَ وَعَدَّكُمْ وَعَدَّ الْحَقَّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ) . . . الآية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن رجل ، عن الحسن ، في قوله (وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ) قال : إذا كان يوم القيامة ، قام إبليس خطيباً على منبر من نار ، فقال (إِنَّ اللَّهَ وَعَدَّكُمْ وَعَدَّ الْحَقَّ ، وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ) . . . إلى قوله (وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي) قال : بناصري (إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونَ مِن قَبْلُ) قال : بطاعتكم إياي في الدنيا .

حدثني المثني ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك عن ذكره ، قال : سمعت محمد بن كعب القرظي ، قال : في قوله (وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَّكُمْ وَعَدَّ الْحَقَّ) قال : قام إبليس يخطبهم فقال (إِنَّ اللَّهَ وَعَدَّكُمْ وَعَدَّ الْحَقَّ) . . . إلى قوله (مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ) يقول : بمغن عنكم شيئاً (وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي) ، إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونَ مِن قَبْلُ) قال :

فلما سمعوا مقالته مقتوا أنفسهم ، قال : فنودوا (لَمَقْتُ اللهُ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ) ... الآية .
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ما أنا بمُصْرِحِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ
 بِمُصْرِحِي) ما أنا بمغِيثكم ، وما أنتم بمغِيثي .

وقوله (إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونَ مِنْ قَبْلُ) يقول : عصيت الله قبلكم .
 حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،
 قوله (ما أنا بِمُصْرِحِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِحِي إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونَ مِنْ قَبْلُ) قال :
 هذا قول إبليس يوم القيامة ، يقول : ما أنتم بنافعي ، وما أنا بنافعكم ، إني كفرت بما أشركتمون من قبل ،
 قال : شرّ كته : عبادته .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحرث ، قال : ثنا الحسين
 قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (بِمُصْرِحِي) قال : بمغِيثي .
 حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
 حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ،
 قال : ما أنا بمنجيكم وما أنتم بمنجي .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، قال : خطيب السوء إبليس الصادق
 أفرأيت صادقاً لم ينفعه صدقه (إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ) وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ، وَمَا كَانَ
 لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ) أقهركم به (إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي) قال : أطعتموني (فَلَا
 تَلُومُونَ لِي وَلَوْ مَوَّأْتُمْ أَنْفُسَكُمْ) حين أطعتموني (ما أنا بِمُصْرِحِكُمْ) ما أنا بناصركم ولا مغِيثكم (وَمَا
 أَنْتُمْ بِمُصْرِحِي) : وما أنتم بناصري ولا مغِيثي لما بي (إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونَ مِنْ قَبْلُ
 إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن الحكم ، عن عمرو بن أبي ليلى ، أحد
 بني عامر ، قال : سمعت محمد بن كعب القرظي يقول (وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ) قال : قام
 إبليس عند ذلك ، يعني حين قال أهل جهنم (سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُ عَلَيْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ) ،
 فخطبهم فقال (إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ) ، وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ) . . . إلى قوله (ما
 أنا بِمُصْرِحِكُمْ) يقول : بمغن عنكم شيئاً (وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِحِي) ، إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونَ
 مِنْ قَبْلُ) قال : فلما سمعوا مقالته مقتوا أنفسهم ، قال : فنودوا (لَمَقْتُ اللهُ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ)
 . . . الآية .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَدْخِلِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ يُحْيِيهِمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾

❖ يقول عزّ ذكره : وأدخل الذين صدقوا الله ورسوله ، فأقرّوا بوحدانية الله وبرسالته رسوله ، وأن ما جاءت به من عند الله حقّ (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) يقول : وعملوا بطاعة الله ، فانتهوا إلى أمر الله ونهيه (جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) بساتين تجري من تحتها الأنهار (خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ) يقول : أدخلوها بأمر الله لهم بالدخول (تَحْيِيهِمْ فِيهَا سَلَامٌ) وذلك إن شاء الله كما حدثنا القاسم ، قال ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قواة (تَحْيِيهِمْ فِيهَا سَلَامٌ) قال : الملائكة يسلمون عليهم في الجنة .

وقوله (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ) يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : ألم تر يا محمد بعين قلبك ، فتعلم كيف مثل الله مثلاً ، وشبهه شياً كلمة طيبة ، ويعنى بالطيبة : الإيمان به جلّ ثناؤه ، كشجرة طيبة الثمرة ، وترك ذكر الثمرة استغناء بمعرفة السامعين عن ذكرها بذكر الشجرة . وقوله (أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ) يقول عزّ ذكره : أصل هذه الشجرة ثابت في الأرض ، وفرعها ، وهو أعلاها في السماء : يقول : مرتفع علوا نحو السماء . وقوله (تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) يقول : تطعم ما يؤكل منها من ثمرها (كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ) يقول : ويمثل الله الأمثال للناس ، ويشبه لهم الأشياء (لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) يقول : ليتذكروا حجة الله عليهم ، فيعتبروا بها ويتعظوا ، فيزجروا عما هم عليه من الكفر به إلى الإيمان .

وقد اختلف أهل التأويل في المعنى بالكلمة الطيبة ، فقال بعضهم : عنى بها : إيمان المؤمن .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (كَلِمَةً طَيِّبَةً) شهادة أن لا إله إلا الله (كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ) وهو المؤمن (أَصْلُهَا ثَابِتٌ) يقول : لا إله إلا الله ثابت في قلب المؤمن (وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ) يقول : يرفع بها عمل المؤمن إلى السماء .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس

(كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ) قال : هذا مثل الإيمان ، فالإيمان : الشجرة الطيبة ، وأصله الثابت الذي لا يزول : الإخلاص لله ، وفرعه في السماء ، فرعه : خشية الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ) قال : كنخلة .

قال ابن جريج : وقال آخرون : الكلمة الطيبة أصلها ثابت في ذات أصل في القلب (وَفَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ) تعرج فلا تحجب حتى تنتهي إلى الله .

وقال آخرون : بل عنى بها المؤمن نفسه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعيد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ ، تُؤْتِي أَكْثَرَهَا كُلَّ حِينٍ بِأَذْنِ رَبِّهَا) ، يعنى بالشجرة الطيبة : المؤمن ، ويعنى بالأصل الثابت : في الأرض ، وبالفرع في السماء : يكون المؤمن يعمل في الأرض ، ويتكلم فيبلغ عمله وقوله السماء ، وهو في الأرض .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا فضيل بن مرزوق ، عن عطية العوفي في قوله (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ) قال : ذلك مثل المؤمن ، لا يزال يخرج منه كلام طيب ، وعمل صالح يصعد إليه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس ، قال : (أَصْلُهَا ثَابِتٌ فِي الْأَرْضِ) وكذلك كان يقرؤها ، قال : ذلك المؤمن ضرب مثله ، قال : الإخلاص لله وحده وعبادته ، لا شريك له ، قال : (أَصْلُهَا ثَابِتٌ) قال : أصل عمله ثابت في الأرض (وَفَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ) قال : ذكره في السماء .

واختلفوا في هذه الشجرة التي جعلت للكلمة الطيبة مثلاً ، فقال بعضهم : هي النخلة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن معاوية بن قررة قال : سمعت أنس ابن مالك في هذا الحرف (كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ) قال : هي النخلة .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أبو قطن ، قال : ثنا شعبة ، عن معاوية بن قررة ، عن أنس ، مثله .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا شعبة ، عن معاوية بن قررة ، قال : سمعت أنس بن مالك

يقول (كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ) قال : النخل .

حدثني يعقوب والحسن بن محمد ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا شعيب ، قال : قال : خرجت مع

أبي العالية نريد أنس بن مالك ، قال : فأتيناها ، فدعا لنا بقنو عليه رطب ، فقال : كلوا من هذه الشجرة

التي قال الله عز وجل (ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء) وقال الحسن في حديثه بقناع .

حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : أخبرنا النضر بن شميل ، قال : أخبرنا حماد بن سلمة ، قال : أخبرنا شعيب ابن الجحباب ، عن أنس : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بقناع بسر ، فقال : مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة » قال : هي النخلة .

حدثنا سوار بن عبد الله ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن شعيب بن الجحباب ، عن أنس « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بقناع فيه بسر ، فقال : (مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة) قال : هي النخلة » قال شعيب ، فأخبرت بذلك أبا العالية ، فقال : كذلك كانوا يقوون .

حدثني المثني ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن شعيب بن الجحباب ، قال : كنا عند أنس ، فأتينا بطبق أو قنع عليه رطب ، فقال : كل يا أبا العالية ، فإن هذا من الشجرة التي ذكر الله عز وجل في كتابه (ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت) .

حدثني المثني ، قال : ثنا الحجاج بن المهال ، قال : ثنا مهدي بن ميمون ، عن شعيب بن الجحباب ، قال : كان أبو العالية يأتيني ، فأتاني يوماً في منزلي بعد ما صليت الفجر ، فانطلقت معه إلى أنس بن مالك ، فدخلنا معه إلى أنس بن مالك ، فجيء بطبق عليه رطب ، فقال أنس لأبي العالية : كل يا أبا العالية ، فإن هذه من الشجرة التي قال الله في كتابه (ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت) قال : هكذا قرأها يومئذ أنس .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا طلق ، قال : ثنا شريك ، عن السدي ، عن مرة ، عن عبد الله ، مثله . حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا عبد الغفار بن القاسم ، عن جامع بن أبي راشد ، عن مرة بن شراحيل الهمداني ، عن مسروق (كشجرة طيبة) قال : النخلة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى «ح» ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء «ح» ؛ وحدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبيل جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن السدي ، عن مرة ، عن عبد الله ، مثله . حدثني المثني ، قال : ثنا معلى بن أسد ، قال : ثنا خالد ، قال : أخبرنا حصين ، عن عكرمة ، في قوله (كشجرة طيبة) قال : هي النخلة لا تزال فيها منفعة .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مغراء ، عن جويبر ، عن الضحاك ، في قوله (كشجرة طيبة) قال : ضرب الله مثل المؤمن كمثل النخلة تؤتي أكلها كل حين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة) كنا نحدث أنها النخلة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ)
قال : يزعمون أنها النخلة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (تُوْتِي أ كُلِّهَا كُلَّ
حِينَ) قال : هي النخلة .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، قال : ثنا الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن
سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله (وَفَرَعُوهَا فِي السَّمَاءِ) قال : النخلة .

قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا سعيد بن منصور ، قال : ثنا خالد ، عن الشيباني ، عن عكرمة (تُوْتِي
أ كُلِّهَا كُلَّ حِينَ) قال : هي النخلة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال شعيب بن الحبّاب ،
عن أنس بن مالك : الشجرة الطيبة : النخلة .

وقال آخرون : بل هي شجرة في الجنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا أبو كدينة ، قال : ثنا قابوس بن أبي ظبيان ، عن
أبيه ، عن ابن عباس ، في قول الله عز وجل (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ
أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُوْتِي أ كُلِّهَا كُلَّ حِينَ بَاذُنٍ رَبِّهَا) قال : هي شجرة في الجنة .

❖❖❖ وأولى القولين بالصواب في ذلك ، قول من قال : هي النخلة لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم بما حدثنا به الحسن بن محمد ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال :
صحب ابن عمر إلى المدينة ، فلم أسمعهم يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا حديثاً واحداً ، قال :
كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فأتى بجمار ، فقال : « مِّنَ الشَّجَرِ شَجَرَةٌ مِّثْلُهَا مِثْلُ الرَّجُلِ
الْمُسْلِمِ » فأردت أن أقول : هي النخلة ، فإذا أنا أصغر القوم ، فسكت .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا سليمان ، عن يوسف بن سرح ، عن رجل ،
عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « هَلْ تَسْدُرُونَ مَا الشَّجَرَةُ الطَّيِّبَةُ ؟ » قال ابن
عمر : فأردت أن أقول هي النخلة ، فمنعني مكان عمر ، فقالوا : الله ورسوله أعلم ، فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : هِيَ النَّخْلَةُ .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا يحيى بن حماد ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا عبد الله بن دينار ، عن
ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً لأصحابه : « إِنَّ شَجَرَةَ مِّنَ الشَّجَرِ لَا يُطْرَحُ
وَرَقُّهَا مِثْلُ الْمُؤْمِنِ ، قال : فوقع الناس في شجر البدو ، ووقع في قلبي أنها النخلة ، فاستحييت حتى
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هِيَ النَّخْلَةُ . »

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عاصم بن علي ، قال : ثنا عبد العزيز بن مسلم القسيمي (١) ، قال : ثنا عبد الله

(١) بتقديم الميم على اللام ، كما في تاج العروس (قسمل : كزبرج) ، وفي الخلاصة ، بتقديم اللام على الميم ، ولعله خطأ مطبعي .

ابن دينار ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّمِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةٌ لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَهِيَ مِثْلُ الْمُؤْمِنِ ، فَتُحَدِّثُونِي مَا هِيَ » فذكر نحوه .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا على ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا عبيد الله ، قال : ثنا نافع ، عن عبد الله ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَخْبِرُونِي بِشَجَرَةٍ كَمِثْلِ الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ تُوِّتِي أْكُلَهَا كُلَّ حِينٍ لَا يَتَحَاتُّ وَرَقُهَا ، قال : فوقع في نفسي أنها النخلة ، فكرهت أن أتكلم ، وثم أبو بكر وعمر ، فلما لم يتكلموا ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هِيَ النَّخْلَةُ » .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا محمد بن الصباح ، قال : ثنا إسماعيل ، عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، نحوه .

واختلف أهل التأويل في معنى الحين الذي ذكر الله عز وجل في هذا الموضع ، فقال (تُوِّتِي أْكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) فقال بعضهم : معناه : تُوِّتِي أْكُلَهَا كُلَّ غَدَاةٍ وَعَشِيَّةٍ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أبو معاوية ، قال : ثنا الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ، قال : الحين : قد يكون غدوة وعشية .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، قال : ثنا الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ، في قوله (تُوِّتِي أْكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) قال : غدوة وعشية .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا محمد بن المنثري ، قال : ثنا محمد بن أبي عدي ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ، بمثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا طلق ، عن زائدة ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا علي بن الجعد ، قال : ثنا شعبة ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ، في قوله (تُوِّتِي أْكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) قال : بكرة وعشيا .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس (تُوِّتِي أْكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) قال : بكرة وعشية .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (تُوِّتِي أْكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) قال : يُذَكِّرُ اللَّهَ كُلَّ سَاعَةٍ مِنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا أبو كدينة ، قال : ثنا قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس (تُوِّتِي أْكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) قال : غدوة وعشية .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مغراء ، عن جويبر ، عن الضحاک ، في قوله (تُوْتِي أْكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) قال : المؤمن يطبع الله بالليل والنهار ، وفي كل حين .
 حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس (تُوْتِي أْكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) يصعد عمله أول النهار وآخره .
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس (تُوْتِي أْكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) قال : يصعد عمله غدوة وعشية .
 حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (تُوْتِي أْكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) قال : تُخْرِج ثمرتها كل حين ، وهذا مثل المؤمن يعمل كل حين كل ساعة من النهار ، وكل ساعة من الليل وبالشتاء والصيف بطاعة الله .
 وقال آخرون : معنى ذلك : توتى أكلها كل ستة أشهر من بين صيرامها إلى حملها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن طارق بن عبد الرحمن ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، قال : الحين : ستة أشهر .
 حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عليه ، قال : أخبرنا أيوب ، قال : قال عكرمة : سئلت عن رجل حائف أن لا يصنع كذا وكذا إلى حين ، فقلت : إن من الحين حيناً يدرك ، ومن الحين حيناً لا يدرك ، فالحين الذي لا يدرك قوله (وَكَتَعَلَّمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ) والحين الذي يدرك (تُوْتِي أْكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) قال : وذلك من حين تُهْرَمُ النخلة إلى حين تطلع ، وذلك ستة أشهر .
 حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن الأصبهاني ، عن عكرمة ، قال : الحين : ستة أشهر .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا سعيد بن منصور ، قال : ثنا خالد ، عن الشيباني ، عن عكرمة ، في قوله (تُوْتِي أْكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) قال : هي النخلة ، والحين : ستة أشهر .
 حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا كثير بن هشام ، قال : ثنا جعفر ، قال : ثنا عكرمة (تُوْتِي أْكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) قال : هو ما بين حمل النخلة إلى أن تُحْزَرَا .
 حدثني المثنى ، قال : ثنا قبيصة بن عقبة ، قال : ثنا سفيان ، قال : قال عكرمة : الحين : ستة أشهر .
 حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا قيس ، عن طارق بن عبد الرحمن ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، أنه سئل عن رجل حلف أن لا يكلم أخاه حيناً ، قال : الحين : ستة أشهر ، ثم ذكر النخلة ما بين حملها إلى صيرامها ستة أشهر .
 حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن طارق ، عن سعيد بن جبیر (تُوْتِي أْكُلَهَا كُلَّ حِينٍ) قال : ستة أشهر .

(١) تحزر ، بتقديم الزاي على الراء : أى يقدر ما عليها من التمر بالنظر إليها والحدس .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال (تُوِّتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) والحين : ما بين السبعة والستة ، وهي تؤكل شتاء وصيفا .
 حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال الحسن : ما بين الستة الأشهر والسبعة : يعنى الحين .
 حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الرحمن بن الأصبهاني ، عن عكرمة .
 قال : الحين : ستة أشهر .
 وقال آخرون : بل الحين ههنا سنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن أبي مكين ، عن عكرمة ، إن نذر أن يقطع يد غلامه أو يحبسها حيناً ، قال : فسألني عمر بن عبد العزيز ، فقلت : لا تقطع يده ، يحبس سنة ، والحين : سنة ، ثم قرأ (لَيْسَ جُنُنَهُ حَتَّى حِينٍ) ، وقرأ (تُوِّتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) .
 حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، قال : وزاد أبو بكر الهذلي ، عن عكرمة ، قال : قال ابن عباس : الحين حينان : حين يعرف ، وحين لا يعرف ؛ فأما الحين الذي لا يعرف (وَكَتَعَلَّمُنْ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ) . وأما الحين الذي يعرف ، فقوله (تُوِّتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) .
 حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : سألت حمادا والحكم ، عن رجل حلف ألا يكلم رجلاً إلى حين ، قالوا : الحين : سنة .
 حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى « ح » ؛ وحدثني الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء « ح » ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا ورقاء « ح » ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (كُلَّ حِينٍ) قال : كل سنة .
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (تُوِّتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ) قال : كل سنة .
 حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سلام ، عن عطاء بن السائب ، عن رجل منهم ، أنه سأل ابن عباس ، فقال : حلفت ألا أكلم رجلاً حيناً ، فقرأ ابن عباس (تُوِّتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ) ، فالحين : سنة .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا ابن عسيل ، عن عكرمة ، قال : أرسل إلى عمر بن عبد العزيز فقال : يا مولى ابن عباس ، إني جلفت أن لأفعل كذا وكذا حيناً ، فما الحين الذي يعرف به ؟ قلت : إن من الحين حيناً لا يدرك ، ومن الحين حين يدرك ؛ فأما الحين الذي لا يدرك ، فقول الله : (هَلْ آتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مِّنْ دُونِ كَوْنِهِ) : والله ما يدري كم أتى له إلى أن خلق . وأما الذي

يدرك فقوله (تُوْتِي أُوْكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) ، فهو ما بين العام إلى العام المقبل ، فقال : أصبت يا مولى ابن عباس : ما أحسن ما قلت .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، قال : أتى رجل ابن عباس ، فقال : إني نذرت أن لا أكلم رجلا حينا ، فقال ابن عباس (تُوْتِي أُوْكُلَهَا كُلَّ حِينٍ) فالحين : سنة .
وقال آخرون : بل الحين في هذا الموضع : شهران .
ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا محمد بن مسلم الطائفي ، عن إبراهيم بن ميسرة ، قال : جاء رجل إلى سعيد بن المسيب ، فقال : إني حلفت أن لا أكلم فلانا حينا ، فقال : قال الله تعالى (تُوْتِي أُوْكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) قال : هي النخلة لا يكون منها أكلها إلا شهرين : فالحين شهران .
❖❖❖ وأولى الأقوال في ذلك عندى بالصواب قول من قال : عني بالحين في هذا الموضع : غدوة وعشية ، وكل ساعة ، لأن الله تعالى ذكره ضرب ما تؤتي هذه الشجرة كل حين من الأكل لعمل المؤمن وكلامه مثلا ، ولا شك أن المؤمن يرفع له إلى الله في كل يوم صالح من العمل والقول ، لا في كل سنة ، أو في كل ستة أشهر ، أو في كل شهرين . فإذا كان ذلك كذلك ، فلا شك أن المثل لا يكون خيلا للممثل به في المعنى . وإذا كان ذلك كذلك كان بيئنا صحة ما قلنا .

❖❖❖ فإن قال قائل : فأى نخلة تؤتي في كل وقت أكلا صيفا وشتاء ؟ قيل : أما في الشتاء فإن الطلع من أكلها . وأما في الصيف فالبلح والبسر والرطب والتمر ، وذلك كله من أكلها .
وقوله (تُوْتِي أُوْكُلَهَا) فإنه كما حدثنا به محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قتادة (تُوْتِي أُوْكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) قال : يؤكل ثمرها في الشتاء والصيف .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (تُوْتِي أُوْكُلَهَا كُلَّ حِينٍ) قال : هي تؤكل شتاء وصيفا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس (تُوْتِي أُوْكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) يصعد عمله ، يعني عمل المؤمن من أول النهار وآخره .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴾

❖❖❖ يقول تعالى ذكره : ومثل الشرك بالله ، وهي الكلمة الخبيثة ، كشجرة خبيثة .

اختلف أهل التأويل فيها أى شجرة هي ؟ فقال أكثرهم : هي الحنظل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن معاوية بن قررة ، قال :

سمعت أنس بن مالك، قال في هذا الحرف (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ) قال: الشريان فقلت: ما الشريان؟ قال رجل عنده: الحنظل، فأقرّ به معاوية.

حدثنا الحسن بن محمد، قال: ثنا شبابة، قال: أخبرنا شعبة، عن معاوية بن قرّة، قال: سمعت أنس بن مالك يقول: (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ) قال: الحنظل.

حدثنا الحسن، قال: ثنا عمرو بن الهيثم، قال: ثنا شعبة، عن معاوية بن قرّة، عن أنس بن مالك، قال: الشريان: يعني الحنظل.

حدثنا أحمد بن منصور، قال: ثنا نعيم بن حماد، قال: ثنا محمد بن ثور، عن ابن جريج، عن الأعمش، عن حبان بن شعبة، عن أنس بن مالك، في قوله (كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ) قال: الشريان، قلت لأنس: ما الشريان؟ قال: الحنظل.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علي، قال: ثنا شعيب، قال: خرجت مع أبي العالية، نريد أنس ابن مالك، فأتيناه، فقال (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ) تلکم الحنظل.

حدثنا الحسن، قال: ثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن شعيب بن الحبحاب، عن أنس، مثله.

حدثنا المثني قال: ثنا آدم العسقلاني، قال: ثنا شعبة، قال: ثنا أبو إياس، عن أنس بن مالك، قال: الشجرة الخبيثة: الشريان، فقلت: وما الشريان؟ قال: الحنظل.

حدثني المثني، قال: ثنا الحجاج، قال: ثنا حماد، عن شعيب، عن أنس، قال: تلکم الحنظل.

حدثني المثني، قال: ثنا الحجاج، قال: ثنا مهدي بن ميمون، عن شعيب، قال: قال أنس (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ) . . . الآية، قال: تلکم الحنظل، ألم تروا إلى الرياح كيف تصفّقها يمينا وشمالا؟

حدثني المثني، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد (كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ) : الحنظلة.

وقال آخرون: هذه الشجرة لم تخلق على الأرض.

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد الزعفراني، قال: ثنا عفان، قال: ثنا أبو كدينة، قال: ثنا قابوس، عن أبيه، عن ابن عباس (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُنِبَتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ) قال: هذا مثل ضرب به الله، ولم تخلق هذه الشجرة على وجه الأرض.

وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتصحيح قول من قال: هي الحنظلة خبر، فإن صح فلا قول يجوز أن يقال غيره، وإلا فإنها شجرة بالصفة التي وصفها الله بها.

ذكر الخبر الذي ذكرناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

حدثنا سوار بن عبد الله، قال: ثنا أبي، قال: ثنا حماد بن سلمة، عن شعيب بن الحبحاب، عن

أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ) قال : هي الخنظلة » قال شعيب : وأخبرت بذلك أبا العالية ، فقال : كذلك كانوا يقولون . وقوله (اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ) يقول : استوصلت ، يقال منه : اجْتُثَّتْ الشئ أجتته اجثثا : إذا استأصلته .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ) قال : استوصلت من فوق الأرض (مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ) يقول : ما لهذه الشجرة من قرار ولا أصل في الأرض تنبت عايه وتقوم ، وإنما ضربت هذه الشجرة التي وصفها الله بهذه الصفة لكفر الكافر وشركه به مثلا ، يقول : ليس لكفر الكافر وعمله الذي هو معصية الله في الأرض ثبات ، ولا له في السماء مصعد ، لأنه لا يصعد إلى الله منه شيء .
وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ) ضرب الله مثل الشجرة الخبيثة كمثل الكافر ، يقول : إن الشجرة الخبيثة اجثت من فوق الأرض ما لها من قرار : يقول : الكافر لا يقبل عمله ، ولا يصعد إلى الله ، فليس له أصل ثابت في الأرض ، ولا فرع في السماء ، يقول : ليس له عمل صالح في الدنيا ولا في الآخرة .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ) قال قتادة : إن رجلا لقي رجلا من أهل العلم ، فقال : ما تقول في الكلمة الخبيثة ، فقال : ما أعلم لها في الأرض مستقرا ، ولا في السماء مصعدا إلا أن تلزم عنق صاحبها ، حتى يوافي بها يوم القيامة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أبي العالية ، أن رجلا خالجت الريح رداءه فلعنها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا تَلْعَنَنَّهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ » ، وَإِنَّهُ مَنْ لَعَنَ شَيْئًا لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ رَجَعَتِ اللَّعْنَةُ عَلَى صَاحِبِهَا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ) قال : هذا الكافر ليس له عمل في الأرض ، وذكر في السماء . (اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ) قال : لا يصعد عمله إلى السماء ، ولا يقوم على الأرض فقيل : فأين تكون أعمالهم ، قال : يحملون أوزارهم على ظهورهم .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا فضيل بن مرزوق ، عن عطية العوفى (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ) قال : مثل الكافر لا يصعد له قول طيب ، ولا عمل صالح .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قال (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ) وهى الشرك (كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ) يعنى الكافر ، قال (اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ) يقول : الشرك ليس له أصل يأخذ به الكافر ، ولا برهان ، ولا يقبل الله مع الشرك عملا .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ) قال : مثل الشجرة الخبيثة مثل الكافر ، ليس لقوله ولا لعمله أصل ولا فرع ، ولا قوله ولا عمله يستقر على الأرض ، ولا يصعد إلى السماء .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول : ضرب الله مثل الكافر كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار : يقول : ليس لها أصل ولا فرع ، وليست لها ثمرة ، وليست فيها منفعة ، كذلك الكافر ليس يعمل خيرا ولا يقوله ، ولم يجعل الله فيه بركة ولا منفعة .

القول في تأويل قوله تعالى :

يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿١٧﴾

❖ يعنى تعالى ذكره بقوله (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا) يحقق الله أعمالهم وإيمانهم (بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ) يقول : بالقول الحق ، وهو فيما قيل : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله .
وأما قوله (فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) فإن أهل التأويل اختلفوا فيه ، فقال بعضهم : : عنى بذلك أن الله يثبتهم في قبورهم قبل قيام الساعة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى أبو السائب سلم بن جنادة ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن سعد بن عبيدة ، عن البراء بن عازب ، فى قوله (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) قال : التثبيت فى الحياة الدنيا إذا أتاه الملكان فى القبر ، فقالا له : من ربك ؟ فقال : ربى الله ، فقالا له : ما دينك ؟ قال : دينى الإسلام ، فقالا له : من نبيك ؟ قال : نبي محمد صلى الله عليه وسلم ، فذلك التثبيت فى الحياة الدنيا .
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، عن الأعمش ، عن سعد بن عبيدة ، عن البراء بن عازب ، بنحو منه فى المعنى .

حدثني عبد الله بن إسحاق الناقد الواسطي ، قال : ثنا وهب بن جرير ، قال : ثنا شعبة ، عن علقمة ابن مرثد ، عن سعد بن عبيدة ، عن البراء ، قال : « ذكر النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن والكافر ، فقال : إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا سُئِلَ فِي قَبْرِهِ قَالَ : رَبِّيَ اللَّهُ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ (يُشَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) » .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا هشام بن عبد الملك ، قال : ثنا شعبة ، قال : أخبرني علقمة بن مرثد قال : سمعت سعد بن عبيدة ، عن البراء بن عازب ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا سُئِلَ فِي الْقَبْرِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، قَالَ : فَذَلِكَ قَوْلُهُ (يُشَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) » .

حدثني الحسن بن سلمة بن أبي كبشة ، ومحمد بن معمر البحراني ، واللفظ لحديث بن أبي كبشة ، قال : ثنا أبو عامر عبد الملك بن عمرو ، قال : ثنا عباد بن راشد ، عن داود بن أبي هند ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد ، قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة ، فقال : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تَبْتَلَى فِي قُبُورِهَا ، فَإِذَا الْإِنْسَانُ دُفِنَ وَتَفَرَّقَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ ، جَاءَهُ مَلَكٌ بِيَدِهِ مِطْرَاقٌ فَأَقْعَدَهُ ، فَقَالَ : مَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ ؟ فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا قَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، فَيَقُولُ لَهُ : صَدَقْتَ ، فَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى النَّارِ ، فَيُقَالُ : هَذَا مَنَزِلُكَ لَوْ كَفَرْتَ بِرَبِّكَ ؛ فَأَمَّا إِذَا آمَنْتَ بِهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ أَبْدَلَكَ بِهِ هَذَا ، ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ ، فَيُرِيدُ أَنْ يَنْهَضَ لَهُ ، فَيُقَالُ لَهُ : اسْكُنْ ، ثُمَّ يَفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ ؛ وَأَمَّا الْكَافِرُ أَوْ الْمُنَافِقُ ، فَيُقَالُ لَهُ مَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ ؟ فَيَقُولُ : مَا أَدْرِي ، فَيُقَالُ لَهُ : لَأَدْرِيْتَ وَلَا تَلْمِيْتَ وَلَا اهْتَدَيْتَ ، ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ ، فَيُقَالُ لَهُ : هَذَا كَانَ مَنَزِلُكَ لَوْ آمَنْتَ بِرَبِّكَ ؛ فَأَمَّا إِذَا كَفَرْتَ فَإِنَّ اللَّهَ أَبْدَلَكَ هَذَا ، ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى النَّارِ ، ثُمَّ يَقْمَعُهُ الْمَلَكُ بِالْمِطْرَاقِ قَمْعَةً يَسْمَعُهُ خَلَقَ اللَّهُ كُلَّهُمْ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ ، قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا مَنَا أَحَدٌ يَقُومُ عَلَى رَأْسِهِ مَلِكٌ بِيَدِهِ مِطْرَاقٌ إِلَّا هِيلَ عِنْدَ ذَلِكَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (يُشَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ، وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ، وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ) » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن زاذان ، عن البراء ، « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : وَذَكَرَ قَبْضَ رُوحِ الْمُؤْمِنِ : فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيَجْلِسَانِهِ فِي قَبْرِهِ ، فَيَقُولَانِ مَنْ رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ : رَبِّيَ اللَّهُ ، فَيَقُولَانِ : مَا دِينُكَ ؟ فَيَقُولُ دِينِي الْإِسْلَامُ ، فَيَقُولَانِ لَهُ : مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ ؟ فَيَقُولُ : هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ، فَيَقُولَانِ : مَا يُدْرِيكَ ، فَيَقُولُ : قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ فَأَمَنْتُ بِهِ ،

وَصَدَقْتُ ، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ : أَنْ صَدَقَ عَبْدِي ، قَالَ : فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (يَثَبْتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَفِي الْآخِرَةِ) .
 حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، قال : ثنا الأعمش ، عن المنهال ، عن زاذان ، عن البراء ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .
 حدثنا ابن حميد وابن وكيع ، قالوا : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن زاذان ، عن البراء ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .
 حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، قال : ثنا الأعمش ، قال : ثنا المنهال بن عمرو ، عن زاذان ، عن البراء ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو بن قيس ، عن يونس بن خباب ، عن المنهال ، عن زاذان ، عن البراء بن عازب ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، نحوه .
 حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا سعيد بن منصور ، قال : ثنا مهدي بن ميمون جميعا ، عن يونس بن خباب ، عن المنهال بن عمرو ، عن زاذان ، عن البراء بن عازب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وذكر قبض روح المؤمن قال : فَيَأْتِيهِ آتٍ فِي قَبْرِهِ فَيَقُولُ : مَنْ رَبُّكَ وَمَا دِينُكَ وَمَنْ نَبِيُّكَ ؟ فَيَقُولُ : رَبِّي اللَّهُ وَدِينِي الْإِسْلَامُ ، وَنَبِيِّ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَيَنْتَهَرُهُ ، فَيَقُولُ : مَنْ رَبُّكَ ، وَمَا دِينُكَ ، فَهِيَ آخِرُ فِتْنَةٍ تُعْرَضُ عَلَى الْمُؤْمِنِ ، فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : (يَثَبْتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) ، فَيَقُولُ : رَبِّي اللَّهُ ، وَدِينِي الْإِسْلَامُ ، وَنَبِيِّ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَيُقَالُ لَهُ : صَدَقْتُ » ، واللفظ لحديث ابن عبد الأعلى .

حدثنا محمد بن خاف العسقلاني ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، قال : « تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم (يَثَبْتُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) ، قَالَ : ذَاكَ إِذَا قِيلَ فِي الْقَبْرِ : مَنْ رَبُّكَ ، وَمَا دِينُكَ ؟ فَيَقُولُ رَبِّي اللَّهُ ، وَدِينِي الْإِسْلَامُ ، وَنَبِيِّ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، فَأَمَنْتُ بِهِ وَصَدَقْتُ ، فَيُقَالُ لَهُ صَدَقْتُ عَلَى هَذَا عِشْتُ ، وَعَلَيْهِ مِتُّ ، وَعَلَيْهِ تَبَعْتُ » .

حدثنا مجاهد بن موسى ، والحسن بن محمد ، قالوا : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، قال : « إِنَّ الْمَيِّتَ لَيَسْمَعُ خَفَقَ نَعَالِهِمْ حِينَ يُوَلُّونَ عَنْهُ مُدْبِرِينَ فَإِذَا كَانَ مُؤْمِنًا ، كَانَتِ الصَّلَاةُ عِنْدَ رَأْسِهِ ، وَالزَّكَاةُ عَنْ يَمِينِهِ ، وَكَانَ الصِّيَامُ عَنْ يَسَارِهِ ، وَكَانَ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصَّلَاةِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ ،

فَيُؤْتِي مِنْ عِنْدِ رَأْسِهِ ، فَتَقُولُ الصَّلَاةُ : مَا قَبِلِي مَدْخَلَ ، فَيُؤْتِي عَنْ يَمِينِهِ ، فَتَقُولُ الرِّكَاعَةُ : مَا قَبِلِي مَدْخَلَ ، فَيُؤْتِي عَنْ يَسَارِهِ ، فَيَقُولُ الصِّيَامُ مَا قَبِلِي مَدْخَلَ ، فَيُؤْتِي مِنْ عِنْدِ رِجْلَيْهِ ، فَيَقُولُ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصَّلَاةِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ : مَا قَبِلِي مَدْخَلَ ، فَيُقَالُ لَهُ : اجْلِسْ ، فَيَجْلِسُ ، قَدْ مُثِّلَتْ لَهُ الشَّمْسُ قَدْ دَنَتْ لِلْغُرُوبِ ، فَيُقَالُ لَهُ أَخْبِرْنَا عَمَّا نَسَأَلُكَ ، فَيَقُولُ : دَعُونِي حَتَّى أُصَلِّيَ ، فَيَقُولُ : إِنَّكَ سَتَفْعَلُ فَأَخْبِرْنَا عَمَّا نَسَأَلُكَ عَنْهُ ، فَيَقُولُ : وَعَمَّ تَسْأَلُونَ ؟ فَيُقَالُ : أَرَأَيْتَ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ ، مَاذَا تَقُولُ فِيهِ ، وَمَاذَا تَشْهَدُ بِهِ عَلَيْهِ ؟ فَيَقُولُ : أَحْمَدُ ؟ فَيُقَالُ لَهُ : نَعَمْ ، فَيَقُولُ : أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، فَصَدَّقْنَاهُ ، فَيُقَالُ لَهُ : عَلَى ذَلِكَ حَيِّيتَ وَعَلَى ذَلِكَ مِتَّ وَعَلَى ذَلِكَ تَبِعْتُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ يَفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا ، وَيُنَوِّرُ لَهُ فِيهِ ، ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُ بَابَ إِلَى الْجَنَّةِ ، فَيُقَالُ لَهُ : انظُرْ إِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ فِيهَا ، فَيَزِدَادُ غِبْطَةً وَسُرُورًا ، ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُ بَابَ إِلَى النَّارِ ، فَيُقَالُ لَهُ : انظُرْ مَا صَرَفَ اللَّهُ عَنْكَ لَوْ عَصَيْتَهُ ، فَيَزِدَادُ غِبْطَةً وَسُرُورًا ، ثُمَّ يَجْعَلُ نَسَمَهُ فِي النَّسَمِ الطَّيِّبِ ، وَهِيَ طَيْرٌ خَضِرٌ تَعْلَقُ بِشَجَرِ الْجَنَّةِ وَيُعَادُ جَسَدَهُ إِلَى مَا بُدِيَ مِنْهُ مِنَ التُّرَابِ ، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى (يَثْبِتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أبو قطن ، قال : ثنا المسعودي ، عن عبد الله بن مخارق ، عن أبيه عن عبد الله ، قال : إن المؤمن إذا مات أجلس في قبره ، فيقال له : من ربك ، وما دينك ، ومن نبيك ؟ فيثبته الله ، فيقول : ربي الله ، وديني الإسلام ، ونبيي محمد ؛ قال : فقرأ عبد الله (يَثْبِتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا أبو خالد القرشي ، عن سفيان ، عن أبيه ؛ وحدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن أبيه ، عن خيثمة ، عن البراء ، في قوله (يَثْبِتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) قال : عذاب القبر .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا شعبة ، عن علقمة بن مرثد ، عن سعد بن عبيدة ، عن البراء ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، في قول الله تعالى (يَثْبِتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) قال شعبة : شيئاً لم أحفظه ، قال : في القبر .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يَثْبِتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ) . . . إلى قوله (وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ) قال : إن المؤمن إذا حضره الموت شهدته الملائكة فسلموا عليه ، وبشروه بالجنة ، فإذا مات مشوا في جنازته ، ثم

صَدَّقُوا عَلَيْهِ مَعَ النَّاسِ ، فَإِذَا دُفِنَ أَجْلَسَ فِي قَبْرِهِ ، فَيُقَالُ لَهُ : مَنْ رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ : رَبِّي اللَّهُ ، وَيُقَالُ لَهُ : مَنْ رَسُولُكَ ؟ فَيَقُولُ مُحَمَّدٌ ، فَيُقَالُ لَهُ : مَا شَهَادَتُكَ ؟ فَيَقُولُ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، فَيُوسَعُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّةَ بَصَرِهِ .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا حجاج ، قال : قال ابن جريج : سمعت ابن طاوس يخبر عن أبيه ، قال : لأعلمه إلا قال : هي في فتنة القبر في قوله (يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ) .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير عن العلاء بن المسيب ، عن أبيه ، أنه كان يقول في هذه الآية : (يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) : هي في صاحب القبر .
حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن العوام ، عن المسيب بن رافع : (يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) قال : نزلت في صاحب القبر .
حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عباد بن العوام ، عن العلاء بن المسيب ، عن أبيه المسيب ابن رافع نحوه .

حدثني المثني ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سعد ، قال : أخبرنا أبو جعفر الرازي ، عن الربيع ، في قول الله تعالى (يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) قال : بلغنا أن هذه الأمة تُسْأَلُ فِي قَبْرِهَا ، فَيَثْبُتُ اللَّهُ الْمُؤْمِنَ فِي قَبْرِهِ حِينَ يُسْأَلُ .
حدثني المثني ، قال : ثنا أبو ربيعة فهد ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن زاذان ، عن البراء بن عازب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وَذَكَرَ قَبْضَ رُوحِ الْمُؤْمِنِ ، قَالَ فَتَرْجِعُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ ، وَيَبْعَثُ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَائِكَيْنِ شَدَّ يَدَيْ الْإِنْتِهَارِ ، فَيَجْلِسَانِهِ وَيَنْتَهَرَانِهِ ، يَقُولَانِ : مَنْ رَبُّكَ ؟ قَالَ : فَيَقُولُ : اللَّهُ ، وَمَا دِينُكَ ؟ قَالَ : الْإِسْلَامُ ، قَالَ : فَيَقُولَانِ لَهُ : مَا هَذَا الرَّجُلُ أَوْ النَّبِيُّ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ ؟ فَيَقُولُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، قَالَ : فَيَقُولَانِ لَهُ : وَمَا يُدْرِيكَ ؟ قَالَ : فَيَقُولُ : قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ فَأَمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ (يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) قال : نزلت في الميت الذي يُسْأَلُ فِي قَبْرِهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قول الله (يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) قال : بلغنا أن هذه الأمة تُسْأَلُ فِي قَبْرِهَا ، فَيَثْبُتُ اللَّهُ الْمُؤْمِنَ حَيْثُ يُسْأَلُ .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن مجاهد (يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) قال : هذا في القبر مخاطبته (وَفِي الْآخِرَةِ) مثل ذلك .

وقال آخرون : معنى ذلك : يثبت الله الذين آمنوا بالإيمان في الحياة الدنيا ، وهو القول الثابت ، وفي الآخرة : المسألة في القبر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه (يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) قال : لا إله إلا الله (وفي الآخرة) المسألة في القبر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) أما الحياة الدنيا ، فيثبتهم بالخير والعمل الصالح ، وقوله (في الآخرة) أى في القبر .

والصواب من القول في ذلك ما ثبت به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك ، وهو أن معناه : يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا ، وذلك تثبيته إياهم في الحياة الدنيا بالإيمان بالله وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وفي الآخرة بمثل الذي ثبتهم به في الحياة الدنيا ، وذلك في قبورهم حين يسألون عن الذي هم عليه من التوحيد والإيمان برسوله صلى الله عليه وسلم .

وأما قوله (وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ) فإنه يعنى أن الله لا يوفق المنافق والكافر في الحياة الدنيا وفي الآخرة عند المسألة في القبر لما هدى له من الإيمان المؤمن بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : أما الكافر فتزل الملائكة إذا حضره الموت ، فيبسطون أيديهم ، والبسط : هو الضرب ، يضربون وجوههم وأدبارهم عند الموت ، فإذا أدخل قبره أقعد ، فقليل له : من ربك ، فلم يرجع إليهم شيئا ، وأنساه الله ذكر ذلك ، وإذا قيل له : من الرسول الذى بعث إليك لم يهتد له ولم يرجع إليه شيئا ، يقول : (وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا فهد بن عوف أبو ربيعة ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن الأعمش ، عن المنهال ابن عمرو ، عن زاذان ، عن البراء ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وذكر الكافر حين تُبْضِ رُوحُهُ قَالَ : فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ ، قَالَ : فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ شَدِيدَا الْإِنْتِهَارِ ، فَيُجْلِسَانِهِ فَيَنْتَهَرَانِهِ ، فَيَقُولَانِ لَهُ : مَنْ رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ : لا أدري ، قَالَ : فَيَقُولَانِ لَهُ : مَا دِينُكَ ؟ فَيَقُولُ : لا أدري ، قَالَ : فَيَقُولَانِ لَهُ : مَا هَذَا النَّبِيُّ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ ؟ قَالَ : فَيَقُولُ : سمعتُ النَّاسَ يَقُولُونَ ذَلِكَ ، لا أدري ، قَالَ : فَيَقُولَانِ لا أدري ، قَالَ : وذلك قولُ اللَّهِ (وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ، وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ) » .

وقوله (وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ) يعنى تعالى ذكره بذلك: ويبد الله الهداية والإضلال ، فلا تنكروا أيها الناس قدرته ، ولا اهتداء من كان منكم ضالا ، ولا ضلال من كان منكم مهتديا ، فإن بيده تصريف خلقه ، وتقلب قلوبهم ، يفعل فيهم ما يشاء .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ۗ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٢٨﴾

يقول تعالى ذكره: ألم تنظر يا محمد (إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا) يقول: غيروا ما أنعم الله به عليهم من نعمه ، فجعلوها كفرا به ، وكان تبديلهم نعمة الله كفرا في نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم ، أنعم الله به على قريش ، فأخرجه منهم ، وابتعثه فيهم رسولا رحمة لهم ، ونعمة منه عليهم ، فكفروا به ، وكذبوه ، فبدلوا نعمة الله عليهم به كفرا . وقوله (وأحلوا قومهم دار البوار) يقول: وأنزلوا قومهم من مشركى قريش دار البوار ، وهى دار الهلاك ، يقال منه : بار الشيء يبور بورا : إذا هلك وبطل ؛ ومنه قول ابن الزبيرى ، وقد قيل إنه لأبى سفيان بن الحرث بن عبد المطلب :

يا رَسُولَ الْمَلِيكَ إِنِّ لِسَانِي رَاتِقٌ مَا فَتَقْتُ إِذْ أَنَا بُورٌ

ثم ترجم عن دار البوار ، وما هى ؟ فقيل (جهنم يصلونها وبئس القرار) يقول: وبئس المستقر هي جهنم لمن صلاها . وقيل : إن الذين بدلوا نعمة الله كفرا : بنو أمية ، وبنو مخزوم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار وأحمد بن إسحاق ، قالا : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن سعد ، عن عمر بن الخطاب ، فى قوله (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ) قال : هما الأفجران من قريش : بنو المغيرة ، وبنو أمية ، فأما بنو المغيرة فكفيتهم يوم بدر ؛ وأما بنو أمية فمتعوا إلى حين .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ، قال : أخبرنا حمزة الزيات ، عن عمرو بن مرة ، قال : قال ابن عباس لعمر رضى الله عنهما : يا أمير المؤمنين ، هذه الآية (الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ، وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) قال : هم الأفجران من قريش أخوالى وأعمامك ، فأما أخوالى فاستأصلهم الله يوم بدر ، وأما أعمامك ، فأملى الله لهم إلى حين .

(١) البيت (فى اللسان : بور) منسوب إلى عبد الله بن الزبيرى السهمى . قال : رجل بور ، وكذلك الاثنان والجمع والمؤنث ، وأنشد البيت شاهدا عليه . وفى سيرة ابن هشام : أنشد البيت ونسبه إلى ابن الزبيرى ، قاله من أبيات حين قدم على النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان هاربا منه فى نجران . والراتق : الذى يصلح ما بلى أو تمزق من الثوب . وفتقت : يعنى : ما أحدث فى الدين من مقاومة النبى وهجانه بشعره ، وهو إثم يشبه الفتق فى الثوب ، والتوبة رتق له . وبور : هالك ، يقال رجل بور وبائر . وهو محل الشاهد =

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو ذي مر ، عن عليّ (وأحلّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) قال : الأفجران من قريش .
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو ذي مر ، عن عليّ ، مثله .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان وشريك ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو ذي مر ، عن عليّ ، قوله (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) قال : بنو المغيرة وبنو أمية ؛ فأما بنو المغيرة ، فقطع الله دابرتهم يوم بدر ؛ وأما بنو أمية ، ففتّحوا إلى حين .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، قال : سمعت عمرا ذا مر ، قال : سمعت عليا يقول في هذه الآية (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ، وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) قال : الأفجران من بني أسد وبني مخزوم .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا شعبة ، عن القاسم بن أبي بزّة ، عن أبي الطفيل ، عن عليّ ، قال : هم كفار قريش ، يعني في قوله (وأحلّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ . جَهَنَّمَ) .
حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن القاسم بن أبي بزّة ، عن أبي الطفيل أنه سمع عليّ بن أبي طالب ، وسأله ابن الكوّاء عن هذه الآية (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ، وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) قال : هم كفار قريش يوم بدر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو النضر هاشم بن القاسم ، عن شعبة ، عن القاسم بن أبي بزّة ، قال : سمعت أبا الطفيل ، قال : سمعت عليا ، فذكر نحوه .

حدثنا أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن إسماعيل بن سميع ، عن مسلم البطين ، عن أبي أرطاة ، عن عليّ في قوله (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا) قال : هم كفار قريش ، هكذا قال أبو السائب مسلم البطين ، عن أبي أرطاة .

حدثنا الحسن بن محمد الزعفراني ، قال : ثنا أبو معاوية الضرير ، قال : ثنا إسماعيل بن سميع ، عن مسلم بن أرطاة ، عن عليّ ، في قوله تعالى (الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا) قال : كفار قريش .
حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يعقوب بن إسحاق ، قال : ثنا شعبة ، عن القاسم بن أبي بزّة ، عن أبي الطفيل ، عن عليّ ، قال في قول الله (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ، وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) قال : هم كفار قريش .

==عند المؤلف . وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن : « دار البوار » : أي الهلاك والفناء ، ويقال منه : بار يبور ، ومنه قول عبد الله ابن الزبيري . . . البيت .
(١) لعله هو عمرو بن مرة ، كما في ابن كثير في هذا الأثر .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا شعبة ، عن القاسم بن أبي بزة ، قال : سمعت أبا الطفيل يحدث ، قال : سمعت عليا يقول في هذه الآية (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) قال : كفار قريش يوم بدر .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا الفضل بن دكين ، قال : ثنا بسام الصيرفي ، قال : ثنا أبو الطفيل عامر بن وائلة ، ذكر أن عليا قام على المنبر فقال : سلوني قبل أن لاتسألوني ، ولن تسألوا بعدي مثلي ، فقام ابن الكواء فقال : من (الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ، وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) قال : منافقو قريش .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، قال : ثنا بسام ، عن رجل قد سماه الطنافسي ، قال : جاء رجل إلى علي ، فقال : يا أمير المؤمنين : من (الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ، وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) ؟ قال : في قريش .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا بسام الصيرفي ، عن أبي الطفيل ، عن علي أنه سئل عن هذه الآية (الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا) قال : منافقو قريش .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا حماد ، قال : ثنا عمرو بن دينار ، أن ابن عباس قال في قوله (وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) قال : هم المشركون من أهل بدر .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الجبار ، قال : ثنا سفيان ، عن عمرو ، قال : سمعت عطاء يقول : سمعت ابن عباس يقول : هم والله أهل مكة (الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ، وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا صالح بن عمر ، عن مطرف بن طريف ، عن أبي إسحاق قال : سمعت عمرا ذا مرة يقول : سمعت عليا يقول على المنبر : وتلا هذه الآية (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ، وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) قال : هما الأفجران من قريش ؛ فأما أحدهما : فقطع الله دابرهم يوم بدر ؛ وأما الآخر : فتتبعوا إلى حين .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا الحسن ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله (بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا) قال : كفار قريش .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عبد الوهاب ، عن مجاهد ، قال : كفار قريش . حدثنا المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا) كفار قريش .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار ، عن عطاء ، قال : سمعت ابن عباس يقول : هم والله (الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ، وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) قريش ، أو قال : أهل مكة .

حدثنا ابن وكيع وابن بشار ، قالوا : ثنا غندر ، عن شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير في هذه الآية (الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ، وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) قال : قتلى يوم بدر .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنى عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير (الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ، وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) قال : هم كفار قريش .

حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى ، قالوا : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا هشيم ، عن حصين ، عن أبي مالك وسعيد بن جبير ، قالوا : هم قتلى بدر من المشركين .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن ابن عباس في (الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ، وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) قال : هم والله أهل مكة ، قال أبو كريب : قال سفيان : يعني كفارهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس ، في قوله (وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) قال : هم المشركون من أهل بدر .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي إسحاق ، عن بعض أصحاب علي ، عن علي ، في قوله (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا) قال : هم الأفجران من قريش من بني مخزوم وبني أمية ، أما بنو مخزوم ، فإن الله قطع دابرهم يوم بدر ؛ وأما بنو أمية فقتلوا إلى حين .

حدثني المثنى ، قال : ثنا معلى بن أسد ، قال : أخبرنا خالد ، عن حصين ، عن أبي مالك ، في قول الله (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا) قال : هم القادة من المشركين يوم بدر .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن حصين ، عن أبي مالك وسعيد ابن جبير ، قالوا : هم كفار قريش من قتل ببدر .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاک ، قال : هم كفار قريش ، من قتل ببدر .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک ، يقول في قوله (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا) . . . الآية ، قال : هم مشركو أهل مكة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سامة بن الفضل ، قال : أخبرني محمد بن إسحاق ، عن بعض أصحابه ، عن

عطاء بن يسار ، قال : نزلت هذه الآية في الذين قُتِلوا من قريش (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ، وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) . . . الآية .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ، وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) كنا نحدث أنهم أهل مكة : أبو جهل وأصحابه الذين قتلهم الله يوم بدر ، قال الله (جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَبَيْئَسَ الْقَرَارُ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) قال : هم قادة المشركين يوم بدر ، أحلوا قومهم دار البوار (جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا) .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ، وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) قال : هؤلاء المشركون من أهل بدر .

وقال آخرون في ذلك ، بما حدثني به محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي عن ابن عباس ، قوله (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ، وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا) فهو جبلة بن الأيهم ، والذين اتبعوه من العرب فلحقوا بالروم .

وبنحو الذي قلنا في معنى قوله (وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جوير ، عن الضحاك (وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) قال : أحلوا من أطاعهم من قومهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن ابن عباس (دَارَ الْبَوَارِ) قال : الهلاك ، قال ابن جريج ، قال مجاهد (وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) قال : أصحاب بدر .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (دَارَ الْبَوَارِ) النار ، قال : وقد بين الله ذلك وأخبرك به ، فقال (جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَبَيْئَسَ الْقَرَارُ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا) هي دارهم في الآخرة .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٢٢٣﴾

يقول تعالى ذكره : وجعل هؤلاء الذين بدلوا نعمة الله كفرا لربهم أندادا ، وهي جماع نداء ، وقد بينت معنى النداء ، فيما مضى بشواهد بما أغنى عن إعادته ، وإنما أراد أنهم جعلوا لله شركاء .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا) والأنداد : الشركاء . وقوله (لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء

الكوفيين (لِيُضِلُّوْا) بمعنى : كى يضلوا الناس عن سبيل الله بما فعلوا من ذلك . وقرآته عامة قرآء أهل البصرة (لِيَضِلُّوْا) بمعنى : كى يضلّ جاعلو الأنداد لله عن سبيل الله . وقوله (قُلْ تَمَتَّعُوا) يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهم : تمتعوا فى الحياة الدنيا وعيدا من الله لهم ، لإباحة لهم التمتع بها ، ولا أمرا على وجه العبادة ، ولكن توبيخا وتهيدا ووعيدا ، وقد بيّن ذلك بقوله (فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ) يقول : استمتعوا فى الحياة الدنيا ، فإنها سريعة الزوال عنكم ، وإلى النار تصيرون عن قريب ، فتعلمون هنالك غبّ تمتعكم فى الدنيا بمعاصى الله وكفركم فيها به .

القول فى تأويل قوله تعالى :

قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْتَهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمًا لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴿٢١﴾

✽ يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يا محمد (لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا) بك ، وصدّقوا أن ما جئتهم به من عندى (يُقِيمُوا الصَّلَاةَ) يقول : قل لهم : فليقيموا الصلوات الخمس المفروضة عليهم بحدودها ، ولينفقوا مما رزقناهم ، فحولناهم من فضلنا سرّا وعلانية ، فليؤدّوا ما أوجبت عليهم من الحقوق فيها سرّا وإعلانا (مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمًا لَا بَيْعٌ فِيهِ) يقول : لا يقبل فيه فدية وعوض من نفس وجب عليها عقاب الله بما كان منها من معصية ربها فى الدنيا ، فيقبل منها الفدية ، وترك فلا تعاقب ، فسمى الله جلّ ثناؤه الفدية عوضا ، إذ كان أخذ عوض من معترض منه . وقوله (وَلَا خِلَالٌ) يقول : وليس هناك محالة خليل ، فيصفح عن استوجب العقوبة عن العقاب لمخالته ، بل هنالك العدل والقسط ، فالخلال مصدر من قول القائل : خاللت فلانا فأنا أخاله محالة وخاللا ؛ ومنه قول امرئ القيس : صرفت الهوى عنهم من خشية الردى وآسست بمقبلي الخلال ولا قالى اوجزم قوله (يُقِيمُوا الصَّلَاةَ) بتأويل الجزاء ، ومعناه : الأمر يراى قل لهم ليقيموا الصلاة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن على ، عن ابن عباس (قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ) يعنى الصلوات الخمس (وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْتَهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً) : يقول : زكاة أموالهم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، عن عمرو ، عن سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمًا لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ) قال قتادة : إن الله تبارك وتعالى قد علم أن فى الدنيا

(١) البيت لامرئ القيس (مختار الشعر الجاهلى بشرح مصطفى السقا ، طبعة الحلبي ص ٤٠) قال : الردى هنا : الفضيحة ، أى لم أنصرف عنهم لأنى قليت ، ولا لأنهن قلينى ، ولكن خشية الفضيحة والعار اه . والخلال هنا : مصدر خاله يخاله خللا ومحالة ، بمعنى المصادقة ، وبه استشهد المؤلف على هذا المعنى . وفى (اللسان : خلل) وقوله تعالى : « لا بيع فيه ولا خلال » : قيل : هو مصدر خاللت ، وقيل : هو جمع خلة (بضم الحاء) كجلة وجلال . وفى مجاز القرآن لأبى عبيدة : مجازه : مبايعة فدية ، ولا محالة خليل . وله موضع آخر أيضا ، يجعله جمع خلة بمنزلة جلة ، والجمع : جلال ؛ وقلة ، والجمع : قلال .

بيوعه وخلالا يتخاللون بها في الدنيا ، فينظر رجل من يخال ، وعلام يصاحب ، فإن كان لله فليداوم ، وإن كان لغير الله فإنها ستقطع .

القول في تأويل قوله تعالى :

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٤٦﴾

يقول تعالى ذكره : الله الذي أنشأ السموات والأرض من غير شيء أيها الناس ، وأنزل من السماء غيثا أحيا به الشجر والزرع ، فأثمرت رزقا لكم تأكلونه (وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ) وهي السفن (لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ) لكم تركبونها ، وتحملون فيها أمتعتكم من بلد إلى بلد (وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ) ماؤها شراب لكم ، يقول تعالى ذكره : الذي يستحق عليكم العباداة وإخلاص الطاعة له ، من هذه صفته ، لا من لا يقدر على ضرر ولا نفع لنفسه ولا لغيره من أوثانكم أيها المشركون وأهلتكم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، يعني الزعفراني ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ) قال : بكل بلدة .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٤٧﴾

يقول تعالى ذكره (الله الذي خلق السموات والأرض) وفعل الأفعال التي وصف . (وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ) يتعاقبان عليكم أيها الناس بالليل والنهار ، لصلاح أنفسكم ومعاشكم (دَائِبَيْنِ) في اختلافهما عليكم . وقيل : معناه : أنهما دائبان في طاعة الله .

حدثنا خلف بن واصل ، عن رجل ، عن مقاتل بن حيان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قوله (وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ) قال : دءُوبهما في طاعة الله . وقوله (وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ) يختلفان عليكم باعتقاب ، إذا ذهب هذا جاء هذا بمنافعكم وصلاح أسبابكم ، فهذا لكم لتعبر فكم فيه لمعاشكم ، وهذا لكم للسكن ، تسكنون فيه ، ورحمة منه بكم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَنْتُمْ مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ

كَفَّارٌ ﴿٤٨﴾

*** يقول تعالى ذكره: وأعطاكم مع إنعامه عليكم بما أنعم به عليكم من تسخير هذه الأشياء التي سخرها لكم والرزق الذي رزقكم من نبات الأرض وغرووسها من كل شيء سألتموه، ورغبتم إليه شيئا، وحذف الشيء الثاني اكتفاء بما التي أضيفت إليها كل، وإنما جاز حذفه، لأن من تبع بعض ما بعدها، فكفت بدلالتها على التبعض من المفعول، فلذلك جاز حذفه، ومثله قوله تعالى: (وأوتيت من كل شيء) يعني به: وأوتيت من كل شيء في زمانها شيئا، وقد قيل: إن ذلك إنما قيل على التكثر، نحو قول القائل: فلان يعلم كل شيء، وأتاه كل الناس، وهو يعني بعضهم، وكذلك قوله (فتسحنا عليهم أبواب كل شيء) وقيل أيضا: إنه ليس شيء إلا وقد سأله بعض الناس، فقيل (وآتاكم من كل ما سألتموه) أي قد آتى بعضكم منه شيئا، وآتى آخر شيئا مما قد سأله. وهذا قول بعض نحويي أهل البصرة.

وكان بعض نحويي أهل الكوفة يقول: معناه: وآتاكم من كل ما سألتموه لو سألتموه، كأنه قيل: وآتاكم من كل سؤالكم، وقال: ألا ترى أنك تقول للرجل: لم يسألك شيئا، والله لأعطينك سؤالك ما بلغت مسألتك، وإن لم يسأل.

فأما أهل التأويل، فإنهم اختلفوا في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: وآتاكم من كل ما رغبتم إليه فيه.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء؛ وحدثني الحسن بن محمد، قال: ثنا شيبان، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد (من كل ما سألتموه) ورغبتم إليه فيه.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد؛ وحدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد؛ وحدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الحسن (وآتاكم من كل ما سألتموه) قال: من كل الذي سألتموه. وقال آخرون: بل معنى ذلك: وآتاكم من كل الذي سألتموه والذي لم تسألوه.

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد، قال: ثنا خلف، يعني ابن هشام، قال: ثنا محبوب، عن داود بن أبي هند، عن ركانة بن هاشم (من كل ما سألتموه) وقال: ما سألتموه وما لم تسألوه.

وقرأ ذلك آخرون (وآتاكم من كل ما سألتموه) بتنوين كل وترك لإضافتها إلى «ما» بمعنى: وآتاكم من كل شيء لم تسألوه ولم تطلبوه منه، وذلك أن العباد لم يسألوه الشمس والقمر والليل والنهار، وخلق ذلك لهم من غير أن يسألوه.

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو حُصَيْن، عبد الله بن أحمد بن يونس، قال: ثنا بزيع، عن الضحاک بن مزاحم في هذه الآية: (وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ) قال: ما لم تسألوه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا عبيد، عن الضحاک أنه كان يقرأ (مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ) ويفسره: أعطاكم أشياء ما سألتوها ولم تلتمسوها، ولكن أعطيتكم برحمتي وسعتي. قال الضحاک: فكم من شيء أعطانا الله ما سألناه ولا طلبناه.

حدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله (وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ) يقول: أعطاكم أشياء ما طلبتموها، ولا سألتوها، صدق الله كم من شيء أعطاناه الله ما سألناه إياه ولا خطر لنا على بال.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة (وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ) قال: لم تسألوه من كل الذي آتاكم.

❖ والصواب من القول في ذلك عندنا، القراءة التي عليها قرأ الأمصار، وذلك إضافة «كل» إلى «ما» بمعنى: وآتاكم من سؤلكم شيئاً، على ما قد بينا قبل، لإجماع الحجة من القراء عليها ورفضهم القراءة الأخرى. القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾: يقول تعالى ذكره: وإن تعدوا أيها الناس نعمة الله التي أنعمها عليكم لا تطيقوا إحصاء عددها والقيام بشكرها إلا بعون الله لكم عليها (إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) يقول: إن الإنسان الذي بدل نعمة الله كفراً لظاوم: يقول: لشاكر غير من أنعم عليه، فهو بذلك من فعله واضع الشكر في غير موضعه، وذلك أن الله هو الذي أنعم عليه بما أنعم، واستحق عليه إخلاص العباد له فعبده غيره، وجعل له أندادا ليضل عن سبيله، وذلك هو ظلمه. وقوله (كَفَّارٌ) يقول: هو جحود نعمة الله التي أنعم بها عليه لصرفه العباد إلى غير من أنعم عليه، وتركه طاعة من أنعم عليه.

حدثنا الحسن بن محمد، قال: ثنا يزيد بن هارون، قال: ثنا مسعر، عن سعد بن إبراهيم، عن طلق بن حبيب، قال: إن حق الله أثقل من أن تقوم به العباد، وإن نعم الله أكثر من أن تحصيها العباد، ولكن أصبحوا توأبين وأمسوا توأبين.

القول في تأويل قوله تعالى:

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٢٥﴾ رَبِّ إِنَّهُمْ
أَضَلُّنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٦﴾

*** يقول تعالى ذكره: (و) اذكر يا محمد (إذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا) يعني الحرم، بلدا آمنا أهله وسكانه (واجنبني وبنيتي أن نعبد الأصنام) يقال منه: جنبته الشر فأنا أجنبه جنبيا وجنبته الشر، فأنا أجنبه تجنبا، وأجنبته ذلك فأنا أجنبه إجنابا، ومن جنبته قول الشاعر:

وتنفض مَهْدَه شَفَقًا عَلَيْهِ
وتجنبه قَلَائِمَنَا الصَّعَابَا

ومعنى ذلك: أبعثني وبنيتي من عبادة الأصنام، والأصنام: جمع صنم، والصنم: هو التمثال المصوّر، كما قال رؤبة بن العجاج في صفة امرأة:

وَهَنَانَةٌ كَالزُّونِ يُجَلِّى صَنَمُهُ
تَضْحَكُ عَنْ أَشْنَبِ عَذْبٍ مَلَثَمُهُ^٢

وكذلك كان مجاهد يقول: حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا، واجنبني وبنيتي أن نعبد الأصنام) قال: فاستجاب الله لإبراهيم دعوته في ولده، قال: فلم يعبد أحد من ولده صنما بعد دعوته. والصنم: التمثال المصوّر، ما لم يكن صنما فهو وثن، قال: واستجاب الله له، وجعل هذا البلد آمنا، ورزق أهله من الثمرات، وجعله إماما، وجعل من ذريته من يقيم الصلاة، وتقبل دعاءه، فأراه مناسكته، وتاب عليه. حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، قال: كان إبراهيم التيمي يقص ويقول في قصصه: من يأمن من البلاء بعد خليل الله إبراهيم، حين يقول: رب (اجنبني وبنيتي أن نعبد الأصنام). وقوله (رب إنهن أضللن كثيرا من الناس) يقول: يا رب إن الأصنام أضلن: يقول: أزلن كثيرا من الناس عن طريق الهدى وسبيل الحق حتى عبدوهن، وكفروا بك.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (إنهن أضللن كثيرا من الناس) يعني الأوثان.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا هشام، عن عمرو، عن سعيد، عن قتادة (إنهن أضللن كثيرا من الناس) قال: الأصنام.

وقوله (فمن تبعني فإنه مني) يقول: فمن تبعني على ما أنا عليه من الإيمان بك وإخلاص العبادة لك، وفراق عبادة الأوثان، فإنه مني: يقول: فإنه مستن بسنتي، وعامل بمثل عملي (ومن عصاني

(١) البيت في (مجاز القرآن لأبي عبيدة ١: ٣٤٢) قال: جنبت الرجل الأمر، وهو يجنب أخاه الشر، وجنبته (بتشديد النون) واحد. وأنشد البيت. وشده ذو الرمة فقال:

وشعر قد أرقت له بليل أجنبه المساند والمحالا

يريد أن المرأة تشفق على طفلها، فتنفض فراشه خوفا عليه مما يؤذيه، ولا تترك به النوم الفتية، وهي القلائص، لأن نشاطها في السير يؤذيه. وقال الفراء في معاني القرآن: (الورقة ١٦٤) أهل الحجاز يقولون: جنبني، خفيفة، وأهل نجد يقولون: أجنبني شره، وجنبني شره.

(٢) البيت لرؤبة من أرجوزة له مطلعها: «قلت لزيد لم تصله مريمه». وقوله «وهنانة»: صفة لأروى في البيت قبله وهو: «إذ حب أروى هم وسدمه». والزون: الصنم. وملثمه: مقبله. وقد شبه أروى بالصنم المحلو في البهائم والحسن. والوهنانة كما في اللسان: الكسلي عن العمل تنعما. قال أبو عبيدة: الوهانة التي فيها فترة.

فإنك غفورٌ رحيمٌ) يقول : ومن خالف أمرى فلم يقبل منى ما دعوته إليه ، وأشرك بك ، فإنه غفور
 لذنوب المذنبين الخطائين بفضلك ، رحيم بعبادك تعفو عن تشاء منهم .
 كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ، وَمَنْ
 عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) اسمعوا إلى قول خليل الله إبراهيم ، لا والله ما كانوا طعّانين ولا لعّانين ،
 وكان يقال : إن من أشرك عباد الله كل طعان لعان ، قال نبي الله ابن مريم عليه السلام (إن تعدّ بهم
 فإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ، وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) .
 حدثني المثنى ، قال : ثنا أصبغ بن الفرّج ، قال : أخبرني ابن وهب ، قال : ثنا عمرو بن الحارث أن
 بكر بن سوادة ، حدثه عن عبد الرحمن بن جبّير ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، أن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم تلا قول إبراهيم (رَبِّ إِنِّي لَأَنزِلُكُمْ أَضْلَالًا كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ،
 وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) ، وقال عيسى (إن تعدّ بهم فإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ، وَإِنْ تَغْفِرْ
 لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) فرفع يديه ثم قال : اللهم أُمَّتِي ، اللهم أُمَّتِي ، وبكى ، فقال
 الله تعالى : يا جبرئيل اذهب إلى محمد ، وربك أعلم ، فاسأله ما يبكيه ؟ فاتاه جبرئيل فسأله ، فأخبره رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ما قال ، قال : فقال الله : يا جبرئيل اذهب إلى محمد وقل له : إنا سنرضيك في
 أمتك ولا نسوءك .

القول في تأويل قوله تعالى :

رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ
 فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٢٧﴾

وقال إبراهيم خليل الرحمن هذا القول حين أسكن إسماعيل وأمه هاجر - فيما ذكر - مكة .

كما حدثني يعقوب بن إبراهيم والحسن بن محمد قالا : ثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن أيوب ، قال :
 نبئت عن سعيد بن جبّير ، أنه حدث عن ابن عباس ، قال : إن أول من سعى بين الصفا والمروة لأم
 إسماعيل ؛ وإن أول ما أحدث نساء العرب جرّ الذبول من أم إسماعيل ، قال : لما فرّت من سارة ، أرخت
 من ذيلها لتعفى أثرها ، فجاء بها إبراهيم ومعها إسماعيل حتى انتهى بهما إلى موضع البيت ، فوضعهما ثم
 رجع ، فاتبعته ، فقالت : إلى أي شيء تكلنا ؟ إلى طعام تكلنا ؟ إلى شراب تكلنا ؟ فجعل لا يردّ عليها شيئاً ،
 فقالت : آله أمرك بهذا ؟ قال نعم ، قالت : إذن لا يضيعنا . قال : فرجعت ومضى حتى إذا استوى على
 ثنية كداء ، أقبل على الوادي فدعا ، فقال (رَبِّ إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ
 عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ، رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ،
 وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) قال : ومع الإنسنة سنّة فيها ماء ، فنفد الماء فعطشت

وانقطع لبنها ، فعطش الصبي ، فنظرت أى الجبال أدنى من الأرض ، فصعدت بالصفى ، فتسمعت هل تسمع صوتا ، أو ترى أنيسا ؟ فلم تسمع ، فأنحدرت ، فلما أتت على الوادى سعت وما تريد السعى ، كالإنسان المجهود الذى يسعى وما يريد السعى ، فنظرت أى الجبال أدنى من الأرض ، فصعدت المروة فتسمعت هل تسمع صوتا ، أو ترى أنيسا ، فسمعت صوتا ، فقالت : كالإنسان الذى يكذب سمعه : صه ، حتى استيقنت ، فقالت : قد أسمعنى صوتك فأعثنى ، فقد هلكت وهلك من معى ، فجاء الملك فجاء بها حتى انتهى بها إلى موضع زمزم ، فضرب بقدمه فخارت عينا ، فعمجت الإنسانية فجعلت فى شنتها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رَحِمَ اللهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ لَوْلَا أَنَّهَا عَجَلَتْ لَكَانَتْ زَمْرَمُ عَيْنَا مَعِينَا » . وقال لها الملك : لاتخافى الظمأ على أهل هذا البلد ، فإنما هى عين لشرب ضيفان الله ، وقال : إن أبا هذا الغلام سيجىء ، فيبينان لله بيتا هذا موضعه ، قال : ومررت رفقة من جرهم تريد الشام ، فرأوا الطير على الجبل ، فقالوا : إن هذا الطير لعائف على ماء ، فهل علمتم بهذا الوادى من ماء ؟ فقالوا : لا ، فأشرفوا فإذا هم بالإنسان ، فأتوها فطلبوا إليها أن ينزلوا معها ، فأذنت لهم ؛ قال : وأتى عليها ما يأتى على هؤلاء الناس من الموت ، فماتت ، وتزوج إسماعيل امرأة منهم ، فجاء إبراهيم ، فسأل عن منزل إسماعيل حتى دل عليه ، فلم يجده ، ووجد امرأة له فظة غليظة ، فقال لها : إذا جاء زوجك فقولى له : جاء ههنا شيخ من صفته كذا وكذا ، وإنه يقول لك : إنى لأرضى لك عتبة بابك فحوها ، وانطلق ؛ فلما جاء إسماعيل أخبرته ، فقال : ذاك أبى وأنت عتبه بابى ، فطلقها وتزوج امرأة أخرى منهم ، وجاء إبراهيم حتى انتهى إلى منزل إسماعيل ، فلم يجده ، ووجد امرأة له سهلة طليقة ، فقال لها : أين انطلق زوجك ؟ فقالت : انطلق إلى الصيد ، قال : فما طعامكم ؟ قالت : اللحم والماء ، قال : اللهم بارك لهم فى لحمهم ومأثمهم ، اللهم بارك لهم فى لحمهم ومأثمهم ثلاثا ، وقال لها : إذا جاء زوجك فأخبريه ، قولى : جاء ههنا شيخ من صفته كذا وكذا ، وإنه يقول لك : قد رضيت لك عتبه بابك ، فأثبتها ؛ فلما جاء إسماعيل أخبرته . قال : ثم جاء الثالثة ، فرفعا القواعد من البيت .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنى يحيى بن عباد ، قال : ثنا حماد بن سامة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : جاء نبي الله إبراهيم بإسماعيل وهاجر ، فوضعهما بمكة فى موضع زمزم ؛ فلما مضى نادته هاجر : يا إبراهيم إنما أسألك ثلاث مرات : من أمرك أن تضعنى بأرض ليس فيها ضرع ولا زرع ، ولا أنيس ، ولا زاد ولا ماء ؟ قال : ربى أمرنى ، قالت : فإنه إن يضيعنا قال : فلما قفا إبراهيم قال (رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ) يعنى من الحزن (وَمَا يُخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ) فلما ظمى إسماعيل جعل يمد حنض الأرض بعقبه ، فذهبت هاجر حتى علت الصفى ، والوادى يومئذ لآخ ، ، يعنى عميق ، فصعدت الصفى ، فأشرفت لتنظر هل ترى شيئا ؟ فلم تر شيئا ، فأنحدرت فبلغت الوادى ، فسعت فيه حتى خرجت منه ، فأنت المروة ، فصعدت فاستشرفت هل ترى شيئا ، فلم تر شيئا ، ففعلت ذلك سبع مرات ، ثم جاءت من المروة إلى إسماعيل ، وهو يمد حنض

(١) معينا : جارية سائحة على وجه الأرض .

الأرض بقعبه ، وقد نبعت العين وهي زمزم ، فجعلت تفحص الأرض بيدها عن الماء ، فكلما اجتمع ماء أخذته بقدحها ، وأفرغته في سقاها ، قال : فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يَرْحَمُهَا اللَّهُ لَنَوُ تَرَ كَتَّهَا لَكَانَتْ عَيْنًا سَائِحَةً تَجْرِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » . قال : وكانت جرهم يومئذ بواد قريب من مكة ؛ قال : ولزمت الطير الوادي حين رأت الماء ؛ فلما رأت جرهم الطير لزمت الوادي ، قالوا : ما لزمته إلا وفيه ماء ، فجاءوا إلى هاجر ، فقالوا : إن شئت كنا معك وآسنك والماء ماؤك ، قالت : نعم ، فكانوا معها حتى شب إسماعيل ، وماتت هاجر فتزوج إسماعيل امرأة منهم ؛ قال : فاستأذن إبراهيم سارة أن يأتي ، هاجر ، فأذنت له وشرطت عليه أن لا ينزل ، فقدم إبراهيم وقد ماتت هاجر ، فذهب إلى بيت إسماعيل ، فقال لامرأته : أين صاحبك ؟ قالت : ليس ههنا ذهب يتصيد ، وكان إسماعيل يخرج من الحرم فيتصيد ثم يرجع ، فقال إبراهيم : هل عندك ضيافة ، هل عندك طعام أو شراب ؟ قالت : ليس عندي ، وما عندي أحد ، فقال إبراهيم : إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام وقولي له : فليغير عتبة بابه ؛ وذهب إبراهيم ، وجاء إسماعيل ، فوجد ريح أبيه ، فقال لامرأته : هل جاءك أحد ؟ فقالت : جاءني شيخ كذا وكذا ، كالمستخفة بشأنه ، قال : فما قال لك ؟ قالت : قال لي : أقرئي زوجك السلام وقولي له : فليغير عتبة بابه ، فطابقها وتزوج أخرى ، فلبث إبراهيم ما شاء الله أن يلبث ، ثم استأذن سارة أن يزور إسماعيل ، فأذنت له ، وشرطت عليه أن لا ينزل ، فجاء إبراهيم حتى انتهى إلى باب إسماعيل ، فقال لامرأته : أين صاحبك ؟ قالت : ذهب يصيد ، وهو يجيء الآن إن شاء الله ، فانزل يرحمك الله ، قال لها : هل عندك ضيافة ؟ قالت : نعم ، قال : هل عندك خبز أو بر أو تمر أو شعير ؟ قالت : لا ، فجاءت باللبن واللحم ، فدعا لهما بالبركة ، فلو جاءت يومئذ بخبز أو بر أو شعير أو تمر لكانت أكثر أرض الله برًا وشعيرا وتمرًا ، فقالت له : انزل حتى أغسل رأسك ، فلم ينزل ، فجاءته بالمقام فوضعت عن شقه الأيمن ، فوضع قدمه عليه ، فبقي أثر قدمه عليه ، فغسلت شق رأسه الأيمن ، ثم حوّلت المقام إلى شقه الأيسر فغسلت شقه الأيسر ، فقال لها : إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام ، وقولي له : قد استقامت عتبة بابك ؛ فلما جاء إسماعيل وجد ريح أبيه ، فقال لامرأته : هل جاءك أحد ؟ فقالت : نعم ، شيخ أحسن الناس وجهًا وأطيبه ريحًا ، فقال لي : كذا وكذا ، وقلت له : كذا وكذا ، وغسلت رأسه ، وهذا موضع قدمه على المقام ؛ قال : وما قال لك ؟ قالت : قال لي : إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام وقولي له : قد استقامت عتبة بابك ، قال : ذلك إبراهيم . فلبث ما شاء الله أن يلبث ، وأمره الله ببناء البيت ، فبناه هو وإسماعيل ؛ فلما بنياه قيل : أذن في الناس بالحج ، فجعل لا يمر بقوم إلا قال : أيها الناس إنه قد بنى لكم بيت فحجوه ، فجعل لا يسمعه أحد ، صخرة ولا شجرة ولا شيء ، إلا قال : لبيك اللهم لبيك . قال : وكان بين قواه (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ) وبين قواه (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ) كذا وكذا عاما ، لم يحفظ عطاء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي

بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ) وإنه بيت طهره الله من السوء ، وجعله قبلة ، وجعله حرمة ، اختاره نبي الله إبراهيم لولده .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (غير ذِي زَرْعٍ) قال : مكة لم يكن بها زرع يومئذ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني ابن كثير ، قال القاسم في حديثه : قال : أخبرني عمرو بن كثير « قال أبو جعفر » : فغيرته أنا فجعلته : قال أخبرني ابن كثير ، وأسقطت عمرا ، لأني لأعرف إنساناً يقال له عمرو بن كثير حدث عنه ابن جريج ، وقد حدث به معمر عن كثير بن كثير بن المطلب بن أبي وداعة ، وأخشي أن يكون حديث ابن جريج أيضا عن كثير ابن كثير ، قال : كنت أنا وعثمان بن أبي سليمان في أناس مع سعيد بن جبير ليلا ، فقال سعيد بن جبير للقوم : سلوني قبل ألاّ تسألوني ، فسأله القوم فأكثروا ، وكان فيما سئل عنه أن قيل له : أحقّ ماسمعنا في المقام ، فقال سعيد : ماذا سمعتم ؟ قالوا : سمعنا أن إبراهيم رسول الله حين جاء من الشام ، كان حلف لامرأته أن لا ينزل مكة حتى يرجع ، فقرب له المقام ، فنزل عليه ، فقال سعيد : ليس كذلك : حدثنا ابن عباس ، ولكنه حدثنا حين كان بين أمّ إسماعيل وسارة ما كان أقبل بإسماعيل ، ثم ذكر مثل حديث أيوب غير أنه زاد في حديثه ، قال : قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم : « وَلَدِكْ طَافَ النَّاسُ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ ، ثُمَّ حَدَّثَ وَقَالَ : قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « طَلَبُوا الشُّرُوكَ مَعَهَا وَقَدْ أَحَبَّتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ الْأَنْسَ ، فَنَزَلُوا وَبَعَثُوا إِلَى أَهْلِهِمْ فَقَدِمُوا ، وَطَعَامُهُمُ الصَّيْدُ ، يَخْرُجُونَ مِنَ الْحَرَمِ وَيَخْرُجُ إِسْمَاعِيلُ مَعَهُمْ يَتَّصِدُ ، فَلَمَّا بَلَغَ أَنْكَحُوهُ ، وَقَدْ تُوَفِّيَتْ أُمُّهُ قَبْلَ ذَلِكَ ، قَالَ : وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَمَّا دَعَا لَهُمَا أَنْ يُبَارِكَ لَهُمْ فِي اللَّحْمِ وَالْمَاءِ ، قَالَ لَهَا هَلْ مِنْ حَبِّ أَوْ غَيْرِهِ مِنَ الطَّعَامِ ؟ قَالَتْ : لَا ، وَلَوْ وَجَدَ يَوْمَئِذٍ لَهَا حَبًّا لَدَعَا لَهَا بِالْبَرَكَاتِ فِيهِ » . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : ثُمَّ لَبِثَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَلْبِثَ ، ثُمَّ جَاءَ فَوَجَدَ إِسْمَاعِيلَ قَاعِدًا تَحْتَ دَوْحَةٍ إِلَى نَاحِيَةِ الْبَيْرِ يَبْرِي نَبْلًا لَهُ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَنَزَلَ إِلَيْهِ ، فَقَعَدَ مَعَهُ وَقَالَ : يَا إِسْمَاعِيلُ ، إِنْ اللَّهُ قَدِ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ ، قَالَ إِسْمَاعِيلُ : فَأَطِعْ رَبَّكَ فِيمَا أَمَرَكَ ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ : أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ لَهُ بَيْتًا ، قَالَ إِسْمَاعِيلُ ابْنُ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَأَشَارَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ إِلَى أَكْمَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ مَرْتَفَعَةً عَلَى مَا حَوْلَهَا يَأْتِيهَا السَّيْلُ مِنْ نَوَاحِيهَا ، وَلَا يَرْكَبُهَا . قَالَ : فَقَامَا يَحْفِرَانِ عَنِ الْقَوَاعِدِ يَرْفَعَانَهَا وَيَقُولَانِ (رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ، وَإِسْمَاعِيلُ يَحْمِلُ الْحِجَارَةَ عَلَى رَقَبَتِهِ ، وَالشَّيْخُ إِبْرَاهِيمُ يَبْنِي ، فَلَمَّا ارْتَفَعَ الْبِنْيَانُ وَشَقَّ عَلَى الشَّيْخِ تَنَاوَلَهُ ، قَرَّبَ إِلَيْهِ إِسْمَاعِيلُ هَذَا الْحِجْرَ ، فَجَعَلَ يَقُومُ عَلَيْهِ وَيَبْنِي ، وَيَحْوِلُهُ فِي نَوَاحِي الْبَيْتِ حَتَّى انْتَهَى ، يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَذَلِكَ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَقِيَامِهِ عَلَيْهِ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شريك ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ) قال : أسكن إسماعيل وأمه مكة .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير (إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ) قال : حين وضع إسماعيل .
 قال أبو جعفر : فتأويل الكلام إذن : ربنا إني أسكنت بعض ولدي بواد غير ذي زرع ، وفي قوله صلى الله عليه وسلم دليل على أنه لم يكن هنالك يومئذ ماء ، لأنه لو كان هنالك ماء لم يصفه بأنه غير ذي زرع عند بيتك الذي حرّمته على جميع خلقك أن يستحلوه .

وكان تحريمه إياه فيما ذكر كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أن عمر بن الخطاب قال في خطبته : إن هذا البيت أول من وليه أناس من طسم ، فعصوا ربهم واستحلوا حرّمته ، واستخفوا بحقه ، فأهلكهم الله ؛ ثم وليهم أناس من جرهم فعصوا ربهم واستحلوا حرّمته واستخفوا بحقه ، فأهلكهم الله ، ثم وليتموه معاشر قريش ، فلا تعصوا ربه ، ولا تستحلوا حرّمته ، ولا تستخفوا بحقه ، فوالله لصلاة فيه أحبّ إلى من مئة صلاة بغيره ، واعلموا أن المعاصي فيه على نحو من ذلك .
 وقال (إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ) ولم يأت بما وقع عليه الفعل ، وذلك أن حظّ الكلام أن يقال : إني أسكنت من ذريتي جماعة ، أو رجلا ، أو قوما ، وذلك غير جائز مع « من » لدلالاتها على المراد من الكلام ، والعرب تفعل ذلك معها كثيرا ، فتقول : قتلنا من بني فلان ، وطعمنا من الكلاب ، وشربنا من الماء ؛ ومنه قول الله تعالى (أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ) .

فإن قال قائل : وكيف قال إبراهيم حين أسكن ابنه مكة (إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ) وقد رويت في الأخبار التي ذكرتها أن إبراهيم بنى البيت بعد ذلك بمدة . قيل : قد قيل في ذلك أقوال قد ذكرتها في سورة البقرة ؛ منها أن معناه : عند بيتك المحرم الذي كان قبل أن ترفعه من الأرض حين رفعته أيام الطوفان . ومنها عند بيتك المحرم الذي قد مضى في سابق علمك أنه يحدث في هذا البلد . وقوله (الْمُحَرَّمِ) على ما قاله قتادة معناه : المحرم من استحلال حرّمات الله فيه ، والاستخفاف بحقه . وقوله (رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ) يقول : فعلت ذلك يا ربنا كي تودّي فرائضك من الصلاة التي أوجبها عليهم في بيتك المحرم . وقوله (فَاجْعَلْ أَفئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) يخبر بذلك تعالى ذكره عن خليله إبراهيم أنه سأله في دعائه أن يجعل قلوب بعض خلقه تنزع إلى مساكن ذريته الذين أسكنهم بواد غير ذي زرع عند بيته المحرم ، وذلك منه دعاء لهم بأن يرزقهم حجّ بيته الحرام .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام بن سلم ، عن عمرو بن أبي قيس ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير (أَفئِدَةٌ مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) ولو قال : أفئدة الناس تهوي إليهم لحجت اليهود والنصارى والمجوس ، ولكنه قال : أفئدة من الناس تهوي إليهم ، فهم المسلمون .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (فَاجْعَلْ

(١) يريد أن من إذا كان معناها التبعيض ، كما في الآية ، لم يجر ذكر المفعول بعدها ، لأنها حينئذ بمعنى المفعول ، أي أسكنت بعض ذريتي بواد غير ذي زرع .

أَفئِدَةٌ مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) قال : لو كانت أفئدة الناس لازدحمت عليه فارس والروم ، ولكنه أفئدة من الناس .

حدثنا ابن حميد وابن وكيع ، قالوا : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد (فاجْعَلْ أَفئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) قال : لو قال أفئدة الناس تهوى إليهم ، لازدحمت عليهم فارس والروم .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا علي ، يعني بن الجعد ، قال : أخبرنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، قال : سألت عكرمة عن هذه الآية (فاجْعَلْ أَفئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) فقال : قلوبهم تهوى إلى البيت .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن عكرمة وعطاء وطاوس (فاجْعَلْ أَفئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) البيت تهوى إليه قلوبهم يأتونه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يحيى بن عباد ، قال : ثنا سعيد ، عن الحكم ، قال : سألت عطاء وطاوسا وعكرمة ، عن قوله (فاجْعَلْ أَفئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) قالوا : الحج .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا شبابة وعلي بن الجعد ، قالوا : أخبرنا سعيد ، عن الحكم ، عن عطاء وطاوس وعكرمة في قوله (فاجْعَلْ أَفئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) قال : هو اهم إلى مكة أن يحجوا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، قال : سألت طاوسا وعكرمة وعطاء ابن أبي رباح ، عن قوله (فاجْعَلْ أَفئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) فقالوا : اجعل هو اهم الحج .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا يحيى بن عباد ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لو كان إبراهيم قال : فاجعل أفئدة الناس تهوى إليهم لحججه اليهود والنصارى والناس كلهم ، ولكنه قال (أفئِدَةٌ مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فاجْعَلْ أَفئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) قال : تنزع إليهم .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن سعيد ، عن قتادة ، مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

وقال آخرون : إنما دعاهم أن يهواوا السكنى بمكة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فاجْعَلْ أَفئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) قال : إن إبراهيم خليل الرحمن ، سأل الله أن يجعل أناسا من الناس يهواون سكنى أو سكنى مكة .

وقوله (وَارزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ) يقول تعالى ذكره : وارزقهم من ثمرات النبات والأشجار

مارزقت سكان الأرياف والقرى التي هي ذوات المياه والأنهار، وإن كنت أسكنتهم واديا غير ذي زرع ولا ماء، فرزقهم جل ثناؤه ذلك .

كما حدثنا المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، قال : قرأت على محمد بن مسلم الطائفي أن إبراهيم لما دعا للحرم (وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنْ الثَّمَرَاتِ) نقل الله الطائف من فلسطين .
وقوله (لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) يقول : ليشكروك على ما رزقتهم وتنعم به عليهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعَلِنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٣٥﴾

❦ وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن استشهاد خليله إبراهيم إياه على ما نوى وقصد بدعائه وقيله (رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ)... الآية، وأنه إنما قصد بذلك رضا الله عنه في محبته أن يكون ولده من أهل الطاعة لله ، وإخلاص العبادة له على مثل الذي هو له ، فقال : ربنا إنك تعلم ما نخفي قابونا عند مسألتنا ما نسألك ، وفي غير ذلك من أحوالنا ، وما نعان من دعائنا ، فنجهر به وغير ذلك من أعمالنا ، وما يخفي عليك يا ربنا من شيء يكون في الأرض ولا في السماء ، لأن ذلك كله ظاهر لك متجل باد ، لأنك مدبره ومخالقه ، فكيف يخفي عليك .

القول في تأويل قوله تعالى :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٢٣٦﴾

❦ يقول : الحمد لله الذي رزقني على كبر من السن ولدا إسماعيل وإسحاق (إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ) يقول : إن ربى لسميع دعائى الذى أدعوه به ، وقولى (اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ) وغير ذلك من دعائى ودعاء غيرى ، وجميع ما نطق به ناطق لا يخفى عليه منه شيء .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن ضرار بن مرة ، قال : سمعت شيخا يحدث سعيد بن جبير ، قال : بئس إبراهيم بعد سبع عشرة ومئة سنة .

القول في تأويل قوله تعالى :

رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٢٣٧﴾

❦ يقول : رب اجعاني مؤديا ما ألزمتني من فريضتك التي فرضتها علي من الصلاة (وَمِنْ ذُرِّيَّتِي) يقول : واجعل أيضا من ذريتي مقيمي الصلاة لك (رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ) يقول : ربنا وتقبل عملي الذى أعمله لك ، وعبادتي إياك ، وهذا نظير الخبر الذى روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن »

الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ ، ثُمَّ قَرَأَ (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ، إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾

❖ وهذا دعاء من إبراهيم صلوات الله عليه لوالديه بالمغفرة ، واستغفار منه لهما ، وقد أخبر الله عز ذكره أنه لم يكن (استغفار إبراهيم لأبيه إلاّ عن موعدة وعدها إياه ، فلما تبسّين له أنه عدو لله تبرأ منه ، إن إبراهيم لأواه حليم) . وقد بينا وقت تبرّئه منه فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته .

وقوله (وللمؤمنين) يقول : وللمؤمنين بك من تبعني على الدين الذي أنا عليه ، فأطاعك في أمرك ونهيك . وقوله (يوم يقوم الحساب) يعني : يقوم الناس للحساب ، فاكتفى بذكر الحساب من ذكر الناس ، إذ كان مفهوما معناه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾
مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾

❖ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا) ساهيا (عَمَّا يَعْمَلُ) هؤلاء المشركون من قومك ، بل هو عالم بهم وبأعمالهم محصيا عليهم ، ليجزيهم جزاءهم في الحين الذي قد سبق في علمه أنه يجزيهم فيه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا علي بن ثابت ، عن جعفر بن برقان ، عن ميمون بن بهران في قوله (وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ) قال : هي وعيد للظالم وتعزية للمظلوم .
القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ . مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ ، لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾ :
يقول تعالى ذكره : إنما يؤخر ربك يا محمد هؤلاء الظالمين الذين يكذبونك ، ويجحدون نبوتك ، ليوم تشخص فيه الأبصار . يقول : إنما يؤخر عقابهم ، وإنزال العذاب بهم ، إلى يوم تشخص فيه أبصار الخلق ، وذلك يوم القيامة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ) شخصت فيه والله أبصارهم ، فلا تترد إليهم .
وأما قوله (مُهْطِعِينَ) فإن أهل التأويل اختلفوا في معناه ؛ فقال بعضهم : معناه : مسرعين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا هاشم بن القاسم ، عن أبي سعيد المؤدّب ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير (مُهْطِعِينَ) قال : النَّسَّان ، وهو الحبيب ، أو ما دون الحبيب ، شكّ أبو سعيد ، يخبون وهم ينظرون . حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (مُهْطِعِينَ) قال : مسرعين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مُهْطِعِينَ) يقول : منطلقين عامدين إلى الداعي . وقال آخرون : معنى ذلك : مديمى النظر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قواه (مُهْطِعِينَ) يعنى بالإهطاع : النظر من غير أن يطرف . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن سعيد بن مسروق ، عن أبى الضحى (مُهْطِعِينَ) قول : الإهطاع : التحميج الدائم الذى لا يَطْرَفُ . حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن معيرة ، عن أبى الخير بن عميم بن حدّلم ، عن أبيه ، فى قوله (مُهْطِعِينَ) قال : الإهطاع : التحميج . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربى ، عن جويبر ، عن الضحاك (مُهْطِعِينَ) قال : شدة النظر الذى لا يطرف .

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا عمرو ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله : (مُهْطِعِينَ) قال : شدة النظر فى غير طَرَفٍ . حدثت عن الحسين بن الفرّج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (مُهْطِعِينَ) الإهطاع : شدة النظر فى غير طَرَفٍ . حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى الحرث ، قال : ثنا الحسن . قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (مُهْطِعِينَ) قال : مديمى النظر . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج . عن مجاهد . مثله . وقال آخرون : معنى ذلك : لا يرفع رأسه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (مُهْطِعِينَ) قال : المهطع الذى لا يرفع رأسه . والإهطاع فى كلام العرب : بمعنى الإسراع أشهر منه : بمعنى إداة النظر . ومن الإهطاع بمعنى الإسراع ، قول الشاعر :

وَبِمُهْطِعٍ سُرْحٍ كَأَنَّ زِمَامَهُ فِي رَأْسِ جِدْعٍ مِّنْ أَوَالٍ مُّشْدَبٍ ١
وقول الآخر :

بِمُسْتَهْطِعٍ رَسَلٍ كَأَنَّ جِدْيَلَهُ بِقَيْدُومٍ رَعْنٍ مِّنْ صَوَامٍ مُّمْتَعٍ ٢
وقوله (مُقْنَعِي رُءُوسِهِمْ) يعني رافعي رءوسهم وإقناع الرأس : رفعه ؛ ومنه قول الشماخ :
يُبَاكِرْنَ الْعِضَاهَ بِمُقْنَعَاتٍ نَّوْاجِدُهُنَّ كَالْحَدَاِ الْوَقِيعِ ٣
يعني : أنهنّ يباكرن العضاه برءوسهن مرفوعات إليها لتتناول منها ، ومنه أيضا قول الراجز :
أَنْغَضَ نَحْوِي رَأْسَهُ وَأَقْنَعَا كَأَنَّمَا أَبْصَرَ شَيْئًا أَطْمَعَا
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن ابن عباس ،
قوله (مُقْنَعِي رُءُوسِهِمْ) قال : الإقناع : رفع رءوسهم .

(١) البيت أنشده ابن بري في (اللسان : أول) ونسبه لأنيف بن جبلة . وروايته فيه :

أَمَّا إِذَا اسْتَقْبَلْتَهُ فَكَأَنَّهُ لِلْعَيْنِ جِدْعٌ مِّنْ أَوَالٍ مُّشْدَبٍ

وفي معجم ما استعجم للبكري : أول قرية بالبحرين ، وقيل جزيرة ، فإن كانت قرية فهي من قرى السيف (بكسر السين) يشهد لذلك قول ابن مقبل . وكأنها سفن بسيف أو ال . والمهطع : (كما في اللسان) الذي يديم النظر مع فتح العينين . وقيل : الذي يقبل على الشيء ببصره ، فلا يرفعه عنه . والمهطع أيضا : المسرع الخائف ، لا يكون إلا مع خوف . وقد فسر بالوجهين جميعا قوله تعالى : (مهطعين إلى الداع) اه . وقال في سرح : خيل سرح ، وناقة سرح في سيرها : أي سريعة . وأورده المؤلف وأبو عبيدة في مجاز القرآن (١ - ٣٤٢) شاهدا على أن المهطع : المسرع .

(٢) أورده صاحب أساس البلاغة (هطع) قال : وهو في صفة ثور ، وممتع : بالتاء : أي طويل ، من المساع . وفيه « رضام ، في محل : صوام . وفي (اللسان : قدم) قال : وقيدوم الجبل : أنف يتقدم منه ، وأنشد البيت وقال : صوام (كسحاب) اسم جبل . وقيدوم كل شيء : مقدمه وصدرة . والمستهطع : كالمهطع ، وهو المسرع . ورسل : سهل فيه لين . والجديل : جبل مفتول من آدم أو شعر ، يكون في عنق البعير أو الناقة ، والجمع : جدل . والجديل أيضا : الزمام المجدول من آدم . والرعن : أنف الجبل . وصوام (كسحاب) : جبل قاله البكري وصاحب اللسان . والممنع بالنون : المرتفع الذي لا يرتقى . وفي مجاز القرآن : الرسل : الذي لا يكلفك شيئا . بقيدوم : قدام . ورعن الجبل : أنفه ، وصوأم (بضم الصاد وهز الواو) لم أجده كذلك ، وإنما هو صوام ، بفتح الصاد وبالواو ، بوزن سحاب .

(٣) البيت للشماخ بن ضرار (ديوانه ص ٥٦) والرواية فيه : يبادرن في موضع يباكرن ، وهما بمعنى . قال شارحه : يبادرن من المبادرة ، والعضاه : جمع عضاهة . وهي أعظم الشجر . والمقنعات : جمع مقنع : يريد أفواه الإبل . والنواجذ : أقصى الأضراس . والحدأ : جمع حدأة ، وهي فأس ذات رأسين . والوقيع : المحدد بالميقعة ، وهي المطرقة التي يحدد بها . شبه أسنانها بفئوس قد حددت . والبيت في وصف إبل حداد الأسنان . وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن (١-٣٤٣) في تفسير «مقنعي رءوسهم» مجازه : رافعي رءوسهم . وأنشد بيت الشماخ ثم قال : أي برءوس مرفوعة إلى العضاه ، ليتناولن منه . والعضاه : كل شجرة ذات شوك . ونواجذهن : أضراسهن . والحدأ : الفأس ، وأراه الذي ليس له خلف ، وجمعها : حدأ . والوقيع : المرققة المحددة ، يقال : وقع حديدتك . والمطرقة يقال لها ميقعة . وفي (اللسان : حدأ) : الحدأ : شبه فأس تنقر به الحجارة ، وهو محدد الطرف . والحدأة : الفأس ذات الرأسين ، والجمع حدأ ، كقصبه وقصب . وقال : شبه أسنانها بفئوس قد حددت .

(٤) أنغض رأسه : حركه كالمتعب . وأقنعه : رفعه . يقول : هز رأسه نحوى ، ورفعته يتأملني كما يتأمل شيئا فيه مطمع له . وهو كالذي قبله شاهد على أن الإقناع : هو الرفع .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحسن بن محمد ، قال : ثنا
شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، وقال الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ،
قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (مُقْنَعِي رُءُوسِهِمْ) قال : رافعيها .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو بكر ، عن أبي سعد ، قال : قال الحسن : وجوه الناس يوم القيامة
إلى السماء لا ينظر أحد إلى أحد .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن عثمان بن الأسود ، لأنه سمع مجاهدا
يقول في قوله (مُهْطَعِينَ مُقْنَعِي رُءُوسِهِمْ) قال : رافع رأسه هكذا ، (لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ) .
حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، في قوله
(مُقْنَعِي رُءُوسِهِمْ) قال : رافعي رءوسهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مُقْنَعِي رُءُوسِهِمْ) قال : الإقناع :
رفع رءوسهم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (مُقْنَعِي رُءُوسِهِمْ)
قال : المقنع الذي يرفع رأسه شاخصا بصره لا يطرف .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ،
في قوله (مُقْنَعِي رُءُوسِهِمْ) قال : رافعيها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (مُقْنَعِي رُءُوسِهِمْ)
قال : المقنع الذي يرفع رأسه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك (مُقْنَعِي رُءُوسِهِمْ) قال :
رافعي رءوسهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا هاشم بن القاسم ، عن أبي سعيد ، عن سالم ، عن سعيد (مُقْنَعِي
رُءُوسِهِمْ) قال : رافعي رءوسهم .

وقوله (لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ) يقول : لا ترجع إليهم لشدة النظر أبصارهم .
كما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس
قوله (لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ) قال : شاخصة أبصارهم .
وقوله (وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ) اختلف أهل التأويل في تأويله ، فقال بعضهم : معناه : متخرقة لاتعي
من الخير شيئا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن مرة ، في قوله (وَأَفْسُدَتْ لَهُمُ الْهَوَاءُ) قال : متخرقة لاتعى شيئا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا مالك بن مغول ، عن أبي إسحاق ، عن مرة ، بمثل ذلك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن مرة ، مثله .
حدثنا محمد بن عمار ، قال : ثنا سهل بن عامر ، قال : ثنا مالك وإسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن مرة ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن مرة (وَأَفْسُدَتْ لَهُمُ الْهَوَاءُ) قال : متخرقة لاتعى شيئا من الخير .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يحيى بن عباد ، قال : ثنا مالك ، يعني ابن مغول ، قال : سمعت أبا إسحاق ، عن مرة إلا أنه قال : لاتعى شيئا ، ولم يقل من الخير .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن مرة ، مثله .
حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا مالك بن مغول ، وإسرائيل عن أبي إسحاق ، عن مرة (وَأَفْسُدَتْ لَهُمُ الْهَوَاءُ) قال : أحدهما خربة ، وقال الآخر : متخرقة لاتعى شيئا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (وَأَفْسُدَتْ لَهُمُ الْهَوَاءُ) قال : ليس فيها شيء من الخير فهي كالخربة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : ليس من الخير شيء في أفئدتهم ، كقولك للبيت الذي ليس فيه شيء إنما هو هواء .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ابن زيد في قوله (وَأَفْسُدَتْ لَهُمُ الْهَوَاءُ) قال : الأفئدة : القلوب هواء كما قال الله ، ليس فيها عقل ولا منفعة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن أبي بكرة ، عن أبي صالح (وَأَفْسُدَتْ لَهُمُ الْهَوَاءُ) قال : ليس فيها شيء من الخير .

وقال آخرون : إنها لاتستقر في مكان ترد في أجوافهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع وأحمد بن إسحاق ، قالا : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد (وَأَفْسُدَتْ لَهُمُ الْهَوَاءُ) قال : تمور في أجوافهم ، ليس لها مكان تستقر فيه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا هاشم بن القاسم ، عن أبي سعيد ، عن سالم ، عن سعيد بنحوه .

وقال آخرون : معنى ذلك : أنها خرجت من أماكنها فأنشبت بالحلوق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع وأحمد بن إسحاق ، قالا : ثنا أبو أحمد الزبيري ، عن إسرائيل ، عن سعيد ، عن مسروق عن أبي الضحى (وأفئدتهم هواءً) قال : قد بلغت حناجرهم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (وأفئدتهم هواءً) قال : هواء ليس فيها شيء ، نخرجت من صدورهم ، فنشبت في حلوقهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وأفئدتهم هواءً) انتزعت حتى صارت في حناجرهم لا تخرج من أفواههم ، ولا تعود إلى أمكنتها .

❖ وأولى هذه الأقوال عندى بالصواب في تأويل ذلك قول من قال : معناه : أنها خالية ليس فيها شيء من الخير ، ولا تعقل شيئاً ، وذلك أن العرب تسمى كل أجوف خاو : هواء ؛ ومنه قول حسّان بن ثابت :

ألا أبلغ أبا سفيان عني فأنت مجوف نخب هواءاً

ومنه قول الآخر :

ولا تنك من أخذان كل يراعة هواء كسقب البان جوف مكاسره

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرِبْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نَّجِبْ دَعْوَتِكَ وَتَتَّبِعِ الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَكُونَ (١) فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرِبْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نَّجِبْ دَعْوَتِكَ (٢)

❖ يقول تعالى ذكره : وأنذر يا محمد الناس الذين أرسلتكم إليهم داعياً إلى الإسلام ما هو نازل بهم ، يوم يأتيهم عذاب الله في القيامة (فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا) يقول : فيقول الذين كفروا ببرهم ، فظلموا بذلك أنفسهم (رَبَّنَا أَخْرِبْنَا) : أي أخربنا عذابك ، وأمهلنا (إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نَّجِبْ دَعْوَتِكَ) الحق ، فنؤمن بك ، ولا نشرك بك شيئاً (وَتَتَّبِعِ الرَّسُولَ) يقولون : ونصدق رسلك فنتبعهم على ما دعوتنا إليه من طاعتك واتباع أمرك .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

(١) البيت لحسان ، كما في الديوان ص ٧ . وأبوسفيان : هو المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وكان يهجو النبي قبل أن يسلم . والمجوف : الخالي الجوف ، يريد به الجبان ، وكذلك النخب والهواء . وقال في اللسان : النخب ، الجبان ، كأنه منتزع الفؤاد ، أي لافؤاد له . وقال في هوى : والهواء والحواء واحد . وأورد البيت كرواية المؤلف .

(٢) البيت في (اللسان : يرع) كرواية المؤلف . ونسبه ابن بري لكعب الأمثال (؟) وقال قبله : اليراعة واليراع : الجبان الذي لا عقل له ولا رأى ، مشتق من القصب اه : أي على التشبيه بالقصب الأجوف . والهواء : الجبان المنتزع الفؤاد . والبان : شجر يسمو ويطول في استواء وليس نخشه صلابة ، والسقب : عمود الخباء ، وإذا اتخذ من شجر البان فإنه لا يحمّل لقلته صلابته . وجوف جمع أجوف ؛ والمكاسر : مواضع الكسر ، أي إذا كسر بان أنه أجوف ضعيف الاحتمال .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (وأُنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ) قال : يوم القيامة فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب) قال : مدة يعملون فيها من الدنيا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وأُنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ) يقول : أُنذِرهم في الدنيا قبل أن يأتهم العذاب .

وقوله (فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا) رفع عطفا على قوله (يَأْتِيهِمُ) في قوله (وَأُتِيهِمُ الْعَذَابُ) : وليس بجواب للأمر ، ولو كان جوابا لقوله (وَأُنذِرِ النَّاسَ) جاز فيه الرفع والنصب . أما النصب فكما قال الشاعر :

يا ناقَ سيري عنقنا فسـيحا إلى سـليمانَ فـنسـتريجا

والرفع على الاستئناف . وذكر عن العلاء بن سيابة أنه كان ينكر النصب في جواب الأمر بالفاء ، قال الفراء : وكان العلاء هو الذي علم معاذا وأصحابه .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ أَوْ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّنْ قَبْلِ مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ ﴾ : وهذا تقرير من الله تعالى ذكره للمشركين من قريش ، بعد أن دخلوا النار بانكارهم في الدنيا البعث بعد الموت ، يقول لهم : إذ سألوهم رفع العذاب عنهم ، وتأخيرهم لينبؤا ويتوبوا (أَوْ لَمْ تَكُونُوا) في الدنيا (أَقْسَمْتُمْ مِّنْ قَبْلِ مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ) يقول : مالكم من انتقال من الدنيا إلى الآخرة ، وإنكم إنما تموتون ، ثم لا تبعثون .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال (أَوْ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّنْ قَبْلِ) كقوله (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَيَبْعَثَ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بلى) ثم قال (مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ) قال : الانتقال من الدنيا إلى الآخرة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا

(١) هذا البيت من شواهد النحويين وهو لأبي النجم العجلي يخاطب ناقته في سيره إلى سليمان بن عبد الملك . وناق : منادى مرخم ، أى يا ناقه ، وعنقا : منصوب على أنه نائب عن المصدر ، أى صفة مصدر مخذوف ، أى سيرا عنقا ، وهو ضرب من سير الدابة والإبل ، وهو سير مسطر . قال أبو النجم . . . وأنشد البيت . والفسيح : الواسع . نعمت . والشاهد في « فنسـتريجا » حيث نصب ، لأنه جواب الأمر بالفاء ، وهذا بلا خلاف إلا ما نقل عن العلاء بن سيابة ، أنه كان لا يجوز ذلك ، وهو محجوج به . (انظر فرائد القلائد للمعنى : باب إعراب الفعل) . وقال الفراء في معاني القرآن : (الورقة ١٦٤) ، وقوله « يأتهم العذاب فيقول » : رفع ، تابع ليأتيهم ، وليس بجواب الأمر ، ولو كان جوابا لجاز نصبه ورفع ، كما قال الشاعر : يا ناق . . . البيت . والرفع عن الاستئناف بالاتزان بالفاء في جواب الأمر حسن . وكان شيخ لنا يقال له العلاء بن سيابة ، وهو الذي علم معاذا الهراء وأصحابه ، يقول : لا أنصب بالأمر .

أبو حذيفة ، قال : ثنا سلمة ؛ وحدثني المشي ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (ما لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ) قال : لآتموتون لقريش .
حدثني القاسم ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن الحكم ، عن عمرو بن أبي ليلى أحد بني عامر ، قال : سمعت محمد بن كعب القرظي يقول : بلغني ، أو ذكر لي أن أهل النار ينادون (رَبَّنَا أَخْرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِيبُ دَعْوَتَكَ ، وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ) فردّ عليهم (أَوْلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ . وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ) . . . إلى قوله (لِيَنْزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾

❖ يقول تعالى ذكره : وسكنتم في الدنيا في مساكن الذين كفروا بالله ، فظلموا بذلك أنفسهم من الأثم التي كانت قبلكم ، وتبين لكم كيف فعلنا بهم : يقول : وعلمتم كيف أهلكناهم حين عنتوا على ربهم ، وتمادوا في طغيانهم وكفرهم (وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ) يقول : ومثلنا لكم فيما كنتم عليه من الشرك بالله مقيمين الأشباه ، فلم تنبئوا ولم تتوبوا من كفركم ، فالآن تسألون التأخير للتوبة حين نزل بكم ما قد نزل بكم من العذاب ، إن ذلك لغير كائن .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ) يقول : سكن الناس في مساكن قوم نوح وعاد وثمود ، وقرون بين ذلك كثيرة ممن هلك من الأثم (وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ) قد والله بعث رسله ، وأنزل كتبه ، ضرب لكم الأمثال ، فلا يصم فيها إلا أصم ، ولا يخيب فيها إلا الخائب ، فاعقلوا عن الله أمره .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ، وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ) قال : سكنوا في قراهم مدين والحجر والقرى التي عذب الله أهلها ، وتبين لكم كيف فعل الله بهم ، وضرب لهم الأمثال .
حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (الْأَمْثَالَ) قال : الأشباه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَدْ مَكَرُوا وَمَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولُ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٢٤﴾

❖❖ يقول تعالى ذكره : قد مكر هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم ، فسكنتم من بعدهم في مساكنهم ، مكرهم . وكان مكرهم الذي مكرهوا ما حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا أبو إسحاق ، عن عبد الرحمن بن أبان ^١ قال : سمعت علياً يقرأ (وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولُ مِنْهُ الْجِبَالُ) قال : كان ملك فره ^٢ أخذ فروخ النسور ، فعلفها اللحم حتى شبت واستعلجت واستغلظت ، فقعد هو وصاحبه في التابوت وربطوا التابوت بأرجل النسور ، وعلقوا اللحم فوق التابوت ، فكانت ، كلما نظرت إلى اللحم صعدت وصعدت ، فقال لصاحبه ما ترى ؟ قال : أرى الجبال مثل الدخان ، قال : ما ترى ؟ قال : ما أرى شيئاً ، قال : ويحك صوب صوب ، قال : فذلك قوله (وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولُ مِنْهُ الْجِبَالُ) . حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الرحمن ابن واصل ^١ ، عن علي بن أبي طالب ، مثل حديث يحيى بن سعيد ، وزاد فيه : وكان عبد الله بن مسعود يقرأها (وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولُ مِنْهُ الْجِبَالُ) .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا محمد بن أبي عدي ، عن شعبة ، عن أبي إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن واصل أن علياً قال في هذه الآية (وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولُ مِنْهُ الْجِبَالُ) قال : أخذ ذلك الذي حاج إبراهيم في ربه نسرين صغيرين فزباهما ، ثم استغلظا وأستعلجا وشببا ، قال : فأوثق رجل كل واحد منهما بوتد إلى تابوت ، وجوعهما ، وقعد هو ورجل آخر في التابوت ، قال : ورفع في التابوت عصا على رأسه اللحم ، قال : فطارا ، وجعل يقول لصاحبه : انظر ماذا ترى ؟ قال : أرى كذا وكذا ، حتى قال : أرى الدنيا كأنها ذباب ، فقال : صوب العصا ، فصوبها فهبطا ، قال : فهو قول الله تعالى (وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولُ مِنْهُ الْجِبَالُ) قال أبو إسحاق : وكذلك في قراءة عبد الله (وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولُ مِنْهُ الْجِبَالُ) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولُ مِنْهُ الْجِبَالُ) مكر فارس . وزعم أن يختصر خرج بنسور ، وجعل له تابوتا يدخله ، وجعل رماحا في أطرافها واللحم فوقها . أراه قال : فعلت تذهب نحو اللحم حتى انقطع بصره من الأرض وأهلها ، فنودي : أيها الطاغية أين تريد ؟ ففرق ، ثم سمع الصوت فوقه ، فصوب الرماح ، فتصوبت النسور ، ففرغت الجبال من هدتها ، وكادت الجبال أن تزول منه من حسن ذلك ، فذلك قوله (وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولُ مِنْهُ الْجِبَالُ) .

(١) سيأتي (ص ٢٤٥) أن اسمه عبد الرحمن بن دانييل ، وقد نقل هذا الاسم القرطبي في تفسيره (٩ : ٣٨٠) ولم أجده في أسماء الرواة ، ولعل لفظي « أبان ، وواصل » هنا تحريف عن « دانييل » .

(٢) الفره : البطر الأشر المتأدى في غيه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال مجاهد (وَقَدْ مَكَّرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ ، وَإِنْ كَادَ مَكْرُهُمْ) كذا قرأها مجاهد (كَادَ مَكْرُهُمْ لِيَنْزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) وقال : إن بعض من مضى جوع نسورا ، ثم جعل عليها تابوتا فدخله ، ثم جعل رماحا في أطرافها لحم ، فجعلت ترى اللحم ، فتذهب ، حتى انتهى بصره ، فنودي : أيها الطاغية : أين تريد ، فصوب الرماح ، فتصوبت النسور ، ففرغت الجبال ، وظننت أن الساعة قد قامت ، فكادت أن تزول ، فذلك قوله تعالى (وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِيَنْزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) .

قال ابن جريج : أخبرني عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن عمر بن الخطاب ، أنه كان يقرأ (وَإِنْ كَادَ مَكْرُهُمْ لِيَنْزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) .

حدثني هذا الحديث أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم بن سلام ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، أنه كان يقرأ على نحو (لِيَنْزُولَ) بفتح اللام الأولى ورفع الثانية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الرحمن بن دانييل ، قال : سمعت عليا يقول (وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِيَنْزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الرحمن بن دانييل ، قال : سمعت عليا يقول (وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِيَنْزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) قال : ثم أنشأ على يحدث فقال : نزلت في جبّار من الجبابرة ، قال : لا أنتهي حتى أعلم ما في السماء ، ثم اتخذ نسورا فجعل يطعمها اللحم حتى غلظت واستعاجت واشتدّت ، وذكر مثل حديث شعبة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو داود الحضرمي ، عن يعقوب ، عن حفص بن حميد أو جعفر ، عن سعيد بن جبير (وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِيَنْزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) قال : نمرود صاحب النسور ، أمر بتابوت فجعل وجعل معه رجلا ، ثم أمر بالنسور فاحتمل ، فلما صعد قال لصاحبه : أي شيء ترى ؟ قال : أرى الماء وجزيرة ، يعني الدنيا ، ثم صعد فقال لصاحبه : أي شيء ترى ؟ قال : ما نراده من السماء إلا بعدا ، قال : اهبط ، وقال غيره : نودي أيها الطاغية أين تريد ؟ قال : فسمعت الجبال حفيف النسور ، فكانت ترى أنها أمر من السماء ، فكادت تزول ، فهو قوله (وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِيَنْزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس ، أن أنسا كان يقرأ (وَإِنْ كَادَ مَكْرُهُمْ لِيَنْزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) .

وقال آخرون : كان مكرهم : شركهم بالله ، وافتراءهم عليه .

ذكر من قال ذلك

حدثني المشي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِيَنْزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) يقول : شركهم كقوله (تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ) .

(١) تقدمت الإشارة إليه في (ص ٢٤٤) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربي ، عن حويبر ، عن الضحاک (وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَتَنْزُولُ مِنْهُ الْجِبَالُ) قال : هو كقوله (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا . لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا . تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاک ، في قوله (وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ) ثم ذكر مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، أن الحسن كان يقول : كان أهون على الله وأصغر من أن تزول منه الجبال ، يصفهم بذلك . قال قتادة : وفي مصحف عبد الله بن مسعود (وَإِنْ كَادَ مَكْرُهُمْ لَتَنْزُولُ مِنْهُ الْجِبَالُ) ، وكان قتادة يقول عند ذلك : (تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ ، وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ ، وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا) : أي لكلامهم ذلك .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَتَنْزُولُ مِنْهُ الْجِبَالُ) قال ذلك حين دعوا لله ولدا . وقال في آية أخرى (تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ ، وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ ، وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ، أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا) .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَتَنْزُولُ مِنْهُ الْجِبَالُ) في حرف ابن مسعود (وَإِنْ كَادَ مَكْرُهُمْ لَتَنْزُولُ مِنْهُ الْجِبَالُ) هو مثل قوله (تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ ، وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ ، وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا) .

واختلفت القراء في قراءة قوله (لَتَنْزُولُ مِنْهُ الْجِبَالُ) فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والمدينة والعراق ما خلا الكسائي (وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَتَنْزُولُ مِنْهُ الْجِبَالُ) بكسر اللام الأولى وفتح الثانية ، بمعنى : وما كان مكرهم لتزول منه الجبال . وقرأه الكسائي (وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَتَنْزُولُ مِنْهُ الْجِبَالُ) بفتح اللام الأولى ورفع الثانية على تأويل قراءة من قرأ ذلك (وَإِنْ كَادَ مَكْرُهُمْ لَتَنْزُولُ مِنْهُ الْجِبَالُ) من المتقدمين الذين ذكرت أقوالهم ، بمعنى : اشتد مكرهم حتى زالت منه الجبال ، أو كادت تزول منه . وكان الكسائي يحدث عن حمزة ، عن شبل عن مجاهد ، أنه كان يقرأ ذلك على مثل قراءته (وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَتَنْزُولُ مِنْهُ الْجِبَالُ) برفع تزول .

حدثني بذلك الحرث عن القاسم عنه .

❖❖❖ والصواب من القراءة عندنا ، قراءة من قرأه (وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَتَنْزُولُ مِنْهُ الْجِبَالُ) بكسر اللام الأولى وفتح الثانية ، بمعنى : وما كان مكرهم لتزول منه الجبال .

وإنما قلنا : ذلك هو الصواب ، لأن اللام الأولى إذا فُتحت ، فمعنى الكلام : وقد كان مكرهم لتزول منه الجبال ، ولو كانت زالت لم تكن ثابتة ، وفي ثبوتها على حالتها ما يبين عن أنها لم تزل ، وأخرى لإجماع الحجة من القراء على ذلك ، وفي ذلك كفاية عن الاستشهاد على صحتها ، وفساد غيرها بغيره .

❦ فَإِنْ ظَنَّ أَنْ ذَلِكَ لَيْسَ بِاجْتِمَاعٍ مِنَ الْحِجَّةِ ، إِذْ كَانَ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ مَنْ قَرَأَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، فَإِنَّ الْأَمْرَ بِخِلَافِ مَا ظَنَّ فِي ذَلِكَ ، وَذَلِكَ أَنَّ الَّذِينَ قَرَعُوا ذَلِكَ بِفَتْحِ اللَّامِ الْأُولَى وَرَفْعِ الثَّانِيَةِ قَرَعُوا (وَإِنْ كَادَ مَكْرَهُمْ) بِاللِّدَالِ ، وَهِيَ إِذَا قُرِئَتْ كَذَلِكَ ، فَالصَّحِيحُ مِنَ الْقِرَاءَةِ مَعَ (وَإِنْ كَادَ) فَتَحَ اللَّامِ الْأُولَى وَرَفَعَ الثَّانِيَةَ عَلَى مَا قَرَعُوا ، وَغَيْرَ جَائِزٍ عِنْدَنَا الْقِرَاءَةَ كَذَلِكَ ، لِأَنَّ مَصَاحِفَنَا بِخِلَافِ ذَلِكَ ، وَإِنَّمَا خَطَّ مَصَاحِفَنَا وَإِنْ كَانَ بِالنُّونِ لِابِلِّدَالِ ، وَإِذْ كَانَتْ كَذَلِكَ ، فَغَيْرُ جَائِزٍ لِأَحَدٍ تَغْيِيرَ رِسْمِ مَصَاحِفِ الْمُسْلِمِينَ ، وَإِذَا لَمْ يَجْزِ ذَلِكَ لَمْ يَكُنِ الصَّحَاحُ مِنَ الْقِرَاءَةِ إِلَّا مَا عَلَيْهِ قِرَاءَةُ الْأَمْصَارِ دُونَ مَنْ شَدَّ بِقِرَاءَتِهِ عَنْهُمْ .
وَبَنَحُو مَا قَلْنَا فِي مَعْنَى (وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ) قَالَ : جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ ، وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِيَنْزُولٍ مِنْهُ الْجِبَالُ) يقول : مَا كَانَ مَكْرَهُمْ لِيَنْزُولٍ مِنْهُ الْجِبَالِ .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر . قال : قال الحسن ، في قوله (وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِيَنْزُولٍ مِنْهُ الْجِبَالُ) مَا كَانَ مَكْرَهُمْ لِيَنْزُولٍ مِنْهُ الْجِبَالِ .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن عوف ، عن الحسن ، قال : مَا كَانَ مَكْرَهُمْ لِيَنْزُولٍ مِنْهُ الْجِبَالِ .

حدثني الحرث ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، عن يونس وعمرو ، عن الحسن (وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِيَنْزُولٍ مِنْهُ الْجِبَالُ) قَالَا : وَكَانَ الْحَسَنُ يَقُولُ : وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لِأَوْهِنٍ وَأَضْعَفٍ مِنْ أَنْ تَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ .

قال : قال هارون : وأخبرني يونس ، عن الحسن قال : أربع في القرآن (وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِيَنْزُولٍ مِنْهُ الْجِبَالُ) : مَا كَانَ مَكْرَهُمْ لِيَنْزُولٍ مِنْهُ الْجِبَالِ ، وَقَوْلُهُ (لَا تَخَذُّنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ) : مَا كُنَّا فَاعِلِينَ ، وَقَوْلُهُ (إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ) : مَا كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ ، وَقَوْلُهُ (وَكُنَّا فِيهَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ) : مَا مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ .

قال هارون : وحدثني بن عمرو بن أسباط ، عن الحسن ، وزاد فيهن واحدة (فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ) : مَا كُنْتَ فِي شَكٍّ (مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ) .

❦ فَالْأُولَى مِنَ الْقَوْلِ بِالصَّوَابِ فِي تَأْوِيلِ الْآيَةِ ، إِذْ كَانَتْ الْقِرَاءَةُ الَّتِي ذَكَرْتُ هِيَ الصَّوَابُ لِمَا بَيْنَنَا مِنَ الدَّلَالَةِ فِي قَوْلِهِ (وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ ، وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ ، وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِيَنْزُولٍ مِنْهُ الْجِبَالُ) وَقَدْ أَشْرَكَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِرَبِّهِمْ ، وَافْتَرَوْا عَلَيْهِ فَرِيَتَهُمْ عَلَيْهِ ، وَعِنْدَ اللَّهِ عِلْمُ شُرَكَاهُمْ بِهِ وَافْتِرَائِهِمْ عَلَيْهِ ، وَهُوَ مَعَاقِبُهُمْ عَلَى ذَلِكَ عَقُوبَتُهُمْ الَّتِي هُمْ أَهْلِهَا . وَمَا كَانَ شُرَكَاهُمْ وَفَرِيَتُهُمْ عَلَى اللَّهِ ، لِيَنْزُولٍ مِنْهُ الْجِبَالِ ، بَلْ مَا ضَرُّوا بِذَلِكَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ، وَلَا عَادَتُ بَغْيَةٍ مَكْرُوهَةٍ إِلَّا عَلَيْهِمْ .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا وكيع بن الجراح ، قال : ثنا الأعمش ، عن شير ، عن علي ، قال :
الغدر : مكر ، والمكر : كفر .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفاً وَعْدِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٤٧﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (فلا تحسبن الله مخلفاً وعده) الذي وعدهم من كذبهم ، وجحد ما أتوهم به من عنده ، وإنما قاله تعالى ذكره لنبيه تثبيتها وتشديدا لعزيمته ، ومعرفة أنه منزل من سخطه بمن كذبه وجحد نبوته ، ورد عليه ما أتاه به من عند الله ، مثال ما أنزل بمن سلكوا سبيلهم من الأمم الذين كانوا قبلهم على مثل منهاجهم من تكذيب رسالهم ، وجحد نبوتهم ، ورد ما جاءوهم به من عند الله عليهم .

وقوله (إن الله عزيزٌ ذو انتقام) يعني بقوله (إن الله عزيزٌ) : لا يمانع منه شيء أراد عقوبته ، قادر على كل من طلبه ، لا يفوته بالهرب منه . (ذو انتقام) من كفر برسله وكذبهم ، وجحد نبوتهم ، وأشرك به واتخذ معه لها غيره ، وأضيف قوله (مخلف) إلى الوعد ، وهو مصدر ، لأنه وقع موقع الاسم ، ونصب قوله (رسالته) بالمعنى ، وذلك أن المعنى : فلا تحسبن الله مخلف رساله وعده ، فالوعد وإن كان مخفوضا بإضافة مخلف إليه ، ففي معنى النصب ، وذلك أن الإخلاف يقع على منصوبين مختلفين ، كقول القائل : كسوت عبد الله ثوبا ، وأدخلته دارا ؛ وإذا كان الفعل كذلك يقع على منصوبين مختلفين ، جاز تقديم أيهما قدّم ، وخفض ما ولى الفعل الذي هو في صورة الأسماء ، ونصب الثاني ، فيقال : أنا مدخل عبد الله الدار ، وأنا مدخل الدار عبد الله ، إن قدّمت الدار إلى المدخل وأخرت عبد الله خفضت الدار ، إذ أضيف مدخل إليها ، ونصب عبد الله ؛ وإن قدّم عبد الله إليه ، وأخرت الدار ، خفض عبد الله بإضافة مدخل إليه ، ونصب الدار ؛ وإنما فعل ذلك كذلك ، لأن الفعل ، أعنى مدخل ، يعمل في كل واحد منهما نصبا نحو عمله في الآخر ؛ ومنه قول الشاعر :

تَرَى الثَّوْرَ فِيهَا مُدْخِلَ الظِّلِّ رَأْسَهُ وَسَائِرُهُ بَادٍ إِلَى الشَّمْسِ أَجْمَعِ ١

أضاف مدخل إلى الظل ، ونصب الرأس ؛ وإنما معنى الكلام : مدخل رأسه الظل . ومنه قول الآخر :

فَرَشَنِي بِخَيْرٍ لَا أَكُونُ وَمِدْحَتِي كِنَاحَتِ يَوْمِ الصَّخْرَةِ ٢ بَعْسِيلِ

(١) هذا البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (الورقة ١٦٥) كما استشهد به المؤلف ، ولم ينسبه . قال : وقوله « فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله » أضفت مخلف إلى الوعد ، ونصبت الرسل على التأويل . وإذا كان الفعل يقع على شيئين مختلفين مثل : كسوتك الثوب ، وأدخلتك الدار ، فابدأ بإضافة الفعل إلى الرجل ، فتقول : هو كاسى عبد الله ثوبا ، ومدخله الدار ؛ ويجوز هو كاسى الثوب عبد الله ، ومدخل الدار زيدا . . . ومثله قول الشاعر : ترى الثور . . . البيت ، فأضاف مدخل إلى الظل ، وكان الوجه أن يضيف مدخل إلى الرأس .

(٢) وهذا البيت أيضا من شواهد الفراء (الورقة ١٦٥) عطفه على آخر قبله وعطفهما على الأول . ومحل الشاهد فيه : أن الشاعر أضاف ناحته وهو وصف مشبه للفعل إلى يوم ، ونصب الصخرة ، والأولى إضافة الوصف إلى الصخرة ، ونصب يوما على مقاله القراء .

والعسيل : الريشةُ جمعُ بها الطيب ، وإنما معنى الكلام : كنا حيتِ صخرةُ يوماً بعسيل ، وكذلك قول الآخر :
 رَبِّ ابْنِ عَمِّ لَيْسَلَيْمَى مُشْمَعِيلٍ طَبَاخِ سَاعَاتِ الْكَرَى زَادَ الْكَسِيلِ ١
 وإنما معنى الكلام : طباخ زاد الكسل ساعات الكرى .
 فأما من قرأ ذلك (فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِيفًا وَعَدِّهِ رُسُلَهُ) فقد بيننا وجهه بعنده من الصحة
 في كلام العرب في سورة الأنعام ، عند قوله (وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ
 شُرَكَاءَهُمْ) ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾

❖ يقول تعالى ذكره : إن الله ذو انتقام (يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ) من مشركي
 قومك يا محمد من قريش ، وسائر من كفر بالله ووجد نبوتك ونبوة رسله من قبلك ، فيوم من صلة الانتقام .
 واختاف في معنى قوله (يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ) فقال بعضهم : معنى ذلك : يوم
 تبدل الأرض التي عليها الناس اليوم في دار الدنيا غير هذه الأرض ، فتصير أرضاً بيضاء كالفضة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، قال : سمعت
 عمرو بن ميمون يحدث ، عن عبد الله أنه قال في هذه الآية (يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ
 وَالسَّمَوَاتُ) قال : أرض كالفضة نقية لم يسيل فيها دم ، ولم يُعمَل فيها خطيئة ، يسمعهم الداعي ، وينفذهم
 البصر ، حفاة عراة قياما ، أحسب قال : كما خلدقوا ، حتى ياجمهم العرق قياما وحده .
 قال شعبة : ثم سمعته يقول : سمعت عمرو بن ميمون ، ولم يذكر عبد الله ثم عاودته فيه ، قال : حدثني
 هبيرة ، عن عبد الله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يحيى بن عباد ، قال : أخبرنا شعبة ، قال : أخبرنا أبو إسحاق ، قال :
 سمعت عمرو بن ميمون وربما قال : قال عبد الله : وربما لم يقل ، فقلت له : عن عبد الله ، قال : سمعت
 عمرو بن ميمون يقول (يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ) قال : أرض كالفضة بيضاء نقية ، لم يسيل
 فيها دم ، ولم يعمل فيها خطيئة ، فينفذهم البصر ، ويسمعهم الداعي ، حفاة عراة كما خلدقوا ، قال : أراه
 قال : قياما حتى يُلجمهم العرق .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، عن ابن

(١) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (مصورة الجامعة ص ١٦٥) على أن طباخ كان حقه أن يضاف إلى « زاد الكسل » ،
 فأضافه الشاعر إلى الساعات . والمشعل : الخفيف الماضي في الأمر المسرع . والكرى : النوم .

مسعود ، في قوله (يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ) قال : تبدل أرضا بيضاء نقية كأنها فضة ، لم يسفك فيها دم حرام ، ولم يُعمل فيها خطيئة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا مسلم بن إبراهيم ، قال : أخبرنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون عن عبد الله ، في قوله (يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ) قال : أرض الجنة بيضاء نقية ، لم يُعمل فيها خطيئة ، يسمعهم الداعي ، وينفذهم البصر ، حفاة عراة قياما ياجمهم العرق .
حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون (يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ) قال : أرض بيضاء كالفضة لم يسفك فيها دم حرام ، ولم يُعمل فيها خطيئة .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يحيى بن عباد ، قال : ثنا حماد بن زيد ، قال : أخبرنا عاصم بن بهدلة ، عن زير بن حبيش ، عن عبد الله بن مسعود ، أنه تلا هذه الآية (يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ، وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ) قال : يجاء بأرض بيضاء كأنها سبيكة فضة لم يسفك فيها دم ، ولم يُعمل عليها خطيئة ، قال : فأول ما يحكم بين الناس فيه في الدماء .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا معاوية بن هشام ، عن سنان ، عن جابر الجعفي ، عن أبي جبيرة ، عن زيد ، قال : « أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليهود ، فقال : هل تدرون لم أرسلت إليهم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : فإني أرسلت إليهم أسألهم عن قول الله (يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ) إنها تكون يومئذ بيضاء مثل الفضة ، فلما جاءوا سألهم فقالوا : تكون بيضاء مثل النقي^١ . »

حدثنا أبو إسماعيل الترمذي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن سنان بن سعد ، عن أنس بن مالك ، أنه تلا هذه الآية (يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ) قال : تبدلها الله يوم القيامة بأرض من فضة لم يُعمل عليها الخطايا ، ينزلها الجبار تبارك وتعالى .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ) قال : أرض كأنها الفضة ، زاد الحسن في حديثه عن شبابة ، والسموات كذلك أيضا كأنها الفضة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حماد ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ) قال : أرض كأنها الفضة ، والسموات كذلك أيضا .

حدثنا ابن البرقي ، قال : ثنا ابن أبي مريم ، قال : أخبرنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا أبو حازم ، قال : سمعت سهل بن سعد يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

(١) في اللسان : وفي الحديث : « يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء ، كقرصة النقي » قال أبو عبيد : النقي الخبز الحواري .

على أرض بيضاء عفرَاءَ كَقَرْصَةِ النَّقِيِّ» . قال سهل أو غيره : ليس فيها معلم لغيره .
وقال آخرون : تبدل نارا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن الأعمش ، عن المهال بن عمرو ، عن قيس بن السككن ، قال : قال عبد الله : الأرض كلها نار يوم القيامة ، والجنة من ورأها ترى أكوابها وكواعبها ، والذي نفس عبد الله بيده ، إن الرجل ليفيض عرقا ، حتى يرشح في الأرض قدمه ، ثم يرتفع حتى يبلغ أنفه وما مسه الحساب ، فقالوا : مم ذاك يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : مما يرى الناس ويلقون .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن الأعمش ، عن خيثمة ، قال : قال عبد الله : الأرض كلها يوم القيامة نار ، والجنة من ورأها ترى كواعبها وأكوابها ، ويلجم الناس العرق ، أو يبلغ منهم العرق ، ولم يبلغوا الحساب .

وقال آخرون : بل تبدل الأرض أرضا من فضة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : سمعت المغيرة بن مالك يحدث عن المجاشع أو المجاشعي ، شك أبو موسى ، عن سمع عليا يقول في هذه الآية (يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ) قال : الأرض من فضة ، والجنة من ذهب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن شعبة ، عن المغيرة بن مالك ، قال : ثنا رجل من بني مجاشع ، يقال له عبد الكريم ، أو ابن عبد الكريم ، قال : ثنا هذا الرجل أراه بسمرقند ، أنه سمع علي بن أبي طالب قرأ هذه الآية (يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ) قال : الأرض من فضة ، والجنة من ذهب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شعبة ، عن مغيرة بن مالك ، عن رجل من بني مجاشع ، يقال له عبد الكريم ، أو يكنى أبا عبد الكريم ، قال : أقامني على رجل بخراسان ، فقال : حدثني هذا أنه سمع علي بن أبي طالب ، فذكر نحوه .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ) . . . الآية ، فزعم أنها تكون فضة .

حدثنا محمد بن إسماعيل ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن سنان بن سعد ، عن أنس بن مالك قال : يبدلها الله يوم القيامة بأرض من فضة .

وقال آخرون : يبدلها خبزة .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو سعد سعيد بن دل من صغانيان ، قال : ثنا الجارود بن معاذ الترمذي ،

قال : ثنا وكيع بن الجراح ، عن عمر بن بشر الهمداني ، عن سعيد بن جبير ، في قوله (يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ) قال : تبدل خبزة بيضاء يأكل المؤمن من تحت قدميه .
حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا وكيع ، عن أبي معشر ، عن محمد بن كعب القرظي ، أو عن محمد بن قيس (يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ) قال : خبزة يأكل منها المؤمنون من تحت أقدامهم .

وقال آخرون : تبدل الأرض غير الأرض .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علي بن سهل ، قال : ثنا جاج بن محمد ، قال : ثنا أبو جعفر ، عن الربيع بن أنس ، عن كعب في قوله (يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ) قال : تصير السموات جنانا ويصير مكان البحر النار ، قال : وتبدل الأرض غيرها .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي ، عن إسماعيل بن رافع المدني ، عن يزيد ، عن رجل من الأنصار ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن رجل من الأنصار ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يُبَدَّلُ اللَّهُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ ، فَيَبْسُطُهَا وَيَسْطِطُهَا وَيَمُدُّهَا مَدَّ الْأَدِيمِ الْعُكَاظِيِّ ، لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ، ثُمَّ يُزَجِّرُ اللَّهُ الْخَلْقَ زَجْرَةً ، فَإِذَا هُمْ فِي هَذِهِ الْمُبَدَّلَةِ فِي مِثْلِ مَوَاضِعِهِمْ مِنْ الْأُولَى مَا كَانَ فِي بَطْنِهَا فَتَنِي بَطْنِهَا ، وَمَا كَانَ عَلَى ظَهْرِهَا كَانَ عَلَى ظَهْرِهَا ، وَذَلِكَ حِينَ يَطْوِي السَّمَوَاتِ كَطَيِّ السَّجْلِ لِلْكِتَابِ ، ثُمَّ يَدْحُو بِهِمَا ، ثُمَّ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ » .

حدثنا ابن حميد . قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو بن قيس ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو ابن ميمون الأودي ، قال : يجمع الناس يوم القيامة في أرض بيضاء ، لم يعمل فيها خطيئة . مقدار أربعين سنة ياجمهم العرق .

وقالت عائشة في ذلك : ما حدثنا ابن أبي الشوارب وحميد بن مسعدة وابن بزيع ، قالوا : ثنا يزيد بن زريع ، عن داود ، عن عامر ، عن عائشة ، قالت : « قلت : يا رسول الله ، إذا بدلت الأرض غير الأرض ، وبرزوا لله الواحد القهار ، أين الناس يومئذ ؟ قال : على الصراط » .

حدثنا حميد بن مسعدة وابن بزيع ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه .

حدثني إسحاق بن شاين ، قال : ثنا خالد ، عن داود ، عن عامر ، عن مسروق ، قال : قلت لعائشة : « يا أم المؤمنين أرأيت قول الله (يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ، وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ) أين الناس يومئذ ؟ فقالت : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فقال : على الصراط » .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا الحسن بن عنبسة الوراق ، قال : ثنا عبد الرحيم ، يعني ابن سليمان الرازي عن داود بن أبي هند ، عن عامر ، عن مسروق ، عن عائشة ، قالت : « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن قول الله (يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ) قلت : يا رسول الله ، إذا بُدِّلَتِ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ ، أين يكون الناس ؟ قال : عَلَى الصِّرَاطِ » .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عاصم بن علي ، قال : ثنا إسماعيل بن زكريا ، عن داود ، عن عامر ، عن مسروق ، عن عائشة بنحوه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، عن عائشة أم المؤمنين قالت : « أنا أول الناس سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية » ثم ذكر نحوه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا ربعي بن إبراهيم الأسدي أخو إسماعيل بن إبراهيم ، عن داود بن أبي هند ، عن عامر ، قال : قالت عائشة : « يا رسول الله ، أرايت إذا بُدِّلَتِ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ ، أين الناس يومئذ ؟ قال : عَلَى الصِّرَاطِ » .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا علي بن الجعد ، قال : أخبرني القاسم ، قال : سمعت الحسن ، قال : قالت عائشة : « يا رسول الله (يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ) فأين الناس يومئذ ؟ قال : إِنَّ هَذَا الشَّيْءَ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَحَدٌ » ، قال : عَلَى الصِّرَاطِ يَا عَائِشَةُ » .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عبد الرحمن بن إبراهيم ، قال : ثنا الوليد ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن حسان بن بلال المزني ، عن عائشة « أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن قول الله (يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ) قال : قالت : يا رسول الله ، فأين الناس يومئذ ؟ قال : لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ شَيْءٍ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي ، ذَاكَ إِذَا النَّاسُ عَلَى جِسْرِ الْجَهَنَّمَ » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ) ذُكِرَ لَنَا أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ : « يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَأَيْنَ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ ؟ فَقَالَ : لَقَدْ سَأَلْتِ عَن شَيْءٍ مَا سَأَلْتَنِي عَنْهُ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي قَبْلَكَ » ، قال : هُمْ يَوْمَئِذٍ عَلَى جِسْرِ الْجَهَنَّمَ » .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، أن عائشة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحوه ، إلا أنه قال : عَلَى الصِّرَاطِ » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أسماء ، عن ثوبان ، قال : « سألت حبر من اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أين الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض ؟ قال : هُمْ فِي الظُّلُمَةِ دُونَ الْجِسْرِ » .

حدثني محمد بن عون ، قال : ثنا أبو المغيرة ، قال : ثنا ابن أبي مریم ، قال : ثنا سعيد بن ثوبان الكلاعي ، عن أبي أيوب الأنصاري ، قال : « أتى النبي صلى الله عليه وسلم حبر من اليهود ، وقال : أرايت

(١) في تاج العروس : الجسر ، بالفتح : الذي يعبر عليه كالقنطرة ونحوها ، ويكسر لغتان .

إذ يقول الله في كتابه (يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ) فأين الخلق عند ذلك ؟ قال :
أَضْيَافُ اللَّهِ فَلَنْ يُعْجِزَهُمْ مَا لَدَيْهِ .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، قول من قال : معناه : يوم تبدل الأرض التي نحن عليها اليوم
يوم القيامة غيرها ، وكذلك السموات اليوم تبدل غيرها ، كما قال جل ثناؤه ؛ وجائز أن تكون المبدلة
أرضا أخرى من فضة ، وجائز أن تكون نارا ، ، وجائز أن تكون خبزا ، وجائز أن تكون غير ذلك ،
ولا خبر في ذلك عندنا من الوجه الذي يجب التسليم له أى ذلك يكون ، فلا قول في ذلك يصح إلا ما دل
عليه ظاهر التنزيل .

وبنحو ما قلنا في معنى قوله (وَالسَّمَوَاتُ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (يَوْمَ تَبْدَلُ
الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ) قال : أرضا كأنها الفضة (وَالسَّمَوَاتُ) كذلك أيضا .
وقوله (وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ) يقول : وظهروا لله المنفرد بالربوبية ، الذي يقهر كل شيء
فيغلبه ويصرفه لما يشاء كيف يشاء ، فيحيي خلقه إذا شاء ، ويميتهم إذا شاء ، لا يغلبه شيء ، ولا يقهره من
قبورهم أحياء لموقف القيامة .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٩﴾ سَرَّابِلُهُمْ مِنْ قِطْرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ
النَّارُ ﴿١٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ ﴿١١﴾ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٢﴾

يقول تعالى ذكره : وتعابن الذين كفروا بالله ، فاجتمروا في الدنيا الشرك يومئذ ، يعنى : يوم تبدل
الأرض غير الأرض والسموات (مُّقْرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ) يقول : مقرنة أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم
بالأصفاد ، وهى الوثاق من غلّ وسلسلة ، واحدها : صَفْدٌ ، يقال منه : صَفَدْتُهُ فِي الصَّفْدِ صَفْدًا
وَصِفَادًا ، وَالصَّفَادُ : القيد ، ومنه قول عمرو بن كلثوم :

فَأَبَوْا بِالنَّهَابِ وَبِالسَّبَايَا وَأَبْنَا بِالْمُدُوكِ مُصَفَّدِينَ

ومن جعل الواحد من ذلك صِفَادًا جمعه : صَفْدًا لا أَصْفَادًا . وأما من العطاء ، فإنه يقال منه : أَصْفَدْتُهُ
إِصْفَادًا ، كما قال الأعشى :

(١) البيت لعمر بن كلثوم في معلقته . وآبوا : رجعوا . والنهاب : جمع نهب . والمصفدون : المغللون بالأصفاد ، الواحد :
صفد ، وهو الغل . يقول : ظفرتنا بهم ، فلم نلتفت إلى أسلابهم ، ولا أموالهم ، وعمدنا إلى ملوكهم ، فصفدناهم في الحديد . وفي
(اللسان : صفد) : الصفاد : حبل يوثق به أو غل . وهو الصفد ، والصفد (بتسكين الفاء وتحريكها) . والجمع : الأصفاد . قال
ابن سيده : لانعلمه كسر على غير ذلك . وفي التنزيل « مقرنين في الأصفاد » . قيل : هى الأغلال . وقيل : القيود . واحدها صفد .
وانظر شرح المعلقات السبع للزوزنى ، وشرح القصائد العشر للبريزى .

تَضَيَّفْتُهُ يَوْمًا فَأَكْرَمَ مَجْلِسِي وَأَصْفَدَنِي عِنْدَ الزَّمَانَةِ قَائِدًا ١

وقد قيل في العطاء أيضا : صَفَدَنِي صَفْدًا ، كما قال النابغة الذبياني :

هَذَا الشَّنَاءُ فَإِنْ تَسْمَعُ لِقَائِهِ فَمَا عَرَضْتُ أَبَيْتَ اللَّعْنِ بِالصَّفْدِ ٢

وبنحو الذي قلنا في معنى قوله (مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ،) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ) يقول : في وثاق .

حدثني محمد بن عيسى الدامغاني ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن جوير ، عن الضحك ، قال : الأصفاد : السلاسل .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ) قال : مقرنين في القيود والأغلال .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا علي بن هاشم بن البريد ، قال : سمعت الأعمش ، يقول : الصفد : القيد .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ) قال : صفدت فيها أيديهم وأرجلهم ورقابهم ، والأصفاد : الأغلال .

وقوله (سَرَّابِيْلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ) يقول : قمصهم التي يلبسونها ، واحدها : سربال ، كما قال امرؤ القيس :

لَعُوبٌ تُنَسِّيْنِي إِذَا قُمْتُ سَرْبَالِي ٣

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (سَرَّابِيْلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ) قال : السرابيل : القمص . وقوله (مِنْ قَطْرَانٍ) : يقول : من القطران الذي يهنا به الإبل ، وفيه لغات

(١) البيت للأعشى (اللسان : صفد ، وديوان الأعشى طبع القاهرة ص ٦٥) من قصيدة يمدح بها هوزة بن علي الحنق ، ويذم الحارث بن وعلة بن مجالد الرقاشي . وتضيفته : نزلت عنده ضيفا . وأصفدني : أعطاني ، من الصفد بمعنى العطية هنا . يقول : لما زرت هوزة في «جو» أكرم وفادتي عليه ، وقربني من مجلسه ، وأعطاني قائدا يقودني لما رأيت من آثار الضعف والكلال وسوء البصر . ورواية الديوان : «علي» في موضع «عند» .

(٢) هذا البيت للنابغة الذبياني (مختار الشعر الجاهلي بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبي ص ١٥٥) . والصفد هنا : بمعنى العطاء كالذي قبله . وفي الشطر الثاني منه : فلم أعرض ، في مكان : فما عرضت .

(٣) هذا عجز بيت لامرئ القيس بن حجر من لاميته المطولة (٥٤ بيتا) ، وصدره «ومثلك بيضاء العوارض طفلة» . انظر مختار الشعر الجاهلي ، بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبي ص ٣٧) . وهذا البيت ساقط من نسخة الديوان بشرح الوزير أبي بكر عاصم ابن أيوب البطلوسى ، وثابت في نسخة الأعمى الشنتمري ، وفيما نقله البغدادي في خزائن الأدب الكبرى من أبيات القصيدة (ج ١ : ١٩٧) أوردته بعد قول امرئ القيس : «وأمنع عرسى أن يزن بها الخالي» . والواو في البيت : واو رب . والخطاب لبساسة . والعارض والعارضه صفحة الحد وصفحة العنق ، وجانب الوجه ، وما يستقبلك من الشئ ، ومن الوجه ما يبدو عند الضحك . والطفلة (بالفتح) : الناعمة البدن . واللعب : الحسنه الدل . والسربال : القميص . يريد : تذهب بفؤادي ، حتى أنسى قميصي . والشاهد فيه عند الطبري ، أن السربال : هو القميص عند العرب .

ثلاث : يقال : قِطْرَانٌ وَقِطْرَانٌ بفتح القاف وتسكين الطاء منه . وقيل : إن عيسى بن عمر كان يقرأ (مِينٌ قِطْرَانٌ) بكسر القاف وتسكين الطاء ؛ ومنه قول أبي النجم :
 جَوْنٌ كَأَنَّ العَرَقَ المَنْتُوْحَا لَبَسَهُ القِطْرَانُ والمُسُوْحَا
 بكسر القاف ، وقال أيضا :
 كَأَنَّ قِطْرَانَا إِذَا تَلَاهَا تَرْمِي بِهِ الرِّيحُ إِلَى مَجْرَاهَا
 بالكسر .

وينحو ما قلناه في ذلك يقول من قرأ ذلك كذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن (مِينٌ قِطْرَانٌ)
 يعنى : الحَضْحَضُ هِنَاءُ الإِبِلِ .
 حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (مِينٌ قِطْرَانٌ) قال :
 قطران الإبل .

وقال بعضهم : القطران : النحاس .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : قِطْرَانٌ :
 نحاس ، قال ابن جريج : قال ابن عباس (مِينٌ قِطْرَانٌ) : نحاس .
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة (مِينٌ قِطْرَانٌ) قال :
 هى نحاس ، وبهذه القراءة : أعنى بفتح القاف وكسر الطاء ، وتصيير ذلك كاه كلمة واحدة ، قرأ ذلك
 جميع قرآء الأمصار ، وبها نقرأ لإجماع الحجة من القرآء عايه .
 وقد روى عن بعض المتقدمين أنه كان يقرأ ذلك (مِينٌ قِطْرَانٌ) بفتح القاف وتسكين الطاء وتنوين
 الراء وتصيير آن من نعته ، وتوجيه معنى القِطْرَانِ إلى أنه النحاس ، ومعنى الآن ، إلى أنه الذى قد انتهى
 حره فى الشدة .

ومن كان يقرأ ذلك كذلك فيما ذكر لنا عكرمة مولى ابن عباس ، حدثنى بذلك أحمد بن يوسف ،

قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين عنه .

(١) البيت فى (لسان العرب : نتح) قال : النتح : خروج العرق من الجلد ، والدم من النحى ، والندى من الثرى . نتح ينتح
 نتحا ونتوحا . وقال الجوهري : النتح : الرشح . ومنايح العرق : مخارجه من الجلد . وأنشد : جون . . . الخ . والقطران (بالفتح
 وبالكسر وكظربان) : عصارة الأرز ، وهو الصنوبر ، يطبخ ثم تهنأ به الإبل ، وإنما جعلت سرايلهم منه ، لأنه يبالغ فى اشتعال
 النار فى الجلود (عن تاج العروس) . والمسوح : جمع مسح ، بكسر الميم ، وهو الكساء من الشعر : جمعه أمساح ومسوح .
 (٢) هذا الشاهد كالذى قبله ، على أن القطران ، بكسر القاف .

ذكر من تأول ذلك على هذه القراءة التأويل الذي ذكرت فيه

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، في قوله (سَرَّابِيلُهُمْ مِّنْ قَطْرِ أَنْ) قال : قطر ، والآن : الذي قد انتهى حرّه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا داود بن مهران ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبيرة نحوه . حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، قال : ثنا يعقوب القمي ، عن جعفر ، عن سعيد ، بنحوه .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن أبي حماد ، قال : ثنا يعقوب القمي ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبيرة أنه كان يقرأ (سَرَّابِيلُهُمْ مِّنْ قَطْرِ أَنْ) .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا المبارك بن فضالة ، قال : سمعت الحسن يقول : كانت العرب تقول للشئ إذا انتهى حرّه : قد أنى حرّ هذا : قد أوقدت عليه جهنم منذ خلقت فأنى حرّها . حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سعيد ، قال : ثنا أبو جعفر ، عن الربيع ابن أنس في قوله (سَرَّابِيلُهُمْ مِّنْ قَطْرِ أَنْ) قال : القطر : النحاس ، والآن : يقول : قد أنى حرّه ، وذلك أنه يقول : حميم أن .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان بن مسلم ، قال : ثنا ثابت بن يزيد ، قال : ثنا هلال بن خباب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في هذه الآية (سَرَّابِيلُهُمْ مِّنْ قَطْرِ أَنْ) قال : من نحاس ، قال : أن أنى لهم أن يعدّوا به .

حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن حصين ، عن عكرمة ، في قوله (مِّنْ قَطْرِ أَنْ) قال : الآنى : الذي قد انتهى حرّه .

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (مِّنْ قَطْرِ أَنْ) قال : هو النحاس المذاب .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن سعيد ، عن قتادة (مِّنْ قَطْرِ أَنْ) يعني : الصفر المذاب .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن قتادة (سَرَّابِيلُهُمْ مِّنْ قَطْرِ أَنْ) قال : من نحاس .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، قال : ثنا أبو حفص ، عن هارون ، عن قتادة أنه كان يقرأ (مِّنْ قَطْرِ أَنْ) قال : من صفر قد انتهى حرّه .

وكان الحسن يقرأها (مِّنْ قَطْرِ أَنْ) .

وقوله (وَتَغَشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ) يقول : وتفسح وجوههم النار فتحرقها (لِيَجْزِيََ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ) يقول : فعل الله ذلك بهم جزاء لهم بما كسبوا من الآثام في الدنيا ، كما يشيب

كل نفس بما كسبت من خير وشر ، فيجزى المحسن بإحسانه ، والمسيء بإساءته (إن الله سريع الحساب) يقول : إن الله عالم بعمل كل عامل ، فلا يحتاج في إحصاء أعمالهم إلى عقد كف ولا معاناة ، وهو سريع حسابه لأعمالهم ، قد أحاط بها علما ، لا يعزب عنه منها شيء ، وهو مجازيهم على جميع ذلك صغيره وكبيره .

القول في تأويل قوله تعالى :

هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَيُعَلِّمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٧﴾

❖❖ يقول تعالى ذكره : هذا القرآن بلاغ للناس ، أبلغ الله به إليهم في الحججة عليهم ، وأعذر إليهم بما أنزل فيه من مواعظه وعبره (وَلِيُنذِرُوا بِهِ) يقول : واينذروا عقاب الله ، ويحذروا به نعماته ، أنزله إلى نبيه صلى الله عليه وسلم (وَلِيُعَلِّمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ) يقول : وليعلموا بما احتج به عليهم من الحجج فيه أنما هو إله واحد ، لا آلهة شتى ، كما يقوله المشركون بالله ، وأن لا إله إلا هو الذي له ما في السموات وما في الأرض ، الذي سخر لهم الشمس والقمر ، والليل والنهار ، وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لهم ، وسخر لهم الفلك لتجرى في البحر بأمره ، وسخر لهم الأنهار (وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ) يقول : وليتذكر فيتعظ بما احتج الله به عليه من حججه التي في هذا القرآن ، فينزجر عن أن يجعل معه إله غيره ، ويؤشرك في عبادته شيئا سواه أهل الحجى والعقول ، فإنهم أهل الاعتبار والادكار ، دون الذين لا عقول لهم ولا أفهام ، فإنهم كالأنعام بل هم أضل سبيلا .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ) قال : القرآن . (وَلِيُنذِرُوا بِهِ) : قال : بالقرآن . (وَلِيُعَلِّمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ) .

آخر تفسير سورة إبراهيم صلى الله عليه وآله وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

تم الجزء الثالث عشر من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبري

ويليه الجزء الرابع عشر

وأوله : القول في تأويل قوله تعالى (الرّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ)

جَامِعُ الْبَيَانِ

عَنْ

تَأْوِيلِ آيِ الْقُرْآنِ

تَأَلَّفَ

أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْقَاسِمِ

لِسُوْدَانِ ١١٠ هـ

الجزء الرابع عشر

دار الفكر

كل نفس بما كسبت من خير وشر ، فيتميزي العجز بوجوبه ، والسبي بيساعته (إن الله سريع الحساب) يقول : إن الله عالم بكل عمل ، فإن احتاج في إعطاء أعمالهم إلى عقد كفاً ولا معاناة ، وهو سريع حسابه لأعمالهم ، قد أعاط بها علماء ، لا يعرف عنه شيئاً ، وهو يجازيهم على جميع ذلك صغره وكبره .

القول في تأويل قوله تعالى :

هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَيَسْتَأْذِنُوا الْبَاطِلَ أَلَّا يَكُونُوا أَلْبَابًا

يقول تعالى ذكره : هذا القرآن بلاغ للناس ، أبلغ الله به إليهم في الحجية عليهم ، وأعلم إليهم بما أزل فيه من مواعظه وعيره (وَيَسْتَأْذِنُوا بِهِ) يقول : وليأذروا عقاب الله ، ويأذروا به نقيته ، أنزل إلي نبيه صلى الله عليه وسلم (وَلِيَسْتَأْذِنُوا الْبَاطِلَ أَلَّا يَكُونُوا أَلْبَابًا) يقول : وليعلموا بما احتج به عليهم من الحجج فيه إنما هو إله واحد ، لا آله شيء ، كما يقوله المشركون بالله ، وأن لا إله إلا هو الذي له ما في السموات وما في الأرض ، الذي يخرج لهم الشمس والقمر ، والليل والنهار ، وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لهم ، ويخرج لهم الفلك لتجري في البحر بأمره ، ويخرج لهم الأسماك (وَأَلْبَابًا) يقول : يفتتح بها الحجج الله به عليه من حججه التي في هذا القرآن ، ويترجم عن أن يجعل معه إلهاً غيره ، ويشترك في عبادته شيئاً سواه أهل الجحيم والنحول ، فإني أهل الأعداء لا أذكركم دون الذين لا عقول لهم ولا ألبان ، فإنهم كالأنعام بل هم أضل سبيلاً .

ويبحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ) قال : القرآن . (وَيَسْتَأْذِنُوا بِهِ) : قال : بالقرآن . (وَلِيَسْتَأْذِنُوا الْبَاطِلَ أَلَّا يَكُونُوا أَلْبَابًا) : قال : يفتتح بها الحجج الله به عليه من حججه التي في هذا القرآن ، ويترجم عن أن يجعل معه إلهاً غيره ، ويشترك في عبادته شيئاً سواه أهل الجحيم والنحول ، فإني أهل الأعداء لا أذكركم دون الذين لا عقول لهم ولا ألبان ، فإنهم كالأنعام بل هم أضل سبيلاً .

آخر تفسير سورة إبراهيم صلى الله عليه وآله وسلم ، والحمد لله رب العالمين

في الجزء الثالث عشر من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبري

وبقية الجزء الرابع عشر

وأوله : القول في تأويل قوله تعالى (الرَّبُّ إِلَهُ الْكَافِرِينَ)

جَامِعُ الْبَيَّانِ

عَنْ
تَأْوِيلِ آيِ الْقُرْآنِ

تَأَلَّفَ
أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ
المتوفى سنة ٢١٠ هـ

الجزء الرابع عشر

دار الفكر

نَيْلِيَا أُوَلَبْ

حقوق الطبع محفوظة

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م

تَرْبِيَا لِمَا فِي سُرْبِيَا

بَشْرِيَا لِمَا فِي سُرْبِيَا

بَشْرِيَا لِمَا فِي سُرْبِيَا

المكاتب : البناية المركزية - هاتف : ٢٤٤٧٣٩ - ص.ب. ٧٠٦١ / ١١
المطابع والمعمل : حارة حريك - شارع عبد النور - هاتف : ٢٧٣٦٥٠ - ٢٧٣٤٨٧
برقياً ، فكسي - تليكس ٤١٣٩٢ فكر FIKR 41392 LE

بيروت
لبنان



١	١٦
٢	١٧
٣	١٨
٤	١٩
٥	٢٠
٦	٢١
٧	٢٢
٨	٢٣
٩	٢٤
١٠	٢٥
١١	٢٦
١٢	٢٧
١٣	٢٨
١٤	٢٩
١٥	٣٠
١٦	٣١
١٧	٣٢
١٨	٣٣
١٩	٣٤
٢٠	٣٥
٢١	٣٦
٢٢	٣٧
٢٣	٣٨
٢٤	٣٩
٢٥	٤٠
٢٦	٤١
٢٧	٤٢
٢٨	٤٣
٢٩	٤٤
٣٠	٤٥
٣١	٤٦
٣٢	٤٧
٣٣	٤٨
٣٤	٤٩
٣٥	٥٠
٣٦	٥١
٣٧	٥٢
٣٨	٥٣
٣٩	٥٤
٤٠	٥٥
٤١	٥٦
٤٢	٥٧
٤٣	٥٨
٤٤	٥٩
٤٥	٦٠
٤٦	٦١
٤٧	٦٢
٤٨	٦٣
٤٩	٦٤
٥٠	٦٥
٥١	٦٦
٥٢	٦٧
٥٣	٦٨
٥٤	٦٩
٥٥	٧٠
٥٦	٧١
٥٧	٧٢
٥٨	٧٣
٥٩	٧٤
٦٠	٧٥
٦١	٧٦
٦٢	٧٧
٦٣	٧٨
٦٤	٧٩
٦٥	٨٠
٦٦	٨١
٦٧	٨٢
٦٨	٨٣
٦٩	٨٤
٧٠	٨٥
٧١	٨٦
٧٢	٨٧
٧٣	٨٨
٧٤	٨٩
٧٥	٩٠
٧٦	٩١
٧٧	٩٢
٧٨	٩٣
٧٩	٩٤
٨٠	٩٥
٨١	٩٦
٨٢	٩٧
٨٣	٩٨
٨٤	٩٩
٨٥	١٠٠

فهارس الجزء الرابع عشر
من
جامع البيان عن تأويل آي القرآن
لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

- الفهرس الأول : للآيات المفسرة
- الفهرس الثاني : مواضع الآيات المفسرة
- الفهرس الثالث : للقوافي
- الفهرس الرابع : للأحاديث النبوية

١ - فهرس الآيات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
				<u>سورة الحجر</u>	
١	الرّ ، تلك آيات الكتاب . . .	١	٢٣	وإنا لنحن نحي ونميت . . .	٢٣
٢	رُبّما يودّ الذين كفروا . . .	١	٢٤	ولقد علمنا المستهين منكم . . .	٢٣
٣	ذرّهم يأكلوا ويتمتعوا . . .	٥	٢٥	وإن ربك هو يحشّوهم . . .	٢٣
٤	وما أهلكنا من قرية . . .	٥	٢٦	ولقد خلقنا الإنسان . . .	٢٧
٥	ما تسبّق من أمة أجلها . . .	٦	٢٧	والجانّ خلقناه من قبل . . .	٣٠
٦	وقالوا يأيها الذي نزل عليه الذكر . . .	٦	٢٨	وإذ قال ربك للملائكة . . .	٣١
٧	لوما تأتينا بالملائكة . . .	٦	٢٩	فإذا سوّيته ونفخت فيه . . .	٣١
٨	ما نزل الملائكة إلا بالحقّ . . .	٦	٣٠	فسجد الملائكة كلهم أجمعون .	٣١
٩	إنا نحن نزلنا الذكر . . .	٧	٣١	إلا إبليس أبى . . .	٣١
١٠	ولقد أرسلنا من قبلك . . .	٨	٣٢	قال يا إبليس مالك . . .	٣١
١١	وما يأتيهم من رسول . . .	٨	٣٣	قال لم أكن لأسجد لبشر . . .	٣٢
١٢	كذلك نساكه في قلوب المجرمين .	٩	٣٤	قال فاخرج منها فإنك رجيم .	٣٢
١٣	لا يؤمنون به وقد خلت سنة الأولين .	٩	٣٥	وإنّ عليك اللعنة إلى يوم الدين .	٣٢
١٤	ولو فتحنا عليهم بابا من السماء . . .	١٠	٣٦	قال ربّ فأنظرني إلى يوم يبعثون .	٣٢
١٥	لقالوا إنما سكرت أبصارنا . . .	١٠	٣٧	قال فإنك من المنظرين .	٣٢
١٦	ولقد جعلنا في السماء بروجا . . .	١٣	٣٨	إلى يوم الوقت المعلوم .	٣٢
١٧	وحفظناها من كلّ شيطان رجيم .	١٤	٣٩	قال ربّ بما أغويتني . . .	٣٢
١٨	إلا من استرق السمع . . .	١٤	٤٠	إلا عبادك منهم المخلصين .	٣٢
١٩	والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي . . .	١٥	٤١	قال هذا صراط علىّ مستقيم .	٣٣
٢٠	وجعلنا لكم فيها معاش . . .	١٧	٤٢	إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان . . .	٣٣
٢١	وإنّ من شيء إلا عندنا خزائنه . . .	١٨	٤٣	وإنّ جهنّم لموعدهم أجمعين .	٣٥
٢٢	وأرسلنا الرياح لواقح . . .	١٩	٤٤	لها سبعة أبواب . . .	٣٥
			٤٥	إنّ المتقين في جنّات وعيون .	٣٦

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٤٦	ادخلوها بسلام آمين .	٣٦	٧٣	فأخذتهم الصيحة مشرقين .	٤٣
٤٧	ونزعنا ما في صدورهم من غل .	٣٦	٧٤	فجعلنا عاليها سافلها . . .	٤٥
٤٨	لا يمسه فيها نصب . . .	٣٨	٧٥	إن في ذلك آيات للمتوسمين .	٤٥
٤٩	نبي عبادي أنى أنا الغفور الرحيم .	٣٨	٧٦	وإنها لبسبيل مقيم .	٤٧
٥٠	وأن عذابي هو العذاب الأليم .	٣٨	٧٧	إن في ذلك آية للمؤمنين .	٤٧
٥١	ونبئهم عن ضيف إبراهيم .	٣٩	٧٨	وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين .	٤٨
٥٢	إذ دخلوا عليه فقالوا . . .	٣٩	٧٩	فانتقمنا منهم وإلهما ليإمام مبين .	٤٨
٥٣	قالوا لا توجل إنا نبشرك بغلام . . .	٣٩	٨٠	ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين .	٤٩
٥٤	قال أبشروني على أن مسنى . . .	٣٩	٨١	وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين .	٤٩
٥٥	قالوا بشركناك بالحق . . .	٤٠	٨٢	وكانوا يئسحتون من الجبال بيوتا . . .	٥٠
٥٦	قال ومن يقنط من رحمة ربه . . .	٤٠	٨٣	فأخذتهم الصيحة مصبحين .	٥٠
٥٧	قال فما خطبكم أيها المرسلون .	٤١	٨٤	فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون .	٥٠
٥٨	قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين .	٤١	٨٥	وما خلقنا السموات والأرض . . .	٥٠
٥٩	إلا آل لوط إنا لمنجؤهم أجمعين .	١١	٨٦	إن ربك هو الخلاق العليم .	٥٠
٦٠	إلا امرأته قدرنا إنها من الغابرين .	٤١	٨٧	ولقد آتيناك سبعا من المثاني . . .	٥١
٦١	فلما جاء آل لوط المرساون .	٤١	٨٨	لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به . . .	٦٠
٦٢	قال إنكم قوم منكرون .	٤١	٨٩	وقل إني أنا النذير المبين .	٦١
٦٣	قالوا بل جئناك بما كانوا . . .	٤١	٩٠	كما أنزلنا على المقتسمين .	٦١
٦٤	وآتيناك بالحق وإنا لصادقون .	٤١	٩١	الذين جعلوا القرآن عضين .	٦١
٦٥	فأسر بأدمك بقطع من الليل . . .	٤١	٩٢	فوربك لنستلهم أجمعين .	٦٦
٦٦	وقضينا إليه ذلك الأمر . . .	٤٢	٩٣	عما كانوا يعملون .	٦٦
٦٧	وجاء أهل المدينة يستبشرون . . .	٤٢	٩٤	فاصدع بما تؤمر . . .	٦٦
٦٨	قال إن هؤلاء ضيفي فلا تمضحون .	٤٣	٩٥	إنا كفيناك المستهزئين .	٦٩
٦٩	واتقوا الله ولا تخزون .	٤٣	٩٦	الذين يجعلون مع الله إلهًا آخر . . .	٦٩
٧٠	قالوا أولم نهك عن العالمين .	٤٣	٩٧	ولقد نعلم أنك يضيق صدرك . . .	٧٣
٧١	قال هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين .	٤٣	٩٨	فسبِّح بحمد ربك . . .	٧٣
٧٢	لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون .	٤٣	٩٩	واعبد ربك حتى يأتيك اليقين .	٧٣

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
				سورة النحل	
١	أتى أمر الله فلا تستعجلوه . . .	٧٥	٢٧	ثم يوم القيامة يُخزِّيهم . . .	٩٨
٢	ينزل الملائكة بالروح من أمره . . .	٧٦	٢٨	الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى . . .	٩٩
٣	خلق السموات والأرض بالحق . . .	٧٨	٢٩	فادخلوا أبواب جهنم خالدين . . .	٩٩
٤	خلق الإنسان من نُطفة . . .	٧٨	٣٠	وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم . . .	٩٩
٥	والأنعام خالقها لکم . . .	٧٨	٣١	جنات عدن يدخلونها . . .	١٠٠
٦	ولکم فیها جمالٌ حین تُریحون . . .	٧٩	٣٢	الذين تتوفاهم الملائكة طيبين . . .	١٠١
٧	وتحملُ أثقالکم إلى بلد . . .	٧٩	٣٣	هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة . . .	١٠٢
٨	والخيلَ والبغالَ والحميرَ لتركبوها . . .	٨١	٣٤	فأصابهم سيئات ما عملوا . . .	١٠٢
٩	وعلى الله قصد السبيل . . .	٨٣	٣٥	وقال الذين أشركوا لو شاء الله . . .	١٠٢
١٠	هو الذى أنزل من السماء ماء . . .	٨٥	٣٦	واقعد بعثنا فى كل أمة رسولا . . .	١٠٣
١١	ينبت لکم به الزرع والزيتون . . .	٨٧	٣٧	إن تحرص على هداهم . . .	١٠٣
١٢	وتختر لکم الليل والنهار . . .	٨٧	٣٨	وأقسموا بالله جهنم أيمانهم . . .	١٠٤
١٣	وما ذرأ لکم فى الأرض . . .	٨٧	٣٩	ليبين لهم الذى يختلفون فيه . . .	١٠٥
١٤	وهو الذى تختر البحر . . .	٨٧	٤٠	إنما قولنا لشيء إذا أردناه . . .	١٠٦
١٥	وألقى فى الأرض رواسى . . .	٨٨	٤١	والذين هاجروا فى الله . . .	١٠٦
١٦	وعلامات وبالنجم هم يهتدون .	٩١	٤٢	الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون .	١٠٨
١٧	أفمن يخلق كمن لا يخلق . . .	٩٢	٤٣	وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا . . .	١٠٨
١٨	وإن تعدوا نعمة الله لا تُحصوها . . .	٩٢	٤٤	باليثبات والزبُر . . .	١٠٩
١٩	والله يعلم ما تُسرّون وما تعانون .	٩٣	٤٥	أفأمن الذين مكروا السيئات . . .	١١١
٢٠	والذين تدعون من دون الله . . .	٩٣	٤٦	أو يأخذهم فى قلوبهم . . .	١١٢
٢١	أمواتٌ غير أحياء . . .	٩٣	٤٧	أو يأخذهم على تخوّف . . .	١١٢
٢٢	والهكم إله واحد . . .	٩٤	٤٨	أولم يروا إلى ما خلق الله . . .	١١٤
٢٣	لا جبرمَ أن الله يعلم . . .	٩٤	٤٩	ولله يسجد ما فى السموات . . .	١١٧
٢٤	وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم . . .	٩٤	٥٠	يخافون ربهم من فوقهم . . .	١١٧
٢٥	ليحملوا أوزارهم كاملة . . .	٩٥	٥١	وقال الله لاتخذوا إلهين اثنين . . .	١١٨
٢٦	قد مكر الذين من قبلهم . . .	٩٦	٥٢	وله ما فى السموات والأرض . . .	١١٨
			٥٣	وما بكم من نعمة فمن الله . . .	١٢٠
			٥٤	ثم إذا كشف الضر عنكم . . .	١٢١

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٥٥	ليكفروا بما آتيناهم . . .	١٢١	٨٣	يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها . . .	١٥٧
٥٦	ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا . . .	١٢٢	٨٤	ويوم نبعث من كل أمة شهيدا . . .	١٥٨
٥٧	ويجعلون لله البنات سبحانه . . .	١٢٣	٨٥	وإذا رأى الذين ظلموا العذاب . . .	١٥٩
٥٨	وإذا بُشِّرَ أحدهم بالأنثى . . .	١٢٣	٨٦	وإذا رأى الذين أشركوا . . .	١٥٩
٥٩	يتواری من القوم من سوء . . .	١٢٤	٨٧	وَأَقْبُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامِ . . .	١٥٩
٦٠	للذين لا يؤمنون بالآخرة . . .	١٢٥	٨٨	الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله . . .	١٦٠
٦١	ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم . . .	١٢٥	٨٩	ويوم نبعث في كل أمة شهيدا . . .	١٦١
٦٢	ويجعلون لله ما يكرهون . . .	١٢٦	٩٠	إن الله يأمر بالعدل والإحسان . . .	١٦٢
٦٣	تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك . . .	١٢٩	٩١	وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم . . .	١٦٣
٦٤	وما أنزلنا عليك الكتاب . . .	١٣٠	٩٢	ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها . . .	١٦٥
٦٥	والله أنزل من السماء ماء . . .	١٣٠	٩٣	ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة . . .	١٦٨
٦٦	وإن لكم في الأنعام لعبرة . . .	١٣٠	٩٤	ولا تتخذوا أيمانكم دخيلا بينكم . . .	١٦٨
٦٧	ومن ثمرات النخيل والأعناب . . .	١٣٣	٩٥	ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا . . .	١٦٩
٦٨	وأوحى ربك إلى النحل . . .	١٣٩	٩٦	ما عندكم يتنهد وما عند الله باق . . .	١٦٩
٦٩	ثم كُتِبَ من كل الثمرات . . .	١٣٩	٩٧	من عمل صالحا من ذكر أو أنثى . . .	١٧٠
٧٠	والله خلقكم ثم يتوفاكم . . .	١٤١	٩٨	فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله . . .	١٧٣
٧١	والله فضل بعضكم على بعض . . .	١٤٢	٩٩	إنه ليس له سلطان . . .	١٧٣
٧٢	والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا . . .	١٤٣	١٠٠	إنما سلطانه على الذين يتولونه . . .	١٧٣
٧٣	ويعبدون من دون الله . . .	١٤٧	١٠١	وإذا بدلنا آية مكان آية . . .	١٧٦
٧٤	فلا تضربوا لله الأمثال . . .	١٤٧	١٠٢	قل نزله روح القدس من ربك . . .	١٧٦
٧٥	ضرب الله مثلا عبدا مملوكا . . .	١٤٨	١٠٣	ولقد نعلم أنهم يقولون . . .	١٧٧
٧٦	وضرب الله مثلا رجلين . . .	١٤٩	١٠٤	إن الذين لا يؤمنون بآيات الله . . .	١٨٠
٧٧	ولله غيب السموات والأرض . . .	١٥١	١٠٥	إنما يفترى الكذب . . .	١٨٠
٧٨	والله أخرجكم من بطون أمهاتكم . . .	١٥٢	١٠٦	من كفر بالله من بعد إيمانه . . .	١٨٠
٧٩	ألم يروا إلى الطير مسخرات . . .	١٥٢	١٠٧	ذلك بأنهم استحسبوا الحياة الدنيا . . .	١٨٢
٨٠	والله جعل لكم من بيوتكم سكنا . . .	١٥٣	١٠٨	أولئك الذين طمّع الله على قلوبهم . . .	١٨٢
٨١	والله جعل لكم مما خلق ظللا . . .	١٥٥	١٠٩	لاجرم أنهم في الآخرة . . .	١٨٢
٨٢	فإن تولّوا فإنما عليك البلاغ المبين .	١٥٧	١١٠	ثم إن ربك للذين هاجروا . . .	١٨٣

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١١١	يوم تأتي كل نفس تجادل . . .	١٨٥	١٢٠	إن إبراهيم كان أمةً قانتا لله . . .	١٩٠
١١٢	وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة . . .	١٨٥	١٢١	شاكرا لأنعمه اجتنابه . . .	١٩٠
١١٣	ولقد جاءهم رسول منهم . . .	١٨٧	١٢٢	وآتيناه في الدنيا حسنة . . .	١٩٢
١١٤	فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا . . .	١٨٧	١٢٣	ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة . . .	١٩٣
١١٥	إنما حرم عليكم الميتة والدم . . .	١٨٨	١٢٤	إنما جعل السبت على الذين . . .	١٩٣
١١٦	ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم . . .	١٨٨	١٢٥	ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة . . .	١٩٤
١١٧	متاع قليل ولهم عذاب أليم . . .	١٨٨	١٢٦	وإن عاقبتهم فعاقبوا . . .	١٩٥
١١٨	وعلى الذين هادوا حرمنا . . .	١٨٩	١٢٧	واصبر وما صبرك إلا بالله . . .	١٩٧
١١٩	ثم إن ربك للذين عملوا السوء . . .	١٩٠	١٢٨	إن الله مع الذين اتقوا . . .	١٩٨
١٢٠	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٠	١٢٩	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٨
١٢١	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٠	١٣٠	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٨
١٢٢	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٠	١٣١	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٨
١٢٣	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٠	١٣٢	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٨
١٢٤	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٠	١٣٣	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٨
١٢٥	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٠	١٣٤	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٨
١٢٦	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٠	١٣٥	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٨
١٢٧	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٠	١٣٦	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٨
١٢٨	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٠	١٣٧	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٨
١٢٩	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٠	١٣٨	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٨
١٣٠	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٠	١٣٩	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٨
١٣١	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٠	١٤٠	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٨
١٣٢	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٠	١٤١	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٨
١٣٣	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٠	١٤٢	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٨
١٣٤	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٠	١٤٣	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٨
١٣٥	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٠	١٤٤	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٨
١٣٦	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٠	١٤٥	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٨
١٣٧	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٠	١٤٦	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٨
١٣٨	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٠	١٤٧	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٨
١٣٩	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٠	١٤٨	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٨
١٤٠	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٠	١٤٩	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٨
١٤١	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٠	١٥٠	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٨
١٤٢	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٠	١٥١	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٨
١٤٣	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٠	١٥٢	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٨
١٤٤	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٠	١٥٣	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٨
١٤٥	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٠	١٥٤	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٨
١٤٦	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٠	١٥٥	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٨
١٤٧	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٠	١٥٦	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٨
١٤٨	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٠	١٥٧	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٨
١٤٩	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٠	١٥٨	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٨
١٥٠	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٠	١٥٩	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٨
١٥١	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٠	١٦٠	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٨
١٥٢	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٠	١٦١	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٨
١٥٣	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٠	١٦٢	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٨
١٥٤	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٠	١٦٣	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٨
١٥٥	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٠	١٦٤	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٨
١٥٦	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٠	١٦٥	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٨
١٥٧	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٠	١٦٦	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٨
١٥٨	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٠	١٦٧	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٨
١٥٩	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٠	١٦٨	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٨
١٦٠	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٠	١٦٩	ولقد جعلنا ليلتنا . . .	١٩٨

٢ - فهرس الموضوعات

الصفحة	الصفحة
٧٥	١
تفسير سورة النحل	تفسير سورة الحجر
٧٧	٢
بيان أن الملك لا ينزل إلا ومعه روح .	تعبير الكفار لمن يدخل النار من المسلمين .
٧٩	٧
فوائد الأنعام .	تأويل قوله « إنا نحن نزلنا الذكر » . . . الآية
٨٢	١٠
الدليل على تحريم لحم الخيل والبغال والحمير .	وبيان المحفوظ أهو النبي أم القرآن ؟ .
٨٨	١٠
الدليل على أن الحلي لا صدقة فيه .	الآيات مهما باغت في الظهور لا تنفع عند
٩٦	إقفال الله القلوب .
٩٦	١٤
قصة نمرود .	تأويل قوله « ولقد جعلنا في السماء بروجا » .
١٠٤	١٤
تأويل قوله « وأقسموا بالله جهد أيمانهم »	انقطاع الشياطين عن استراق السمع .
. . . الآية ، وبيان من أقسم .	١٩
١١٨	بيان أنه ليس عام أمطر من عام .
تأويل قوله « وله ما في السموات والأرض »	٢٣
. . . الآية ، ومعنى الواصب .	تأويل قوله « ولقد علمنا المستقدمين » . . . الآية
١٢٣	٢٧
ما كان يعتقد المشركون من أن الملائكة	كيفية خاق آدم .
بنات الله مع كراهتهم للبنات .	٣٠
١٢٦	كيفية خاق الجان .
تأويل قوله « ويجعلون لله ما يكرهون » .	٣٦
١٢٨	تأويل قوله « إن المتقين في جنات وعيون »
الشواهد على معنى الإفراط الآية .
١٣١	٣٩
تأويل قوله « وإن لكم في الأنعام » ، والشواهد	دخول الملائكة على إبراهيم وبشارتهم له .
على ما فيها من المباحث اللغوية .	٤٧
١٣٣	مدينة سدوم كانت باقية يراها المجتاز بها .
تأويل قوله « ومن ثمرات النخيل » . . .	٤٨
وبيان أنها نزلت قبل تحريم الخمر .	أصحاب الأيكة وما تم لهم .
١٣٩	٤٩
ما في العسل والنحل من الآيات والعبر .	أصحاب الحجر هم ثمود .
١٤٢	٥٠
تأويل قوله « والله فضل بعضكم » . . . الآية	تأويل قوله (وما خلقنا السموات والأرض »
وبيان ما رد به على النصارى الآية .
١٤٣	٥١
معنى البنين والحفدة .	الخلاف في معنى السبع المثاني .
١٥٢	٦٠
تأويل قوله « ألم يروا إلى الطير » ، والشواهد	ما نهى عنه النبي من تطلعه لزينة الدنيا .
على معنى الجوّ .	٦٣
	الصواب في المراد بالمقتسمين .
	٦٩
	المستهزئون بالنبي وكيف فعل بهم .

الصفحة

الصفحة

- ١٨١ ما فعله المشركون بعمار بن ياسر وفعله معهم .
- ١٨٣ ما حصل بين المشركين ، وبين من أراد الهجرة من المؤمنين .
- ١٨٥ تأويل قوله « وضرب الله مثلا قرية »
وبيان أن القرية مكة أو المدينة .
- ١٩١ ما ورد في فضل معاذ بن جبل .
- ١٩٣ خلاف اليهود والنصارى في أفضل الأيام .

- ١٥٣ يخاطب الله العرب بحسب ما تعرف .
- ١٦٤ تأويل قوله « وأوفوا بعهد الله » .
- ١٦٥ الصواب في المراد منه .
- ١٦٥ خبر الحمقاء التي كانت بمكة ، وضرب الله بفعلها المثل .
- ١٧٠ تأويل قوله « من عمل صالحا » . الآية ،
وبيان الحياة الطيبة الموعود بها .
- ١٧٤ من استعاذ من الشيطان سَلِمَ من شره .
- ١٧٧ من كان يتردد على النبي صلى الله عليه وسلم من العجم وادعى المشركون أنه يعلم النبي .

٣ - فهرس القوافي

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
١٦٧	العَشْرِي				
١١٠	بالنَّارِ				
٦	عَوْرِي	١٣١	والكَتَدُ	٦٥	بِالْمَعْضَى
٦٥	فَغَيْرَا	١٣١	وَبَرْدُ		
١٣٨	سُكْرَا	١١٠	عَضْدُ	١١٨	وَاصِبُ
٩٠	صَوْرَا	١٤٧	حَفْدُوا	٢٢	وَأَخَاطِبُهُ
٩٠	بَوْرَا	٨٣	الْقَاصِدِ	٢٢	وَمَلَاعِبُهُ
١٢١	وَصَارَا	١٧٩	الْمُلْحِدِ	٢١	الْكَوَاكِبِ
١٢١	جُوَارَا	١٢٨	لِوَرَادِ	٩	عَصِيبِ
		١٣٢	سَوَادِي	١٥٢	مَطْلُوبِ
		٩	الشُّرْدَا	٨١	وَدُؤُوبِ
	س			١١٨	وَاصِبَا
١١٧	الجَوَامِيسِ			١١٠	الْمُتَعَيَّبَا
	ع	١٣	يَسْكُرُ		
٦٧	وَيَصْدَعُ	١٣	الْقَسْبُ		ث
	ف	١٣	تَظْهَرُ	١٥٤	الْأَثَاثِ
		١٣	تَسْكُرُ		ح
١٣٣	مُسَاعِفُ	١٣٨	تَسْكُرُ	١٩٨	وَفَسَّحُ
	ق	١١٩	الصَّفِيرُ	٤٨	الجَوَانِحُ
١٩	التَّوَاقُ	١٢٤	حَافِرُهُ	٨٠	سَارِحُ
٨٥	المَسَاقُ	٢	المِهَارُ	٢١	الطَّوَائِحُ
١٨	المُحْرِقُ	١١٦	جُحْرُ	١٣٢	الوَاضِحِ
		١٢٠	لِلصَّبْرِ		

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
	ن		م	٨١	شِقًا
١١٣	السِّفَنُ	١٠٦	فَيُعْجِمُهُ		ل
١٥٧	يَلِينِي	١١٧	الضَّرَاغِمِ	١١٣	صَلِيلُ
١٣٣	الْمُتَوَانِي	١٨٦	بَأَنْعَمِ	١٣٢	حَوَاصِلُهُ
١٦٩	النَّعْلَانِ	١١	سَأَمِ	١٣١	هِلَالِ
١٨٠	تَحِينَنَا	٦٩	نَادِمًا	٨٧	الأَجْمَالِ
١٣٢	وَتَنْتَجُونَهُ	٦٥	زَمَزَمَةً	١٤٦، ١٤٤	الأَجْمَالِ
	٨١١				
	٢٢				
	٢٢				
	١٢				
	٤				
	٢٥١				
	١٨				
	٨١١				
	١١١				
	٣٥١				
	٨٥١				
	٨٣				
	١٨				
	١٢				
	٢٥١				

٤ - فهرس الأحاديث

الصفحة	مطلع الحديث	الصفحة	مطلع الحديث
٥٨	الركعتان اللتان لا يقرأ فيها...	٤٦	اتقوا فراسة المؤمن فإن المؤمن ينظر...
٥٩	الركعة التي لا يقرأ فيها كالحداج...	٤٦	اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر...
٢٢	الريح الجنوب من الجنة...	٥٩	أحب أن أعلمك سورة...
٣٩	طلع علينا رسول الله ﷺ من الباب...	٤٧	احذروا فراسة المؤمن...
٥٩	لأعلمنك أعظم سورة في القرآن...	١٨٢	أخذ المشركون عمار بن ياسر...
١٩٦	لئن ظهرنا عليهم لتمثلن بثلاثين...	١٤١	أذهب فاسق أخاك عسلاً...
٥٠	لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم...	٥٨	ألا أعلمك سورة...
٣٩	لويلعلم العبد قدر عفو الله...	٧٥، ٧٤	أما هو فقد جاءه اليقين...
٦٠	ليس منا من لم يتغنّ بالقرآن.	٥٨	أم القرآن السبع المثاني...
١٥٥	ما أوتيتم من علم فنجاكم به من النار...	١٥	أنا نبي الرحمة ونبي الملحمة...
٥٠	هؤلاء قوم صالح أهلكهم الله...	٥٨	أن رسول الله ﷺ قال له...
٥٩	هي أم القرآن، وهي فاتحة الكتاب...	٥٩	أن النبي ﷺ دعاه، وهو يصلي...
٥٨	هي حسبك، هي أم القرآن...		أن نبي الله ﷺ لما نزلت هذه الآية
٥٨	هي السبع المثاني والقرآن العظيم...	١٩٩	ادع إلى سبيل ربك قال: بل نصبر.
٥٩	هي فاتحة الكتاب وهي السبع المثاني...	٤٦	ان لله عبادة يعرفون الناس...
٥٩	والذي نفسي بيده ما أنزلت...	٥٨	إني أحب أن أعلمك سورة...
٥٩	والذي نفسي بيده، ما أنزل الله...	٣٩	إني لما خرجت جاء جبريل فقال...
٧٤	وما يدريك أن الله أكرمه؟	٩٦	أيا داع دعا إلى ضلالة فاتبع...
٣٧	يخلص المؤمنون من النار...	١٤١	جاء رجل إلى النبي ﷺ...

الصفحة	التافية	الصفحة	التافية	الصفحة	التافية
	ن		ل	٨١	نقياً
١١٢	السَّمِينُ	١٠٦	سَيِّدُكُمْ		
١٥٧	يَتَّقِينَ	١٢٧	الْقِسْرِ	١١٢	سَلِيلٌ
١٢٣	الْمُسَوِّينِ	١٨٦	بِأَسْمِ	١٢٢	حَوَاصِلُهُ
	السَّعْلَانِ	تحققها	تَيَمُّنًا		تحققها
	... يَلْفَتِي نَهْمًا نَابَةً نَهْمًا قَسَلًا أَيْقَا	١١	سَلَامًا	١٢٤	سَلَالٌ
	تَحِيْرًا ... يَلْفَتِي نَهْمًا نَهْمًا قَسَلًا أَيْقَا	٢٣	سَلَامًا		٨٥
	وَتَسْتَجِيبُ لَهُ ... قَرِيْبُهُ سَلْمَةً أَيْقَا	٢٤	سَلَامًا		٢٥
	... نَهْمًا نَهْمًا أَيْقَا	٢٥	سَلَامًا		٢٦
	... سَلَامًا أَيْقَا	٧٣	سَلَامًا		٢٧
	... سَلَامًا أَيْقَا	٢٨١	سَلَامًا		٢٨
	... سَلَامًا أَيْقَا	١٢١	سَلَامًا		٢٩
	... قَرِيْبُهُ سَلْمَةً أَيْقَا	٨٥	سَلَامًا		٣٠
	... نَهْمًا نَهْمًا أَيْقَا	٣٧ و ٥٧	سَلَامًا		٣١
	... نَهْمًا نَهْمًا أَيْقَا	٨٥	سَلَامًا		٣٢
	... قَسَلًا أَيْقَا	٥١	سَلَامًا		٣٣
	... سَلَامًا أَيْقَا	٨٥	سَلَامًا		٣٤
	... سَلَامًا أَيْقَا	٢٥	سَلَامًا		٣٥
	... سَلَامًا أَيْقَا	٢٢١	سَلَامًا		٣٦
	... سَلَامًا أَيْقَا	٢٣	سَلَامًا		٣٧
	... قَرِيْبُهُ سَلْمَةً أَيْقَا	٨٥	سَلَامًا		٣٨
	... سَلَامًا أَيْقَا	٢٢	سَلَامًا		٣٩
	... سَلَامًا أَيْقَا	٢٢	سَلَامًا		٤٠
	... سَلَامًا أَيْقَا	١٣١	سَلَامًا		٤١

(١٥) سِنُورَةُ الْخَيْرِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّانَهَا تَسْبَعُ وَتَسْبَعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

الرَّتِّكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٥﴾

❦ أما قوله جل ثناؤه ، وتقدّست أسماؤه (الرّ) ، فقد تقدم بيانها فيما مضى قبل . وأما قوله (تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ) فإنه يعني : هذه الآيات ، آيات الكتب التي كانت قبل القرآن كالتوراة والإنجيل (وَقُرْءَانٍ) يقول : وآيات قرآن (مُّبِينٍ) يقول : يُبِين من تأمله وتدبّره رشده وهداه . كما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ) قال : تبين والله هداه ورشده وخيره .

حدثنا المنثي ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن مجاهد (الرّ) فواتح يفتح بها كلامه (تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ) قال : التوراة والإنجيل .

حدثني المنثي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، عن عمرو ، عن سعيد ، عن قتادة ، في قوله (الرّ) تلك آيات الكتاب) قال : الكتب التي كانت قبل القرآن .

القول في تأويل قوله تعالى :

رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿١٦﴾

اختلفت القراء في قراءة قوله (رُبَّمَا) فقراءت ذلك عامة قراء أهل المدينة وبعض الكوفيين (رُبَّمَا) بتخفيف الباء ، وقراءته عامة قراء الكوفة والبصرة بتشديد الباء .

❦ والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال : إنهما قراءتان مشهورتان ، ولغتان معروفتان بمعنى واحد ، قد قرأ بكل واحد منهما أئمة من القراء ، فبأيهما قرأ القارى فهو مصيب .

واختلف أهل العربية في معنى « ما » التي مع « رب » ، فقال بعض نحوي البصرة: أدخل مع رب « ما » ليتكلم بالفعل بعدها ، وإن شئت جعلت « ما » بمنزلة شيء ، فكأنك قلت : رب شيء ، يود : أي رب يود يوده الذين كفروا . وقد أنكر ذلك من قوله بعض نحوي الكوفة . وقال : المصدر لا يحتاج إلى عائذ ، والود قد وقع على « لو » ، ربما يودون لو كانوا : أن يكونوا ، قال : وإذا أضمر الهاء في « لو » فليس بمفعول ، وهو موضع المفعول ، ولا ينبغي أن يترجم المصدر بشيء ، وقد ترجمه بشيء ، ثم جعله وداً ، ثم أعاد عليه عائداً ، فكان الكسائي والفرّاء يقولان : لا تكاد العرب توقع « رب » على مستقبل ، وإنما يوقعونها على الماضي من الفعل كقولهم : ربما فعلت كذا ، وربما جاءني أخوك ، قالا : وجاء في القرآن مع المستقبل : ربما يود ، وإنما جاز ذلك لأن ما كان في القرآن من وعد ووعد وما فيه ، فهو حق ، كأنه عيان فجرى الكلام فيما لم يكن بعد منه مجراه فيما كان ، كما قيل (وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ) وقوله (وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزَعُوا قُلُوبًا فَمَوْتَ) كأنه ماض وهو منتظر لصدقه في المعنى ، وأنه لا مكذب له ، وأن القائل لا يقول إذا نهى أو أمر فعصاه المأمور يقول : أما والله لرب ندامة لك تذكر قولي فيها لعلمه بأنه سيندم ، والله ووعدده أصدق من قول المخلوقين . وقد يجوز أن يصحب ربما الدائم وإن كان في لفظ يفعل ، يقال : ربما يموت الرجل فلا يوجد له كفن ، وإن أوليت الأسماء كان معها ضمير كان ، كما قال أبو دواد :

رُبَّمَا الْجَامِلُ الْمُؤَبَّلُ فِيهِمْ وَعِنَّا جِيجُ بَيْنَهُنَّ الْمِهَارُ

فتأويل الكلام : ربما يود الذين كفروا بالله فيجحدوا وحدانيتهم لو كانوا في دار الدنيا مسلمين . كما حدثنا علي بن سعيد بن مسروق الكندي ، قال : ثنا خالد بن نافع الأشعري ، عن سعيد بن أبي بردة ، عن أبي بردة ، عن أبي موسى ، قال : بلغنا أنه إذا كان يوم القيامة ، واجتمع أهل النار في النار ومعهم من شاء الله من أهل القبلة ، قال الكفار : لمن في النار من أهل القبلة : أستم مسلمين ؟ قالوا : بلى ، قالوا : فما أغنى عنكم إسلامكم ، وقد صرتم معنا في النار ؟ قالوا : كانت لنا ذنوب ، فأخذنا بها ، فسمع الله ما قالوا ، فأمر بكل من كان من أهل القبلة في النار فأخرجوا ، فقال من في النار من الكفار : يا ليتنا كنا مسلمين ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (الرّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ ، رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ) .

(١) البيت لأبي دواد الإيادي (خزائن الأدب ٤ : ١٨٨) وهو شاهد على أن رب المكفوفة بما لا تدخل إلا على الفعل عند سيبويه ، وهذا البيت شاذ عنده ، لدخول رب المكفوفة فيه على الجملة الاسمية ، فإن الجامل مبتدأ والمؤبل صفة وفيهم هو الخبر . وتكون رب كما قال أبو حيان من حروف الابتداء ، تدخل على الجملة فعلية أو اسمية للقصد إلى تقليل النسبة المفهومة من الجملة ، فإذا قلت : ربما قام زيد فكأنك قلت النسبة المفهومة من قيام زيد . وكذلك إذا قلت ربما زيد شاعر ، قلت نسبة شعر زيد . وعن بعضهم أن رب المكفوفة نقلت من معنى التقليل إلى معنى التحقيق ، كما نقلت قد الداخلة على المضارع في نحو قوله تعالى « قد يعلم ما أنتم عليه » من معنى التقليل إلى معنى التحقيق . ودخولها على الجملة الاسمية مذهب المبرد والزنجشري وابن مالك . والجامل : الجماعة من الإبل ، لا واحد لها من لفظها . ويقال إبل مؤبلة : إذا كانت للقتية . والعناجيج : الخيل الطوال الأعناق . واحدها : عنجوج . والمهار : جمع مهر ، وهو ولد الفرس ، والأنثى مهرة .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عمرو بن الهيثم أبو قطن القطعي ، وروح القيسي ، وعفان بن مسلم واللفظ لأبي قطن ، قالوا : ثنا القاسم بن الفضل بن عبد الله بن أبي جريرة ، قال : كان ابن عباس وأنس ابن مالك يتأولان هذه الآية (رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوُ كَانُوا مُسْلِمِينَ) قالوا : ذلك يوم يجمع الله أهل الخطايا من المسلمين والمشركين في النار . وقال عفان : حين يحبس أهل الخطايا من المسلمين والمشركين ، فيقول المشركون : ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون ، زاد أبو قطن : قد جمعنا وإياكم ؛ وقال أبو قطن وعفان : فيغضب الله لهم بفضل رحمته ، ولم يقله روح بن عبادة ، وقالوا جميعا : فيخرجهم الله ، وذلك حين يقول الله (رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوُ كَانُوا مُسْلِمِينَ) .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا أبو عوانة ، قال : ثنا عطاء بن السائب ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، في قوله (رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوُ كَانُوا مُسْلِمِينَ) قال : يدخل الجنة ويرحم حتى يقول في آخر : ذلك من كان مسلما فليدخل الجنة ، قال : فذلك قوله (رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوُ كَانُوا مُسْلِمِينَ) .

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله (رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوُ كَانُوا مُسْلِمِينَ) ذلك يوم القيامة يتمنى الذين كفروا لو كانوا موحدين . حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان عن سلمة بن كهيل ، عن أبي الزعراء ، عن عبد الله ، في قوله (رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوُ كَانُوا مُسْلِمِينَ) قال : هذا في الجهنمين إذ رأوهم يخرجون من النار .

حدثني المثني ، قال : أخبرنا مسلم بن إبراهيم ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا ابن أبي فروة العبدى أن ابن عباس وأنس بن مالك كانا يتأولان هذه الآية (رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوُ كَانُوا مُسْلِمِينَ) يتأولانها يوم يحبس الله أهل الخطايا من المسلمين مع المشركين في النار ، قال : فيقول لهم المشركون : ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون في الدنيا ، قال : فيغضب الله لهم بفضل رحمته ، فيخرجهم ، فذلك حين يقول (رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوُ كَانُوا مُسْلِمِينَ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء بن السائب ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : ما يزال الله يدخل الجنة ، ويرحم ويشفع حتى يقول : من كان من المسلمين ، فليدخل الجنة ، فذلك قوله (رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوُ كَانُوا مُسْلِمِينَ) .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا بن علي ، عن هشام الدستوائي ، قال : ثنا حماد ، قال : سألت إبراهيم عن هذه الآية (رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوُ كَانُوا مُسْلِمِينَ) قال : حدثت أن المشركين قالوا لمن دخل النار من المسلمين : ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون ، قال : فيغضب الله لهم ، فيقول للملائكة والنبیین اشفعوا ، فيشفعون ، فيخرجون من النار ، حتى إن إبليس ليتناول رجاء أن يخرج معهم ، قال : فعند ذلك يودّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين .

حدثني المثنى ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنا حماد ، عن إبراهيم ، أنه قال في قول الله عز وجل :
(رَبِّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ) قال : يقول من في النار من المشركين للمسلمين :
ما أغنت عنكم « لا إله إلا الله » قال : فيغضب الله لهم ، فيقول : من كان مسلماً فليخرج من النار ؛ قال :
فعند ذلك (يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن حماد ، عن إبراهيم في قوله
(رَبِّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ) قال : إن أهل النار يقولون : كنا أهل شرك وكفر ،
فما شأن هؤلاء الموحدين ما أغنى عنهم عبادتهم إياه ، قال : فيخرج من النار من كان فيها من المسلمين ،
قال : فعند ذلك (يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن حماد ، عن إبراهيم ،
عن خصيف ، عن مجاهد ، قال : يقول أهل النار للموحدين : ما أغنى عنكم إيمانكم ، قال : فإذا قالوا
ذلك ، قال : أخرجوا من كان في قلبه مثقال ذرة ، فعند ذلك (يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ)

حدثني المثنى ، قال : ثنا مسلم ، قال : ثنا هشام ، عن حماد ، قال : سألت إبراهيم ، عن قول الله عز
وجل (رَبِّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ) قال : الكفار يعيرون أهل التوحيد : ما أغنى
عنكم لا إله إلا الله ، فيغضب الله لهم ، فيأمر النبيين والملائكة فيشفعون ، فيخرج أهل التوحيد ، حتى إن
إبليس ليتناول ، رجاء أن يخرج ، فذلك قوله (رَبِّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ) .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عبد السلام ، عن خصيف ، عن مجاهد ، قال : هذا
في الجهنميين إذا رأوهم يخرجون من النار (يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد ، عن عطاء بن السائب ، عن مجاهد ،
قال : إذا فرغ الله من القضاء بين خلقه ، قال : من كان مسلماً فليدخل الجنة ، فعند ذلك (يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن
قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني الحسن ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا
أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (رَبِّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ) قال : يوم القيامة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن جويبر ، عن الضحاك في قوله (رَبِّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ) قال : فيها وجهان اثنان ، يقولون : إذا حضر الكافر الموت
ود لو كان مسلماً . ويقول آخرون : بل يعذب الله ناساً من أهل التوحيد في النار بذنوبهم ، فيعرفهم

المشركون فيقولون : ما أغنت عنكم عبادة ربكم ، وقد ألقاكم في النار ، فيغضب لهم فيخرجهم ، فيقول (رَبِّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوُ كَانُوا مُسْلِمِينَ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، في قوله (رَبِّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوُ كَانُوا مُسْلِمِينَ) قال : نزلت في الذين يخرجون من النار .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (رَبِّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوُ كَانُوا مُسْلِمِينَ) وذلك والله يوم القيامة ، ودوا لو كانوا في الدنيا مسلمين .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (رَبِّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوُ كَانُوا مُسْلِمِينَ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : ما يزال الله يدخل الجنة ويشفع حتى يقول : من كان من المسلمين فليدخل الجنة ، فذلك حين يقول (رَبِّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوُ كَانُوا مُسْلِمِينَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

ذُرِّهِمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَبِلَهْمِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٤﴾

❖❖ يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : ذر يا محمد هؤلاء المشركين يأكلوا في هذه الدنيا ما هم آكلوه ، ويتمتعوا من لذاتها وشهواتهم فيها إلى أجلهم الذي أجلت لهم ، ويلههم الأمل عن الأخذ بحظهم من طاعة الله فيها ، وتزودهم لمعادهم منها بما يقربهم من ربهم ، فسوف يعلمون غدا إذا وردوا عليه ، وقد هلكوا على كفرهم بالله وشركهم حين يُعَايِنُونَ عَذَابَ اللَّهِ أَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ تَمَتُّعِهِمْ بِمَا كَانُوا يَتَمَتَّعُونَ فِيهَا مِنَ اللَّذَاتِ وَالشَّهَوَاتِ كَانُوا فِي خَسَارٍ وَتَبَابٍ .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴿٥﴾

❖❖ يقول تعالى ذكره (وَمَا أَهْلَكْنَا) يا محمد (مِنْ) أهل (قَرْيَةٍ) من أهل القرى التي أهلكنا أهلها فيما مضى (إِلَّا) وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ) يقول : إلا ولها أجل مؤقت ومدة معروفة ، لانهاكهم حتى يبلغوها ، فإذا بلغوها أهلكناهم عند ذلك ، فيقول لنبية محمد صلى الله عليه وسلم ، فكذاك أهل قريتك التي أنت منها وهي مكة ، لانهاك مشركي أهلها إلا بعد بلوغ كتابهم أجله ، لأن من قضائي أن لأهلك أهل قرية إلا بعد بلوغ كتابهم أجله .

(١) أي بمثل حديث بشر قبله ، لأن كلا الإسنادين ينتهي إلى قتادة .

القول في تأويل قوله تعالى :

مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴿٦﴾

❖ يقول تعالى ذكره : ما يتقدم هلاك أمة قبل أجلها الذي جعله الله أجلا لها ، ولا يستأخر هلاكها عن الأجل الذي جعل لها أجلا .

كما حدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ، في قوله (ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون) قال : نرى أنه إذا حضر أجله ، فإنه لا يؤخر ساعة ولا يقدم . وأما ما لم يحضر أجله ، فإن الله يؤخر ما شاء ويقدم ما شاء .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٧﴾ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ

الصَّادِقِينَ ﴿٧﴾

❖ يقول تعالى ذكره : وقال هؤلاء المشركون لك من قومك يا محمد (يا أيها الذي نزل عليه الذكر) وهو القرآن الذي ذكر الله فيه مواضع خلقه (إنك لمجنون) في دعائك إيانا إلى أن نتبعك ، ونذر آهتنا (لو ما تأتينا بالملائكة) قالوا : هلا تأتينا بالملائكة شاهدة لك على صدق ما تقول ؟ (إن كنت من الصادقين) يعني : إن كنت صادقاً في أن الله تعالى بعثك إلينا رسولا ، وأنزل عليك كتابا ، فإن الرب الذي فعل ما تقول بك ، لا يتعذر عليه إرسال ملك من ملائكته معك حجة لك علينا ، وآية لك على نبوتك ، وصدق مقالتك ؛ والعرب تضع موضع لوما : لولا ، وموضع لولا : لوما ، من ذلك قول ابن مقبل :

لَوْ مَا الْحَيَاءُ وَلَوْ مَا الدِّينُ عِبْتُكُمْ بِيَعْضِ مَا فِيكُمْ إِذْ عِبْتُمَا عَوْرِي ۱

يريد : لولا الحياء .

وبنحو الذي قلنا في معنى الذكر ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن جوير ، عن الضحاك (نزل عليه الذكر) قال : القرآن .

القول في تأويل قوله تعالى :

مَا نُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذْ مُنْظَرِينَ ﴿٨﴾

(١) البيت لابن مقبل من كلمة له ، من أولها أبيات في الحماسة (٤ : ١١٣) وهو شاهد على أن (لوما) تستعمل بمعنى لولا : في امتناع الشيء لوجود غيره ، وهي في الآية : بمعنى التحضيض . قال أبو عبيدة في معاني القرآن : « لوما » مجازها ومجاز « لولا » واحد ، واستشهد ببيت ابن مقبل . وعنه أخذه المؤلف .

اختلفت القراء في قراءة قوله (ما نُـنـزِّلُ الْمَلَائِكَةَ) فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة (ما تـنـزِّلُ الْمَلَائِكَةَ) بالتاء من تـنـزِّلُ وفتحها ورفع الملائكة ، بمعنى : ما تنزل الملائكة ، على أن الفعل للملائكة . وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة (ما نُـنـزِّلُ الْمَلَائِكَةَ) بالنون في نزل وتشديد الزاي ونصب الملائكة ، بمعنى : ما ننزلها نحن ، والملائكة حينئذ منصوب بوقوع نزل عليها . وقرأه بعض قراء أهل الكوفة (ما تـنـزِّلُ الْمَلَائِكَةَ) برفع الملائكة والتاء في نزل وضمها ، على وجه ما لم يسم فاعله .

❦ قال أبو جعفر : وكل هذه القراءات الثلاث متقاربات المعاني ، وذلك أن الملائكة إذا نزلها الله على رسول من رسله ، تنزلت إليه ، وإذا تنزلت إليه ، فإنما تنزل بإنزال الله إياها إليه ، فبأى هذه القراءات الثلاث قرأ ذلك القارئ فحسب الصواب في ذلك ، وإن كنت أحب لقارئه أن لا يعدو في قراءته إحدى القراءتين اللتين ذكرت من قراءة أهل المدينة ، والأخرى التي عليها جمهور قراء الكوفيين ، لأن ذلك هو القراءة المعروفة في العامة ، والأخرى : أعنى قراءة من قرأ ذلك (ما تُـنـزِّلُ) بضم التاء من نزل ورفع الملائكة شاذة قليل من قرأ بها .

فتأويل الكلام : ما ننزل ملائكتنا إلا بالحق ، يعني بالرسالة إلى رسلنا ، أو بالعذاب لمن أردنا تعذيبه ، ولو أرسلنا إلى هؤلاء المشركين على ما يسألون إرسلناهم معك آية فكفروا لم ينظروا فيؤخروا بالعذاب ، بل عوجلوا به كما فعلنا ذلك بمن قبلهم من الأمم حين سألوا الآيات فكفروا حين أتتهم الآيات ، فعاجلناهم بالعقوبة وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله (ما نُـنـزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن . قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل جميعا ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد ، في قوله (ما نُـنـزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ) قال : بالرسالة والعذاب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٠١﴾

❦ يقول تعالى ذكره (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ) وهو القرآن (وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) قال : وإنا للقرآن لحافظون من أن يزداد فيه باطل مما ليس منه ، أو ينقص منه ما هو منه من أحكامه وحدوده وفرائضه ، والهاء في قوله (لَهُ) من ذكر الذكر . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني الحسن ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) قال : عندنا . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّا لَنَحْنُ نُنَزِّلُهَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) قال في آية أخرى (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ) والباطل : إبليس (مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِإْتَابَ) فأنزله الله ثم حفظه ، فلا يستطيع إبليس أن يزيد فيه باطلا ولا ينقص منه حقا ، حفظه الله من ذلك .

حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) قال : حفظه الله من أن يزيد فيه الشيطان باطلا ، أو ينقص منه حقا ، وقيل : الهاء في قوله (وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم بمعنى : وإنا لمحمد حافظون ممن أراد به سوء من أعدائه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيْعِ الْأَوَّلِينَ ﴿١١﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٢﴾

❖ يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : ولقد أرسلنا يا محمد من قبلك في الأمم الأولين رسلا ، وترك ذكر الرسل اكتفاء بدلالة قوله (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ) عليه ، وعنى بشيْع الأولين : أمم الأولين : واحدها شيعة ، ويقال أيضا لأولياء الرجل : شيعته . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيْعِ الْأَوَّلِينَ) يقول : أمم الأولين . حدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، عن عمرو ، عن سعيد ، عن قتادة ، في قوله (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيْعِ الْأَوَّلِينَ) قال : في الأمم . وقوله (وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ) يقول : وما يأتي شيْع الأولين من رسول من الله يرسله إليهم بالدعاء إلى توحيدهم ، والإذعان بطاعته ، إلا كانوا به يستهزءون : يقول : إلا كانوا يستخرون بالرسول الذي يرسله الله إليهم عتوا منهم ، وتمردوا على ربهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

كَذَلِكَ نَسَلُكُمْ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٦﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾

يقول تعالى ذكره : كما ساكننا الكفر في قلوب شيع الأولين بالاستهزاء بالرسول ، كذلك نفعل ذلك في قلوب مشركي قومك الذين أجرموا بالكفر بالله (لا يؤمنون به) يقول : لا يصدقون بالذكر الذي أنزل إليك ، والهاء في قوله (نَسَلُكُمْ) من ذكر الاستهزاء بالرسول والتكذيب بهم .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حماد ، عن ابن جريج (كذلك نَسَلُكُمْ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ) قال : التكذيب .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (كذلك نَسَلُكُمْ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ) لا يؤمنون به ، قال : إذا كذبوا سلك الله في قلوبهم أن لا يؤمنوا به .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن حميد ، عن الحسن ، في قوله (كذلك نَسَلُكُمْ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ) قال : الشرك .

حدثني المثنى ، قال : ثنا حماد بن المنهال ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن حميد ، قال : قرأت القرآن كله على الحسن في بيت أبي خليفة ، ففسره أجمع على الإثبات ، فسألته عن قوله (كذلك نَسَلُكُمْ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ) قال : أعمال سيعملونها لم يعملونها .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك عن حماد بن سلمة ، عن حميد الطويل ، قال : قرأت القرآن كله على الحسن ، فما كان يفسره إلا على الإثبات ، قال : وقفته على نسائك ، قال : الشرك . قال ابن المبارك : سمعت سفيان يقول في قوله (نَسَلُكُمْ) قال : نجعله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (كذلك نَسَلُكُمْ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ) قال : هم كما قال الله ، هو أضلهم ومنعهم الإيمان ، يقال منه : ساكه يسلكه ساكا وصلوكا ، وأسلكه يسلكه إسلاكا ، ومن السالك قول عدى بن زيد :

وكننت ليزاز خصمك لم أعرد
وقد سلكوك في يوم عاصيب

ومن الإسلاك قول الآخر :

حتى إذا أسلكوهم في قتائده
شلا كما تطرد الجمالة الشردا

(١) البيت لعدى بن زيد العبادي ، وقد تقدم استشهد المالف به عند قوله تعالى في سورة هود « وقال هذا يوم عاصيب » فراجع في الجزء الثاني عشر صفحة ٨٢ . والشاهد فيه هنا : أنه اشتق ساكوك من المصدر الثلاثي (السلك) .

(٢) البيت لعبد مناف بن ربيعي الهذلي (اللسان : جمل) . استشهد به المؤلف على أن « أسلكوهم » بالهمزة في أوله لغة مثل ملكوهم ، التي وردت في البيت السابق من شعر عدى بن زيد . والبيت أيضا في (خزنة الأدب للبغدادى ٣ : ١٧٠) شاهد على أن ج اب إذا عند الرضى شارح كافية ابن الحاجب محذوف لتفخيم الأمر ، والتقدير : بلغوا أمهم ، أو أدركوا ما أحبوا ونحو ذلك . وقيل فيه وجهان آخران . قال البغدادى وأسلك : لغة في سلك ، يقال أسلكت الشيء في الشيء . مثل سلكته فيه ، بمعنى أدخلته فيه . وقتائده : ثنية ، وقال البكري : جبل بين المنصرف والروحاء . والشل : الطرد . والجمالة : فاعل تطرد ، وهم أصحاب الجمال ، كما يقال الجمارة لأصحاب الحمير . والشرد : جمع شرود ، أي من الجمال .

وقوله (وَقَدْ خَلَّتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ) يقول تعالى ذكره : لا يؤمن بهذا القرآن قومه الذين ساكت في قلوبهم التكذيب (حتى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ) أخذوا منهم سنة أسلافهم من المشركين قبلهم من قوم عاد وثمود وضرباً لهم من الأمم التي كذبت رسلها ، فلم تؤمن بما جاءها من عند الله حتى حلّ بها سخط الله فهلكت .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (كَذَلِكَ نَسَلُّكَ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ ، وَقَدْ خَلَّتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ) وقائع الله فيمن خلا قبلكم من الأمم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾

اختلف أهل التأويل في المعنيين بقوله (فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ) فقال بعضهم : معنى الكلام : واو فتحنا على هؤلاء القائلين لك يا محمد (لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) بابا من السماء فظلت الملائكة تعرج فيه ، وهم يرونهم عيانا (لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ) .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ) يقول : او فتحنا عليهم بابا من السماء ، فظلت الملائكة تعرج فيه ، لقال أهل الشرك : إنما أخذ أبصارنا ، وشبهه علينا ، وإنما مسحورنا ، فذلك قولهم (لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن ابن عباس (فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ) فظلت الملائكة يعرجون فيه يراهم بنو آدم عيانا (لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ) حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ) لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) . قال : ما بين ذلك إلى قوله (وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ) قال : رجع إلى قواه (لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ) ما بين ذلك ، قال ابن جريج ، قال ابن عباس : فظلت الملائكة تعرج .

فنظروا إليهم (لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا) قال : قریش قواه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ)

بابا من السماء فظلموا فيه يعرجون) قال : قال ابن عباس : لو فتح الله عليهم من السماء بابا فظلمت الملائكة تعرج فيه ، يقول : يختلفون فيه جائين وذاهبين (لقالوا إنما سكرت أبصارنا) .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (ولم يفتحنا عليهم بابا من السماء فظلموا فيه يعرجون) يعني : الملائكة : يقول : لو فتحت على المشركين بابا من السماء ، فنظروا إلى الملائكة تعرج بين السماء والأرض ، لقال المشركون (نحن قوم مسحورون) سحرنا وليس هذا بالحق ، ألا ترى أنهم قالوا قبل هذه الآية : (لوما تأتينا بالملائكة إن كُنْت من الصادقين) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، عن عمر ، عن نصر ، عن الضحاك ، في قوله (ولم يفتحنا عليهم بابا من السماء فظلموا فيه يعرجون) قال : لو أني فتحت بابا من السماء تعرج فيه الملائكة بين السماء والأرض ، لقال المشركون (بئس نحن قوم مسحورون) ألا ترى أنهم قالوا (لوما تأتينا بالملائكة إن كُنْت من الصادقين) .

وقال آخرون : إنما عني بذلك : بنو آدم .
ومعنى الكلام عندهم : ولو فتحننا على هؤلاء المشركين من قوهك يا محمد بابا من السماء فظلموا هم فيه يعرجون (لقالوا إنما سكرت أبصارنا) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ولم يفتحنا عليهم بابا من السماء فظلموا فيه يعرجون) قال قتادة ، كان الحسن يقول : لو فعل هذا بنى آدم فظلموا فيه يعرجون أى يختلفون (لقالوا إنما سكرت أبصارنا بئس نحن قوم مسحورون) .

وأما قوله (يعرجون) فإن معناه : يرقون فيه ويصعدون ، يقال منه : عرج يعرج عرجا إذا رقى وصعد . وواحدة المعارج : معرج ومعراج ؛ ومنه قول كثير :

إلى حسب عود بنا المرء قبله أبوه له فيه معارج سلم

وقد حكى عرج يعرج بكسر الراء في الاستقبال . وقوله (لقالوا إنما سكرت أبصارنا) يقول : لقال هؤلاء المشركون الذين وصف جل ثناؤه صفتهم : ما هذا بحق إنما سكرت أبصارنا .

واختلفت القراء في قراءة قوله (سكرت) فقرأ أهل المدينة والعراق (سكرت) بتشديد الكاف ، بمعنى : غشيت وغطيت ، هكذا كان يقول أبو عمرو بن العلاء فيما ذكر لي عنه . وذكر عن مجاهد أنه كان يقرأ (لقالوا إنما سكرت) .

حدثني بذلك الحرث ، قال : ثنا القاسم ، قال : سمعت الكسائي يحدث عن حمزة ، عن شبل ، عن

(١) لم أجد البيت في ديوان كثير طبع الجزائر . والحسب : الشرف الثابت في الآباء . والعود : القديم . وبنا (بالألف) ، يبنو

لأنه من بناء الشرف والمجد . والمعارج : جمع معرج (بكسر الميم وفتحها) وهو ما يعرج فيه ، أى يصعد .

مجاهد أنه قرأها (سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا) خفيفة ، وذهب مجاهد في قراءته ذلك كذلك إلى : حُبِسَتْ أَبْصَارُنَا عن الرؤية والنظر من سكور الريح ، وذلك سكونها وركودها ، يقال منه : سكرت الريح : إذا سكنت وركدت . وقد حكى عن أبي عمرو بن العلاء أنه كان يقول : هو مأخوذ من سكر الشراب ، وأن معناه : قد غشي أبصارنا السكر .

وأما أهل التأويل ، فإنهم اختلفوا في تأويله ، فقال بعضهم : معنى (سُكِّرَتْ) : سَدَّتْ . ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ؛ قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا) قال : سَدَّتْ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا حجاج ، يعني ابن محمد ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني ابن كثير قال : سَدَّتْ .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول ، في قوله (سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا) يعني : سَدَّتْ ، فكأن مجاهدا ذهب في قوله ، وتأويله ذلك بمعنى : سَدَّتْ إلى أنه بمعنى : منعت النظر ، كما يُسَكَّرُ الماء فيمنع من الجرى بحبسه في مكان بالسكر الذي يسكر به . وقال آخرون : معنى سكرت : أخذت .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن ابن عباس : (لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا) يقول : أخذت أبصارنا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، إنما أخذ أبصارنا ، وشبهه علينا ، وإنما سحرنا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة (لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا) يقول : سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا : يقول : أخذت أبصارنا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن أبي حماد ، قال : ثنا شيبان ، عن قتادة ، قال : من قرأ (سُكِّرَتْ) مشددة: يعني سَدَّتْ . ومن قرأ (سُكِّرَتْ) مخففة ، فإنه يعني سحرته ، وكان

هؤلاء وجهوا معنى قوله (سُكِّرَتْ) إلى أن أبصارهم سُحِرَتْ ، فشبه عليهم ما يبصرون ، فلا يميزون بين الصحيح مما يرون وغيره من قول العرب : سُكِّرَ على فلان رأيه : إذا اختلط عليه رأيه فيما يريد ، فلم يدر

الصواب فيه من غيره فإذا عزم على الرأي قالوا : ذهب عنه التسكير .

وقال آخرون : هو مأخوذ من السكر ، ومعناه : غشى على أبصارنا فلا نبصر ، كما يفعل السكر بصاحبه ، فذلك إذا دبر به وغشى بصره كالسمادير فلم يبصر .
ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا)
قال : سكرت ، السكران الذي لا يعقل .
وقال آخرون : معنى ذلك : عميت .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن الكلبي (سُكِّرَتْ) قال : عميت .
❖ وأولى هذه الأقوال بالصواب عندي قول من قال : معنى ذلك : أخذت أبصارنا وسحرت ، فلا تبصر الشيء على ما هو به ، وذهب حدّ إبصارها ، وانطفأ نوره ، كما يقال للشيء الحار إذا ذهب فورته ، وسكن حدّ حرّه ، قد سكر يسكر . قال المثنى بن جندل الطهوي :
جاءَ الشتاءُ واجشَّأَلَّ القُبْرُ واستخفَّت الأفعى وكانت تظْهَرُ
وجعلت عين الحُرور تَسْكُرُ^١

أى تسكُن وتذهب وتنطفئ ؛ وقال ذو الرمة :
قَبْلَ انْصِدَاعِ الفَجْرِ وَالتَّهَجُّرِ وَخَوْضِهِنَّ اللَّيْلَ حِينَ يَسْكُرُ^٢
يعنى : حين تسكن فورته . وذكر عن قيس أنها تقول : سكرت الريح تسكر سكورا ، بمعنى : سكنت ، وإن كان ذلك عنها صحيحا ، فإن معنى سُكِّرَتْ وسُكِّرَتْ بالتخفيف والتشديد متقاربان ، غير أن القراءة التي لا أستجيز غيرها في القرآن (سُكِّرَتْ) بالتشديد لإجماع الحجة من القراء عليها ، وغير جائز خلافها فيما جاءت به مجمعة عليه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾

(١) هذه ثلاثة أبيات لجندل بن المثنى الطهوي واجشأل : اجتمع وتقبض ، والقبر كالقنبر : ضرب من الطير كالمصافير ، واحده قبرة وقبرة . والحُرور : الحر . ويقال سكرت عينه تسكر : إذا تحيرت وسكنت عن النظر وسكر الحريسكر : سكن وخبا . وقد استشهد بها أبو عبيدة في مجاز القرآن (١ : ٣٣٧ ، ٣٣٨) عند قوله تعالى « سكرت أبصارنا » : قال : أى غشيت سمادير ، فذهبت وخبا نظرها . قال : جاء الشتاء . . الخ وزاد فيها بيتا قبل الآخر ، وهو : « وطلعت شمس عليها مغفر » . وفسر البيت الأخير وهو الشاهد بقوله : أى يذهب حرها ويخبو . وقال أبو عمرو بن العلاء : « سكرت أبصارنا » : مأخوذ من سكر الشراب ، كأن العين لحقها ما يلحق شارب المسكر إذا سكر . وقال الفراء : معناه : حبست ومنعت عن النظر .

(٢) البيت في ديوان ذي الرمة (طبعة كمبرج سنة ١٩١٩) ص ٢٠٢ وقبلة :

أَتَتَّكَّ بِالقَوْمِ مَهَارٍ ضُمَّرُ خَوْصٍ بَرَى أَشْرَافَهَا التَّبَكُّرُ

خوص : غائرات العيون . وأشرفها : أسنمتها . والتبكر : سير البكرة . والتهجر : سير الهاجرة ، ويسكر : يتسكر الأبصار بظلامه .
وقوله : والتهجر ، بالرفع : معطوف على قوله التبكر ، في البيت السابق عليه .

❖❖❖ يقول تعالى ذكره : ولقد جعلنا في السماء الدنيا منازل للشمس والقمر ، وهي كواكب ينزلها الشمس والقمر (وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ) يقول : وزينا السماء بالكواكب لمن نظر إليها وأبصرها .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثني ، قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا) قال : كواكب .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا) وبروجها : نجومها .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (بُرُوجًا) قال : الكواكب .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَحَفِظْنَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شَهَابٌ مُبِينٌ ﴿١٨﴾

❖❖❖ يقول تعالى ذكره : وحفظنا السماء الدنيا من كل شيطان لعين قد رجه الله ولعنه (إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ) يقول : لكن قد يسترق من الشياطين السمع مما يحدث في السماء بعضها ، فيتبعه شهاب من النار مبين ، يبين أثره فيه ، إما بإخباله وإفساده ، أو بإحراقه .

وكان بعض نحوي أهل البصرة يقول في قوله (إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ) هو استثناء خارج ، كما قال : ما أشتكى إلا خيرا ، يريد : لكن أذكر خيرا ، وكان ينكر ذلك من قبله بعضهم ، ويقول : إذا كانت إلا بمعنى لكن عملت عمل لكن ، ولا يحتاج إلى إضمار أذكر ، ويقول : لو احتاج الأمر كذلك إلى إضمار أذكر احتاج قول القائل : قام زيد لا عمرو إلى إضمار أذكر .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان بن مسلم ، قال : ثنا عبد الواحد بن زياد ، قال : ثنا الأعمش عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : تصعد الشياطين أفواجا تسترق السمع ، قال : فينفرد المارد منها فيعلو ، فيرمى بالشهاب ، فيصيب جبهته أو جنبه ، أو حيث شاء الله منه ، فيلتهب فيأتي أصحابه وهو يلتهب ، فيقول : إنه كان من الأمر كذا وكذا ، قال : فيذهب أولئك إلى إخوانهم من الكهنة ، فيزيدون عليه أضعافه من الكذب ، فيخبرونهم به ، فاذا رأوا شيئا مما قالوا قد كان صدقوهم بما جاءوهم به من الكذب .

(١) لكن : ساقطة من الأصل ، ولكن السياق بعدها يقتضيها .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، في قوله (وَحَفِظْنَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ، إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ) قال : أراد أن يخطف السمع ، وهو كقوله (إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ) وهو نحو قوله (إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ) قال : خطف الخطفة .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله (إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ) هو كقوله (إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ) كان ابن عباس يقول : إن الشهب لا تقتل ولكن تحرق وتخبأ وتجرح من غير أن تقتل .

حدثني الحرث ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج (مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ) قال : الرجيم : الملعون ، قال : وقال القاسم عن الكسائي : إنه قال : الرجيم في جميع القرآن : الشتم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالْأَرْضُ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾

❖ يعني تعالى ذكره بقوله (وَالْأَرْضُ مَدَدْنَاهَا) : والأرض دحرناها فبسطناها (وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ) يقول : وألقينا في ظهورها رواسي ، يعني جبالا ثابتة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَالْأَرْضُ مَدَدْنَاهَا) . وقال في آية أخرى (وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا) . وذكر لنا أن أم القرى مكة ، منها دُحيت الأرض . قوله (وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ) رواسيها : جبالها . وقد بينا معنى الرسو فيما مضى بشواهد المغنية عن إعادته . وقوله (وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ) يقول : وأنبتنا في الأرض من كل شيء : يقول : من كل شيء مقدر ، وبمقد معلوم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ) يقول : معلوم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ) يقول : معلوم .

(١) الخبل والتخييل : إفساد الأعضاء ، حتى لا يدرى كيف يمشي ، فهو متخبل خبل . (اللسان) .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح ، أو عن أبي مالك ، في قوله (مِّنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ) قال : بقدر .

حدثنا المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح أو عن أبي مالك ، مثله .

حدثني المثني ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا شريك ، عن خصيف ، عن عكرمة (مِّنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ) قال : بقدر .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا علي ، يعني ابن الجعد ، قال : أخبرنا شريك ، عن خصيف ، عن عكرمة (مِّنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ) قال : بقدر .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن خصيف ، عن عكرمة ، قال بقدر .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن حصين ، عن سعيد بن جبير (مِّنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ) قال :

معلوم .

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا عبد الله بن يونس ، قال : سمعت الحكم بن عتيبة وسأله أبو مخزوم ، عن قوله (مِّنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ) قال : من كل شيء مقدور .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا عبد الله بن يونس ، قال : سمعت الحكم ، وسأله أبو عمرو ، عن قول الله عز وجل (مِّنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ) قال : من كل شيء مقدور ، هكذا قال الحسن ، وسأله أبو عمرو .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحرث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء وحدثني المثني ، قال : أبو حذيفة ، قال : ثنا شبيل ؛ وحدثني المثني ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (مِّنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ) قال : مقدور بقدر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (مِّنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ) قال : مقدور بقدر .

حدثني المثني ، قال : ثنا علي بن الهيثم ، قال : ثنا يحيى بن زكريا ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : مقدور بقدر .

حدثنا المثني ، قال : ثنا علي بن الهيثم ، قال : ثنا يحيى بن زكريا ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح (مِّنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ) قال : بقدر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأُنَبِّئُكُمْ فِيهَا مِّنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ) يقول : معلوم .

معلوم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله . (١)

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول فى قوله (مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ) يقول : معلوم .
 وكان بعضهم يقول : معنى ذلك : وأنبئنا فى الجبال من كل شىء موزون : يعنى من الذهب والفضة والنحاس والرصاص ونحو ذلك من الأشياء التى توزن .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَأُنْبِئْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ) قال : الأشياء التى توزن .
 * وأولى القولين عندنا بالصواب القول الأول لإجماع الحجة من أهل التأويل عليه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴿٢٠﴾

* يقول تعالى ذكره : (وَجَعَلْنَا لَكُمْ) أيها الناس فى الأرض (مَعَايِشَ) ، وهى جمع معيشة (وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ) .
 اختلف أهل التأويل فى المعنى فى قوله (وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ) فقال بعضهم : عنى به الدواب والأنعام .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحرث ، قال : ثنا الحسين قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله جميعا ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ) الدواب والأنعام .
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
 وقال آخرون : عنى بذلك : الوحش خاصة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور فى هذه الآية (وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ) قال الوحش ، فتأويل « مَنْ » فى : (وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ) على هذا التأويل بمعنى ما ، وذلك قليل فى كلام العرب .

(١) منصور الذى يروى عنه شعبة بن الحجاج : هو منصور بن عبد الرحمن التيمى الغداني (بضم الغين) عن الشعبي ، وعنه وشعبة وابن عليه . وثقه ابن معين وأحمد وأبو داود ، وقال أبو حاتم : ليس بالقوى ، يكتب حديثه ولا يحتج به . وقال النسائي : ليس بقوى . وفى كلام الفراء الذى نقلناه تحت الشاهد « هلا سألت » إشارة إلى روايته هنا ، بقوله « وقد جاء أنهم الوحوش . . الخ » . (وانظر خلاصة الخزرجى) .

*** وأولى ذلك بالصواب ، وأحسن أن يقال : غنى بقوله (وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ) من العبيد والإماء والدواب والأنعام . فمعنى ذلك : وجعلنا لكم فيها معاش ، والعبيد والإماء والدواب والأنعام ، وإذا كان ذلك كذلك ، حسن أن توضع حينئذ مكان العبيد والإماء والدواب « من » ، وذلك أن العرب تفعل ذلك إذا أرادت الخبر عن البهائم معها بنو آدم . وهذا التأويل على ما قلناه وصرفنا إليه معنى الكلام إذا كانت « من » في موضع نصب عطفاً به على معاش بمعنى : جعلنا لكم فيها معاش ، وجعلنا لكم فيها من لستم له برازقين . وقيل : إن « من » في موضع خفض عطفاً به على الكاف والميم ، في قوله (وَجَعَلْنَا لَكُمْ) بمعنى : وجعلنا لكم فيها معاش (وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ) وأحسب أن منصوراً في قوله هو الوحش قصد هذا المعنى وإياه أراد ، وذلك وإن كان له وجه في كلام العرب ، فبعيد قليل ، لأنها لا تكاد تظاهر على معنى في حال الخفض ، وربما جاء في شعر بعضهم في حال الضرورة ، كما قال بعضهم :

هَلَا سَأَلْتَ بَدِي الْجَمَاجِمِ عَنْهُمْ وَأَبِي نَعِيمٍ ذِي اللِّوَاءِ الْمُخْرَقِ ٢

فردّ أبا نعيم على الهاء والميم في عنهم . وقد بيّنت قبح ذلك في كلامهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢١﴾

*** يقول تعالى ذكره : وما من شيء من الأمطار إلا عندنا خزائنه ، وما ننزله إلا بقدر اكل أرض معلوم عندنا حدّه ومبلغه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا يزيد بن أبي زياد ، عن رجل ، عن عبد الله ، قال : ما من أرض أمطر من أرض ، ولكن الله يقدره في الأرض ، ثم قرأ (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ ، وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن أبي جحيفة ، عن عبد الله ، قال :

(١) انظر الكلام عليه في هامش ص ١٧ .

(٢) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (ص ١٦٧ من مصورة الجامعة) . قال : وقوله « وجعلنا لكم فيها معاش » : أراد الأرض « ومن لستم له برازقين » : فن في موضع نصب . يقول : جعلنا لكم فيها معاش والعبيد والإماء ، وقد جاء أنهم الوحوش والبهائم ؛ ومن : لا يفرد بها البهائم ، ولا ما سوى الناس ، فإن يكن ذلك على ما روى فزى أن أدخل فيهم المماليك ، على أنا ملكناكم العبيد والإبل والغنم وما أشبه ذلك ، مجاز ذلك . وقد يقال إن « من » في موضع خفض ، يراد جعلنا لكم فيها معاش ولن . وما أقل ما ترد العرب لمخفوض قد كنى عنه ، وقد قال الشاعر :

نعلق في مثل السواري سيوفنا وما بينها والكعب غوط نفاض

فرد الكعب على بينها . وقال الآخر : هلا سألت . . . البيت ، فرد « أبي نعيم » على الهاء في عنهم . قلت : وهذا الموضع الذي أشار إليه الفراء ، وهو عطف اسم مخفوض على ضمير هو قوله تعالى « واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام » من سورة النساء .

ما من عام بمطر من عام ، ولكن الله يصرفه عن يشاء ، ثم قال (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ ، وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ) .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا إبراهيم بن مهدي المصيصي ، قال : ثنا علي بن مسهر ، عن يزيد ابن أبي زياد ، عن أبي جحيفة ، عن عبد الله بن مسعود : ما من عام بمطر من عام ، ولكن الله يقسمه حيث شاء ، عاما ههنا و عاما ههنا ، ثم قرأ (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ ، وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، قال : قال ابن جريج (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ) قال : المطر خاصة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا إسماعيل بن سالم ، عن الحكم بن عتيبة ، في قوله (وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ) قال : ما من عام بأكثر مطرا من عام ولا أقل ، ولكنه يمطر قوم ، ويحرم آخرون ، وربما كان في البحر ، قال : وبلغنا أنه ينزل مع المطر من الملائكة أكثر من عدد ولد إبليس وولد آدم يحصون كل قطرة حيث تقع وما تنبت .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاحٍ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿١٦٧﴾

اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقراءته عامة القراء (وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاحٍ) ، وقرأه بعض قراء أهل الكوفة (وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاحٍ) فوحد الريح وهي موصوفة بالجمع : أعني بقوله : لواح . وينبغي أن يكون معنى ذلك : أن الريح وإن كان لفظها واحدا ، فمعناها الجمع ، لأنه يقال : جاءت الريح من كل وجه ، وهبت من كل مكان ، فقليل : لواح لذلك ، فيكون معنى جمعهم نعمها ، وهي في اللفظ واحدة معنى قولهم : أرض سباسب ، وأرض أغفال ، وثوب أخلاق ، كما قال الشاعر :

جاء الشتاء وقميصي أخلاق
شراذم يضحك منه التواق^١

وكذلك تفعل العرب في كل شيء اتسع .

(١) هذا الرجز ، أورده الفراء في معاني القرآن (ص ١٦٧) قال : وقوله « وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاحٍ » وقرئ الريح ، قرأ حمزة . فن قال : « الريح لواح » فجمع اللواح والريح واحدة ، لأن الريح في معنى جمع ، ألا ترى أنك تقول : جاءت الريح من كل مكان ، فقليل لواح لذلك كما قيل : تركته في أرض أغفال وسباسب ، ومهراق وثوب أخلاق ، ومنه قول الشاعر : جاء الشتاء . . . الخ البيت . وأما من قال : الرياح لواح ، فهو بين . ولكن يقال : إنما الريح ملقحة ، تلقح الشجر ، فكيف قيل : لواح ؟ في ذلك معنيان : أحدهما أن تجعل الريح هي التي يمرورها على التراب والماء ، فيكون فيها اللقاح ، فيقال : يرح لواح ، كما يقال : ناقة لواح ؛ ويشهد على ذلك أنه وصف ريح العذاب فقال : « عليهم الريح العقيم » ، فجعلها عقيما إذ لم تلقح . والوجه الآخر : أن يكون وصفها باللوح ، وإن كانت تلقح (بضم التاء) كما قيل : ليل نائم ، والنوم فيه ، وسركاتم .

واختلف أهل العربية في وجه وصف الرياح باللقح ، وإنما هي ملقحة للاقحة ، وذلك أنها تلقح السحاب والشجر ، وإنما توصف باللقح الملقوحة لا الملقح ، كما يقال : ناقة لاقح . وكان بعض نحوي البصرة يقول : قيل : الرياح لواقح ، فجعلها على لاقح ، كأن الرياح لقتحت ، لأن فيها خيرا ، فقد لقتحت بخير . قال : وقال بعضهم : الرياح تلقح السحاب ، فهذا يدل على ذلك المعنى ، لأنها إذا أنشأته وفيها خير وصل ذلك إليه . وكان بعض نحوي الكوفة يقول : في ذلك معنيان : أحدهما أن يجعل الريح هي التي تلقح بمرورها على التراب والماء فيكون فيها اللقاح ، فيقال : ريح لاقح ، كما يقال : ناقة لاقح ، قال : ويشهد على ذلك أنه وصف ريح العذاب ، فقال (عَلَيْهِمُ الرِّيحُ الْعَقِيمَ) فجعلها عقيا إذا لم تلقح . قال : والوجه الآخر أن يكون وصفها باللقح ، وإن كانت تلقح ، كما قيل : ليل نائم والنوم فيه ، وسر كاتم . وكما قيل : المبروز والمختوم ، فجعل مبروزا ، ولم يقل مبرزا بناه على غير فعله : أى أن ذلك من صفاته ، فجاز فمفعول لمفعول ، كما جاز فاعل لمفعول ، إذا لم يرد البناء على الفعل ، كما قيل : ماء دافق .

والصواب من القول في ذلك عندى : أن الرياح لواقح كما وصفها به جل ثناؤه من صفتها ، وإن كانت قد تلقح السحاب والأشجار ، فهي لاقحة ملقحة ، ولقحها : حملها الماء وإلقاحها السحاب والشجر : عملها فيه ، وذلك كما قال عبد الله بن مسعود .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا المحاربي ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن قيس بن سكن ، عن عبد الله بن مسعود ، في قوله (وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ) قال : يرسل الله الرياح فتحمل الماء ، فتحجرى السحاب ، فتدر كما تدر اللقحة ثم تمطر .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن قيس بن سكن ، عن عبد الله (وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ) قال : يبعث الله الريح فتلقح السحاب ، ثم تمر به فتدر كما تدر اللقحة ، ثم تمطر .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أسباط بن محمد ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن قيس ابن السكن ، عن عبد الله بن مسعود ، في قوله (وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ) قال : يرسل الرياح ، فتحمل الماء من السحاب ، ثم تمرى السحاب ، فتدر كما تدر اللقحة ، فقد بين عبد الله بقوله : يرسل الرياح فتحمل الماء أنها هي اللاقحة بحملها الماء وإن كانت ملقحة بإلقاحها السحاب والشجر .

وأما جماعة أخر من أهل التأويل ، فإنهم وجهوا وصف الله تعالى ذكره إياها بأنها لواقح ، إلى أنه بمعنى ملقحة ، وأن اللواقح وضعت موضع ملاقح ، كما قال نهشل بن حري :

(وفي لسان العرب : (خلق) : وقد يقال : ثوب أخلاق ، يصفون به الواحد ، إذا كانت الخلوقة فيه كله ، كما قالوا برمة أعشار ، وثوب أكباش (ضرب من نسج اليمن) وحبل أرمم وأرض سباب . وهذا النحو كثير ، وكذلك : ملاءة أخلاق وبرمة أخلاق (عن اللحياني) أى نواحيها أخلاق . قال : وهو من الواحد الذى فرق ثم جمع . قال : وكذلك : حبل أخلاق : وقربة أخلاق . عن ابن الأعرابي . التهذيب : يقال ثوب أخلاق يجمع بما حوله ، وقال الراجز : جاء الشتاء . . الخ والتواق ابنه . قلت : والرواية عند الفراء وفي اللسان « يضحك منه » ، وعند المؤلف « يضحك منى » ، والمعنى قريب بعضه من بعض .

لِيُبِّكَ يَزِيدُ بَائِسٌ لِيَضْرَاعَةَ وَأَشْعَثُ مَمْنٌ طَوْحَتَهُ الطَّوَّاحُ ١

يريد المطاوح ؛ وكما قال النابغة :

كَلِينِي لِهَمٍّ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٍ وَلَيْلٍ أُقَاسِيهِ بَطِيءِ الْكُوَاكِبِ ٢

بمعنى : مُنْصَبٍ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم في قوله (وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَّاحٍ) قال : تملح السحاب .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، مثله .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، مثله .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، قوله (وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَّاحٍ)

قال : لواقع للشجر ، قلت : أو للسحاب ، قال : وللسحاب تمر به حتى يمطر .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا إسحاق بن سليمان ، عن أبي سنان ، عن حبيب بن أبي ثابت ،

عن عبيد بن عمير ، قال : يبعث الله المبدثرة فتقم الأرض قما ، ثم يبعث الله المثيرة فتثير السحاب ، ثم

يبعث الله المؤلفة فتؤلف السحاب ، ثم يبعث الله اللواقع فتلقح الشجر ، ثم تلا عبيد (وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ

لَوَّاحٍ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَّاحٍ) يقول :

لواقع للسحاب ، وإن من الريح عذابا ، وإن منها رحمة .

(١) البيت لنهشل بن حري على الأصح ، شاعر مخضرم . وقد ينسب إلى غيره ، و صوب البغدادي نسبه إلى نهشل . وقد استشهد به أبو عبيدة بهذه الرواية نفسها عند تفسير قوله تعالى : « وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَّاحٍ » قال : مجازها مجاز ملاقح ، لأن الريح ملقحة السحاب للعرب . قد تفعل هذا ، فتلقى الميم ، لأنها تعيده إلى أصل الكلام ، كقول نهشل بن حري يرثي أخاه « ليبيك يزيد » . . . الخ البيت . فحذف الميم ، لأنها المطاوع . وأورد البيت صاحب (اللسان : طيح) باختلاف في بعض الألفاظ قال : وأنشد سيبويه :

لِيُبِّكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِحُصُونَةٍ وَنَحْتَبُطُ مِمَّا تُطِيحُ الطَّوَّاحُ

وقال (سيبويه) : الطوائح : على حذف الزائد ، أو على النسب قال ابن جني : أول البيت مبني على اطراح ذكر الفاعل ، فإن

آخره (كذا في اللسان) قد عوود فيه الحديث على الفاعل ، لأن تقديره فيما بعد : ليبيك نحتبظ مما تطيح الطوائح ، فدل قوله : ليبيك

(بالبناء للمفعول) على ما أراد من قوله « ليبيك » (أي بالبناء للفاعل) . اه . والنحتبظ : الذي يسلك من يسلك من غير معرفة ولا وسيلة بيكنا . وانظر خزانة الأدب للبغدادي (١ : ١٤٧ - ١٥٢) ففيها كلام كثير في معنى البيت وروايته وقائله .

(٢) البيت للنابغة الذبياني ، وهو مطلع قصيدة له يمدح بها عمرو بن الحارث الأعرج ، بن الحارث الأكبر ، بن أبي شمر ، حين

هرب من النعمان بن المنذر . وقد مر شرحنا له في غير هذا الموضع من التفسير . والشاهد هنا في قوله « ناصب » أنه بمعنى المنصب . قال

في (اللسان : نصبت) : النصب : الإعياء من العناء . والفعل : نصب الرجل بالكسر : أعيا وتعب . وأنصبه هو ، وأنصبتني هذا الأمر ،

وهم ناصب : منصب ، ذو نصب ، مثل تامر ولابن ، وهو فاعل بمعنى مفعول ، لأنه ينصب فيه ويتعب . قال النابغة : « كليلي لهم

يا أميمة ناصب » قال : ناصب : بمعنى منصوب . وقال الأصمعي : ناصب : ذي نصب ، مثل : ليل نائم ذو نوم ينام فيه ، ورجل

دارع : ذو درع . وقال سيبويه : هم ناصب : هو على النسب . وحكى أبو على الفارسي نصبه لهم ، فناسب إذن على الفعل . اه .

قلت : أيريد أبو على الفارسي : أنه اسم فاعل قياسي جار على فعله ، فليس على النسب إذن ولا على التجوز في الإسناد مثل ليل نائم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لَوَاقِحَ) قال : تلقح الماء في السحاب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن ابن عباس (لَوَاقِحَ) قال : تلقح الشجر وتمرى السحاب .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله (وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ) الرياح يبعثها الله على السحاب فتلقحه ، فيمتلي ماء .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أحمد بن يونس ، قال : ثنا عبيس بن ميمون ، قال : ثنا أبو المهزم ، عن أبي هريرة ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الرِّيحُ الْجَنُوبُ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَهِيَ الرِّيحُ اللَّوَاقِحُ ، وَهِيَ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ وَفِيهَا مَنَافِعُ لِلنَّاسِ » .

حدثني أبو الجماهر الحمصي أو الحضرمي محمد بن عبد الرحمن ، قال : ثنا عبد العزيز بن موسى ، قال : ثنا عبيس بن ميمون أبو عبيدة ، عن أبي المهزم ، عن أبي هريرة ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر مثله سواء .

وقوله (فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَاسْتَقْيْنَا كُمُوهُ) يقول تعالى ذكره : فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَطَرًا فَاسْقَيْنَاكُمْ ذلك المطر لشرب أرضكم ومواشيتكم ؛ ولو كان معناه : أنزلناه لتشربوه لقييل : فسقينا كموه . وذلك أن العرب تقول إذا سقت الرجل ماء شربه أولبنا أو غيره ، سقيته بغير ألف إذا كان لسقيه ، وإذا جعلوا له ماء لشرب أرضه أو ماشيته ، قالوا : أسقيته وأسقيت أرضه وماشيته ، وكذلك إذا استسقت له ، قالوا : أسقيته واستسقيته ، كما قال ذو الرمة :

وَقَفَّتْ عَلَى رَسْمٍ لِمَيْتَةٍ نَاقِيَتِي فَمَا زِلْتُ أَبْكِي عِنْدَهُ وَأُخَاطِبُهُ
وَأُسْقِيهِ حَتَّى كَادَ مِمَّا أَبُشُّهُ تُكَلِّمُنِي أَحْبَابُهُ وَمَلَاعِبُهُ

وكذلك إذا وهبت لرجل إهابا ليجمعه سقاء ، قلت : أسقيته إياه .

وقوله (وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ) يقول : ولستم بخازني الماء الذي أنزلنا من السماء فأسقينا كموه . فتمنعوه من أسقيه ، لأن ذلك بيدي وإلى ، أسقيه من أشياء ، وأمنعه من أشياء .

كما حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال سفيان (وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ) قال : بمانعين .

(١) البيتان في ديوان ذي الرمة (طبعة كيمبرج سنة ١٩١٩ ص ٣٨) وأسقيه : أدعوه له بالسقيا ، أقول : سقاك الله . وأبئه : أشكو إليه . وقد استشهد بهذين البيتين أبو عبيدة في مجاز القرآن (١ : ٣٥٠) على أن يقال : سقيت الرجل ماء وشرابا من لبن وغير ذلك ، وليس فيه إلا لغة واحدة بغير ألف ، إذا كان في الشفة . وإذا جعلت له شرابا (بكسر الشين ، أي ماء لشرب دوابه) فهو أسقيته وأسقيت أرضه وإبله ، لا يكون غير هذا ، وكذلك إذا استسقيت له كقول ذي الرمة . . . البيتين وهو قريب من كلام المؤلف هنا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾

يقول تعالى ذكره : (وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي) من كان ميتا إذا أردنا (وَنُمِيتُ) من كان حيا إذا شئنا (وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ) يقول : ونحن نرث الأرض ومن عليها بأن نميت جميعهم ، فلا يبقى حتى سوانا إذا جاء ذلك الأجل . وقوله (وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ) وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ) .
اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : ولقد علمنا من مضى من الأمم ، فتقدم هلاكهم ، ومن قد خلق وهو حي ، ومن لم يخلق بعد ممن سيخلق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن أبيه ، عن عكرمة (وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ) وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ) قال : المستقدمون : من قد خلق ومن خلا من الأمم ؛ والمستأخرون : من لم يخلق .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم ، قال : ثنا عمرو بن قيس ، عن سعيد بن مسروق ، عن عكرمة ، في قوله (وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ) وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ) قال : هم خلق الله كلهم ، قد علم من خلق منهم إلى اليوم ، وقد علم من هو خالقه بعد اليوم .
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن التيمي ، عن أبيه ، عن عكرمة ، قال : إن الله خلق الخلق ففرغ منهم ، فالمستقدمون : من خرج من الخلق ، والمستأخرون : من بقي في أصلاب الرجال لم يخرج .

حدثني محمد بن أبي معشر ، قال : أخبرني أبو معشر ، قال : سمعت عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود يذكر محمد بن كعب في قول الله (وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ) وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ) فقال عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود : خير صفوف الرجال المقدم ، وشر صفوف الرجال المؤخر ، وخير صفوف النساء المؤخر ، وشر صفوف النساء المقدم ؛ فقال محمد بن كعب : ليس هكذا ، ولقد علمنا المستقدمين منكم : الميت والمقتول . والمستأخريين : من يلحق بهم من بعد ، وإن ربك هو يحشرهم ، إله حكيم عليم ، فقال عون بن عبد الله : وفقك الله وجزاك خيرا .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، قال : قال قتادة : المستقدمين : من مضى والمستأخريين : من بقي في أصلاب الرجال .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا سعيد بن منصور ، قال : ثنا أبو الأحوص ، قال : ثنا سعيد بن

مسروق، عن عكرمة وخصيف، عن مجاهد، في قوله (وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ)
وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ) قالوا : من مات ومن بقي .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد، قال : ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ) قال : كان ابن عباس يقول : آدم صلى الله عليه وسلم ومن مضى من ذريته (وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ) : من بقي في أصلاب الرجال .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال : ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة (وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ) قال : المستقدمون آدم ومن بعده، حتى نزلت هذه الآية . والمستأخرون : قال : كل من كان من ذريته .

❖ قال أبو جعفر : أظنه أنا قال : ما لم يُخلق، وما هو مخلوق .

حدثنا أحمد، قال : ثنا أبو أحمد، قال : ثنا سفيان، عن أبيه، عن عكرمة، قال : المستقدمون : ما خرج من أصلاب الرجال . والمستأخرون : ما لم يخرج . ثم قرأ (وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ، إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ) .

وقال آخرون : عني بالمستقدمين : الذين قد هلكوا ، والمستأخريين : الأحياء الذين لم يهلكوا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن سعد، قال : ثنا أبي، قال : ثنا عبيد، قال : ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ) يعني بالمستقدمين : من مات، ويعني بالمستأخريين : من هو حتى لم يموت .

حدثت عن الحسين، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ) يعني : الأموات منكم (وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ) بقيتهم، وهم الأحياء، يقول : علمنا من مات ومن بقي .

حدثني يونس، قال : أخبرنا ابن وهب، قال : قال ابن زيد، في قوله (وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ) قال : المستقدمون منكم : الذين مضوا في أول الأمم، والمستأخرون : الباقيون .

وقال آخرون : بل معناه : ولقد علمنا المتقدمين في أول الخلق، والمستأخريين في آخرهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثني : قال : ثنا عبد الوهاب، قال : ثنا داود، عن عامر في هذه الآية (وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ) قال : قال : أول الخلق وآخره . حدثنا ابن المثني، قال : ثنا ابن أبي عدي، عن داود، عن الشعبي، في قوله (وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ) قال : قال : أول الخلق وآخره .

المُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ ، وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ) : ما استقدم في أول الخلق ، وما استأخر في آخر الخلق .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا علي بن عاصم ، عن داود بن أبي هند ، عن عامر ، في قوله : (وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ) قال : في العَصْرِ ، والمستأخرين منكم في أصلاب الرجال ، وأرحام النساء . وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولقد علمنا المستقدمين من الأمم ، والمستأخرين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شعبة ، قال : أخبرنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : المستقدمين منكم ، قال : القرون الأول ، والمستأخرين : أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، قال : ثني عبد الملك ، عن قيس ، عن مجاهد ، في قوله (وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ) قال : المستقدمون : ما مضى من الأمم ، والمستأخرون : أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن عبد الملك ، عن قيس ، عن مجاهد ، بنحوه . حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن عبد الملك ، عن مجاهد بنحوه ، ولم يذكر قيسا .

وقال آخرون : بل معناه : ولقد علمنا المستقدمين منكم في الخير ، والمستأخرين عنه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ) قال : كان الحسن يقول : المستقدمون في طاعة الله ، والمستأخرون في معصية الله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن عباد بن راشد ، عن الحسن ، قال : المستقدمين في الخير ، والمستأخرين : يقول : المبطلين عنه . وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولقد علمنا المستقدمين منكم في الصفوف في الصلاة ، والمستأخرين فيها ، بسبب النساء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن رجل أخبرنا عن مروان بن الحكم أنه قال : كان أناس يستأخرون في الصفوف من أجل النساء ، قال : فأنزل الله (وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا جعفر بن سليمان ، قال : أخبرني عمرو بن مالك ، قال : سمعت أبا الجوزاء يقول في قول الله (وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ) : المستقدمين منكم في الصفوف في الصلاة والمستأخريين .

حدثني محمد بن موسى الحرسي ، قال : ثنا نوح بن قيس ، قال : ثنا عمرو بن مالك ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس ، قال : كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة ، قال ابن عباس : لا والله ما إن رأيت مثلها قط ، فكان بعض المسلمين إذا صلوا استقدموا ، وبعض يستأخرون ، فإذا سجدوا نظروا إليها من تحت أيديهم ، فأنزل الله (وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا نوح بن قيس ؛ وحدثنا أبو كريب ، قال : ثنا مالك بن إسماعيل ، قال : ثنا نوح بن قيس ، عن عمرو بن مالك ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس ، قال : كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة حسناء من أحسن الناس ، فكان بعض الناس يستقدم في الصف الأول لثلاث يراها ، ويستأخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر ، فإذا ركع نظر من تحت إبطيه في الصف ، فأنزل الله في شأنها (وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ) .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال عندي في ذلك بالصحة قول من قال : معنى ذلك : ولقد علمنا الأموات منكم يا بني آدم فتقدم موته ، ولقد علمنا المستأخريين الذين استأخروا موتهم ممن هو حيّ ومن هو حادث منكم من لم يحدث بعد دلالة ما قبله من الكلام ، وهو قوله (وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ) وما بعده وهو قوله (وَإِنَّا رَبَّكَ هُوَ يُحْشِرُهُمْ) على أن ذلك كذلك ، إذ كان بين هذين الخبرين ، ولم يجر قبل ذلك من الكلام ما يدل على خلافه ، ولا جاء بعد ، وجائز أن تكون نزلت في شأن المتقدمين في الصف ، لشأن النساء والمستأخريين فيه لذلك ، ثم يكون الله عز وجل عمّ بالمعنى المراد منه جميع الخلق ، فقال جل ثناؤه لهم : قد علمنا ما مضى من الخلق وأحصيناهاهم ، وما كانوا يعملون ، ومن هو حيّ ومنكم ، ومن هو حادث بعدكم أيها الناس ، وأعمال جميعكم خيرا وشرّا ، وأحصينا جميع ذلك ، ونحن نحشر جميعهم ، فنجازي كلا بأعماله ، إن خيرا فخير ، وإن شرّا فشرّا ، فيكون ذلك تهديدا ووعيدا للمستأخريين في الصفوف لشأن النساء ، ولكل من تعدّى حدّ الله ، وعمل بغير ما أذن له به ، ووعدا لمن تقدم في الصفوف لسبب النساء ، وسارع إلى محبة الله ورضوانه في أفعاله كلها .

وقوله (وَإِنَّا رَبَّكَ هُوَ يُحْشِرُهُمْ) يعني بذلك جل ثناؤه : وإن ربك يا محمد هو يجمع جميع الأولين

والآخرين عنده يوم القيامة ، أهل الطاعة منهم والمعصية ، وكلّ أحد من خلقه ، المستقدمين منهم والمستأخرين .
وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ) قال :
أى الأول والآخر .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أبو خالد القرشي ، قال : ثنا سفيان ، عن أبيه ، عن عكرمة ،
في قوله (وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ) قال : هذا من هاهنا ، وهذا من هاهنا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن
عباس (وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ) قال : وكأهم ميت ، ثم يحشرهم ربهم .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا علي بن عاصم ، عن داود بن أبي هند ، عن عامر (وَإِنَّ رَبَّكَ
هُوَ يَحْشُرُهُمْ) قال : يجمعهم الله يوم القيامة جميعا ، قال الحسن : قال علي : قال داود : سمعت عامرا يفسر
قوله (إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ) يقول : إن ربك حكيم في تدبيره خلقه في إحيائهم إذا أحياهم ، وفي إماتتهم إذا
أماتهم ، عليم بعددهم وأعمالهم ، وبالحي منهم والميت ، والمستقدم منهم والمستأخر .

كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : كل أولئك
قد علمهم الله ، يعني المستقدمين والمستأخرين .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴿٢١﴾

❖ يقول تعالى ذكره : ولقد خلقنا آدم وهو الإنسان من صلصال . واختلاف أهل التأويل في معنى الصلصال ؛
فقال بعضهم : هو الطين اليابس لم تصبه نار ، فإذا نقرته صال ، فسمعت له صلصلة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدي ، قالا : ثنا سفيان ، عن الأعمش .
عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : خلق آدم من صلصال من حمأ ومن طين
لازب ، وأما اللازب : فالجيد ، وأما الحما : فالحمأة . وأما الصلصال : فالتراب المرقق ، وإنما سمي
إنسانا لأنه عهد لإيه فاسي .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ
صَلْصَالٍ) قال : والصلصال : التراب اليابس الذي يسمع له صلصلة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ
حَمَإٍ مَسْنُونٍ) قال : الصلصال : الطين اليابس يسمع له صلصلة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن الحسن بن صالح ، عن مسلم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (مِـنْ صَلَـصَالٍ) قال : الصلصال : الماء يقع على الأرض الطيبة ثم يحسب عنها ، فاشقق ، ثم تصير مثل الحزف الرقاق .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : خلق الإنسان من ثلاثة : من طين لازب ، وصلصال ، وحمأ مسنون . والطين اللازب : اللازق الجيد ، والصلصال : المرقق الذي يصنع منه الفخار ، والمسنون : الطين فيه الحمأة . حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِـنْ حَمَآءٍ مَسْنُونٍ) قال : هو التراب اليابس الذي يُبَسَلُّ بعد يُبَسِه .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن مسلم ، عن مجاهد ، قال : الصلصال : الذي يصلصل ، مثل الحزف من الطين الطيب . حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد . قال : سمعت الضحاك ، يقول : الصلصال : طين صلب يخالطه الكثيب . حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (مِـنْ صَلْصَالٍ) قال : التراب اليابس . وقال آخرون : الصلصال : المُنْتِن . وكأنهم وجهوا ذلك إلى أنه من قولهم : صل اللحم وأصل : إذا أنتن ، يقال ذلك باللغتين كليهما : يَمْتَعَلُ وَأَفْعَلُ .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو . قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح : وحدثني الحارث قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء : وحدثنا الحسن ، قال : ثنا شباة . قال : ثنا ورقاء : وحدثني المثني قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (مِـنْ صَلْصَالٍ) الصلصال : المنتن .

والذي هو أولى بتأويل الآية أن يكون الصلصال في هذا الموضع الذي له صوت من الصلصلة . وذلك أن الله تعالى وصفه في موضع آخر فقال (خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ) فشبهه تعالى ذكره بأنه كان كالفخار في يبسه ، وأو كان معناه في ذلك المنتن لم يشبهه بالفخار ، لأن الفخار ليس بمنتن فيشبهه به في التنت غيره .

وأما قوله (مِـنْ حَمَآءٍ مَسْنُونٍ) فإن الحمأ : جمع حمأة . وهو الطين المتغير إلى السواد . وقواه (مَسْنُونٍ) يعني : المتغير . واختلف أهل العلم بكلام العرب في معنى قوله (مَسْنُونٍ) فكان بعض نحويي البصريين يقول : عنى

به : حمّاً مصوراً تامّ . وذكر عن العرب أنهم قالوا : سنّ على مثال سنّة الوجه : أي صورته . قال : وكان سنّة الشيء من ذلك : أي مثاليه الذي وُضع عليه . قال : وليس من الآسن المتغير ، لأنه من سنّ مضعف . وقال آخر منهم : هو الحمّ المصبوب . قال : والمصبوب : المسنون ، وهو من قولهم : سنّنت الماء على الوجه وغيره إذا صببته .

وكان بعض أهل الكوفة يقول : هو المتغير ، قال : كأنه أخذ من سنّنت الحجر على الحجر ، وذلك أن يحكّ أحدهما بالآخر ، يقال منه : سنّته أسنه سنّاً فهو مسنون . قال : ويقال للذي يخرج من بينهما : سنّين ، ويكون ذلك منّتنا ، وقال منه : سُمّي المسنّ لأن الحديد يُسنّ عليه . وأما أهل التأويل ، فإنهم قالوا في ذلك نحو ما قلنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عبيد الله بن يوسف الجبيري ، قال : ثنا محمد بن كثير ، قال : ثنا مسلم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، في قوله (مِِنْ حَمّاً مَسْنُونٍ) قال : الحمّ : المنتنة . حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (مِِنْ حَمّاً مَسْنُونٍ) قال : الذي قد أنتن . حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثمان بن سعيد ، قال : ثنا بشر بن عمار ، عن أبي روق ، عن الضحّاك عن ابن عباس (مِِنْ حَمّاً مَسْنُونٍ) قال : منتن . حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (مِِنْ حَمّاً مَسْنُونٍ) قال : هو التراب المبتلّ المنتن ، فجعل صلصالاً كالفتيخار . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا الحسن ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا شبل جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (مِِنْ حَمّاً مَسْنُونٍ) قال : منتن . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مِِنْ حَمّاً مَسْنُونٍ) والحمّ المسنون : الذي قد تغير وأنتن .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر (مِِنْ حَمّاً مَسْنُونٍ) قال : قد أنتن ، قال : منتنة .

حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : ثنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحّاك ، في قوله (مِِنْ حَمّاً مَسْنُونٍ) قال : من طين لازب ، وهو اللازق من الكثيب : وهو الرمل . حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحّاك يقول في قوله (مِِنْ حَمّاً مَسْنُونٍ) قال : الحمّ المنتن . وقال آخرون منهم في ذلك : هو الطين الرطب .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ) يقول : من طين رطب .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾

❖ يقول تعالى ذكره (والجان) وقد بيّنا فيما مضى معنى الجان ، ولم قيل له جان . وعنى بالجان ههنا : إبليس أبا الجن ، يقول تعالى ذكره : وإبليس خلقناه من قبل الإنسان من نار السموم . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (والجان خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ) وهو إبليس خُلِقَ قبل آدم ، وإنما خلق آدم آخر الخلق ، فحسده عدو الله إبليس على ما أعطاه الله من الكرامة ، فقال : أنا نارى ، وهذا طينى ، فكانت السجدة لآدم ، والطاعة لله تعالى ذكره ، فقال (اخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ) .

واختلاف أدل التأويل في معنى (نارِ السَّمُومِ) فقال بعضهم : هى السموم الحارّة التى تقتل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن أبي إسحاق ، عن التميمي ، عن ابن عباس فى قوله (والجان خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ) قال : السموم الحارّة التى تقتل . حدثني المثنى ، قال : ثنا الحمّاني ، قال : ثنا شريك ، عن أبي إسحاق التميمي ، عن ابن عباس (والجان خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ) قال : هى السموم التى تقتل ، فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت قال : هى السموم التى تقتل . وقال آخرون : يعنى بذلك من لهب النار .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مغراء ، عن جويبر ، عن الضحّاك ، فى قوله (والجان خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ) قال : من لهب من نار السموم . حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثمان ، عن سعيد ، قال : ثنا بشر بن عمار ، عن أبي روق ، عن الضحّاك عن ابن عباس ، قال : كان إبليس من حى من أحياء الملائكة يقال لهم الجن ، خُلِقُوا من نار السموم من بين الملائكة . قال : وخلق الجن الذين ذُكروا فى القرآن من مارج من نار . حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، قال : دخلت على عمرو بن الأصمّ أعوده ، فقال : ألا أحدثك حديثا سمعته من عبد الله ؟ سمعت عبد الله يقول : هذه السموم جزء من سبعين جزءا من السموم التى خرج منها الجان ، قال : وتلا (والجان خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ) .

نارِ السَّمُومِ) . وكان بعض أهل العربية يقول : السَّمُومُ بالليل والنهار . وقال بعضهم : الحُرُورُ بالنهار ، والسَّمُومُ بالليل ، يقال : سَمَّ يَوْمُنَا يَسَمُّ سَمُومًا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا محمد بن سهل بن عسكر ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثنا عبد الصمد بن معقل ، قال : سمعت وهب بن منبه ، وسئل عن الجنّ ما هم ، وهل يأكلون أو يشربون ، أو يموتون ، أو يتناكحون ؟ قال : هم أجناس ، فأما خالص الجنّ فهم ريح لا يأكلون ولا يشربون ولا يموتون ولا يتوالدون . ومنهم أجناس يأكلون ويشربون ويتناكحون ويموتون ، وهي هذه التي منها السعال والغُول وأشباه ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (و) اذكر يا محمد (إذ) قال ربك للملائكة (إني خالقٌ بشرًا من صلصالٍ من حمأ مسنونٍ ، فإذا سويته) يقول : فإذا صورته فعدلت صورته (ونفختُ فيه من رُوحِي) فصار بشرًا حيا (فقعوا له ساجدين) سجود تحية وتكرمة لاسجود عبادة . وقد حدثني جعفر بن مكرم ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا شبيب بن بشر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما خلق الله الملائكة قال : إني خالق بشرًا من طين ، فإذا أنا خلقتة فاسجدوا له ، فقالوا : لا نفعل ، فأرسل عليهم نارا فأحرقتهم ، وخلق ملائكة أخرى ، فقال : إني خالق بشرًا من طين ، فإذا أنا خلقتة فاسجدوا له ، فأبوا ؛ قال : فأرسل عليهم نارا فأحرقتهم ؛ ثم خلق ملائكة أخرى ، فقال : إني خالق بشرًا من طين ، فإذا أنا خلقتة فاسجدوا له ، فأبوا ، فأرسل عليهم نارا فأحرقتهم ؛ ثم خلق ملائكة ، فقال : إني خالق بشرًا من طين ، فإذا أنا خلقتة فاسجدوا له ، فقالوا : سمعنا وأطعنا ، إلا إبليس كان من الكافرين الأولين .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَا بَلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٢﴾

يقول تعالى ذكره : فلما خلق الله ذلك البشر ، ونفخ فيه الروح بعد أن سواه سجد الملائكة كلهم جميعا ، إلا إبليس ، فإنه أبى أن يكون مع الساجدين في سجودهم لآدم حين سجدوا ، فلم يسجد له معهم تكبرا وحسدا

وبغيا ، فقال الله تعالى ذكره (يا إبليسُ مالكَ ألاَّ تكونَ معَ السَّاجِدِينَ) يقول : ما منعك من أن تكونَ معَ الساجدين ؛ فأَن في قول بعض نحوي الكوفة خفض ، وفي قول بعض أهل البصرة نصب بفقد الحافض .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ لَمْ أَكُنْ لِلسُّجْدِ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾

❖❖ يقول تعالى ذكره (قال) إبليس (لم أكنْ لِلسُّجْدِ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ) وهو من طين وأنا من نار ، والنار تأكل الطين . وقوله (فأخرجْ مِنْهَا) يقول الله تعالى ذكره لِإِبْلِيسَ : (فأخرجْ مِنْهَا ، فَإِنَّكَ رَجِيمٌ)

والرجيم المرجوم ، صرف من دفعول إلى فاعيل وهو المشتوم ، كذلك قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَإِنَّكَ رَجِيمٌ) والرجيم : الملعون .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (فأخرجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ) قال : ملعون . والرجم في القرآن : الشتم .
وقوله (وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ) يقول : وإن غضب الله عليك بإخراجه إياك من السموات وطرده عنها إلى يوم المجازاة ، وذلك يوم القيامة . وقد بينا معنى اللعنة في غير موضع بما أغنى عن إعادته ههنا .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾

❖❖ يقول تعالى ذكره : قال إبليس : ربِّ فأذْ أخرجتني من السموات ولعنتني ، فأخِّرْني إلى يوم تبعث خلقك من قبورهم ، فتحشرهم لموقف القيامة ، قال الله له : فإنك ممن أُخِّرْ هلاكه إلى يوم الوقت المعلوم لهلاك جميع خلقي ، وذلك حين لا يبقى على الأرض من بني آدم ديار .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾

❖ يقول تعالى ذكره : قال إبليس (رَبِّ إِنَّمَا أَغْوَيْتَنِي) بإغوائك (لَا زِيَّيْتَنِي لَهْمُ فِي الْأَرْضِ) ، وكان قوله (إِنَّمَا أَغْوَيْتَنِي) خرج مخرج القسم ، كما يقال : بالله ، أو بعزة الله لأغوينهم . وعنى بقوله (لَا زِيَّيْتَنِي لَهْمُ فِي الْأَرْضِ) : لأحسنن لهم معاصيك ، ولأحببنا إليهم في الأرض (وَلَا أَغْوَيْتَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ) يقول : ولأضلتهم عن سبيل الرشاد (إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) يقول : إلا من أخلصته بتوفيقك فهديته ، فان ذلك ممن لاسلطان لي عليه ولا طاقة لي به . وقد قرئ (إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) فمن قرأ ذلك كذلك ، فإنه يعني به : إلا من أخلص طاعتك ، فإنه لاسبيل لي عليه . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك (إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) يعني : المؤمنين .
حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، قال : ثنا عمرو ، عن سعيد ، عن قتادة (إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) قال قتادة : هذه تسمية الله تعالى ذكره .
القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾

اختلفت القراء في قراءة قوله (قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ) فقرأه عامة قراء الحجاز والمدينة والكوفة والبصرة (هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ) بمعنى : هذا طريق إلى مستقيم . فكان معنى الكلام : هذا طريق مرجعه إلى ، فأجازى كلاً بأعمالهم ، كما قال الله تعالى ذكره (إِنَّ رَبَّكَ لَبَاسِرٌ صَادِقٌ) ، وذلك نظير قول القائل ان يتوعدده ويتهدهده : طريقك علي ، وأنا على طريقك ، فكذلك قوله : (هَذَا صِرَاطٌ) معناه : هذا طريق علي وهذا طريق إلى ، وكذلك تأول من قرأ ذلك كذلك .
ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم . قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني الحسن بن محمد ، قال : ثنا شاذان ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، جميعاً عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ) قال : الحق يرجع إلى الله ، وعليه طريقه ، لا يعرج على شيء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حماد ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنا أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا مَرَّوان بن شجاع ، عن خَصِيف ، عن زياد بن أبي مریم ، وعبد الله بن كثير أنهما قرآها (هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ) وقالوا : على هي إلى وبمزلتها . حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن إسماعيل بن مسلم ، عن الحسن وسعيد عن قتادة ، عن الحسن (هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ) يقول : إلى مستقيم . وقرأ ذلك قيس بن عباد وابن سيرين وقاتدة فيما ذكر عنهم (هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ) برفع على على أنه نعت للصراط ، بمعنى : رفيع .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي حماد ، قال : ثنا جعفر البصرى ، عن ابن سيرين أنه كان يقرأ (هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ) يعني : رفيع . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ) أى رفيع مستقيم ، قال بشر ، قال يزيد ، قال سعيد : هكذا نقرأها نحن وقاتدة . حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب ، عن هارون ، عن أبي العوام ، عن قتادة ، عن قيس ابن عباد (هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ) يقول : رفيع .

❖❖❖ والصواب من القراءة في ذلك عندنا ، قراءة من قرأ (هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ) على التأويل الذى ذكرناه عن مجاهد والحسن البصرى ، ومن وافقهما عليه ، لإجماع الحجة من القراء عليها ، وشذوذ ما خالفها . وقوله (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ) يقول تعالى ذكره : إن عبادى ليس لك عليهم حجة ، إلا من اتبعك على مادعوته إليه من الضلالة ممن غوى وهلك . حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن عبيد الله بن موهب ، قال ثنا يزيد بن قسيط ، قال : كانت الأنبياء لهم مساجد خارجة من قراهم ، فإذا أراد النبي أن يستنبي ربه عن شيء ، خرج إلى مسجده ، فصلى ما كتب الله له ، ثم سأل ما بدا له ، فبينما نبي في مسجده ، إذ جاء عدو الله حتى جلس بينه وبين القبلة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، فقال عدو الله أرأيت الذى تعوذ منه فهو هو ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، فردد ذلك ثلاث مرّات ، فقال عدو الله : أخبرني بأى شيء تنجو مني ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : بكلٍ أخبرني بأى شيء تغلب ابن آدم ، مرتين ، فأخذ كل واحد منهما على صاحبه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرُهُ يَقُولُ (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ، إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ) قال عدو الله : قد سمعت هذا قبل أن تولد ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : ويقول الله تَعَالَى ذَكَرُهُ : (وَإِنَّمَا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) ولانى والله ما أحسست بك قط إلا استعذت بالله منك ، فقال عدو الله : صدقت بهذا تنجو مني ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : فأخبرني بأى شيء تغلب ابن آدم ؟ قال : آخذه عند الغضب ، وعند الهوى .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿١٥﴾ ﴾

❖ يقول تعالى ذكره لإبليس : وإن جهنم لموعدهم أجمعين (لها سبعة أبواب) يقول : لجهنم سبعة أطباق ، لكل طباق منهم : يعني من أتباع إبليس جزء ، يعني : قسما ونصيبيبا مقسوما . وذكر أن أبواب جهنم طبقات بعضها فوق بعض .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : سمعت أبا هارون الغنوي ، قال : سمعت حيطان ، قال : سمعت عليا وهو يخطب ، قال : إن أبواب جهنم هكذا ، ووضع شعبة إحدى يديه على الأخرى .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي هارون الغنوي ، عن حيطان بن عبد الله ، قال : قال عليّ : تدرّون كيف أبواب النار ؟ قلنا : نعم كنعو هذه الأبواب ، فقال : لا ، ولكنها هكذا ، فوصف أبو هارون أطباقا بعضها فوق بعض ، وفعل ذلك أبو بشر .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن أبي هارون الغنوي ، عن حيطان بن عبد الله عن عليّ ، قال : هل تدرّون كيف أبواب النار ؟ قالوا : كنعو هذه الأبواب ، قال : لا ، ولكن هكذا ووصف بعضها فوق بعض .

حدثنا هارون بن إسحاق ، قال : ثنا مصعب بن المقدم ، قال : أخبرنا إسرائيل ، قال : ثنا أبو إسحاق ، عن هبيرة ، عن عليّ ، قال : أبواب جهنم سبعة بعضها فوق بعض ، فيمتملأ الأول ، ثم الثاني ، ثم الثالث ثم تمتلأ كلها .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن هبيرة ، عن عليّ قال : أبواب جهنم سبعة بعضها فوق بعض ، وأشار بأصابعه على الأول ، ثم الثاني ، ثم الثالث حتى تملأ كلها . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا يونس بن أبي إسحاق ، عن أبيه ، عن هبيرة ابن مريم ، قال : سمعت عليا يقول : إن أبواب جهنم بعضها فوق بعض ، فيمملأ الأول ثم الذي يليه ، إلى آخرها .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عليّ ، قال : أخبرنا محمد بن يزيد الواسطي ، عن جهمضم ، قال : سمعت عكرمة يقول في قوله (لها سبعة أبواب) قال : لها سبعة أطباق .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (لها سبعة أبواب) قال : أولها جهنم ، ثم لظى ، ثم الحطمة ، ثم السعير ، ثم سقر ، ثم الجحيم ، ثم الهاوية . والجحيم فيها أبو جهل

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مِمَّا كَسَبُوا) وهي والله منازل بأعمالهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٦﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٨﴾

❖❖ يقول تعالى ذكره : إن الذين اتقوا الله بطاعته وخافوه ، فتجنبوا معاصيه في جنات وعيون ، يقال لهم : (ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِينَ) من عقاب الله ، أو أن تُسلبوا نعمة أنعمها الله عليكم ، وكرامة أكرمكم بها . قوله (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ) يقول : وأخرجنا ما في صدور هؤلاء المتقين الذين وصف صفتهم من حقد وضيغينة بعضهم لبعض . واختلاف أهل التأويل في الحال التي ينزع الله ذلك من صدورهم ، فقال بعضهم : ينزع ذلك بعد دخولهم الجنة .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو غسان ، قال : ثنا إسرائيل ، عن بشر البصرى ، عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامة ، قال : يدخل أهل الجنة الجنة على ما في صدورهم في الدنيا من الشحناء والضغائن حتى إذا توافوا وتقابلوا ، نزع الله ما في صدورهم في الدنيا من غلٍّ ، ثم قرأ (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ) حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو فضالة ، عن لقمان ، عن أبي أمامة ، قال : لا يدخل مؤمن الجنة حتى ينزع الله ما في صدورهم من غلٍّ ، ثم ينزع منه السبع الضارى .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن إسرائيل ، عن أبي موسى سمع الحسن البصرى يقول : قال عليّ : فينا والله أهل بدر نزلت الآية (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ) إخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ) قال : من عداوة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن يزيد الواسطي ، عن جويبر ، عن الضحاك (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ) قال : العداوة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن عطاء بن السائب ، عن رجل ، عن عليّ (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ) قال : العداوة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قال : جاء ابن جرّموز

قاتل الزبير يستأذن عليّ ، فحجبه طويلا ، ثم أذن له فقال له : أما أهل البلاء فتجفؤهم ، قال عليّ :
بفك التراب إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير ممن قال الله (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ
إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن جعفر ، عن عليّ نحوه .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبان بن عبد الله البجلي ، عن نعيم بن أبي هند ، عن ربعي بن
حرّاش ، بنحوه . وزاد فيه : قال : فقام إلى عليّ رجل من همدان ، فقال الله أعدل من ذلك يا أمير المؤمنين
قال : فصاح عليّ صيحة ظننت أن القصر تدهده لها ، ثم قال : إذا لم نكن نحن ، فمن هم ؟
حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أبو معاوية الضرير ، قال : ثنا أبو مالك الأشجعي ، عن أبي حبيبة
مولى لطلحة ، قال : دخل عمران بن طلحة عليّ بعد ما فرغ من أصحاب الجمل ، فرحب به وقال :
إني لأرجو أن يجعلني الله وأباك من الذين قال الله (إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ) ورجلان جالسان علي
ناحية البساط ، فقالا : الله أعدل من ذلك ، تقتلهم بالأمس وتكونون إخوانا ؟ فقال عليّ : قوما أبعد
أرض وأحقها ، فمن هم إذن إن لم أكن أنا وطلحة ، وذكر لنا أبو معاوية الحديث بطوله .
حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عثمان ، قال : ثنا عبد الواحد ، قال : ثنا أبو مالك ، قال : ثنا
أبو حبيبة ، قال : قال عليّ لابن طلحة : إني لأرجو أن يجعلني الله وأباك من الذين نزع الله ما في صدورهم
من غلّ ، ويجعلنا إخوانا على سرر متقابلين .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا حماد بن خالد الحياطي ، عن أبي الجويرية ، قال : ثنا معاوية بن
إسحاق ، عن عمران بن طلحة ، قال : لما نظرتني عليّ قال : مرحبا بابن أخي ، فذكر نحوه .
حدثنا الحسن ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا هشام ، عن محمد ، قال : استأذن الأشتر
عليّ وعنده ابن لطلحة ، فحبسه ، ثم أذن له ، فلما دخل قال : إني لأراك إنما حبستني لهذا ، قال :
أجل ، قال : إني لأراه لو كان عندك ابن لعثمان حبستني ، قال : أجل إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان ممن
قال الله (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ) .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا إسحاق الأزرق ، قال : أخبرنا عوف ، عن ابن سيرين ، بنحوه .
حدثنا الحسن ، قال : ثنا يعقوب بن إسحاق الحضرمي ، قال : ثنا السكن بن المغيرة ، قال : ثنا معاوية
ابن راشد ، قال : قال عليّ إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان ممن قال الله (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ
غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ثنا ابن المتوكل الناجي أن أباسعيد
الحدريّ حدثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَيُحْبَسُونَ
عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، فَيُقْتَصَبُ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضِ مَظَالِمِ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا
حَتَّى إِذَا هُدُّوا وَنُقُوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ ، قَالَ : فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ،

لَا أَحَدُهُمْ أَهْدَىٰ بِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ ، مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ الَّذِي كَانَ فِي الدُّنْيَا » . وقال بعضهم : ما يشبه بهم إلا أهل جمعة انصرفوا من جمعهم .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان بن مسلم ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد بن أبي عروبة في هذه الآية (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ) قال : ثنا قتادة أن أبا المتوكل الناجي حدثهم أن أبا سعيد الخدري حدثهم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه ، إلى قوله « وَأَذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ » ثم جعل سائر الكلام عن قتادة ، قال : وقال قتادة : فوالذي نفسي بيده لأحدكم أهدى بمنزله ، ثم ذكر باقي الحديث نحو حديث بشر ، غير أن الكلام إلى آخره عن قتادة ، سوى أنه قال في حديثه : قال قتادة وقال بعضهم : ما يشبه بهم إلا أهل الجمعة إذا انصرفوا من الجمعة .

حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي ، قال : ثنا عمر بن زرعة ، عن محمد بن إسماعيل الزبيدي ، عن كثير النواء ، قال : سمعته يقول : دخلت على أبي جعفر محمد بن علي ، فقلت : وای وليکم ، وسلمی سلمکم ، وعدوی عدوکم ، وحربی حربکم ، إني أسألك بالله ، أتبرأ من أبي بكر وعمر ، فقال : قد ضللت إذا وما أنا من المهتدين ، توّلها يا كثير ، فما أدركك فهو في رقبتي ، ثم تلا هذه الآية (إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ) يقول : إخوانا يقابل بعضهم وجه بعض ، لا يستدبره فينظر في قفاه ، وكذلك تأوله أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا حصين ، عن مجاهد ، في قوله (على سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ) قال : لا ينظر أحدكم في قفا صاحبه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى وعبد الرحمن ومؤمل ، قالوا : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله . والسرر : جمع سرير ، كما الجدد : جمع جديد وجمع سررا ، وأظهر التضعيف فيها ، والراءان متحركتان لخفة الأسماء ، ولا تفعل ذلك في الأفعال لثقل الأفعال ، ولكنهم يبدعون في الفعل ليسكن أحد الحرفين فيخفف ، فإذا دخل على الفعل ما يسكن الثاني أظهروا حينئذ التضعيف .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ * نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾

يقول تعالى ذكره : لا يمسّ هؤلاء المتقين الذين وصف صفيتهم في الجنات نصب ، يعني تعب (وما هم منها بمخرجين) يقول : وما هم من الجنة ونعيمها وما أعطاهم الله فيها بمخرجين ، بل ذلك دائم أبدا . وقوله (نبيّ عبادي أني أنا الغفور الرحيم) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم :

أخبر عبادي يا محمد ، أني أنا الذي أستر على ذنوبهم إذا تابوا منها وأنابوا ، بترك فضيحتهم بها وعقوبتهم عليها ، الرحيم بهم ، أن أعدبهم بعد توبتهم منها عليها (وأنَّ عَدَايِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ) يقول : وأخبرهم أيضا أن عَدَايِي لمن أصرَّ على معاصيَّ ، وأقام عليها ولم يتب منها ، هو العذاب الموجه الذي لا يشبهه عذاب ، هذا من الله تحذير لخلقه التقدم على معاصيه ، وأمر منه لهم بالإنبابة والتوبة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ، وَأَنَّ عَدَايِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ) قال : بلغنا أن نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم قال : «لَوْ يَعْلَمُ الْعَبْدُ قَدْرَ عَقْمِ اللَّهِ ، لَمَا تَوَرَّعَ مِنْ حَرَامٍ ، وَلَوْ يَعْلَمُ قَدْرَ عَدَايِي لَبَخَعَ نَفْسَهُ » .

حدثني المثني ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : أخبرنا ابن المكي ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، قال : أخبرنا مصعب بن ثابت ، قال : ثنا عاصم بن عبد الله ، عن ابن أبي رباح ، عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال « طَلَعَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْبَابِ الَّذِي يَدْخُلُ مِنْهُ بَنُو شَيْبَةَ ، فَقَالَ : أَلَا أَرَأَيْكُمْ تَلْضَحْكُونَ ؟ ثُمَّ أَدْبَرَ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الْحَجَرِ رَجَعَ إِلَيْنَا الْقَهْقَرِيُّ ، فَقَالَ : إِنِّي لَمَّا خَرَجْتُ جَاءَ جِبْرَائِيلُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ : لِمَ تُقَنَّطُ عِبَادِي ، نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَدَايِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ » .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾
قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وأخبر عبادي يا محمد عن ضيف إبراهيم : يعني الملائكة الذين دخلوا على إبراهيم خليل الرحمن حين أرسلهم ربهم إلى قوم لوط ليهلكوهم (فقَالُوا سَلَامًا) يقول : فقال الضيف لإبراهيم : سلاما (قال : إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ) يقول : قال إبراهيم : إنا منكم خائفون . وقد بينا وجه النصب في قوله (سلاما) ، وسبب وجل إبراهيم من ضيفه ، واختلاف المختلفين ودللتنا على الصحيح من القول فيه فيما مضى قبل بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع . وأما قوله (قَالُوا) سلاما) وهو يعني به الضيف ، فجمع الخبر عنهم ، وهم في لفظ واحد ، فإن الضيف اسم للواحد والاثنين والجمع مثل الوزن والقطر والعدل ، فلذلك جمع خبره ، وهو لفظ واحد . وقوله (قَالُوا لَا تَوْجَلْ) يقول : قال الضيف لإبراهيم : لا توجل (لَا تَخَفْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ أَبَشِّرْتُنِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَا تَبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾

❖ يقول تعالى ذكره : قال إبراهيم للملائكة الذين بشروه بسلام عليم (أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبِيرُ فِيمَ تَبَشِّرُونَ) يقول : فبأي شيء تبشرون .
 وكان مجاهد يقول في ذلك ما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء وحدثني المنثى ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (قال أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبِيرُ فِيمَ تَبَشِّرُونَ ؟) قال : عجب من كبره ، وكبر امرأته .
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حماد ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله ، وقال (على أن مسنني الكبير) ومعناه : لأن مسني الكبر وبأن مسني الكبر ، وهو نحو قوله (حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق) بمعنى : بأن لا أقول ، ويمثله في الكلام : أتيتك أنك تعطي ، فلم أجدك تعطي .
 القول في تأويل قوله تعالى :

قَالُوا بَشْرُكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾

❖ يقول تعالى ذكره : قال ضيف إبراهيم له : بشرناك بحق يقين ، وعلم منّا بأن الله قد وهب لك غلاماً عليماً ، فلا تكن من الذين يقنطون من فضل الله ، فيياسون منه ، ولكن أبشر بما بشرناك به واقبل البشري . واختلفت القراء في قراءة قوله (مِنَ الْقَانِطِينَ) فقراءته عامة قراء الأمصار (مِنَ الْقَانِطِينَ) بالآلف وذكر عن يحيى بن وثاب أنه كان يقرأ ذلك (الْقَانِطِينَ) .
 ❖ والصواب من القراءة في ذلك ما عليه قراء الأمصار ، لإجماع الحجة على ذلك ، وشدوذ ما خالفه . وقوله (قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ) يقول تعالى ذكره : قال إبراهيم للضيف : ومن يياس من رحمة الله إلا القوم الذين قد أخطئوا سبيل الصواب ، وتركوا قصد السبيل في تركهم رجاء الله ، ولا يخيب من رجاءه ، فضلوا بذلك عن دين الله .
 واختلفت القراء في قراءة قوله (وَمَن يَقْنَطُ) فقراء ذلك عامة قراء المدينة والكوفة (وَمَن يَقْنَطُ) بفتح النون إلا الأعمش والكسائي ، فإنهما كسرا النون من (يَقْنَطُ) . فأما الذين فتحوا النون منه ممن ذكرنا فإنهم قرعوا (مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا) بفتح القاف والنون . وأما الأعمش فكان يقرأ ذلك : من بعد ما قنطوا ، بكسر النون . وكان الكسائي يقرؤه بفتح النون . وكان أبو عمرو بن العلاء يقرأ الحرفين جميعاً على النحو الذي ذكرنا من قراءة الكسائي .

❖ وأولى القراءات في ذلك بالصواب قراءة من قرأه (مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا) بفتح النون (وَمَن يَقْنَطُ) بكسر النون ، لإجماع الحجة من القراء على فتحها في قوله (مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا) فكسرها في (وَمَن يَقْنَطُ)

يَتَمَنِّطُ) أولى إذ كان مجعاً على فتحها في قَسَنَط ، لأن فَعَلَّ إذا كانت عين الفعل منها مفتوحة ، ولم تكن من الحروف الستة التي هي حروف الخلق ، فإنها تكون في يَفْعَل ، كسورة أو مضمومة . فأما الفتح فلا يُعرف ذلك في كلام العرب .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا آلَ لُوطٍ
إِنَّا لَمَنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا أَمْرًا نَقَدَرْنَا إِنَّا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٦٠﴾

يقول تعالى ذكره : قال إبراهيم للملائكة : فما شأنكم : ما أمركم أيها المرسلون ؟ قالت الملائكة له : إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين : يقول : إلى قوم قد اكتسبوا الكفر بالله ، إلا آل لوط : يقول : إلا أتباع لوط على ما هو عليه من الدين . فإننا لن نهلكهم ، بل ننجيهم من العذاب الذي أمرنا أن نعذب به قوم لوط . سوى امرأة لوط قدّرنا إنها من الغابرين : يقول : قضى الله فيها إنها لمن الباقين ، ثم هي مهلكة بعد . وقد بينا الغابر فيما مضى بشواهد .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ
يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾

يقول تعالى ذكره : فلما أتى رسلُ الله آل لوط . أنكرهم لوط فلم يعرفهم . وقال لهم : (إنكم قومٌ مُّكَرُونَ) : أي نُنكركم لانعرفكم ، فقالت له الرسل : بل نحن رسل الله جئناك بما كان فيه قوماً يشكون أنه نازل بهم من عذاب الله على كفرهم به .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى : وحدثني الحارث قال : ثنا الحسن . قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة . قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق . قال : ثنا عبد الله . عن ورقاء جميعاً . عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (قال إنكم قومٌ مُّكَرُونَ) قال : أنكرهم لوط . وقواه (بما كانوا فيه يمترون) قال : بعذاب قوم لوط .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين . قال : ثنا حجاج . عن ابن جريج . عن مجاهد . مثله .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَتَيْنَكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْبَسْ
مِنْكَ أَحَدٌ وَأَمْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾

❖❖ يقول تعالى ذكره : قالت الرسل للوط : وجئناك بالحق اليقين من عند الله ، وذلك الحق هو العذاب الذي عذب الله به قوم لوط . وقد ذكرت خبرهم وقصصهم في سورة هود وغيرها حين بعث الله رسوله ليعذبهم به . وقولهم : (وَأِنَّا لَصَادِقُونَ) يقولون : إنا لصادقون فيما أخبرناك به يا لوط من أن الله مهلك قومك (فَأَسْرِبْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ) يقول تعالى ذكره مخبرا عن رسوله أنهم قالوا للوط ، فأسر بأهلك ببقية من الليل ، واتبع يالوط أدبار أهلك الذين تسرى بهم ، وكن من ورائهم ، وسر خلفهم وهم أمامك ، ولا يلتفت منكم ورائه أحد ، وامضوا حيث يأمركم الله .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ) لا يلتفت ورائه أحد ، ولا يُعْرِج .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ) : لا ينظر ورائه أحد .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَأَتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ)
قال : أمير أن يكون خلف أهله ، يتبع أدبارهم في آخرهم إذا مشوا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَأَسْرِبْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ) قال : بعض الليل (وَأَتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ) : أدبار أهله .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَهُمْ هَوْلًا مَّقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾

❖❖ يقول تعالى ذكره : وفرغنا إلى لوط من ذلك الأمر ، وأوحينا أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين : يقول : إن آخر قومك وأولهم مجذوذ مستأصل صباح ليلتهم ، وأن من قوله (أن دابرا) في موضع نصب ردا على الأمر بوقوع القضاء عليها . وقد يجوز أن تكون في موضع نصب بفقد الخافض ، ويكون معناه : وقضينا إليه ذلك الأمر بأن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين . وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله : وقلنا إن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين . وعني بقوله (مصبحين) : إذا أصبحوا ، أوحين يصبحون .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، قوله (أَنْ دَابِرَ هَوَآءٍ مَقْطُوعٍ مُّصْبِحِينَ) يعنى : استئصال هلاكهم مصبحين .
حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ) قال : أوحينا إليه .

وقوله (وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ) يقول : وجاء أهل مدينة سدوم وهم قوم لوط لما سمعوا أن ضيفا قد ضاف لوطا مستبشرين بنزولهم مدينتهم طمعا منهم فى ركوب الفاحشة .
كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ) استبشروا بأضياف نبي الله صلى الله عليه وسلم لوط ، حين نزلوا لما أرادوا أن يأتوا إليهم من المنكر .

القول فى تأويل قوله تعالى :

قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضِيفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٧٥﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٧٦﴾ قَالُوا أَوْلَمْ نُنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾

يقول تعالى ذكره : قال لوط لقومه : إن هؤلاء الذين جثتموهم تريدون منهم الفاحشة ضيفي ، وحق على الرجل إكرام ضيفه ، فلا تفضحون أيها القوم فى ضيفي ، وأكرموني فى ترككم التعرض لهم بالمكروه .
وقوله (وَاتَّقُوا اللَّهَ) يقول : وخافوا الله فى وفى أنفسكم أن يجلّ بكم عقابه (وَلَا تُخْزُونِ) يقول : ولا تدلوني ولا تهينوني فيهم ، بالتعرض لهم بالمكروه (قَالُوا أَوْلَمْ نُنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ) يقول تعالى ذكره : قال لوط لقومه : أ ولم نهك أن تضيف أحدا من العالمين .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَوْلَمْ نُنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ) قال : ألم نهك أن تضيف أحدا ؟

القول فى تأويل قوله تعالى :

قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧٨﴾ لَعْنَةُ اللَّهِ لِفِي سَكْرِهِمْ بِعَمْرُونِ ﴿٧٩﴾ فَأَخَذْتُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ ﴿٨٠﴾

يقول تعالى ذكره : قال لوط لقومه : تزوجوا النساء فأتوهن ، ولا تفعلوا ما قد حرم الله عليكم من إتيان الرجال ، إن كنتم فاعلين ما أمركم به ، ومنتهين إلى أمرى .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قال هؤلاءِ بنا تاني إن كنتم فاعلين) : أمرهم نبي الله لوط أن يزوجوا النساء ، وأراد أن يقي أضيافه ببنااته .
وقوله (لَعَمْرُكَ) يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وحياتك يا محمد ، إن قومك من قريش (لَئِن سَكَرْتِهِمْ يَعْصَمُهُونَ) يقول : لاني ضلاتهم وجهلهم يترددون .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا مسلم بن إبراهيم ، قال : ثنا سعيد بن زيد ، قال : ثنا عمرو بن مالك ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس ، قال : ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسا أكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم ، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره ، قال الله تعالى ذكره (لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَئِن سَكَرْتِهِمْ يَعْصَمُهُونَ) .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يعقوب بن إسحاق الحضرمي ، قال : ثنا الحسن بن أبي جعفر ، قال : ثنا عمرو بن مالك ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس ، في قول الله (لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَئِن سَكَرْتِهِمْ يَعْصَمُهُونَ) قال : ما حلف الله تعالى بحياة أحد إلا بحياة محمد صلى الله عليه وسلم ، قال : وحياتك يا محمد وعمرك وبمائك في الدنيا (إِنَّهُمْ لَئِن سَكَرْتِهِمْ يَعْصَمُهُونَ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَئِن سَكَرْتِهِمْ يَعْصَمُهُونَ) وهي كلمة من كلام العرب : لاني سكرتهم : أي في ضلاتهم يعصمون : أي يلعبون .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، قال : سألت الأعمش ، عن قوله (لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَئِن سَكَرْتِهِمْ يَعْصَمُهُونَ) قال : لاني غفلتهم يترددون .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فِي سَكَرْتِهِمْ) قال : في ضلاتهم يعصمون : قال : يلعبون .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال مجاهد (يَعْصَمُهُونَ) قال : يترددون .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله : (لَعَمْرُكَ) يقول : لَعَيْشُكَ (إِنَّهُمْ لَئِن سَكَرْتِهِمْ يَعْصَمُهُونَ) قال : يترددون .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، قال : كانوا يكرهون أن يقول الرجل : لعدي ، يرواه كقوله : وحياتي .

وقوله (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ) يقول تعالى ذكره : فأخذتهم صاعقة العذاب ، وهي الصيحة مشرقين : يقول : إذ أشرقوا . ومعناه : إذ أشرفت الشمس . ونصب مشرقين ومصبحين على الحال بمعنى : إذ أصبحوا ، وإذ أشرقوا . يقال منه : صبح بهم : إذا أهلكوا .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ) قال : حين أشرقت الشمس ذلك مشرقين .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمُ سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ﴾ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾

❖❖ يقول تعالى ذكره : فجعلنا على أرضهم سافلها ، وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ^١ .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن عكرمة (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمُ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ) أى من طين .

وقوله (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ) يقول : إن في الذي فعلنا بقوم لوط من إهلاكهم ، وأحللنا بهم من العذاب لعملامات ودلالات للمتفرسين الاعتبار بعلامات الله ، وعبره على عواقب أمور أهل معاصيه والكفر به . وإنما يعنى تعالى ذكره بذلك قوم نبي الله صلى الله عليه وسلم من قريش ؛ يقول : فليقومك يا محمد في قوم لوط ، وما حل بهم من عذاب الله حين كذبوا رسولهم ، وتمادوا في غيرهم ، وضالهم ، مُعْتَبِرٌ .

وبنحو الذي قلنا في معنى قوله (لِلْمُتَوَسِّمِينَ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عبد الأعلى بن واصل قال : ثنا يعلى بن عبيد . قال : ثنا عبد الملك بن أبي سليمان ، عن قيس ، عن مجاهد ، في قوله (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ) قال : للمتفرسين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن عبد الملك ؛ وحدثنا الحسن الزعفراني ، قال : ثنا محمد ابن عبيد ، قال : ثنا عبد الملك ، عن قيس ، عن مجاهد (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ) قال : للمتفرسين .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ؛ قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ؛ قال : ثنا شبل ؛ وحدثنا ابن وكيع ؛ قال : ثنا أبو أسامة ، قال : ثنا شبل جميعا ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد ، مثله .

(١) لعل الأصل (من سجيل) : أى من طين ، كما يظهر بتأمل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : المتوسمين : المتفرسين . قال : توسمت فيك الخير نافلة .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن عبد الملك بن أبي سليمان ، عن قيس ، عن مجاهد (إن في ذلك آيات للمتوسمين) قال : المتفرسين .
حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (إن في ذلك آيات للمتوسمين) يقول : للناظرين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن يزيد ، عن جرير ، عن الضحاك (للمتوسمين) قال للناظرين .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إن في ذلك آيات للمتوسمين) :
أى للمعتبرين .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (للمتوسمين) قال : للمعتبرين .

حدثني محمد بن عمار ، قال : ثنى محمد بن مالك ، قال : ثنا محمد بن كثير ، عن عمرو بن قيس ، عن عطية ، عن أبي سعيد ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتقوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ . ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : (إن في ذلك آيات للمتوسمين) » .

حدثنا أحمد بن محمد الطوسي ، قال : ثنا محمد بن كثير مولى بني هاشم ، قال : ثنا عمرو بن قيس الملائى ، عن عطية ، عن أبي سعيد ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بمثله .

حدثني أحمد بن محمد الطوسي ، قال : ثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا الثورات بن السائب ، قال : ثنا هيمون بن مهران ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتقوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ » .

حدثنا عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنى سعيد بن محمد الجرمي ، قال : ثنا عبد الواحد بن واصل ، قال : ثنا أبو بشر المزلق ، عن ثابت البناني ، عن أنس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن لله عباداً يعرفون الناس بالتوسم » .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إن في ذلك آيات للمتوسمين) قال : المتفكرون والمعتبرون الذين يتوسمون الأشياء ، ويتفكرون فيها ويعتبرون .
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (للمتوسمين) يقول : للناظرين .

حدثني أبو شرحبيل الحمصي ، قال : ثنا سليمان بن سلمة ، قال : ثنا المؤمل بن سعيد بن يوسف الرحبي ، قال : ثنا أبو المعالي أسد بن وداعة الطائي ، قال : ثنا وهب بن منبه ، عن طاوس بن كيسان ،

عن ثوبان، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « احذروا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ ، وَيَسْطِقُ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ » .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِنَّهَا لِبِسْبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾

❖ يقول تعالى ذكره : وإن هذه المدينة ، مدينة سَدُومَ ، لبطريق واضح مقيم يراها المجتاز بها لاختفاء بها ، ولا يبرح مكانها ، فيجهل ذولب أمرها ، وغب معصية الله ، والكفر به .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، وحدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، جميعاً عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَإِنَّهَا لِبِسْبِيلٍ مُّقِيمٍ) قال : لبطريق معلم .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنَّهَا لِبِسْبِيلٍ مُّقِيمٍ) يقول : بطريق واضح .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (وَإِنَّهَا لِبِسْبِيلٍ مُّقِيمٍ) قال : طريق : السبيل : الطريق .
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (لِبِسْبِيلٍ مُّقِيمٍ) يقول : بطريق معلم .
وقوله (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ) يقول تعالى ذكره : إن في صنعنا بقوم لوط ما صنعنا بهم ، لعلامة ودلالة بينة لمن آمن بالله على انتقامه من أهل الكفر به ، وإنقاذه من عذابه ، إذا نزل بقوم أهل الإيمان به منهم .

كما حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن سماك ، عن سعيد بن جبیر ، في قوله (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً) قال : هو كالرجل يقول لأهله : علامة ما بيني وبينكم أن أرسل إليكم خاتمي ، أو آية كذا وكذا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن سفيان ، عن سماك ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً) قال : أما ترى الرجل يرسل بخاتمه إلى أهله فيقول : هاتوا خذي ، هاتوا خذي ، فإذا رأوه علموا أنه حق .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴾ ﴿٧٨﴾ فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾

❖❖❖ يقول تعالى ذكره : وقد كان أصحاب الغيضة ظالمين ، يقول : كانوا بالله كافرين ، والأيكه : الشجر الملتف المجتمع ، كما قال أمية :

كَبَّكَاءِ الْحَمَامِ عَلَى فَرَوِ عِ الْأَيْكِ فِي الْغُصْنِ الْجَوَانِحِ

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد ، قال : ثنا عتاب بن بشير ، عن خصيف ، قال ، قوله (أصحاب الأيكة) قال : الشجر ، وكانوا يأكلون في الصيف الفاكهة الرطبة ، وفي الشتاء اليابسة . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ) ذكر لنا أنهم كانوا أهل غيضة . وكان عامة شجرهم هذا الدوم . وكان رسولهم فيما بلغنا شعيب صلي الله عليه وسلم ، أرسل إليهم وإلى أهل مدين ، أرسل إلى أمتين من الناس ، وعدّبتا بعداين شتى . أما أهل مدين ، فأخذتهم الصيحة ؛ وأما أصحاب الأيكة ، فكانوا أهل شجر متكأوس ؛ ذكر لنا أنه سلط عليهم الحرّ سبعة أيام ، لا يظلمهم منه ظلّ ، ولا يمنعهم منه شيء ، فبعث الله عليهم سخابة : فجعلوا تحمها يلتمسون الرّوح فيها ، فجعلها الله عليهم عذابا ، بعث عليهم نارا ، فاضطربت عليهم فأكاثهم ، فذلك عذاب يوم الظلّة ، إنه كان عذاب يوم عظيم .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن أبي حماد ، قال : ثنا عمرو بن ثابت ، عن أبيه عن سعيد بن جبير ، قال : أصحاب الأيكة : أصحاب غيضة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قوله (وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ) قال : قوم شعيب . قال ابن عباس : الأيكة ذات آجام وشجر كانوا فيها . حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله (أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ) قال : هم قوم شعيب ، والأيكة : الغيضة .

(١) البيت لأمية بن أبي الصلت الثقفي ، ولم أجده في ديوانه ، ووجدته في سيرة ابن هشام (٣ : ٣١ طبعة الحلبي) من قصيدة له يرثي بها قتلى بدر وأولها :

أَلَّا بِكَيْتِ عَلَى الْكِرَامِ مِ بَنِي الْكِرَامِ أُولَى الْمَسَادِحِ

كَبَّكَاءِ الْحَمَامِ . . . البيت . والأيك : الشجر الملتف ، واحده أيكه . والجوانح : الموائل . يقول : جنح : إذا مال . وفي (اللسان أيك) : الأيكة : الشجر الكثير الملتف . وقيل : هي الغيضة تنبت السدر والأراك ونحوهما من ناعم الشجر ، ونخص بعضهم به منبت الأثل ومجتمعه .

حدثني يونس . قال : أخبرنا ابن وهب . قال : أخبرنا عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن عمرو بن عبد الله . عن قتادة . أنه قال : إن أصحاب الأيكة . والأيكة : الشجر الملتف . وقوله (فانتقمنا منهم وإنا لبيها لبيها) يقول تعالى ذكره : فانتقمنا من ظلمة أصحاب الأيكة . وقوله (وإنا لبيها لبيها) يقول : وإن مدينة أصحاب الأيكة . ومدينة قوم لوط . والهاه والميم في قوله (وإنا لبيها) من ذكر المدينتين (لبيها) يقول : لبطريق يأتون به في سفرهم . ويهتدون به (مبيها) يقول : يبين لمن اتهم به استقامته . وإنما جعل الطريق إماماً لأنه يؤتم ويتبع . وبنحو الذي قلنا في ذلك . قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى . قال : ثنا عبد الله بن صالح . قال : ثنى معاوية . عن علي بن أبي طلحة . عن ابن عباس ، قوله (وإنا لبيها لبيها) يقول : على الطريق . حدثني محمد بن سعد . قال : ثنى أبي . قال : ثنى همي . قال : ثنى أبي . عن أبيه . عن ابن عباس . قوله (فانتقمنا منهم وإنا لبيها لبيها) يقول : طريق ظاهر . حدثني محمد بن عمرو . قال : ثنا أبو عاصم . قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث . قال : ثنا الحسن . قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا الحسن بن محمد . قال : ثنا شابة . قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى . قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة . قال : ثنا شبل جميعاً . عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وإنا لبيها لبيها) قال : بطريق معلم . حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وإنا لبيها لبيها) قال : طريق واضح . حدثت عن الحسين قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (لبيها لبيها) بطريق مستبين .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسِلِينَ ﴿٨١﴾ وَءَاتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨٢﴾

❖❖ يقول تعالى ذكره : ولقد كذب سكان الحجر . وجعلوا لسكناهم فيها ومقامهم بها أصحابها ، كما قال تعالى ذكره (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً) فجعلهم أصحابها لسكناهم فيها ومقامهم بها . والحجر : مدينة ثمود .

وكان قتادة يقول في معنى الحجر ، ما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر عن قتادة : أصحاب الحجر : قال : أصحاب الوادي .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، وهو يذكر الحجر

مساكن ثمود قال: قال سالم بن عبدالله: إن عبد الله بن عمر قال: «مررنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تندخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين حذراً أن يصيبكم مثل ما أصابهم، ثم زجر فأسرع حتى خلفها». حدثنا زكريا بن يحيى بن أبان المصري، قال: ثنا أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن أبي عباد المكي، قال: ثنا داود بن عبدالرحمن، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن ابن سابط، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو بالحجر: «هؤلاء قوم صالح أهلكتهم الله إلا رجلاً كان في حرم الله منعه حرم الله من عذاب الله، قيل: يا رسول الله من هو؟ قال: أبو رغال». وقوله (وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين) يقول: وأريناهم أدلتنا ووجهنا على حقيقة ما بعثنا به إليهم رسولنا صالحاً، فكانوا عن آياتنا التي آتيناهمها معرضين لا يعتبرون بها ولا يتعظون.

القول في تأويل قوله تعالى:

وَكَاَنُوا يَنْجُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴿٨٦﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٧﴾ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا

يَكْسِبُونَ ﴿٨٨﴾

يقول تعالى ذكره: وكان أصحاب الحجر، وهم ثمود قوم صالح، (ينحتون من الجبال بيوتاً آمينين) من عذاب الله، وقيل: آمينين من الحراب أن تحرب بيوتهم التي نحتوها من الجبال. وقيل: آمينين من الموت. وقوله (فأخذتهم الصيحة مصبحين) يقول: فأخذتهم صيحة الهلاك حين أصبحوا من اليوم الرابع من اليوم الذي وعدوا العذاب، وقيل لهم: تمتعوا في داركم ثلاثة أيام. وقوله (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) يقول: فما دفع عنهم عذاب الله ما كانوا يجتريحون من الأعمال الخبيثة قبل ذلك.

القول في تأويل قوله تعالى:

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأَنبِيَةٌ فَاصِّحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٨٩﴾

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٩٠﴾

يقول تعالى ذكره: وما خلقنا الخلائق كلها، سماءها وأرضها، ما فيهما وما بينهما، يعني بقوله (وما بينهما) مما في أطباق ذلك (إلا بالحق) يقول: إلا بالعدل والإنصاف، لا بالظلم والجور. وإنما يعني تعالى ذكره بذلك: أنه لم يظلم أحداً من الأمم التي اقتصت قصصها في هذه السورة، وقصص إهلاكها بما فعل به من تعجيل النعمة له على كفره به، فيعذبه ويهلكه بغير استحقاق، لأنه لم يخلق السموات والأرض وما بينهما بالظلم والجور، ولكنه خلق ذلك بالحق والعدل. وقوله (وإن الساعة لآتية)

فاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وإن الساعة ، وهى الساعة التى تقوم فيها القيامة لحائية ، فارض بها لمشركى قومك الذين كذبوك ، وردوا عليك ماجثهم به من الحق (فاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ) يقول : فأعرض عنهم إعراضاً جميلاً ، واعف عنهم عفواً حسناً وقوله (إن رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ) يقول تعالى ذكره : إن ربك هو الذى خلقهم وخلق كل شىء ، وهو عالم بهم وبتدبيرهم ، وما يأتون من الأفعال . وكان جماعة من أهل التأويل تقول : هذه الآية منسوخة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ) ثم نسخ ذلك بعد ، فأمره الله تعالى ذكره بقتالهم ، حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، لا يقبل منهم غيره .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله (فاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ) ، (فاصْفَحْ عَنْهُمْ ، وَقُلْ سَلَامٌ ، فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ . وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) و (قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ) وهذا النحو كله فى القرآن أمر الله به نبيه صلى الله عليه وسلم أن يكون ذلك منه ، حتى أمره بالقتال ، فنسخ ذلك كله . فقال (خُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ ، وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن مجاهد (فاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ) قال : هذا قبل القتال .

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن سفيان بن عيينة ، فى قوله (فاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ) وقوله (وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) قال : كان هذا قبل أن ينزل الجهاد . فلما أمر بالجهاد قاتلهم فقال : «أنا نبي الرحمة ونبي الملحمة ، وبُعِثْتُ بِالْحَصَادِ وَلَمْ أُبْعَثْ بِالزَّرَاعَةِ» .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾

اختلف أهل التأويل فى معنى السبع الذى آتى الله نبيه صلى الله عليه وسلم من المثانى ؛ فقال بعضهم : عنى بالسبع : السبع السور من أول القرآن اللواتى يُعْرَفْنَ بِالطُّولِ . وقائلو هذه المقالة مختلفون فى المثانى ، فكان بعضهم يقول : المثانى هذه السبع ، وإنما سمين بذلك لأنهن ثُنِيْنَ فِيهِنَّ الْأَمْثَالُ وَالْحَبْرُ وَالْعَبْرُ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن يونس ، عن ابن سيرين ، عن ابن مسعود فى قوله (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي) قال : السبع : الطُّولُ

مِنْ الْمَثَانِي (قال : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، ويونس ، تُثْنِي فيها الأحكام والفرائض .

حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح ، قال : ثنا هشيم ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، قال : هن السبع الطُّوَل .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا سعيد بن منصور ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، في قوله (سَبْعًا مِنْ الْمَثَانِي) قال : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، ويونس . قال : قلت : ما المثنان ؟ قال : يثنى فيهن القضاء والقصاص .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنْ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ) قال : البقرة وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، ويونس .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : السبع الطُّوَل .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أبو خالد القرشي ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس مثله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أبو خالد ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت ليثا ، عن مجاهد ، قال : هي السبع الطُّوَل .

حدثنا الحسن بن محمد بن عبيد الله ، قال : ثنا عبد الملك ، عن قيس ، عن مجاهد ، في قوله (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنْ الْمَثَانِي) قال : هي السبع الطُّوَل .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله تعالى (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنْ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ) قال : هن القرآن السبع الطُّوَل السبع الأوَل .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل وابن نمير ، عن عبد الملك ، عن قيس ، عن مجاهد ، قال : هن السبع الطُّوَل .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : السبع الطُّوَل .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن نمير ، عن سفيان ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : هي الأمثال والخبر والعبر .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن إسماعيل ، عن خوات ، عن سعيد بن جبير ، قال : هي السبع الطول ، أعطى موسى سنا ، وأعطى محمد صلى الله عليه وسلم سبعا .
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله (سبعا من المثاني) يعني السبع الطول .
وقال آخرون : عن ذلك : سبع آيات وقالوا : هن آيات فاتحة الكتاب ، لأنهن سبع آيات ، وهم أيضا مختلفون في معنى المثاني ، فقال بعضهم : إنما سمين مثاني لأنهن يثنين في كل ركعة من الصلاة .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : أخبرنا ابن عليه ، عن سعيد الجري ، عن أبي نضرة ، قال : قال رجل منا يقال له : جابر أو جويبر طلبت إلى عمر حاجة في خلافته ، فقدمت المدينة ليلا ، فثلت بين أن أتخذ منزلا وبين المسجد ، فاخترت المسجد منزلا ، فأرقت نشوا من آخر الليل ، فإذا إلى جنبي رجل يصلي يقرأ بأم الكتاب ، ثم يسبح قدر السورة ، ثم يركع ولا يقرأ ، فلم أعرفه حتى جهر ، فإذا هو عمر ، فكانت في نفسي ، فغدوت عليه فقلت : يا أمير المؤمنين حاجة مع حاجة ، قال : هات حاجتك ، قلت : إني قدمت ليلا فثلت بين أن أتخذ منزلا وبين المسجد ، فاخترت المسجد ، فأرقت نشوا من آخر الليل ، فإذا إلى جنبي رجل يقرأ بأم الكتاب ، ثم يسبح قدر السورة ثم يركع ولا يقرأ ، فلم أعرفه حتى جهر ، فإذا هو أنت ، وليس كذلك نفع قبلكنا ، قال : وكيف تفعلون ؟ قال : يقرأ أحدنا أم الكتاب ، ثم يفتح السورة فيقرأها ، قال : ما لهم يعلمون ولا يعلمون ، ما لهم يعلمون ولا يعلمون ، وما تبغى عن السبع المثاني ، وعن التسبيح صلاة الخلق .

حدثني طليق بن محمد الواسطي ، قال : أخبرنا يزيد ، عن الجري ، عن أبي نضرة ، عن جابر أوجويبر ، عن عمر بنحوه ، إلا أنه قال : فقال يقرأ القرآن ما تيسر أحيانا ، ويسبح أحيانا ، ما لهم رغبة عن فاتحة الكتاب ، وما يتبغى بعد المثاني ، وصلاة الخلق : التسبيح .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن السدي ، عن عبد خير ، عن علي ، قال : السبع المثاني : فاتحة الكتاب .
حدثنا نصر بن عبد الرحمن ، قال : ثنا حفص بن عمر ، عن الحسن بن صالح وسفيان ، عن السدي ، عن عبد خير ، عن علي مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن السدي ، عن عبد خير ، عن علي مثله .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ؛ وحدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد جميعا ، عن سفيان ، عن السدي ، عن عبد خير ، عن علي ، مثله .

حدثنا أبو كريب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن إدريس ، قال : ثنا هشام ، عن ابن سيرين ، قال : سئل ابن مسعود عن سبع من المثاني ، قال : فاتحة الكتاب .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، قال : أخبرنا يونس ، عن الحسن ، في قوله (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي) قال : فاتحة الكتاب ، قال : وقال ابن سيرين عن ابن مسعود : هي فاتحة الكتاب . حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن يونس ، عن ابن سيرين ، عن ابن مسعود (سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي) قال : فاتحة الكتاب .

حدثني سعيد بن يحيى الأُمَوِيُّ ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنا ابن جريج ، قال : أخبرنا أبي ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ، أنه قال في قول الله تعالى (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي) قال : هي فاتحة الكتاب ، فقرأها على ستا ، ثم قال : بسم الله الرحمن الرحيم الآية السابعة ، قال سعيد : وقرأها ابن عباس على كما قرأها عليك ، ثم قال الآية السابعة : بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال ابن عباس : قد أخرجها الله لكم وما أخرجها لأحد قبلكم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني ابن جريج ، أن أباه حدثه ، عن سعيد بن جبير ، قال : قال لي ابن عباس : فاستفتح ببسم الله الرحمن الرحيم ، ثم قرأ فاتحة الكتاب ، ثم قال : تدرى ما هذا (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي) .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي) يقول : السبع : الحمد لله رب العالمين ، والقرآن العظيم . ويقال : هن السبع الطول ، وهن المثون .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن أبيه ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : فاتحة الكتاب .

حدثني عمران بن موسى القزاز ، قال : ثنا عبد الوارث ، قال : ثنا إسحاق بن سويد ، عن يحيى بن يعمر ، وعن أبي فاختة في هذه الآية (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ) قالا : هي أم الكتاب .

حدثني المثني ، قال : ثنا وهب بن جرير ، قال : ثنا شعبة ، عن السدي عن سمع عليا يقول : الحمد لله رب العالمين ، هي السبع المثاني .

حدثنا أبو المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : سمعت العلاء بن عبد الرحمن ، يحدث عن أبيه ، عن أبي بن كعب ، أنه قال : السبع المثاني : الحمد لله رب العالمين .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، في قول الله تعالى (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي) قال : فاتحة الكتاب سبع آيات ، قلت للربيع : إنهم يقولون : السبع الطول ، فقال : لقد أنزلت هذه ، وما أنزل من الطول شيء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، قال : فاتحة الكتاب . قال : وإنما سميت المثاني ، لأنه يثنى بها كلما قرأ القرآن قرأها ، فقيل لأبي العالية : إن الضحاك بن مزاحم يقول : هي السبع الطُّوَل ، فقال : لقد نزلت هذه السورة سبعا من المثاني وما أنزل شيء من الطُّوَل .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا سفیان ، عن أبيه ، عن سعيد بن جبیر ، قال : فاتحة الكتاب .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي جميعا ، عن سفیان ، عن الحسن بن عبيد الله ، عن إبراهيم ، قال : فاتحة الكتاب .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفیان ، عن الحسن بن عبيد الله ، عن إبراهيم مثله . حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ؛ وحدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد جميعا ، عن هارون بن أبي إبراهيم البربري ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير ، قال : السبع من المثاني : فاتحة الكتاب .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن ابن جريج ، عن أبي مايكة (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي) قال : فاتحة الكتاب . قال : وذكر فاتحة الكتاب لنبيكم صلى الله عليه وسلم لم تذكر لنبي قبله . حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن أيث ، عن شهر بن حوشب ، في قوله (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي) قال : فاتحة الكتاب .

حدثني محمد بن أبي خدّاش ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، قال : ثنا هارون البربري ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي في قول الله تعالى (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي) قال : هي الحمد لله رب العالمين .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عليّة ، عن أبي رجاء ، قال : سألت الحسن ، عن قوله تعالى (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ) قال : هي فاتحة الكتاب ، ثم سئل عنها وأنا أسمع ، فقرأها الحمد لله رب العالمين ، حتى أتى على آخرها ، فقال : تثنى في كل قراءة .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : فاتحة الكتاب حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن أيث ، عن مجاهد ، قال : فاتحة الكتاب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ) ذكر لنا أنهم فاتحة الكتاب ، وأنهم يثنون في كل قراءة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي) قال : فاتحة الكتاب تثنى في كل ركعة مكتوبة وتطوع .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حماد بن زيد وحجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني أبي

عن سعيد بن جبير ، أنه أخبره أنه سأل ابن عباس ، عن السبع المثاني ، فقال : أمّ القرآن ، قال سعيد : ثم قرأها ، وقرأ منها : (بسم الله الرحمن الرحيم) قال أبي : قرأها سعيد كما قرأها ابن عباس ، وقرأ فيها بسم الله الرحمن الرحيم . قال سعيد : قلت لابن عباس : فما المثاني؟ قال : هي أمّ القرآن ، استثنى الله لمحمد صلى الله عليه وسلم ، فرفعها في أمّ الكتاب ، فذخرها لهم حتى أخرجها لهم ، ولم يعطها لأحد قبله . قال : قلت : لأبي : أخبرك سعيد أن ابن عباس قال له : بسم الله الرحمن الرحيم ، آية من القرآن؟ قال : نعم . قال ابن جريج : قال عطاء : فاتحة الكتاب ، وهي سبع ببسم الله الرحمن الرحيم ، والمثاني : القرآن .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن عطاء ، أنه قال : السبع المثاني : أمّ القرآن .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبد الله العتكي ، عن خالد الحنفي قاضي مرو في قوله (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي) قال : فاتحة الكتاب .

وقال آخرون : عنى بالسبع المثاني : معاني القرآن .

ذكر من قال ذلك

حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب الشهيد الشهيد ، قال : ثنا عتاب بن بشير ، عن خصيف ، عن زياد بن أبي مریم ، في قوله (سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي) قال : أعطيتك سبعة أجزاء : مر ، وإنه ، وبشّر ، وأنذر ، واضرب الأمثال ، واعدد النعم ، وآيتك نبأ القرآن .

وقال آخرون : من الذين قالوا عني بالسبع المثاني : فاتحة الكتاب المثاني هو القرآن العظيم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمران بن عيينة ، عن حصين ، عن أبي مالك ، قال : القرآن كله مثاني .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفیان ، عن حصين ، عن أبي مالك ، قال : القرآن كله مثاني .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عبید أبو زيد ، عن حصين ، عن أبي مالك ، قال : القرآن مثاني ، وعدّ البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف وبراءة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، وعن ابن طاوس ، عن أبيه ، قال : القرآن كله يثنى .

حدثني محمد بن سعد ، قال : قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : المثاني : ما ثني من القرآن ، ألم تسمع لقول الله تعالى ذكره (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيًا) .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول : المثاني : القرآن ، يذكر الله القصة الواحدة مرارا ، وهو قوله (نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيًا) .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، قول من قال : عنى بالسبع المثاني : السبع اللواتي هن آيات

أم الكتاب، لصحة الخبر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي حدثني يزيد بن مخلص بن خديش الواسطي، قال: ثنا خالد بن عبد الله، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أم القرآن السبع المثاني التي أعطيتها».

حدثني أحمد بن المقدم العجلي، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا روح بن القاسم، عن أبيه، عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي: «إني أحب أن أعلمك سورة لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها، قال: نعم يا رسول الله، قال: إني لأرجو أن لا تخرج من هذا الباب حتى تعلمها، ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي يحدني، فجعلت أتباطأ مخافة أن يبلغ الباب قبل أن ينقضي الحديث؛ فلما دنوت قلت: يا رسول الله ما السورة التي وعدتني؟ قال: ما تقرأ في الصلاة؟ فقرأت عليه أم القرآن، فقال: والذي نفسي بيده ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها، إنها السبع من المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيته».

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا زيد بن حباب العملي، قال: ثنا مالك بن أنس، قال: أخبرني العلاء ابن عبد الرحمن بن يعقوب مولى لعروة، عن أبي سعيد مولى عامر بن فلان، أو ابن فلان، عن أبي بن كعب، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: «إذا افتتحت الصلاة بسم تفتتح؟ قال: الحمد لله رب العالمين، حتى ختمها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيت».

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا أبو أسامة، عن عبد الحميد بن جعفر، عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن أبي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أعلمك سورة ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور، ولا في الفرقان مثلها؟ قلت: بلى، قال: إني لأرجو أن لا تخرج من ذلك الباب حتى تعلمها، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقمت معه، فجعل يحدني ويده في يدي، فجعلت أتباطأ كراهية أن يخرج قبل أن يخبرني بها؛ فلما قرب من الباب قلت: يا رسول الله السورة التي وعدتني، قال: كيف تقرأ إذا افتتحت الصلاة؟ قال: فقرأ فاتحة الكتاب، قال: هي هي، وهي السبع المثاني التي قال الله تعالى (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم - الذي أوتيت)».

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا المحاربي، عن إبراهيم بن الفضل المدني، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الركعتان اللتان لا يقرأ فيهما كالحداج لم يتيماً، قال رجل: رأيت إن لم يكن معي إلا أم القرآن؟ قال: هي حسبك هي أم القرآن، هي السبع المثاني».

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن نمير، عن إبراهيم بن الفضل، عن المقبري، عن أبي هريرة، قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الرَّكْعَةُ الَّتِي لَا يُقْرَأُ فِيهَا كَالْحَدَاجِ » قلت لأبي هريرة : فإن لم يكن معى إلا أمّ القرآن ؟ قال : هى حسبك ، هى أمّ الكتاب ، وأمّ القرآن ، والسبع المثانى .

حدثنى أبو كريب ، قال : ثنا خالد بن مخلد ، عن محمد بن جعفر ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي التَّوْرَةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلَهَا ، بَعْنَى أُمِّ الْقُرْآنِ ، وَإِنَّهَا لَهِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي الَّتِي آتَانِي اللَّهُ تَعَالَى » .

حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى ابن أبى ذئب ، عن سعيد المقبرى ، عن أبى هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « هِيَ أُمُّ الْقُرْآنِ ، وَهِيَ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ ، وَهِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي » .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يزيد بن هارون وشبابه ، قالا : أخبرنا ابن أبى ذئب ، عن المقبرى ، عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم فى فاتحة الكتاب قال : « هِيَ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ وَهِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ » .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا عبد الرحمن بن إبراهيم ، قال : ثنا العلاء ، عن أبيه ، عن أبى هريرة ، قال : مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبى بن كعب فقال : « أُتْحِبُّ أَنْ أُعَلِّمَكَ سُورَةَ لَمْ يَنْزَلَ فِي التَّوْرَةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهَا ؟ قلت : نعم يا رسول الله ، قال : فَكَيْفَ تَقْرَأُ فِي الصَّلَاةِ ؟ فقُرأت عليه أمّ الكتاب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْزَلْتُ سُورَةَ فِي التَّوْرَةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ ، وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهَا ، وَإِنَّهَا السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ » .

حدثنا ابن المنى ، قال : ثنا وهب بن جرير ، قال : ثنا سعيد بن حبيب ، عن حفص بن عاصم ، عن أبى سعيد بن المعلّى ، أن النبى صلى الله عليه وسلم دعاه وهو يصلى ، فصلى ، ثم أتاه فقال : « مَا مَنَعَكَ أَنْ تُتَجِيبَنِي ؟ قال : إني كنت أصلى ، قال : أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) قال : ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَا تُعَلِّمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ ، فَكَأَنَّهُ بَيْنَهَا أَوْ نَسَى ، فقُلت : يا رسول الله الذى قُلت : قال : الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيَتْهُ » .

❖❖❖ فإذا كان الصحيح من التأويل فى ذلك ما قلنا للذى به استشهدنا ، فالواجب أن تكون المثانى مرادا بها القرآن كله ، فىكون معنى الكلام : ولقد آتيناك سبع آيات مما يشئى بعض آيه بعضها. وإذا كان ذلك كذلك كانت المثانى : جمع مثناة ، وتكون أى القرآن موصوفة بذلك ، لأن بعضها يشئى بعضها ، وبعضها يتلو بعضها بفصول تفصل بينها ، فيعرف انقضاء الآية وابتداء التى تليها ، كما وصفها به تعالى ذكره فقال (اللَّهُ نُزِّلَ

أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مِثْلَانِي تَقَشَّعِرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ) وقد يجوز أن يكون معناها كما قال ابن عباس والضحاك: ومن قال ذلك أن القرآن إنما قيل له مِثْلَانِي لأن القصص والأخبار كررت فيه مرة بعد أخرى . وقد ذكرنا قول الحسن البصري أنها إنما سميت مِثْلَانِي ، لأنها تُثَنَّى في كل قراءة . وقول ابن عباس: إنها إنما سميت مِثْلَانِي ، لأن الله تعالى ذكره استثنائها لمحمد صلى الله عليه وسلم دون سائر الأنبياء غيره ، فادّخرها له .

وكان بعض أهل العربية ، يزعم أنها سميت مِثْلَانِي ، لأن فيها الرحمن الرحيم مرتين ، وأنها تُثَنَّى في كل سورة ، يعنى : بسم الله الرحمن الرحيم .
وأما القول الذى اخترناه فى تأويل ذلك ، فهو أحد أقوال ابن عباس ، وهو قول طاوس ومجاهد وأبى مالك ، وقد ذكرنا ذلك قبل .

وأما قوله (وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ) فإن القرآن معطوف على السبع بمعنى : ولقد آتيناك سبع آيات من القرآن ، وغير ذلك من سائر القرآن .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجیح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ) قال : سائره : يعنى سائر القرآن مع السبع من المثنى .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ) يعنى : الكتاب كله .

القول فى تأويل قوله تعالى :

لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَأخْفِضْ جَنَاحَكَ

لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾

❖❖❖ يقول تعالى ذكره لنبىه محمد صلى الله عليه وسلم : لا تتمنين يا محمد ما جعلنا من زينة هذه الدنيا متاعا للأغنياء من قومك ، الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ، يتمتعون فيها ، فإن من وراءهم عذاباً غليظاً (وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ) يقول : ولا تحزن على ما متّعوا به ، فعبجّل لهم ، فإن لك فى الآخرة ما هو خير منه ، مع الذى قد عجبّلنا لك فى الدنيا من الكرامة بإعطائنا السبع المثنى والقرآن العظيم ، يقال منه : مدّ فلان عينه إلى مال فلان : إذا اشتهاه وتمناه وأراده .

وذكر عن ابن عيينة أنه كان يتأول هذه الآية قول النبى صلى الله عليه وسلم : « لَيْسَ مِنَّا مَنٌ كَمُ يَسْتَعِينُ بِالْقُرْآنِ » : أى من لم يستغن به ، ويقول : ألا تراه يُقُولُ (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنْ الْمِثْلَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ . لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ) « فأمره بالاستغناء بالقرآن عن المال . قال : ومنه قول الآخر : من أوتى القرآن ، فرأى أن أحدا أعطى أفضل مما أعطى . فقد عظم صغيرا وصغر عظيما .

وبنحو الذي قلنا في قوله (أزواجاً) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ) : الأغنياء الأمثال الأشباه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ) قال : نهي الرجل أن يتمنى مال صاحبه . وقوله (وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ) يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : وَأَلِنْ لِمَنْ آمَنَ بِكَ ، وَاتَّبِعَكَ وَاتَّبِعْ كَلَامَكَ ، وَقَرِّبْهُمْ مِنْكَ ، وَلَا تَجْفِ بِهِمْ ، وَلَا تَغْلُظْ عَلَيْهِمْ . يأمره تعالى ذكره بالرفق بالمؤمنين . والجناحان من بنى آدم : جنباه ، والجناحان : الناحيتان ، ومنه قول الله تعالى ذكره (وَأَضْمِمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ) قيل : معناه : إلى ناحيتك وجنبك .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٤٩﴾ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٥١﴾

❖ يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : وقل يا محمد للمشركين : إني أنا النذير الذي قد أبان إنذاره لكم من البلاء والعقاب أن ينزل بكم من الله على تماديكم في غيكم ، كما أنزلنا على المقتسمين : يقول : مثل الذي أنزل الله تعالى من البلاء والعقاب على الذين اقتسموا القرآن ، فجعلوه عِضِينَ . ثم اختلف أهل التأويل في الذين عُنُوا بقوله (الْمُقْتَسِمِينَ) ، فقال بعضهم : عنى به : اليهود والنصارى ، وقال : كان اقتسامهم أنهم اقتسموا القرآن وعضوه ، فأمنوا ببعضه وكفروا ببعضه .

ذكر من قال ذلك

حدثني عيسى بن عثمان الرملي ، قال : ثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ، في قول الله (كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) قال : هم اليهود والنصارى ، آمنوا ببعض ، وكفروا ببعض .

حدثنا أبو كريب ويعقوب بن إبراهيم ، قالا : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله (كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) قال : هم أهل الكتاب ، جزؤوه فجعلوه أعضاء أعضاء ، فأمنوا ببعضه ، وكفروا ببعضه .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ، في قوله (كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) قال : الذين آمنوا ببعض ، وكفروا ببعض .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ، قال : (الْمُقْتَسِمِينَ) أهل الكتاب (الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) قال : يؤمنون ببعض ، ويكفرون ببعض .

حدثني مطرب بن محمد الضبِّيُّ ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا أبو بشر ، عن سعيد ابن جبیر ، أنه قال في قوله (كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ) قال : هم أهل الكتاب .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبیر أنه قال في هذه الآية (كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) قال : هم أهل الكتاب آمنوا ببعضه ، وكفروا ببعضه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، في قوله (الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) قال : هم أهل الكتاب جزّوه فجعلوه أعضاء ، فأمنوا ببعضه ، وكفروا ببعضه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاک ، عن ابن عباس ، قال : جزّوه فجعلوه أعضاء كأعضاء الجزور .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن منصور ، عن الحسن ، قال : هم أهل الكتاب .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ) قال : هم اليهود والنصارى من أهل الكتاب قسموا الكتاب ، فجعلوه أعضاء ، يقول : أحزابا ، فأمنوا ببعض ، وكفروا ببعض .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : (الْمُقْتَسِمِينَ) آمنوا ببعض ، وكفروا ببعض ، وفرقوا الكتاب .

وقال آخرون (الْمُقْتَسِمِينَ) : أهل الكتاب ، ولكنهم سموا المقتسمين ، لأن بعضهم قال استهزاء بالقرآن : هذه السورة لي ، وقال بعضهم : هذه لي .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، عن عكرمة أنه قال في هذه الآية (الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) قال : كانوا يستهزئون ، يقول هذا : لي سورة البقرة ، ويقول هذا : لي سورة آل عمران .

وقال آخرون : هم أهل الكتاب ، ولكنهم قيل لهم : المقتسمون : لاقتسامهم كتبهم ، وتفريقهم ذلك بإيمان بعضهم ببعضها ، وكفره ببعض ، وكفر آخرين بما آمن به غيرهم ، وإيمانهم بما كفر به الآخرون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عبد الملك ، عن قيس ، عن مجاهد (كما أنزلنا على المقتسمين . الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) قال : هم اليهود والنصارى ، قسموا كتابهم ، ففرقوه ، وجعلوه أعضاء .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (كما أنزلنا على المقتسمين) قال : أهل الكتاب فرقوه وبدلوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (كما أنزلنا على المقتسمين) قال : أهل الكتاب .

وقال آخرون : عني بذلك رهط من كفار قريش بأعيانهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (كما أنزلنا على المقتسمين الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) رهط خمسة من قريش ، عضّوا كتاب الله .
وقال آخرون : عني بذلك رهط من قوم صالح الذين تقاسموا على تبئيت صالح وأهله .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (كما أنزلنا على المقتسمين) قال : الذين تقاسموا بصالح ، وقرأ قول الله تعالى (وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون) قال : تقاسموا بالله حتى بلغ الآية .

وقال بعضهم : هم قوم اقتسموا طرق مكة أيام قدوم الحاج عليهم ، كان أهلها بعثوهم في عقابها ، وتقدموا إلى بعضهم أن يشيع في الناحية التي توجه إليها لمن سأل عن نبي الله صلى الله عليه وسلم من القادمين عليهم ، أن يقول : هو مجنون ، وإلى آخر : إنه شاعر ، وإلى بعضهم : إنه ساحر .

❖❖❖ والصواب من القول في ذلك عندى أن يقال : إن الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يعلم قومه الذين عضّوا القرآن ففرقوه ، أنه نذير لهم من سخط الله تعالى وعقوبته ، أن يحلّ بهم على كفرهم ربهم ، وتكذيبهم نبيهم ، ما حلّ بالمقتسمين من قبلهم ومنهم . وجائز أن يكون عني بالمقتسمين : أهل الكتابين : التوراة والإنجيل ، لأنهم اقتسموا كتاب الله ، فأقرت اليهود ببعض التوراة وكذبت ببعضها ، وكذبت بالإنجيل والفرقان ، وأقرت النصارى ببعض الإنجيل وكذبت ببعضه وبالفرقان . وجائز أن يكون عني بذلك : المشركون من قريش ، لأنهم اقتسموا القرآن ، فسماه بعضهم شعرا ، وبعض كهانة ، وبعض أساطير الأولين . وجائز أن يكون عني به الفريقان ، ويمكن أن يكون عني به المقتسمون على صالح من قومه ،

فإذ لم يكن في التنزيل دلالة على أنه عُنِي به أحد الفرق الثلاثة دون الآخرين ، ولا في خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا في فطرة عقل ، وكان ظاهر الآية محتملا ما وصفت ، وجب أن يكون مقضيا بأن كل من اقتسم كتابا لله بتكذيب بعض وتصديق بعض ، واقتسم على معصية الله ممن حلّ به عاجل نعمة الله في الدار الدنيا قبل نزول هذه الآية ، فداخل في ذلك لأنهم لأشكالهم من أهل الكفر بالله ، كانوا عبرة ، وللمتعظين بهم منهم عِظَةٌ .

واختلف أهل التأويل في معنى قوله (الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) فقال بعضهم : معناه : الذين جعلوا القرآن فرقا مفرقة .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) قال : فرقا .

حدثنا أبو كريب ويعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : جزّوه فجعلوه أعضاء ، فأمنوا ببعضه ، وكفروا ببعضه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاک ، عن ابن عباس ، قال : جزّوه فجعلوه أعضاء كأعضاء الجزور .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا طلحة ، عن عطاء (الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) قال : المشركون من قريش : عَضُّوا الْقُرْآنَ فَمَجَعَلُوهُ أَجْزَاءً . فقال بعضهم : ساحر ، وقال بعضهم : شاعر ، وقال بعضهم : مجنون ، فذلك العِضُونَ .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول ، في قوله (جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) : جعلوا كتابهم أعضاء كأعضاء الجزور ، وذلك أنهم تقطعوه زبرا ، كل حزب بما لديهم فرحون ، وهو قوله (فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) عضهوا كتاب الله ، زعم بعضهم أنه سحر ، وزعم بعضهم أنه شعير ، وزعم بعضهم أنه كاهن . قال أبو جعفر : هكذا قال كاهن ، وإنما هو كهانة ، وزعم بعضهم أنه أساطير الأولين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس (الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) قال : آمنوا ببعض ، وكفروا ببعض .

حدثني يونس ، قال : أخبرني ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) قال : جعلوه أعضاء كما تُعَضَّى الشاة . قال بعضهم : كهانة . وقال بعضهم : هو سحر . وقال بعضهم : شعر . وقال بعضهم (أساطير الأولين اکتتبها) . الآية ، جعلوه أعضاء كما تُعَضَّى الشاة

فوجه قائلو هذه المقالة قوله (عِضِينَ) إلى أن واحدها : عَضُو ، وأن عِضِينَ جمعه ، وأنه مأخوذ من قولهم عَضَيْتُ الشئ تعضية : إذا فرقته ، كما قال رؤبة :

* وليس دينُ اللهِ بالمُعَضَى ١ *

يعنى بالمفروق ؛ وكما قال الآخر :

وعَضَى بَنِي عَوْفٍ فَأَمَّا عَدُوَّهُمْ فَأَرْضَى وَأَمَّا الْعِزَّ مِنْهُمْ فغَسَّيرًا ٢

يعنى بقوله : وعَضَى : سَبَّاهُمْ ، وقَطَّعَاهُمْ بالسنتهما ٣ .

وقال آخرون : بل هي جمع عِضَّة ، جمعت عِضِينَ كما جمعت الأبرة بُرِينَ ، والعِزَّة عِزِينَ ، فإذا وُجِّه ذلك إلى هذا التأويل كان أصل الكلام عِضَّة ، ذهب هاؤها الأصلية ، كما نقصوا الهاء من الشَّفَّة وأصلها شَفَّهَة ، ومن الشاة ، وأصلها شاهة ، يدل على أن ذلك الأصل تصغيرهم الشفة : شَفَّهَة ، والشاة : شَوَّهَة ، فيردون الهاء التي تسقط في غير حال التصغير إليها في حال التصغير ، يقال منه : عَضَّتُ الرجلُ أَعْضَهُ عَضَّهَا : إذا بَهَّتَهُ ، وقذفته ببهتان ، وكأن تأويل من تأول ذلك كذلك : الذين عَضَّهوا القرآن ، فقالوا : هو سَحْرٌ ، أو هو شعر ، نحو القول الذي ذكرناه عن قتادة .

وقد قال جماعة من أهل التأويل : إنه إنما عَنَى بالعضه في هذا الموضع ، نسبتهم إياه إلى أنه سَحْرٌ خاصة دون غيره من معاني الظم ، كما قال الشاعر :

* للماءِ مِنْ عِضَاتِهِنَّ زَمْرَمَه ٤ *

يعنى : من سَحْرهن .

(١) البيت لرؤبة في ديوانه (طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ ص ٨١) من أرجوزة له يمدح بها تميما وسعدا ونفسه ، مطلعها : « داينت أروى والديون تقضى » والبيت هو ال ٥١ فيها . واستشهد به أبو عبيدة في (مجاز القرآن ١ : ٣٥٥) عند قوله تعالى « الذين جعلوا القرآن عضين » ، أى عضوه أعضاء ، أى فرقوه فرقا . قال رؤبة : وليس . . . الخ و (في اللسان : عضا) عضيت الشاة والجزور تعضية : إذا جعلتها أعضاء وقسمتها . وعضى الشئ : وزعه وفرقه ، قال : وليس . . . البيت . ثم قال : وفي التنزيل : « جعلوا القرآن عضين » أى جزموه أجزاء ، آمنوا ببعضه ، وكفروا ببعض ، وقال ابن الأعرابي : فرقوا فيه القول ، فقالوا : شعر ، وسحر ، وكهانة فقسموه هذه الأقسام ، وعضوه أعضاء .

(٢) البيت لم أقف على قائله . ولعله للمخبل السعدي وعضى بنى عوف أى سباهم وقسمهم فأرضى عدوهم بذلك ، ومن بنى عوف ، فغير حاله ، من السيادة إلى المذلة . ولعل رواية الشطر الثاني : « فأرضى وأما العز منهم فغبرا » وغبر بالباء الموحدة ، كما في بيت المخبل السعدي ، الذي أنشده صاحب اللسان في غير ، وهو :

فِيَأْتِ نَزْلَهُمْ دَارَ الضَّبَّيَّاعِ فَأَصْبَحُوا عَلَى مَقْعَدٍ مِنْ مَوْطِنِ الْعِزِّ أَغْبَرًا

يقال : عز أغبر : أى ذاهب دارس . يريد أنه سبى فريقا من بنى عوف ، وأذل فريقا منهم .

(٣) قوله : « سباهم وقطعاهم بالسنتهما » : كذا في الأصل المخطوط (الورقة ٦٥ و جزء ١٤) ، ولعله سهو من المؤلف ، لأن الفعل « عضى » إذا كان من التعضية ، فهو مسند إلى واحد ، ولا يظهر لى أى معنى لجعل المسند إليه مثنى في كلام المؤلف .

(٤) البيت من مشطور الرجز ، ولم أقف على قائله . استشهد به المؤلف على أن « عضين » في الآية جمع « عضة » ، ومعناها عند قوم من أهل التأويل : السحر . وقال الفراء (في معاني القرآن : ١٦٩) والذين جعلوا القرآن عضين : فرقوه ، إذ جعلوه سحرا وكذبا ، وأساطير الأولين . والعضون في كلام العرب : السحر بعينه . ويقال : عضوه : أى فرقوه ، كما تعضى الشاة والجزور . وواحد العضين عضة ، رفعها عضون ، ونصبها وخفضها عضين . وفي (اللسان : عضة) : وقال الفراء : العضون في كلام العرب : السحر بذلك أنه من العضه . ٨١ . والزمزمة : الكلام غير البين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عكرمة (الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) قال : سحرا .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (عِضِينَ) قال : عَضَّوهُ وَبَهَّتُوهُ .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : كان عكرمة يقول : العَضُّ : السحر بلسان قريش ، تقول للساحرة : إنها العاضة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، وحدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) قال : سحرا أعضاء الكتب كلها وقريش ، فرقوا القرآن ، قالوا : هو سحر .

❖❖❖ والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله تعالى ذكره أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يُعَلِّمَ قَوْمًا عَضَّوهُ الْقُرْآنَ أَنَّهُ لَمْ نَذِيرَ مِنْ عَقُوبَةٍ تَنْزِلُ بِهِمْ بَعْضُهُمْ إِيَّاهُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ بِالْمُقْتَسِمِينَ ، وَكَانَ عَضُّهُمْ إِيَّاهُ : قَدْ فَهَمُوهُ بِالْبَاطِلِ ، وَقِيلَ لَهُمْ إِنَّهُ شَعْرٌ وَسِحْرٌ ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ .

وإنما قلنا : إن ذلك أولى التأويلات به للدلالة ما قبله من ابتداء السورة وما بعده ، وذلك قوله (إِنَّمَا كَفَّيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) على صحة ما قلنا ، وإنه إنما عُنِيََ بِقَوْلِهِ (الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) مشركي قومه . وإذ كان ذلك كذلك ، فمعلوم أنه لم يكن في مشركي قومه من يؤمن ببعض القرآن ويكفر ببعض ، بل إنما كان قومه في أمره على أحد معنيين : إما مؤمن بجميعه ، وإما كافر بجميعه . وإذ كان ذلك كذلك ، فالصحيح من القول في معنى قوله (الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) قول الذين زعموا أنهم عَضَّوهُ ، فقال بعضهم : هو سحر . وقال بعضهم : هو شعر . وقال بعضهم : هو كهانة ، وما أشبه ذلك من القول ، أو عَضَّوهُ ففروقوه ، بنحو ذلك من القول . وإذا كان ذلك معناه احتمال قوله عِضِينَ ، أن يكون جمع : عِضَةٌ ، واحتمل أن يكون جمع عَضُو ، لأن معنى التعضية : التفريق ، كما تُعَضَّى الْجُزُورُ وَالشَّاةُ ، فَتَفْرَقُ أَعْضَاءُ . وَالْعَضُّ : الْبَهْتُ ، وَرَمِيَهُ بِالْبَاطِلِ مِنَ الْقَوْلِ ، فَهَمَا مُتَقَارِبَانِ فِي الْمَعْنَى .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ فَأَصْدَعُ بِمَا تُوْمَرُ وَأَعْرِضُ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ ﴾

❖❖❖ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فو ربك يا محمد لنسألن هؤلاء الذين جعلوا القرآن

في الدنيا عِضِينَ فِي الآخِرَةِ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ فِي الدُّنْيَا ، فِيمَا أَمَرْنَاهُمْ بِهِ ، وَفِيمَا بَعَثْنَاكَ بِهِ إِلَيْهِمْ مِنْ آيِ كِتَابِي الَّذِي أَنْزَلْتَهُ إِلَيْهِمْ ، وَفِيمَا دَعَوْنَاهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْإِقْرَارِ بِهِ ، وَمَنْ تَوَحَّيْدِي وَالْبِرَاءَةَ مِنَ الْأَنْدَادِ وَالْأَوْثَانِ .
وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ ، قَالَ هَلِ التَّأْوِيلُ .

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا أَبُو كَرِيبٍ وَأَبُو السَّائِبِ ، قَالَا : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت ليثا ، عن بشير ، عن أنس ، في قوله (فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَسْتَلِنَهُمْ أَجْمَعِينَ) قال : عن شهادة أن لا إله إلا الله .
حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، قَالَ : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن ليث ، عن بشير بن زهير ، عن أنس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم (فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَسْتَلِنَهُمْ أَجْمَعِينَ) قال : عن لا إله إلا الله .
حَدَّثَنَا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن بشير ، عن أنس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه .
حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عبد الرزاق ، قال : أَخْبَرَنَا الثوري ، عن ليث ، عن مجاهد ، في قوله (فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَسْتَلِنَهُمْ أَجْمَعِينَ . عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) قال : عن لا إله إلا الله .
حَدَّثَنَا أَحْمَدُ ، قَالَ : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن هلال ، عن عبد الله بن عكَّيم ، قال : قال عبد الله : والذي لا إله غيره ، ما منكم من أحد إلا سيخلو الله به يوم القيامة ، كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر ، فيقول ابن آدم : ماذا غرَّك مني بني ابن آدم ؟ ماذا عملت فيما علمت ابن آدم ؟ ماذا أجبتم المرسلين .
حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية (فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَسْتَلِنَهُمْ أَجْمَعِينَ . عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) قال : يُسْأَلُ الْعِبَادُ كُلَّهُمْ عَنْ خَلَّتَيْنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ ، وَعَمَّا أَجَابُوا الْمُرْسَلِينَ .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إسحاق ، قال : ثنا الحسين الجعفي ، عن فضيل بن مرزوق ، عن عطية العوفي عن ابن عمر (لَنَسْتَسْتَلِنَهُمْ أَجْمَعِينَ . عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) قال : عن لا إله إلا الله .
حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَسْتَلِنَهُمْ أَجْمَعِينَ . عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) ، ثم قال (فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ) قال : لا يسألهم : هل عملتم كذا وكذا ، لأنه أعلم بذلك منهم ، ولكن يقول لهم : لِمَ عملتم كذا وكذا .

حَدَّثَنَا ابن وكيع ، قال : ثنا يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد ، مولى زيد بن ثابت ، عن سعيد بن جبيرة أو عنكرمة ، عن ابن عباس ، قال : أنزل الله تعالى ذكره (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ) فإنه أمر من الله تعالى ذكره نبيه صلى الله عليه وسلم بتبليغ رسالته قومه ، وجميع من أرسل إليه . ويعنى بقوله (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ) : فأمض وافرق ، كما قال أبو ذؤيب :

وَكَأَنَّهُمْ مِنْ رَبَابَةِ الشَّامِ وَكَأَنَّهُ يُسَّرُّ يُفِيضُ عَلَى الْقِيَادِ وَيَصْدَعُ

(١) البيت في شعر أبي ذؤيب من ديوان الهذليين ، القسم الأول (طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٤٥) . والربابة بكسر الراء :

يعنى بقوله : يَصْدَعُ : يُفَرِّقُ بالقَدَاحِ .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى : قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله (فاصدعُ
بِمَا تُؤْمَرُ) يقول : فأفضه .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،
قوله (فاصدعُ بِمَا تُؤْمَرُ) يقول : افعل ما تؤمر .

حدثنى الحسين بن يزيد الطحان ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن ليث ، عن مجاهد ، فى قوله (فاصدعُ
بِمَا تُؤْمَرُ) قال : بالقرآن .

حدثنى نصر بن عبد الرحمن الأودى ، قال : ثنا يحيى بن إبراهيم ، عن سفیان ، عن ليث ، عن مجاهد
(فاصدعُ بِمَا تُؤْمَرُ) قال : هو القرآن .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن ليث ، عن مجاهد ، فى قوله (فاصدعُ بِمَا تُؤْمَرُ)
قال : بالقرآن .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن ليث ، عن مجاهد ، فى قوله (فاصدعُ بِمَا تُؤْمَرُ)
قال : الجهر بالقرآن فى الصلاة .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن ليث ، عن مجاهد (فاصدعُ بِمَا تُؤْمَرُ)
قال : بالقرآن فى الصلاة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ،
قال : ثنا ورقاء ، وحدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن
مجاهد (فاصدعُ بِمَا تُؤْمَرُ) قال : اجهر بالقرآن فى الصلاة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو أسامة ، قال : ثنا موسى بن عبيدة ، عن أخيه عبد الله
ابن عبيدة قال : ما زال النبى صلى الله عليه وسلم مستخفيا حتى نزلت (فاصدعُ بِمَا تُؤْمَرُ) ، وأعرض

عَنِ الْمُشْرِكِينَ) فخرج هو وأصحابه .
حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فاصدعُ بِمَا تُؤْمَرُ)

قال : بالقرآن الذى يوحى إليه أن يبلغهم إياه ، وقال تعالى ذكره (فاصدعُ بِمَا تُؤْمَرُ) ولم يقل : بما
تؤمر به ، والأمر يقتضى الباء ، لأن معنى الكلام : فاصدع بأمرنا ، فقد أمرناك أن تدعو إلى ما بعثناك به من

الدين خلتى ، وأذننا لك فى إظهاره .

خرقة تغطى بها القداح . ويقال الربابة هنا هى القداح . واليسر : الذى يضرب بالقداح ، وهو المفيض ، ويصدع : يفرق ويصيح ،
ويفيض على القداح : أى يدفعها ، ويضرب بها ، ونابت « على » مناب « الباء » والضمير فى كأنهن راجع إلى الأتزن المذكورة قبل
البيت . وفى كأنه راجع إلى حمار الوحش الذى يطردها ويسوقها أمامه .

ومعنى « ما » التي في قوله (بِمَا تُؤْمَرُ) معنى المصدر ، كما قال تعالى ذكره (يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ) معناه : افعل الأمر الذي تؤمر به . وكان بعض نحويي أهل الكوفة يقول في ذلك : حذف الباء التي يوصل بها تؤمر من قوله (فاصدع بما تؤمر) على لغة الذين يقولون : أمرتك أمرا . وكان يقول للعرب في ذلك لغتان : إحداهما أمرتك أمرا ، والأخرى أمرتك بأمر ، فكان يقول : إدخال الباء في ذلك وإسقاطها سواء ، واستشهد لقوله ذلك بقول حصين بن المنذر الرقاشي ليزيد بن المهلب :

أمرتك أمرا جازما فعصيتني فأصبحت مسلوب الإمارة نادما

فقال : أمرتك أمرا ، ولم يقل : أمرتك بأمر ، وذلك كما قال تعالى ذكره (أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ) ولم يقل : برهم ، وكما قالوا : مددت الزمام ، ومددت بالزمام ، وما أشبه ذلك من الكلام .

وأما قوله (وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) يقول تعالى ذكره لنبية صلى الله عليه وسلم : بلغ قومك ما أرسلت به ، واكفف عن حرب المشركين بالله وقتالهم ، وذلك قبل أن يفرض عليه جهادهم ، ثم نسخ ذلك بقوله (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) .

كما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) وهو من المنسوخ .

حدثني المثني ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن جويبر ، عن الضحاك ، في قوله (وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ - وَقُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ) وهذا النحو كله في القرآن أمر الله تعالى ذكره نبية صلى الله عليه وسلم أن يكون ذلك منه ، ثم أمره بالقتال ، فنسخ ذلك كله ، فقال (خذوهم واقتلوهم) . . . الآية .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : إنا كفيناك المستهزين يا محمد ، الذين يستهزون بك ، ويسخرون منك ، فاصدع بأمر الله ، ولا تخف شيئا سوى الله ، فإن الله كافيك من ناصبك وآذاك ، كما كفئك المستهزين ، وكان رؤساء المستهزين قوما من قريش معروفين .

ذكر أسماءهم

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثني محمد ، قال : كان عظماء المستهزين كما حدثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير خمسة نفر من قومه . وكانوا ذوى أسنان وشرف في قومه من بني أسد بن عبد العزى بن قصي : الأسود بن المطلب أبوزمعة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني قد دعا عليه لما كان يبلغه من أذاه واستهزائه ، فقال : اللهم أعم بصره . وأثكله ولده . وعن بني زهرة الأسود بن

(١) البيت شاهد على أنه يقال أمرتك أمرا ، وأمرتك بأمر ، فيجوز أن يتعدى الفعل بنفسه وبالباء .

عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة ، ومن بني مخزوم : الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم ، ومن بني سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤي : العاص بن وائل بن هشام بن سعيد بن سعد بن سهم ، ومن خزاعة : الحارث بن الطلائع بن عمرو بن الحارث بن عمرو بن مسكان ، فلما تَمَادَوْا فِي الشَّرِّ وَأَكْثَرُوا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْإِسْتِهْزَاءَ ، أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرَهُ (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ، وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ . إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) . . . إِلَى قَوْلِهِ (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، فَحَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ رُوْمَانَ ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ أَوْ غَيْرِهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ ، أَنَّ جَبْرَائِيلَ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُمْ يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ فَقَامَ ، وَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى جَنْبِهِ ، فَمَرَّ بِهِ الْأَسْوَدُ ابْنُ الْمَطْلَبِ ، فَرَمَى فِي وَجْهِهِ بَوْرُقَةَ خَضِرَاءَ ، فَعَسَمِي ، وَمَرَّ بِهِ الْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثَ ، فَأَشَارَ إِلَى بَطْنِهِ فَاسْتَسَقَى بَطْنَهُ : فَمَاتَ مِنْهُ حَبْنًا ؛ وَمَرَّ بِهِ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ . فَأَشَارَ إِلَى أَثَرِ جَرْحٍ بِأَسْفَلِ كَعْبِ رِجْلِهِ كَانَ أَصَابَهُ قَبْلَ ذَلِكَ بَسَنْتَيْنِ ، وَهُوَ يَجْرُ سَبِيلَهُ ، يَعْنِي إِزَارَهُ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ مَرَّ بِرَجُلٍ مِنْ خِزَاعَةَ يَرِيشُ نَبْلًا لَهُ ، فَتَعَلَّقَ سَهْمٌ مِنْ نَبْلِهِ بِإِزَارِهِ ، فَخَدَشَ رِجْلَهُ ذَلِكَ الْخَدَشَ وَلَيْسَ بِشَيْءٍ ، فَانْتَقَضَ بِهِ فَقَتَلَهُ ؛ وَمَرَّ بِهِ الْعَاصُ بْنُ وَائِلِ السَّهْمِيِّ ، فَأَشَارَ إِلَى أَحْمَصِ رِجْلِهِ ، فَخَرَجَ عَلَى حِمَارِهِ يَرِيدُ الْبَطَائِفَ ، فَوُقِيَصَ عَلَى شِبْرِقَةٍ . فَدَخَلَ فِي أَحْمَصِ رِجْلِهِ مِنْهَا شَوْكَةٌ ، فَقَتَلَتْهُ .

قال أبو جعفر : الشبرقة : المعروف بالحسك ، منه حبنا ١ ، والحبن : الماء الأصفر ؛ ومر به الحارث ابن الطلائع ، فأشار إلى رأسه ، فامتخط قيحا فقتله .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد القرشي ، عن رجل ، عن ابن عباس ، قال : كان رأسهم الوليد بن المغيرة ، وهو الذي جمعهم .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن زياد ، عن سعيد بن جبير ، في قوله (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) قال : كان المستهزئين : الوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل ، وأبو زمعة والأسود بن عبد يغوث ، والحارث بن عيطلة ، فأتاه جبرئيل ، فأومأ بأصبعه إلى رأس الوليد ، فقال : ما صنعت شيئا ، قال : كُفَيْتُ ؛ وأومأ بيده إلى أَحْمَصِ الْعَاصِ ، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا صَنَعْتَ شَيْئًا ، فقال : كُفَيْتُ ؛ وأومأ بيده إلى عين أبي زمعة ، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا صَنَعْتَ شَيْئًا ، قال : كُفَيْتُ ؛ وأومأ بأصبعه إلى رأس الأسود ، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : دَعَّ لِي خَالِي ، فقال : كُفَيْتُ ؛ وأومأ بأصبعه إلى بطن الحارث ، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا صَنَعْتَ شَيْئًا ، فقال : كُفَيْتُ . قال : فرمى الوليد على قين لخزاعة وهو يجر ثيابه ، فتعلقت بثوبه بروة أو شررة^٢ ، وبين يديه نساء ، فجعل يستحي أن يطأ من ينتزعها ، وجعلت تضرب ساقه فخادشته ، فلم يزل مريضا حتى مات ؛ وركب العاص بن وائل بغلة له بيضاء إلى حاجة له بأسفل مكة ، فذهب ينزل ، فوضع أَحْمَصَ قَدَمِهِ عَلَى شِبْرِقَةٍ ، فَحَكَتْ رِجْلَهُ ، فَلَمْ يَزَلْ يَحْكُمُهَا حَتَّى مَاتَ ؛ وَعَمِيَ أَبُو زَمْعَةَ ؛ وَأَخَذَتِ الْأَكْلَةَ فِي رَأْسِ الْأَسْوَدِ ؛ وَأَخَذَ الْحَارِثُ الْمَاءَ فِي بَطْنِهِ .

(١) كذا في الأصل المخطوط رقم ١٠٠ تفسير بدار الكتب (الورقة ٦٩ و) ولعله قد سقط من العبارة بعضها . وأصلها : الشبرقة : واحدة الشبرق ، المعروف بالحسك . ويقال : مات منه حبنا . والحبن ... الخ . وانظر خبر كفاية الله نبيه المستهزئين في سيرة ابن هشام (طبعة الحايي ٢ : ٥٠ - ٥٢ من الطبعة الأولى) فقد نقله المؤلف هنا ، مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ .
(٢) البروة : لغة في البرة ، وهي الحلقة من صفر ونحوه ، يريد بها ما يتطاير من الحديد عند الطرق بالمطارق . والشررة : واحدة الشرر ، وفي الأصل : شررة ، ولا معنى له هنا .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، في قوله (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) قال : هم خمسة رهط من قريش : الوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل ، وأبوزمعة ، والحارث بن عيطلة ، والأسود بن قيس .

حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، في قوله (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) قال : الوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل السهمي ، والأسود ابن عبد يغوث ، والأسود بن المطلب ، والحارث بن عيطلة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، في قوله (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) قال : هم خمسة كلهم هلك قبل بدر : العاص بن وائل ، والوليد بن المغيرة ، وأبوزمعة بن عبد الأسود ، والحارث بن قيس ، والأسود بن عبد يغوث .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة عن عمرو ، عن عكرمة (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) قال : الوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل ، والأسود بن عبد يغوث ، والحارث بن عيطلة .

حدثنا المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن أبي بكر الهذلي ، قال : قلت : لازهرى : إن سعيد بن جبير وعكرمة اختلفا في رجل من المستهزين ، فقال سعيد : هو الحارث بن عيطلة ، وقال عكرمة : هو الحارث بن قيس ، فقال : صدقا كانت أمه تسمى عيطلة وأبوه قيس .

حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن حصين ، عن الشعبي ، قال : المستهزين سبعة ، وسمى منهم أربعة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) قال : كانوا من قريش خمسة نفر : العاص بن وائل السهمي ، كُفِيَ بِصُدَاعٍ أَخَذَهُ فِي رَأْسِهِ ، فَسَالَ دِمَاغَهُ حَتَّى كَانَ يَتَكَلَّمُ مِنْ أَنْفِهِ ؛ وَالْوَلِيدُ بْنُ الْمَغِيرَةَ الْخَزَوِي ، كُفِيَ بِرَجُلٍ مِنْ خِزَاعَةِ أَصْلَحَ سَهْمَا لَهُ ، فَندرت منه شظية ، فوطئ عليها فمات ؛ وهبار بن الأسود ، وعبد يغوث بن وهب ، والحارث بن عيطلة .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) قال : كلهم من قريش : العاص بن وائل ، فكُفِيَ بِأَنَّهُ أَصَابَهُ صَدَاعٌ فِي رَأْسِهِ ، فَسَالَ دِمَاغَهُ حَتَّى لَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا مِنْ تَحْتِ أَنْفِهِ ؛ وَالْحَارِثُ بْنُ عَيْطَلَةَ بِصَفْرِ فِي بَطْنِهِ ؛ وَابْنُ الْأَسْوَدِ فَكُفِيَ بِالْجُدْرِيِّ ؛ وَالْوَلِيدُ بِأَنَّ رَجُلًا ذَهَبَ لِيُصَلِّحَ سَهْمَا لَهُ ، فَوَقَعَتْ شَظِيَّةٌ ، فَوَطِئَ عَلَيْهَا ؛ وَعَبْدُ يَغُوثَ فَكُفِيَ بِالْعَمِيِّ ، ذَهَبَ بِبَصْرِهِ .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، وعن مِقْسَمٍ (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) قال : هم الوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل ، وعدى بن قيس ، والأسود ابن عبد يغوث ، والأسود بن المطلب ، مروا رجلا رجلا على النبي صلى الله عليه وسلم ومعه جبرئيل ، فإذا مرّ به رجل منهم قال جبرئيل : كيف تجد هذا ؟ فيقول : بئس عدو الله ، فيقول جبرئيل : كفاكه ؛

فأما الوليد بن المغيرة ، فتردى ، فتعلق سهم بردائه ، فذهب يجلس ، فقطع أكحله ، فنزف فمات ؛ وأما الأسود بن عبد يغوث ، فأُتِيَ بغصن فيه شوك ، فضرب به وجهه ، فسالت حدقتاه على وجهه ، فكان يقول : دعوت على محمد دعوة ، ودعا على دعوة ، فاستجيب لي ، واستجيب له ؛ دعا على أن أعمى فعميت ؛ ودعوت عليه أن يكون وحيدا فريدا في أهل يثرب فكان كذلك . وأما العاص بن وائل ، فوطئ على شوكة فتساقط لحمه عن عظامه حتى هلك . وأما الأسود بن المطلب ، وعدى بن قيس ، فإن أحدهما قام من الليل وهو ظهآن ، فشرب ماء من جرّة ، فلم يزل يشرب حتى انفتق بطنه فمات ، وأما الآخر فادغته حية فمات . حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة وعثمان ، عن مقسم مولى ابن عباس ، في قوله (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) ثم ذكر نحو حديث ابن عبد الأعلى ، عن ابن ثور .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ . الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) هم رهط خمسة من قريش ، عضوا القرآن ، زعم بعضهم أنه سحر ، وزعم بعضهم أنه شعر ، وزعم بعضهم أنه أساطير الأولين : أما أحدهم : فالأسود بن عبد يغوث ، أتى على نبي الله صلى الله عليه وسلم وهو عند البيت ، فقال له الملك : كيف تجد هذا ؟ قال : بيئس عبئد الله على أنه خالي ، قال : كفييناك ؛ ثم أتى عليه الوليد بن المغيرة ، فقال له الملك : كيف تجد هذا ؟ قال : بيئس عبئد الله ، قال : كفييناك ؛ ثم أتى عليه عدى بن قيس أخو بني سهم ، فقال الملك : كيف تجد هذا ؟ قال : بيئس عبئد الله ، قال : كفييناك ؛ ثم أتى عليه الأسود بن المطلب ، فقال له الملك : كيف تجد هذا ؟ قال : بيئس عبئد الله ، قال : كفييناك ؛ ثم أتى عليه العاص بن وائل ، فقال له الملك : كيف تجد هذا ؟ قال : بيئس عبئد الله ، قال : كفييناك . فأما الأسود بن عبد يغوث ، فأتى بغصن من شوك فضرب به وجهه حتى سالت حدقتاه على وجهه ، فكان بعد ذلك يقول : دعا على محمد بدعوة ، ودعوت عليه بأخرى ، فاستجاب الله له في ، واستجاب الله لي فيه ، دعا على أن أكل وأن أعمى ، فكان كذلك ؛ ودعوت عليه أن يصير شريدا طريدا ، فطردناه مع يهود يثرب وسراق الحجيج ، وكان كذلك . وأما الوليد بن المغيرة ، فذهب يرتدى ، فتعلق بردائه سهم غرب ، فأصاب أكحله أو أبعجه ، فأتى في كل ذلك ، فمات . وأما العاص بن وائل ، فوطئ على شوكة ، فأتى في ذلك جعل يتساقط لحمه عضوا عضوا فمات وهو كذلك . وأما الأسود بن المطلب ، وعدى بن قيس ، فلا أدري ما أصابهما .

ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، نهى أصحابه عن قتل أبي البختری ، وقال : خذوه أخذاً ، فإنه قد كان له بلاء ، فقال له أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : يا أبا البختری إنا قد نهينا عن قتلك فهلم إلى الأمانة والأمان ، فقال أبو البختری : وابن أخى معى ، فقالوا : لم نؤمر إلا بك ، فراودوه ثلاث مرّات ، فأبى إلا وابن أخيه معه ، قال : فأغلظ للنبي صلى الله عليه وسلم الكلام ، فحمل عليه رجل من القوم فطعنه فقتله ، فجاء قاتله وكأتما على ظهره جبل أو ثقه ، مخافة أن يلومه النبي صلى الله عليه وسلم ؛

(١) سهم غرب ، بسكون الراء وفتحها : لا يدري من أين أتاه (اللسان) .

فلما أخبر بقوله ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : أَبْعَدَهُ اللهُ وَأَسْحَقَهُ ، وهم المستهزئون الذين قال الله (إِنَّا كَفَيْْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) وهم الخمسة الذين قيل فيهم : (إِنَّا كَفَيْْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) : استهزءوا بكتاب الله ، ونبيه صلى الله عليه وسلم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إِنَّا كَفَيْْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) هم من قريش .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، وزعم ابن أبي بزة أنهم العاص بن وائل السهمي والوليد بن المغيرة الوحيد ، والحارث بن عدى بن سهم بن العيطلة ، والأسود بن المطالب بن أسد بن عبد العزى بن قصى ، وهو أبو زمعة . والأسود بن عبد يغوث ، وهو ابن خال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حماد ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني عمرو بن دينار ، عن ابن عباس ، نحو حديث محمد بن عبد الأعلى ، عن محمد بن ثور ، غير أنه قال : كانوا ثمانية ، ثم عدتهم وقال : كلهم مات قبل بدر .

وقوله (الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يُعَذِّبُهُمْ) وعيد من الله تعالى ذكره ، وتهديد للمستهزئين الذين أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم أنه قد كفاه أمرهم بقوله تعالى ذكره : إِنَّا كَفَيْْنَاكَ يَا مُحَمَّدُ السَّخِرِينَ مِنْكَ ، الجاعلين مع الله شريكاً في عبادته ، فسوف يعلمون ما يلقون من عذاب الله عند مصيرهم إليه في القيامة ، وما يحل بهم من البلاء .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾

❖ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ولقد نعلم يا محمد أنك يضيق صدرك بما يقول هؤلاء المشركون من قومك من تكذيبهم إياك واستهزأهم بك ، وبما جئتهم به ، وأن ذلك يُحْرِجُكَ (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ) يقول : فافزع فيما نابك من أمر تكرهه منهم إلى الشكر لله والثناء عليه والصلاة ، يكفك الله من ذلك ما آتاهمك ، وهذا نحو الخبر الذي روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنه كان إذا حزَّ به أمر فَنَزَعَ إِلَى الصَّلَاةِ .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

❖ يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : واعبد ربك حتى يأتيك الموت ، الذي هو موقن به .
وقيل : يقين ، وهو موقن به ، كما قيل : خمر عتيق ، وهي معتقة .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن سفيان ، قال : ثنا طارق بن عبد الرحمن ، عن سالم بن عبد الله (وَاَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) قال : الموت .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني عباس بن محمد ، قال : ثنا حجاج ، قال : قال ابن جريج : أخبرني ابن كثير أنه سمع مجاهدا يقول : (حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) قال : الموت .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَاَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) قال : يعني الموت .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) قال : اليقين : الموت .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن مبارك بن فضالة ، عن الحسن ، في قوله (حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) قال : الموت .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن طارق ، عن سالم ، مثله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَاَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) قال : الموت ، إذا جاءه الموت ، جاءه تصديق ما قال الله له ، وحدثه من أمر الآخرة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب « أن

خارجة بن زيد بن ثابت أخبره عن أمّ العلاء امرأة من الأنصار قد بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرته أنهم اقتسموا المهاجرين قرعة ، قالت : وطار لنا عثمان بن مظعون ، فأنزلناه في أبياتنا ، فوجع وجعه الذي مات فيه ؛ فلما تَوَّأ في وغسّل وكفّن في أثوابه ، دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت :

يا عثمان بن مظعون رحمة الله عليك أبا السائب . فشهادتي عليك . لقد أكرمك الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّ اللَّهَ أَكْرَمَهُ ؟ قالت : يا رسول الله فمن ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمّا هو فقد جاءه اليقين ، ووالله إني لأرجو له الخير . »

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا مالك بن إسماعيل ، قال : ثنا إسماعيل ، قال : ثنا إبراهيم بن سعد ، قال : ثنا ابن شهاب ، عن خارجه بن زيد ، عن أمّ العلاء امرأة من نساءهم ، عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه . حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي ، قال : ثنا جعفر بن عون ، قال : أخبرنا إبراهيم بن إسماعيل ، عن محمد بن شهاب ، أن خارجه بن زيد ، حدثه عن أمّ العلاء امرأة منهم ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بنحوه ، إلا أنه قال في حديثه : فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أمّا هو فقد عاينَ اليقين » .

(١٦) سُورَةُ النَّجْلِ مَكِّيَّةٌ
وَإِيَّاهُمَا ثَمَانِ وَعِشْرُونَ وَمِائَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٦﴾

❖❖❖ يقول تعالى ذكره : أتى أمر الله فقرب منكم أيها الناس ودنا ، فلا تستعجلوا وقوعه . ثم اختلف أهل التأويل في الأمر الذي أعلم الله عباده مجيئه وقربه منهم ما هو ، وأى شيء هو ؟ فقال بعضهم : هو فرائضه وأحكامه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن جويبر ، عن الضحاك ، في قوله (أتى أمر الله فلا تستعجلوه) قال : الأحكام والحدود والفرائض . وقال آخرون : بل ذلك وعيد من الله لأهل الشرك به ، أخبرهم أن الساعة قد قربت ، وأن عذابهم قد حضر أجله ، فدنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : لما نزلت هذه الآية ، يعني (أتى أمر الله فلا تستعجلوه) قال : رجال من المنافقين بعضهم لبعض : إن هذا يزعم أن أمر الله أتى ، فأمسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى تنظروا ما هو كائن ؛ فلما رأوا أنه لا ينزل شيء ، قالوا : ما نراه نزل شيء ، فنزلت : (اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون) فقالوا : إن هذا يزعم مثلها أيضا ؛ فلما رأوا أنه لا ينزل شيء ، قالوا : ما نراه نزل شيء ، فنزلت : (ولئن أحرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة ليقولن ما يحبسهن ، ألا يوم يأتيهن لئس مضرؤفاً عنهن ، وحق بهن ما كانوا به يستهزئون) .

حدثنا أبو هشام الرفاعي ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، قال : ثنا سفيان ، عن إسماعيل ، عن أبي بكر بن حفص ، قال : لما نزلت (أتى أمر الله) رفعوا رؤوسهم ، فنزلت (فلا تستعجلوه) .

حدثنا ابن حميد، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا أبو بكر بن شعيب ، قال : سمعت أبا صادق يقرأ (يا عبادي أتى أمر الله فلا تستعجلوه) .

وأولى القولين في ذلك عندى بالصواب ، قول من قال : هو تهديد من الله أهل الكفر به وبرسواه ، وإعلام منه لهم قرب العذاب منهم والهلاك . وذلك أنه عقب ذلك بقوله سبحانه وتعالى (عَمَّا يُشْرِكُونَ) فدلّ بذلك على تقريره المشركين . ووعيده لهم . وبعد ، فإنه لم يبلغنا أن أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم استعجل فرائض قبل أن تُفرض عليهم . فيقال لهم من أجل ذلك : قد جاء تكم فرائض الله فلا تستعجلوها . وأما مستعجلو العذاب من المشركين ، فقد كانوا كثيرا . وقوله سبحانه وتعالى (عَمَّا يُشْرِكُونَ) يقول تعالى ذكره تنزيها لله . وعلوا له عن الشرك الذي كانت قريش ، ومن كان من العرب على مثل ما هم عاينه يتدين به .

واختلفت القراء في قراءة قوله تعالى (عَمَّا يُشْرِكُونَ) فقرأ ذلك أهل المدينة وبعض البصريين والكوفيين (عَمَّا يُشْرِكُونَ) بالياء على الخبر عن أهل الكفر بالله . وتوجيه الخطاب بالاستعجال إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكذلك قرءوا الثانية بالياء . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة بالتاء على توجيه الخطاب بقوله (فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ) إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وبقوله تعالى (عَمَّا يُشْرِكُونَ) إلى المشركين . والقراءة بالتاء في الحرفين جميعا على وجه الخطاب للمشركين أولى بالصواب لما بينت من التأويل ، أن ذلك إنما هو وعيد من الله للمشركين . ابتداء أول الآية بتهديدهم ، وختم آخرها بنكير فعلهم ، واستعظام كفرهم على وجه الخطاب لهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا

أَنَا فَانقون ﴿٥﴾

اختلفت القراء في قراءة قوله (يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ) فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة (يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ) بالياء وتشديد الزاي ونصب الملائكة . بمعنى : يُنزِّلُ اللهُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ . وقرأ ذلك بعض البصريين وبعض المكيين (يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ) بالياء وتخفيف الزاي ونصب الملائكة . وحكى عن بعض الكوفيين أنه كان يقرؤه (تَنزِيلُ الْمَلَائِكَةَ) بالتاء وتشديد الزاي والملائكة بالرفع . على اختلاف عنه في ذلك . وقد روى عنه موافقة سائر قراء بلده .

وأولى القراءات بالصواب في ذلك عندى قراءة من قرأ (يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ) بمعنى : ينزل الله ملائكة . وإنما اخترت ذلك . لأن الله هو المنزل لملائكته بوحيه إلى رسله . فإضافة فعل ذلك إليه أولى وأحق . واخترت ينزل بالتشديد على التخفيف . لأنه تعالى ذكره كان ينزل من الوحي على من نزله شيئا بعد شيء . والتشديد به إذ كان ذلك معناه . أولى من التخفيف .

فتأويل الكلام : ينزل الله ملائكته بما يحيا به الحق . ويضمحل به الباطل من أمره على من يشاء من عباده ، يعني على من يشاء من رسله أن أنذروا ، فإن الأولى في موضع خفض ، رداً على الروح ، والثانية في موضع نصب بأنذروا . ومعنى الكلام : ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده ، بأن أنذروا عبادي سطوتي على كفرهم بي وإشراكهم في اتخاذهم معي الآلهة والأوثان ، فإنه لا إله إلا أنا ، يقول : لاتبغى الألوهة إلا لي ، ولا يصلح أن يعبد شيء سواي ، فاتقون : يقول : فاحذروني بأداء فرائضي ، وإفراد العبادة ، وإخلاص الربوبية لي ، فإن ذلك نجاتكم من الهلكة .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا المثنى . قال : ثنا أبو صالح : قال : ثنى معاوية ، عن علي : عن ابن عباس : قوله (يُنَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ) يقول : بالوحي .

حدثني محمد بن سعد : قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه : عن ابن عباس ، قوله (يُنَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) يقول : ينزل الملائكة... .
حدثني محمد بن عمرو : قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق : قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ) إنه لا ينزل ملك إلا ومعه روح .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج . قال مجاهد : قوله (يُنَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ) قال : لا ينزل ملك إلا معه روح (ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده) قال : بالنبوة ، قال ابن جريج : وسمعت أن الروح خلق من الملائكة نزل به الروح (وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق . قال : ثنا عبد الله ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، في قوله : (يُنَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ) قال : كل كلام تكلم به ربنا فهو روح منه (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا) . . . إلى قوله (أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد . عن قتادة : قوله (يُنَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ) يقول : ينزل بالرحمة والوحي من أمره (على من يشاء من عباده) فيصطفي منهم رسلاً .
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يُنَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) قال : بالوحي والرحمة .

(١) أي بنحو ما قبله ، من حديث المثنى عن ابن عباس ، كما جرت به عادة المؤلف في مواضع كثيرة .

وأما قوله (أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون) فقد بيّنا معناه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا

فاتقون) إنما بعث الله المرسلين أن يوحدوا الله وحده ، ويطاع أمره ، ويجتنب سخطه .

القول في تأويل قوله تعالى :

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٠﴾

❖❖ يقول تعالى ذكره معرّفاً خلقه حجته عليهم في توحيده ، وأنه لا تصلح الألوهة إلا له : خلق ربكم أيها

الناس السموات والأرض بالعدل ، وهو الحقّ منفرداً بخلقها ، لم يشركه في إنشائها وإحداثها شريك ، ولم

يعنه عليه معين ، فأنتى يكون له شريك (تعالى عمّا يُشْرِكُونَ) يقول جل ثناؤه : علا ربكم أيها القوم

عن شرككم ودعواكم إلهاً دونه ، فارتفع عن أن يكون له مثل أو شريك أو ظهير ، لأنه لا يكون إلهاً إلا من

يخلق وينشئ بقدرته مثل السموات والأرض ، ويبتدع الأجسام فيحدثها من غير شيء ، وليس ذلك

في قدرة أحد سوى الله الواحد القهار الذي لا تنبغي العبادة إلا له ، ولا تصلح الألوهة لشيء سواه .

القول في تأويل قوله تعالى :

خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿١١﴾

❖❖ يقول تعالى ذكره : ومن حججه عليكم أيضاً أيها الناس ، أنه خلق الإنسان من نطفة ، فأحدث من ماء

مهين خلقاً عجيباً ، قلبه تارات خلقاً بعد خلق في ظلمات ثلاث ، ثم أخرجه إلى ضياء الدنيا بعد ما تمّ خلقه

ونفخ فيه الروح ، فغذاه ورزقه القوت ونماه ، حتى إذا استوى على سوقه ، كفر بنعمة ربه ، وجحد

مدبره ، وعبد من لا يضر ولا ينفع ، وخاصم إلهه ، فقال (مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ) ونسى الذي

خلقه ، فسواه خلقاً سويًا من ماء مهين ، ويعنى بالمبين : أنه يبين عن خصومته بمنطقه ، ويجادل بلسانه ،

فذلك إبانته ، وعنى بالإنسان : جميع الناس ، أخرج بلفظ الواحد ، وهو في معنى الجميع .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالْأَنْعَامَ خَلَقْنَا لَكُمْ فِيهَا نِفْعَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٢﴾

❖❖ يقول تعالى ذكره : ومن حججه عليكم أيها الناس ما خلق لكم من الأنعام ، فسخرها لكم ، وجعل لكم

من أصوافها وأوبارها وأشعارها ملابس تدفثون بها ، ومنافع من ألبانها ، وظهورها تركيبها (وَمِنْهَا

تَأْكُلُونَ) يقول : ومن الأنعام ما تأكلون لحمه كالإبل والبقر والغنم ، وسائر ما يؤكل لحمه ، وحذفت

« ما » من الكلام للدلالة من عليها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى وعلّى بن داود ، قال : المثنى أخبرنا ، وقال ابن داود : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ) يقول : الثياب . حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن ابن عباس ، قوله (وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْافِعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ) يعنى بالدفع : الثياب ، والمنافع : ما ينتفعون به من الأطعمة والأشربة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجیح ، عن مجاهد ، فى قول الله تعالى (لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ) قال : لباس ينسج ، ومنها مركب ولبن ولحم . حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجیح ، عن مجاهد (لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ) لباس ينسج ومنافع ، مركب ولحم ولبن .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قوله (لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْافِعٌ) قال : نسل كل دابة .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل باسناده ، عن ابن عباس ، مثله . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْافِعٌ) يقول : لكم فيها لباس ومنفعة وبلغة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، قال : قال ابن عباس (وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْافِعٌ) قال : هو منافع وما كل .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْافِعٌ) قال : دفع اللحف التى جعلها الله منها .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج ، قال : بلغنى ، عن مجاهد (وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْافِعٌ) قال : نتاجها وركوبها وألبانها ولحومها .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿١٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ

تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا شِقَ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧﴾

❖❖ يقول تعالى ذكره : ولكم فى هذه الأنعام والمواشى التى خلقها لكم (جمالٌ حِينَ تُرْجُونَ) يعنى :

(١) اللحف : جمع لحاف ، وهو كل ما يلتحف به الإنسان للدفع ، من عباءة ، وكساء ، ونحوهما .

تردونها بالعشي من مسارحها إلى مراحها ومنازلها التي تأوى إليها ، ولذلك سمي المكان : المراح ، لأنها تراح إليه عشيا ، فتأوى إليه ، يقال منه : أراح فلان ماشيته ، فهو يريحها لإراحة . وقوله (وَحِينَ تَسْرَحُونَ) يقول : وفي وقت إخراجكموها غدوة من مراحها إلى مسارحها ، يقال منه : سرح فلان ماشيته ، يسرحها تسريحا ، إذا أخرجها للرعى غدوة ، وسرحت الماشية : إذا خرجت للمرعى تسرح سرحا وسرواحا ، فالسرح بالغداة ، والإراحة بالعشي ، ومنه قول الشاعر :

كَأَنَّ بَقَايَا الْأُتُنِ فَوْقَ مُتُونِهِ مَدَبُّ الدَّبِّيِّ فَوْقَ النَّقَا وَهُوَ سَارِحٌ أ

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَآلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ) وذلك أعجب ما يكون إذا راحت عظاما ضروعها ، طوالا أسنمتها ، وحين تسرحون إذا سرحت لرعيها .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَآلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ) قال : إذا راحت كأعظم ما تكون أسنمة ، وأحسن ما تكون ضروعا . وقوله (وَتَحْمِيلُ أَثْقَالِكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ) يقول : وتحمل هذه الأنعام أثقالكم إلى بلد آخر لم تكونوا بالغيه إلا بجهد من أنفسكم شديد ، ومشقة عظيمة .

كما حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن جابر ، عن عكرمة ، (وَتَحْمِيلُ أَثْقَالِكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ) قال : لو تكلفونه لم تبلغوه إلا بجهد شديد . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن سماك ، عن عكرمة (إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ) قال : لو كلفتموه لم تبلغوه إلا بشق الأنفس .

حدثني المثني ، قال : ثنا الحمانى ، قال : ثنا شريك ، عن سماك ، عن عكرمة (إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ) قال : البلد : مكة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثني ، قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثني المثني ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ) قال : مشقة عليكم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَتَحْمِيلُ أَثْقَالِكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ) يقول : بجهد الأنفس .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، بنحوه .

(١) لعل الشاعر يصف حمارا وحشيا . يقول : إن الأتن قد عضضته ، فتركن فوق متونه آثارا ، كانت كأنها طريق للدبي ، وهو صغار الجراد . فوق النقا ، وهو الكتيب الأبيض من الرمل . ولم أعر على البيت ولا قائله .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الأمصار بكسر الشين (إلاّ بِشِقِّ الأَنْفُسِ)
سوى أبي جعفر القارئ ، فإن المثني حدثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن أبي حماد ، قال :
ثني أبو سعيد الرازي ، عن أبي جعفر قارئ المدينة ، أنه كان يقرأ (لَمْ تَكُونُوا بِالْغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ
الأَنْفُسِ) بفتح الشين ، وكان يقول : إنما الشق : شق النفس . وقال ابن أبي حماد : وكان معاذ الهراء
يقول : هي لغة ، تقول العرب بشقّ وبشِقّ ، وبرق وبريق .

والصواب من القراءة في ذلك عندنا ما عليه قراء الأمصار ، وهي كسر الشين لإجماع الهمزة من القراء
عليه ، وشذوذ ما خالفه ، وقد يُنشد هذا البيت بكسر الشين وفتحها ، وذلك قول الشاعر :

وَذِي إِبِلٍ يَسْعَى وَيَحْسِبُهَا لَهُ أَخِي نَصَبٍ مِّنْ شَقِّهَا وَدُؤْبٍ

ومن شَقِّهَا أيضا بالكسر والفتح ؛ وكذلك قول العجاج :

أَصْبَحَ مَسْحُولٌ يُوَازِي شَقًّا

وشقا بالفتح والكسر ، ويعنى بقوله « يوازي شقا » : يقاسى مشقة ، وكان بعض أهل العربية يذهب بالفتح
إلى المصدر من شقت عليه أشقّ شقا ، وبالكسر إلى الاسم . وقد يجوز أن يكون الذين قرعوا بالكسر
أرادوا إلا بنقص من القوة ، وذهب شيء منها حتى لا يبلغه إلا بعد نقصها ، فيكون معناه عند ذلك : لم
تكونوا بالغيه إلا بشقّ قوى أنفسكم ، وذهب شقها الآخر ، ويحكى عن العرب : خذ هذا الشقّ :
لشقة الشاة بالكسر . فأما في شقت عليك شقا فلم يحك فيه إلا النصب .

وقوله (إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ) يقول تعالى ذكره : إن ربكم أيها الناس ذو رافة بكم ،
ورحمة ؛ من رحمته بكم ، خلق لكم الأنعام لمنافعكم ومصالحكم ، وخلق السموات والأرض أدلة لكم على
وحدانية ربكم ، ومعرفة إلهكم ، لتشكروه على نعمه عليكم ، فيزيدكم من فضله .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَمَبْلَغًا مَّا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾

يقول تعالى ذكره : وخلق الخيل والبغال والحمير لكم أيضا لتركبوها وزينة : يقول : وجعلها لكم
زينة تزينون بها مع المنافع التي فيها لكم ، للركوب وغير ذلك ؛ ونصب الخيل والبغال عطفا على الهاء
والألف في قوله (خَلَقَهَا) ، ونصب الزينة بفعل مضمر على ما بيّنت ، ولو لم يكن معها واو وكان
الكلام لتركبوها زينة ، كانت منصوبة بالفعل الذي قبلها الذي هي به متصلة ، ولكن دخول الواو آذنت
بأن معها ضمير فعل ، وبانقطاعها عن الفعل الذي قبلها .

(١) البيت للنمر بن تولى العكلي (اللسان : شقق) وقال أبو عبيدة في معاني القرآن (١ : ٣٥٦) « إلا بشق الأنفس » بكسر

أوله ويفتح ، ومعناه : بمشقة الأنفس . وفي اللسان : الشق المشقة . قال ابن بري شاهد الكسر قول النمر بن تولى : وذى إبل ... البيت .

(٢) البيت في ديوان العجاج (طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ ص ٤٤٠) وهو شاهد على أن الشق بالكسر بمعنى المشقة . ومسحول : يعنى

بعيره ، ويوازي : يقاسى .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لَسَرَ كَسْبُوهَا وَزِينَةٌ) قال : جعلها لتركبوها ، وجعلها زينة لكم . وكان بعض أهل العلم يرى أن في هذه الآية دلالة على تحريم أكل لحوم الخيل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا أبو ضمرة ، عن أبي إسحاق ، عن رجل ، عن ابن عباس ، قوله (وَالْحَيْلُ وَالْبِغَالُ وَالْحَمِيرُ لَسَرَ كَسْبُوهَا) قال : هذه للركوب (وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ) قال : هذه للأكل .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عليه ، قال : ثنا هشام الدستوائي ، قال : ثنا يحيى بن أبي كثير ، عن مولى نافع بن علقمة ، أن ابن عباس كان يكره لحوم الخيل والبغال والحمير ، وكان يقول : قال الله (وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ ، وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ) فهذه للأكل (وَالْحَيْلُ وَالْبِغَالُ وَالْحَمِيرُ لَسَرَ كَسْبُوهَا) فهذه للركوب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن ابن أبي ليلى ، عن المنهال ، عن سعيد ، عن ابن عباس ، أنه سئل عن لحوم الخيل ، فكرهها وتلا هذه الآية (وَالْحَيْلُ وَالْبِغَالُ وَالْحَمِيرُ لَسَرَ كَسْبُوهَا) . . . الآية .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا قيس بن الربيع ، عن ابن أبي ليلى عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه سئل عن لحوم الخيل ، فقال : اقرأ التي قبلها (وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَالْحَيْلُ وَالْبِغَالُ وَالْحَمِيرُ لَسَرَ كَسْبُوهَا وَزِينَةٌ) فجعل هذه للأكل ، وهذه للركوب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن عبد الملك بن أبي غنينة ، عن أبيه ، عن الحكم (وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ) فجعل منه الأكل ، ثم قرأ حتى بلغ (وَالْحَيْلُ وَالْبِغَالُ وَالْحَمِيرُ لَسَرَ كَسْبُوهَا) قال : لم يجعل لكم فيها أكلا ، قال : وكان الحكم يقول والخيل والبغال والحمير حرام في كتاب الله .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا ابن أبي غنينة ، عن الحكم ، قال : لحوم الخيل حرام في كتاب الله ، ثم قرأ (وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ) . . . إلى قوله (لَسَرَ كَسْبُوهَا) . وكان جماعة غيرهم من أهل العلم يخالفونهم في هذا التأويل ، ويرون أن ذلك غير دال على تحريم شيء ، وأن الله جل ثناؤه إنما عرف عباده بهذه الآية ، وسائر ما في أوائل هذه السورة نعمه عليهم ونبيهم به على حججه عليهم ، وأدلته على وحدانيته ، وخطأ فعل من يشرك به من أهل الشرك .

ذكر بعض من كان لا يرى بأساً بأكل لحم الفرس
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شعبة ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، أنه أكل لحم
الفرس .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن إبراهيم ، عن الأسود بنحوه .
حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قال : نحر أصحابنا
فرسا في النجع وأكلوا منه ، ولم يروا به بأساً .

*** والصواب من القول في ذلك عندنا ، ما قاله أهل القول الثاني ، وذلك أنه لو كان في قوله تعالى ذكره
(لَيْسَ كَبُوهَا) دلالة على أنها لا تصلح . إذ كانت للركوب للأكل - لكان في قوله (فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ
وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ) دلالة على أنها لا تصلح إذ كانت للأكل والدفء للركوب ، وفي إجماع الجميع على أن
ركوب ما قال تعالى ذكره (وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ) جائز حلال غير حرام ، دليل واضح على أن أكل ما قال
(لَيْسَ كَبُوهَا) جائز حلال غير حرام ، إلا بما نصّ على تحريمه أو وضع على تحريمه دلالة من كتاب أو وحى
إلى رسوله صلى الله عليه وسلم . فأما بهذه الآية فلا يحرم أكل شيء . وقد وضع الدلالة على تحريم لحوم
الحمر الأهلية بوحيه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى البغال بما قد بيننا في كتابنا ، كتاب الأطعمة
بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع ، إذ لم يكن هذا الموضع من مواضع البيان عن تحريم ذلك ، وإنما ذكرنا
ما ذكرنا ليدلّ على أن لا وجه لقول من استدلّ بهذه الآية على تحريم لحم الفرس .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن عبد الكريم ، عن عطاء ، عن جابر ، قال :
« كنا نأكل لحم الخيل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قلت : فالبغال ؟ قال : أما البغال فلا . »
وقوله (وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) يقول تعالى ذكره : ويخلق ربكم مع خلقه هذه الأشياء التي ذكرها
لكم ما لا تعلمون ، مما أعدّ في الجنة لأهلها ، وفي النار لأهلها ، مما لم تره عين ، ولا سمعته أذن ، ولا خطر
على قلب بشر .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١﴾

*** يقول تعالى ذكره : وعلى الله أيها الناس بيان طريق الحق لكم ، فمن اهتدى فلنفسه ، ومن ضلّ فانما
يضلّ عليها . والسبيل : هي الطريق ، والقصد من الطريق : المستقيم الذي لا اعوجاج فيه ، كما قال الراجز :

فَصَدَّ عَنْ نَهْجِ الطَّرِيقِ الْقَاصِدِ ۱

(١) البيت شاهد على أن الطريق القاصد معناه : المستقيم . قال في اللسان : القصد : استقامة الطريق ، قصد يقصد قصداً فهو قاصد ،
وقوله تعالى : « وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر » أي على الله تبين الطريق المستقيم ، والدعاء بالحجج والبراهين الواضحة . « ومنها
جائر » أي ومنها طريق غير قاصد . وطريق قاصد : سهل مستقيم .

وقوله (وَمِنْهَا جَائِرٌ) يعنى تعالى ذكره : ومن السبيل جائر عن الاستقامة معوج ، فالقاصد من السبل : الإسلام ، والجائر منها : اليهودية والنصرانية ، وغير ذلك من ملل الكفر كلها جائر عن سواء السبيل وقصدها ، سوى الحنيفية المسلمة . وقيل : ومنها جائر ، لأن السبيل يؤنث ويذكر ، فأُنثت في هذا الموضع . وقد كان بعضهم يقول : وإنما قيل : ومنها ، لأن السبيل وإن كان لفظها لفظ واحد فمعناها الجمع . وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله (وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ) يقول : البيان .
حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ) يقول : على الله البيان أن يبين الهدى والضلالة .
حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثنى المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، جميعاً عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ) قال : طريق الحق على الله .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ) يقول : على الله البيان ، بيان حلاله وحرامه ، وطاعته ومعصيته .
حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ) قال : السبيل : طريق الهدى .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن جوير ، عن الضحاك (وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ) قال : إنارتها .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ) يقول : على الله البيان ، يبين الهدى من الضلالة ، ويبين السبيل التى تفرقت عن سبله ، ومنها جائر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمِنْهَا جَائِرٌ) : أى من السبل ، سبيل الشيطان . وفى قراءة عبد الله بن مسعود (وَمِنْكُمْ جَائِرٌ ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَمِنْهَا جَائِرٌ) قال فى حرف ابن مسعود (وَمِنْكُمْ جَائِرٌ) .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، في قوله (وَمِنْهَا جَائِرٌ) يعنى : السبل المتفرقة .
حدثني علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله (وَمِنْهَا جَائِرٌ) يقول : الأهواء المختلفة .
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (وَمِنْهَا جَائِرٌ) يعنى : السبل التي تفرقت عن سبيله .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حماد ، عن ابن جريج (وَمِنْهَا جَائِرٌ) السبل المتفرقة عن سبيله .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَمِنْهَا جَائِرٌ) قال : من السبل جائر عن الحق ؛ قال : قال الله (وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ) .
وقوله (وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ) يقول : ولو شاء الله للطف بجميعكم أيها الناس بتوفيقه ، فكنتم تهتدون ، وتلزمون قصد السبيل ، ولا تجورون عنه ، فتتفرقون في سبل عن الحق جائرة .
كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ) قال : لو شاء لهداكم أجمعين لقصد السبيل ، الذي هو الحق ، وقرأ (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا) ... الآية ، وقرأ (وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا) ... الآية .
القول في تأويل قوله تعالى :

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجْرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾

يقول تعالى ذكره : والذي أنعم عليكم هذه النعم ، وخلق لكم الأنعام والخيول وسائر البهائم لمنافعكم ومصالحكم ، هو الرب الذي أنزل من السماء ماء ، يعنى : مطرا لكم من ذلك الماء ، شراب تشربونه ، ومنه شراب أشجاركم ، وحياة غروبكم ونباتها (فِيهِ تُسِيمُونَ) يقول : في الشجر الذي ينبت من الماء الذي أنزل من السماء تسيمون ، يعنى ترعون ، يقال منه : أسام فلان إبله يسيمها إسامة ، إذا أرهاها وسومها أيضا يسومها ، وسامت هي : إذارعت ، فهي تسوم ، وهي إبل سائمة . ومن ذلك قيل للمواشى المطلقة في الفلاة وغيرها للرعى سائمة . وقد وجه بعضهم معنى السوم في البيع إلى أنه من هذا ، وأنه ذهاب كل واحد من المتبايعين فيما ينبغى له من زيادة ثمن ونقصانه ، كما تذهب سوائم المواشى حيث شاءت من مراعيها ؛ ومنه قول الأعشى :

وَمَشَى الْقَوْمُ بِالْعِمَادِ إِلَى الْمَرِّ عَتَى وَأَعْيَا الْمُسِيمَ أَيْنَ الْمَسَاقِ ۱

(١) البيت لأعشى بن ثعلبة: ميمون بن قيس (ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ٢١٣) من قصيدة له قالها بنجران يتشوق إلى قومه مفتخر بهم . والرواية فيه « إلى الرزحى » بدل « إلى المرعى » يقول : هزل الإبل الجوع ، فسقطت على الأرض

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن النضر بن عربي ، عن عكرمة (وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ) قال : ترعون .

حدثنا أحمد بن سهيل الواسطي ، قال : ثنا قرّة بن عيسى ، عن النضر بن عربي ، عن عكرمة ، في قوله (فِيهِ تُسِيمُونَ) قال : ترعون .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفیان ، عن خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : ترعون .

حدثني عليّ بن داود ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ) يقول : شجر يرعون فيه أنعامهم وشاءهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : (فِيهِ تُسِيمُونَ) قال : ترعون .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية وأبو خالد ، عن جويبر ، عن الضحاک : فيه ترعون .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، عن الضحاک ، في قوله (تُسِيمُونَ) يقول : ترعون أنعامكم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن طلحة بن أبي طلحة القناد ، قال : سمعت عبد الله بن عبد الرحمن ابن أزي ، قال : فيه ترعون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ) يقول : ترعون .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : ترعون .

حدثنا محمد بن سنان ، قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا أبو هلال ، عن قتادة في قول الله (شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ) قال : ترعون .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ) قال : ترعون ؛ قال : الإسامة : الرعية ؛ وقال الشاعر :

= من الإعياء ، ومشى الناس إليها ، يضعون الأعمدة تحت بطونها ، ليعينوها على الوقوف . وأعياء الراعي أن يجد المراعي لاستحكام الجذب . والرزحى : الإبل ، تهزل ، فلا تستطيع المشى ، فتسقط ، وهي جمع رازح يضعون العباد تحت بطونها ، ثم يرفعونها والميم : اسم فاعل من أسام الماشية : أرهاها في المرعى . وقال أبو عبيدة ، في مجاز القرآن : (١ : ٣٥٧) يقال : أسمت إبل ، وسامت هي : أي رعيتها .

مثل ابن بزعة أو كآخر مثله أولى لك ابن مسيمة الأجمال

قال : يا ابن راعية الأجمال .

القول في تأويل قوله تعالى

يُنَبِّئُكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي

ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾

✽ يقول تعالى ذكره : يُنَبِّئُكُمْ بِهِ : يُنَبِّئُكُمْ بِالماء الذى أنزل لكم من السماء زرعكم وزيتونكم ونخيلكم وأعنايبكم ، ومن كل الثمرات : يعنى من كل الفواكه غير ذلك أرزاقا لكم وأقواتا وإداما وفاكهة ، نعمة منه عليكم بذلك وتفضلا ، وحجة على من كفر به منكم (إن في ذلك لآية) يقول جل ثناؤه : إن في إخراج الله بما ينزل من السماء من ماء ما وصف لكم لآية : يقول : لدلالة واضحة ، وعلامة بينة (لقوم يتفكرون) يقول : لقوم يعتبرون مواظ الله ، ويتفكرون في حججه ، فيتذكرون وينيبون .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِ رَبِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ

لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾

✽ يقول تعالى ذكره : ومن نعمة عليكم أيها الناس مع التي ذكرها قبل أن سخر لكم الليل والنهار يتعاقبان عليكم هذا لتصرفكم في معاشكم ، وهذا لسكنكم فيه ، والشمس والقمر لمعرفة أوقات أزمنتكم وشهوركم وسنينكم ، وصلاح معاشكم (والنجوم مسخرات) لكم بأمر الله تجرى في فلكها لتهدوا بها في ظلمات البر والبحر (إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) يقول تعالى ذكره : إن في تسخير الله ذلك على ما سخره لدلالات واضحة لقوم يعقلون حجج الله ، ويفهمون عنه تنبيه إياهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾

✽ يعنى جل ثناؤه بقوله (وما ذرأ لكم) وسخر لكم ما ذرأ : أى ما خلق لكم في الأرض مختلفا ألوانه ، من الدواب والثمار .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وما ذرأ لكم في الأرض) يقول : وما خلق لكم مختلفا ألوانه من الدواب ، ومن الشجر والثمار ، نعمة من الله متظاهرة فاشكروها لله .

(١) البيت تقدم الاستشهاد به في الجزء الثالث من هذا التفسير (ص ٢٠٤) فارجع إلى شرحنا له في ذلك الموضع وهو هنا شاهد على أن معنى « تسيمون » : ترعون : أى تخرجونها إلى المرعى .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : من الدواب والأشجار والثمار. ونصب قوله مختلفا ، لأن قوله (وما) في موضع نصب بالمعنى الذى وصفت . وإذا كان ذلك كذلك ، وجب أن يكون مختلفا ألوانه حالا من « ما » ، والخبر دونه تام ، ولو لم تكن « ما » في موضع نصب ، وكان الكلام مبتدأ من قوله (وما ذرأ لكم) لم يكن في مختلف إلا الرفع ، لأنه كان يصير مرفاع « ما » حينئذ .

القول في تأويل قوله تعالى

وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لَكُمْ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوهَا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا
وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾

يقول تعالى ذكره : والذى فعل هذه الأفعال بكم ، وأنعم عليكم ، أيها الناس هذه النعم : الذى سخر لكم البحر ، وهو كل نهر ، ملحا كان ماؤه أو عذبا (لتأكلوا منه لحما طريا) وهو السمك الذى يصطاد منه (وتستخرجونها حلية تلبسونها) وهو اللؤلؤ والمرجان .

كما حدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : أخبرنا هشام ، عن عمرو ، عن سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا) قال : منهما جميعا (وتستخرجونها حلية تلبسونها) قال : هذا اللؤلؤ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لتأكلوا منه لحما طريا) يعنى حيطان البحر .

حدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا حماد ، عن يحيى ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الملك ، قال : جاء رجل إلى أبي جعفر ، فقال : هل فى حلى النساء صدقة ؟ قال : لا ، هى كما قال الله تعالى (حلية تلبسونها ، وترى الفلك) يعنى : السفن (مواخر فيه) وهى جمع ماخرة . وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (مواخر) فقال بعضهم : المواخر : المواقر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عمرو بن موسى القزاز ، قال : ثنا عبد الوارث ، قال : ثنا يونس ، عن الحسن ، فى قوله (وترى الفلك مواخر فيه) قال : المواقر .

وقال آخرون فى ذلك : ما حدثنا به عبد الرحمن بن الأسود ، قال : ثنا محمد بن ربيعة ، عن أبي بكر الأصم ، عن عكرمة ، فى قوله (وترى الفلك مواخر فيه) قال : ما أخذ عن يمين السفينة وعن يسارها من الماء ، فهو المواخر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن أبى مكين ، عن عكرمة ، فى قوله (وترى الفلك مواخر فيه) قال : هى السفينة تقول بالماء هكذا : يعنى تشقه .

وقال آخرون فيه ما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن إسماعيل ، عن أبي صالح (وتَرَى الْفُلْكَ مَوَآخِرَ فِيهِ) قال : تجرى فيه متعرضة .
وقال آخرون فيه بما حدثني به محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وتَرَى الْفُلْكَ مَوَآخِرَ فِيهِ) قال : تمخر السفينة الرياح ، ولا تمخر الرياح من السفن ، إلا الفلك العظام .
حدثني الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثني ، قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد نحوه ، غير أن الحرث قال في حديثه : ولا تمخر الرياح من السفن .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (مَوَآخِرَ) قال : تمخر الرياح .
وقال آخرون فيه : ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وتَرَى الْفُلْكَ مَوَآخِرَ فِيهِ) تجرى بريح واحدة ، مقبلة ومدبرة .
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : تجرى مقبلة ومدبرة بريح واحدة .

حدثنا المثني ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن يزيد بن إبراهيم ، قال : سمعت الحسن (وتَرَى الْفُلْكَ مَوَآخِرَ فِيهِ) قال : مقبلة ومدبرة بريح واحد . والمخر في كلام العرب : صوت هبوب الرياح ، إذا اشتد هبوبها ، وهو في هذا الموضع : صوت جرى السفينة بالريح إذا عصفت وشقها الماء حينئذ بصدرها ، يقال : منه : مخرت السفينة تمخر مخرا ومخورا ، وهي ماخرة ، ويقال : امتخرت الرياح وتمخرتها : إذا نظرت من أين هبوبها ، وتسمعت صوت هبوبها . ومنه قول واصل مولى ابن عينة : كان يقال : إذا أراد أحدكم البول فليتمخر الرياح ، يريد بذلك : لينظر من أين مجراها وهبوبها ليستدبرها فلا ترجع عليه البول وتردّه عليه .

وقوله (وَكَلِمَاتٍ مِّنْ فَضْلِهِ) يقول تعالى ذكره : ولتصرفوا في طلب معاشكم بالتجارة سخر لكم . كما حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَكَلِمَاتٍ مِّنْ فَضْلِهِ) قال : تجارة البر والبحر .
وقوله (وَكَلِمَاتٍ مِّنْ فَضْلِهِ) يقول : ولتشكروا ربكم على ما أنعم به عليكم من ذلك ، سخر لكم ما سخر من هذه الأشياء التي عددها في هذه الآيات .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾

❖ يقول تعالى ذكره : ومن نِعِمَّه عليكم أيها الناس أيضا ، أن ألقى في الأرض رواسي ، وهي جمع راسية ، وهي الثوابت في الأرض من الجبال . وقوله (أن تَمِيدَ بِكُمْ) يعني : أن لا تميد بكم ، وذلك كقوله (يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا) ، والمعنى : أن لا تضلوا ، وذلك أنه جل ثناؤه أرسى الأرض بالجبال لئلا يميد خلقه الذي على ظهرها ، بل وقد كانت مائدة قبل أن تُرْسَى بها .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن قيس بن عباد أن الله تبارك وتعالى لما خلق الأرض جعلت تمور ، قالت الملائكة : ما هذه بمقرّة على ظهرها أحدا ، فأصبحت صبحا وفيها رواسيها .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد ، عن عطاء بن السائب ، عن عبد الله بن حبيب ، عن علي بن أبي طالب ، قال : لما خلق الله الأرض قصصت ، وقالت : أي رب أتجعل عليّ بني آدم يعملون عليّ اللطايا ، ويعملون عليّ الحبث ، قال : فأرسى الله عليها من الجبال ماترون ومالاترون ، فكان قرأها كاللحم يترجرج . والميد : هو الاضطراب والتكفؤ ، يقال : ما دت السفينة تميد ميذا : إذا تكفأت بأهلها ومالت ، ومنه الميد الذي يعترى راكب البحر ، وهو الدوار .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (أن تَمِيدَ بِكُمْ) : أن تكفأ بكم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، عن الحسن ، في قوله (وألقى في الأرض رواسي أن تَمِيدَ بِكُمْ) قال : الجبال أن تميد بكم . قال قتادة : سمعت الحسن يقول : لما خلقت الأرض كادت تميد ، فقالوا : ما هذه بمقرّة على ظهرها أحدا ، فأصبحوا وقد خلقت الجبال ، فلم تدر الملائكة مم خلقت الجبال .

وقوله (وأنهاراً) يقول : وجعل فيها أنهارا ، فعطف بالأنهار على الرواسي ، وأعمل فيها ما أعمل في الرواسي ، إذ كان مفهوما معنى الكلام والمراد منه ، وذلك نظير قول الراجز :

تَسْمَعُ فِي أَجْوَأْفِيهِنَّ صَوْرًا وَفِي الْيَدَيْنِ حَشَّةً وَبَوْرًا

(١) هذا من الرجز ، ولم أقف على قائله . والصور الصوت (اللسان) ، أولعله محرف عن الضور بالضاد ، والمراد به : الصوت يشبه الأذن في الجوف من شدة الجوع ، قال في اللسان : الضور : شدة الجوع . والتضور ، التلوى والصياح ، من وجع الضرب أو الجوع . وتضور الذئب والكلب والأسد والثعلب : صاح عند الجوع . والحشة ، بتشديد الشين : اليبس ، يقال حشت اليد وأحشت وهي محش : يبست . وأكثر ذلك في الشلل . والبور بالفتح : مصدر بار ، بمعنى هلك وفسد . والبور أيضا : الهالك الفاسد ، ولعله يريد وصف ناقته بأنه أضر بها الجوع فصاحت ، وأن في يديها يبسا أي شللا وفسادا . وقد بين الإمام للطبري موضع الشاهد في التفسير .

والحشة : اليُبس ، فعطف بالحشة على الصوت ، والحشة لاتسمع ، إذ كان مفهوما المراد منه ، وأن معناه وترى في اليدين حَشَّةٌ .

وقوله (وَسُبُلًا) وهي جمع سبيل ، كما الطرق : جمع طريق . ومعنى الكلام : وجعل لكم أيها الناس في الأرض سبلا وفجاجا تسلكونها ، وتسيرون فيها في حوائجكم ، وطلب معاشكم رحمة بكم ، ونعمة منه بذلك عليكم ولو عمهاها عليكم لهلكم ضلالا وحيرة .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (سُبُلًا) : أي طرقا .
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (سُبُلًا) قال : طرقا .
وقوله (لَعَلَّكُمْ يَهْتَدُونَ) يقول : لكي تهتدوا بهذه السبل التي جعلها لكم في الأرض إلى الأماكن التي تقصدون ، والمواضع التي تريدون ، فلاتضلوا وتتحيروا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَعَلَّمَكَ الْوَالِدُ وَالْوَالِدَاتُ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾

✽✽✽ اختلاف أهل التأويل في المعنى بالعلامات ، فقال بعضهم : عنى بها معالم الطرق بالنهار .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَعَلَّمَكَ الْوَالِدُ وَالْوَالِدَاتُ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ) يعني بالعلامات : معالم الطرق بالنهار ، وبالنجم هم يهتدون بالليل .
وقال آخرون : عنى بها النجوم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم (وَعَلَّمَكَ الْوَالِدُ وَالْوَالِدَاتُ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ) قال : منها ما يكون علامات ، ومنها ما يهتدون به .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وَعَلَّمَكَ الْوَالِدُ وَالْوَالِدَاتُ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ) قال : منها ما يكون علامة ، ومنها ما يهتدى به .
حدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .
حدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، مثله .
قال المثنى : قال : ثنا إسحاق خالف قبيصة وكيعا في الإسناد .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَعَلَّمَكَ الْوَالِدُ وَالْوَالِدَاتُ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ) والعلامات : النجوم ، وإن الله تبارك وتعالى إنما خلق هذه النجوم لثلاث خصلات : جعلها

زينة للسماء ، وجعلها يهتدى بها ، وجعلها رجوما للشياطين ، فمن تعاطى فيها غير ذلك ، فقد رأيه ، وأخطأ حظه ، وأضاع نصيبه ، وتكلفت ما لا علم له به .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَعَلَامَاتٍ) قال النجوم . وقال آخرون : عنى بها الجبال .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الكلبي (وَعَلَامَاتٍ) قال : الجبال .

❖ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله تعالى ذكره عدّد على عباده من نعمه ، إنعامه عليهم بما جعل لهم من العلامات التي يهتدون بها في مسالكهم وطرقهم التي يسيرونها ، ولم يخصص بذلك بعض العلامات دون بعض ، فكلّ علامة استدلت بها الناس على طرقهم ، وفجاج سبلهم ، فداخل في قوله (وَعَلَامَاتٍ) والطرق المسبولة : الموطوءة ، علامة للناحية المقصودة ، والجبال علامات يهتدى بهنّ إلى قصد السبيل ، وكذلك النجوم بالليل ، غير أن الذي هو أولى بتأويل الآية أن تكون العلامات من أدلة النهار إذ كان الله قد فصل منها أدلة الليل بقوله (وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ) ، وإذ كان ذلك أشبه وأولى بتأويل الآية ، فالواجب أن يكون القول في ذلك ما قاله ابن عباس في الخبر الذي روينا عن عطية عنه ، وهو أن العلامات معالم الطرق وأماراتها التي يهتدى بها إلى المستقيم منها نهاراً ، وأن يكون النجم الذي يهتدى به ليلاً هو الجدى والفرقدان ، لأن بها اهتداء السفر دون غيرها من النجوم . فتأويل الكلام إذن : وجعل لكم أيها الناس علامات تستدلون بها نهاراً على طرقكم في أسفاركم ، ونجوماً تهتدون بها ليلاً في سبلكم .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ

رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾

❖ يقول تعالى ذكره لعبدة الأوثان والأصنام : أفمن يخلق هذه الخلائق العجيبة التي عددناها عليكم وينعم عليكم هذه النعم العظيمة ، كمن لا يخلق شيئاً ، ولا ينعم عليكم نعمة صغيرة ولا كبيرة : يقول : أتشركون هذا في عبادة هذا ؟ يعرفهم بذلك عظم جهلهم ، وسوء نظرهم لأنفسهم ، وقلة شكرهم لمن أنعم عليهم بالنعم التي عدّها عليهم ، التي لا يحصيها أحد غيره ، قال لهم جلّ ثناؤه موبخهم (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) أيها الناس . يقول : أفلا تذكرون نعم الله عليكم ، وعظيم سلطانه وقدرته على ما شاء ، وعجز أوثانكم وضعفها ومهانتها ، وأنها لا تجلب إلى نفسها نفعاً ، ولا تدفع عنها ضرراً ، فتعرفوا بذلك خطأ ما أنتم عليه مقيمون من عبادتكموها وإقراركم لها بالألوهة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَمْ مَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ) والله هو الخالق الرازق ، وهذه الأوثان التى تعبد من دون الله تخلق ، ولا تخلق شيئاً ، ولا تملك لأهلها ضرراً ولا نفعاً ، قال الله : (أفلا تذكرون) . وقيل (كَمَنْ لَا يَخْلُقُ) هو الوثن والصنم ، و « مَنْ » لذوى التمييز خاصة ، فجعل فى هذا الموضع لغيرهم للتمييز ، إذ وقع تفصيلاً بين من يخلق ومن لا يخلق . ومحكى عن العرب : اشتبه على الراكب وجمله ، فما أدرى من ذا ، ومن ذا ، حيث جمعاً ، وأحده الإنسان حسنت من فيهما جميعاً . ومنه قول الله عز وجل (فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ) . وقوله (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا) لاتطبقوا أداء شكرها ، (إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) يقول جل ثناؤه : إن الله لغفور لما كان منكم من تقصير فى شكر بعض ذلك إذا تبتم وأنبتتم إلى طاعته واتباع مرضاته ، رحيم بكم أن يعذبكم عليه بعد الإنابة إليه والتوبة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٤٢﴾

❖ يقول تعالى ذكره : والله الذى هو إلهكم أيها الناس ، يعلم ما تسرون فى أنفسكم من ضمائركم فتخفونه عن غيركم ، فما تبدونه بالسنتكم وجوارحكم ، وما تعلنونه بالسنتكم وجوارحكم وأفعالكم ، وهو محص ذلك كله عليكم ، حتى يجازيكم به يوم القيامة ، المحسن منكم بإحسانه ، والمسيء منكم بإساءته ، ومُسائلكم عما كان منكم من الشكر فى الدنيا على نعمه التى أنعمها عليكم فيها التى أحصيت ، والتى لم تحصوا . وقوله (وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ) يقول تعالى ذكره : وأوثانكم الذين تدعون من دون الله أيها الناس آلهة لا تخلق شيئاً وهى تخلق ، فكيف يكون إلهما ما كان مصنوعاً مدبراً ، لاتملك لأنفسها نفعاً ولا ضرراً .

القول فى تأويل قوله تعالى :

أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٤٣﴾

❖ يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين من قريش : والذين تدعون من دون الله أيها الناس (أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ) وجعلها جل ثناؤه أمواتاً غير أحياء ، إذ كانت لأرواح فيها . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ) وهى هذه الأوثان التى تعبد من دون الله أموات لأرواح فيها ، ولا تملك

لأهلها ضراً ولا نفعاً ، وفي رفع الأموات وجهان : أحدهما أن يكون خبراً للذين ، والآخر على الاستئناف .
وقوله (وَمَا يَشْعُرُونَ) يقول : وما تدري أصنامكم التي تدعون من دون الله متى تبعث . وقيل : إنما
عنى بذلك الكفار ، أنهم لا يدرون متى يبعثون .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾

✽✽ يقول تعالى ذكره : معبودكم الذي يستحق عليكم العبادة ، وإفراد الطاعة له دون سائر الأشياء :
معبود واحد ، لأنه لا تصلح العبادة إلا له ، فأفردوا له الطاعة ، وأخلصوا له العبادة ، ولا تجعلوا معه شريكاً
سواه (فالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ) يقول تعالى ذكره : فالذين لا يصدقون بوعد
الله ووعيده ، ولا يقرّون بالمعاد إليه بعد الممات قلوبهم منكراً ، يقول تعالى ذكره : مستنكرة لما نقص
عليهم من قدرة الله وعظمته ، وجميل نعمه عليهم ، وأن العبادة لا تصلح إلا له ، والألوهة ليست لشيء
غيره يقول : وهم مستكبرون عن إفراد الله بالألوهة ، والإقرار له بالوحدانية ، اتباعاً منهم لما مضى عليه من
الشرك بالله أسلافهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ
قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ) لهذا الحديث الذي مضى ، وهم مستكبرون عنه .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَا جْرِمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾

✽✽ يعنى تعالى ذكره بقوله : لا جرم حقا أن الله يعلم ما يسرّ هؤلاء المشركون من إنكارهم ما ذكرنا من
الأنباء في هذه السورة ، واعتقادهم نكير قولنا لهم : إلهكم إله واحد ، واستكبارهم على الله ، وما يعلنون
من كفرهم بالله وفريتهم عليه (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ) يقول : إن الله لا يحبّ المستكبرين عليه أن
يوجدوه ويخلعوا ما دونه من الآلهة والأنداد .

كما حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا جعفر بن عون ، قال : ثنا مسعر ، عن رجل ، أن الحسن بن
على كان يجلس إلى المساكين ، ثم يقول (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾

✽✽ يقول تعالى ذكره : وإذا قيل لهؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة من المشركين ، ماذا أنزل ربكم ، أى
شيء أنزل ربكم ، قالوا : الذي أنزل ما سطره الأولون من قبلنا من الأباطيل .

وكان ذلك كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ماذا أنزل ربكم ؟ قالوا أساطير الأولين) يقول : أحاديث الأولين وباطلهم ، قال ذلك قوم من مشركي العرب كانوا يقعدون بطريق من أتى نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا مرّ بهم أحد من المؤمنين ، يريد نبي الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا لهم : أساطير الأولين ، يريد : أحاديث الأولين وباطلهم .
حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (أساطير الأولين) يقول : أحاديث الأولين .

القول في تأويل قوله تعالى :

لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلْسَاءٌ مَا يَزِرُونَ ﴿١٥﴾

❖❖❖ يقول تعالى ذكره : يقول هؤلاء المشركون لمن سألهم ، ماذا أنزل ربكم الذي أنزل ربنا فيما يزعم محمد عليه : أساطير الأولين ، لتكون لهم ذنوبهم التي هم عليها مقيمون من تكذيبهم الله ، وكفرهم بما أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم ، ومن ذنوب الذين يصدونهم عن الإيمان بالله يضلون يفتنون منهم بغير علم .
وقوله (ألساء ما يزرُونَ) يقول : ألساء الإثم الذي يأتون ، والثقل الذي يتحملون .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ) ومن أوزار من أضلوا احتمالهم ذنوب أنفسهم ، وذنوب من أطاعهم ، ولا يخفف ذلك عن أطاعهم من العذاب شيئاً .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحوه ، إلا أنه قال : ومن أوزار الذين يضلونهم حملهم ذنوب أنفسهم ، وسائر الحديث مثله .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، وحدثني المثني ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ) قال : حملهم ذنوب أنفسهم وذنوب من أطاعهم ، ولا يخفف ذلك عن أطاعهم من العذاب شيئاً .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ) أي ذنوبهم وذنوب الذين يضلونهم بغير علم (ألساء ما يزرُونَ) .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ) يقول : يحملون ذنوبهم ، وذلك مثل قوله (وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ) يقول : يحملون مع ذنوبهم ذنوب الذين يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ .

حدثني المثني ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، (لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ) قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « أَيْمًا دَاعٍ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ فَاتَّبِعَ ، فَإِنَّ عَلَيْهِ مِثْلَ أَوْزَارِ مَنْ اتَّبَعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقِصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ ، وَأَيْمًا دَاعٍ دَعَا إِلَى هُدًى فَاتَّبِعَ فَلَهُ مِثْلُ أَجُورِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقِصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ » .

حدثني المثني ، قال : أخبرنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن رجل ، قال : قال زيد بن أسلم : « إنه بلغه أنه يتمثل للكافر عمله في صورة أقبح ما خلق الله وجهها وأنتنه ريحاً ، فيجلس إلى جنبه كما أفرعه شيء زاده فزعا ، وكلما تخوف شيئاً زاده خوفاً ، فيقول : بئس الصاحب أنت ، ومن أنت ؟ فيقول : وما تعرفني ؟ فيقول لا ، فيقول : أنا عمك كان قبيحاً ، فلذلك تراني قبيحاً ، وكان منتناً فلذلك تراني منتناً ، طأطأ إلى أركبك ، فطالما ركبتني في الدنيا ، فيركبه ، وهو قوله (لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَدَّمَاكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهَ بُدْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦١﴾

❖❖ يقول تعالى ذكره : قد مكر الذين من قبل هؤلاء المشركين الذين يصدّون عن سبيل الله ، من أراد اتباع دين الله ، فراموا مغالبة الله ببناء بَنَانِهِ ، يريدون بزعمهم الارتفاع إلى السماء لحرب من فيها . وكان الذي رام ذلك فيما ذكر لنا جبار من جبابرة النَّبَطِ ، فقال بعضهم : هو نمرود بن كنعان ، وقال بعضهم : هو بختنصر ، وقد ذكرت بعض أخبارهما في سورة إبراهيم . وقيل : إن الذي ذكر في هذا الموضع هو الذي ذكره الله في سورة إبراهيم .

ذكر من قال ذلك

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : أمر الذي حاج إبراهيم في ربه بإبراهيم فأخرج ، يعني من مدينته ، قال : فلقى لوطاً على باب المدينة وهو ابن أخيه ، فدعاه فأمن به ، وقال : إني مهاجر إلى ربي ، وحلف نمرود أن يطلب إله إبراهيم ، فأخذ أربعة أفراخ من فِراخ

النسور ، فرباهن باللحم والحبز حتى كبرن وغلظن واستعجلن ، فربطهن في تابوت ، وقعد في ذلك التابوت ثم رفعهن رجلا من لثم ، فطرن ، حتى إذا ذهبن في السماء أشرف ينظر إلى الأرض ، فرأى الجبال تدب كدبيب النمل ، ثم رفعهن اللحم ، ثم نظر فرأى الأرض محيطا بها بحر كأنها فلكة في ماء ، ثم رفع طويلا فوق في ظلمة ، فلم ير مافوقه وما تحته ، ففزع ، فألقى اللحم ، فاتبعته منقضات ؛ فلما نظرت الجبال إليهن ، وقد أقبلن منقضات ، وسمعت حفيفهن ، فزعت الجبال ، وكادت أن تزول من أمكنتها ولم يفعلن وذلك قول الله تعالى (وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ ، وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) ، وهي في قراءة ابن مسعود (وَإِنْ كَادَ مَكْرُهُمْ) فكان طيرورتهن به من بيت المقدس ووقوعهن به في جبل الدخان ؛ فلما رأى أنه لا يطيق شيئا أخذ في بنيان الصرح ، فبنى حتى إذا شيده إلى السماء ارتقى فوقه ينظر ، يزعم إلى إله إبراهيم ، فأحدث ، ولم يكن يحدث وأخذ الله بنيانه من القواعد (فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ ، وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ) يقول : من مأمهم ، وأخذهم من أساس الصرح ، فتنقض بهم ، فسقط ، فتبلبت ألسن الناس يومئذ من الفزع ، فتكلموا بثلاثة وسبعين لسانا ، فلذلك سميت بابل . وإنما كان لسان الناس من قبل ذلك بالسريانية . حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ) قال : هو نمرود حين بنى الصرح .

حدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن زيد بن أسلم : إن أول جبار كان في الأرض نمرود ، فبعث الله عليه بعوضة فدخلت في منخره ، فمكث أربع مئة سنة يضرب رأسه بالمطارق ، أرحم الناس به من جمع يديه ، فضرب رأسه بهما ، وكان جبارا أربع مئة سنة ، فعذب به الله أربع مئة سنة كملكه ، ثم أماته الله ؛ وهو الذي كان بنى صرحا إلى السماء ، وهو الذي قال الله : (فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ ، فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ) . وأما قوله (فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ) فإن معناه : هدم الله بنيانهم من أصله . والقواعد : جمع قاعدة ، وهي الأساس . وكان بعضهم يقول : هذا مثل للاستئصال ؛ وإنما معناه : إن الله استأصلهم . وقال : العرب تقول ذلك إذا استؤصل الشيء . وقوله (فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ) اختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : معناه : فخر عليهم السقف من فوقهم : أعالي بيوتهم من فوقهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ) إى والله ، لأتاهها أمر الله من أصلها (فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ) والسقف : أعالي البيوت ، فائتفكت بهم بيوتهم فأهلكهم الله ودمرهم (وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ) قال : أتى الله بنيانهم من أصوله ، فخرّ عليهم السقف .
 حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ) قال : مكر نمرود بن كنعان الذي حاج إبراهيم في ربه .
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
 وقال آخرون : عنى بقوله (فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ) أن العذاب أتاهم من السماء .
 ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ) يقول : عذاب من السماء لما رأوه استسلموا وذلوا .
 * وأولى القولين بتأويل الآية ، قول من قال : معنى ذلك : تساقطت عليهم سقوف بيوتهم ، إذ أتى أصولها وقواعدها أمر الله ، فائتمكت بهم منازلهم ، لأن ذلك هو الكلام المعروف من قواعد البنیان ، وخرّ السقف ، وتوجيه معانى كلام الله إلى الأشهر الأعراف منها ، أولى من توجيهها إلى غير ذلك ما وجد إليه سبيل (وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ) يقول تعالى ذكره : وأتى هؤلاء الذين مكروا من قبل مشركى قريش ، عذاب الله من حيث لا يدرون أنه أتاهم منه .

القول في تأويل قوله تعالى :

ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقِقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿١٧﴾

* يقول تعالى ذكره : فعل الله هؤلاء الذين مكروا ، الذين وصف الله جل ثناؤه أمرهم ما فعل بهم في الدنيا ، من تعجيل العذاب لهم ، والانتقام بكفرهم ، وجحودهم وحدانيتهم ، ثم هو مع ذلك يوم القيامة يخزيهم ، فذلهم بعذاب أليم ، وقائل لهم عند ورودهم عليه (أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقِقُونَ فِيهِمْ) أصله : من شاققت فلانا فهو يشاققنى ، وذلك إذا فعل كل واحد منهما بصاحبه ما يشق عليه . يقول تعالى ذكره يوم القيامة تقرّيبا للمشركين بعبادتهم الأصنام : أين شركائى ؟ يقول : أين الذين كنتم تزعمون في الدنيا أنهم شركائى اليوم ، ما لهم لا يحضرونكم ، فيدفعوا عنكم ما أنا محلّ بكم من العذاب ، فقد كنتم تعبّدونهم في الدنيا ، وتتولونهم ، والولىّ ينصر ولىه ، وكانت مشاققتهم الله في أوثانهم مخالفتهم إياه في عبادتهم .
 كما حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقِقُونَ فِيهِمْ) يقول : تخالفونى .

وقوله (قَالَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ) يعنى : الدلّة والهوان والسوء ، يعنى : عذاب الله على الكافرين .

القول في تأويل قوله تعالى :

الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ
بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾

❖ يقول تعالى ذكره : قال الذين أوتوا العلم : إن الخزي اليوم والسوء على من كفر بالله فجمحد وحادنيته (الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ) يقول : الذين تقبض أرواحهم الملائكة (ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ) يعنى : وهم على كفرهم وشركهم بالله . وقيل : إنه عنى بذلك من قتل من قريش ببدر ، وقد أخرج إليها كرها .

حدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا يعقوب بن محمد الزهرى ، قال : ثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة ، قال : كان ناس بمكة أقرّوا بالإسلام ولم يهاجروا ، فأخرج بهم كرها إلى بدر ، فقتل بعضهم ، فأنزل الله فيهم (الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ) .

وقوله (فَأَلْقَوْا السَّلَامَ) يقول : فاستسلموا لأمره ، وانقادوا له حين عاينوا الموت قد نزل بهم ، (مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ) ، وفى الكلام محذوف استغنى بفهم سامعيه ما دلّ عليه الكلام عن ذكره وهو : قالوا ما كنا نعمل من سوء ، يخبر عنهم بذلك أنهم كذبوا وقالوا : ما كنا نعصى الله اعتصاما منهم بالباطل رجاء أن ينجوا بذلك ، فكذبهم الله ، فقال : بل كنتم تعملون السوء وتصدون عن سبيل الله (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) يقول : إن الله ذو علم بما كنتم تعملون فى الدنيا من معاصيه ، وتأتون فيها ما يسخطه .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾

❖ يقول تعالى ذكره : يقول لهؤلاء الظلمة أنفسهم حين يقولون لربهم : ما كنا نعمل من سوء ، ادخلوا أبواب جهنم ، يعنى : طبقات جهنم (خَالِدِينَ فِيهَا) يعنى : ما كثر فيها (فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ) يقول : فلبئس منزل من تكبر على الله ولم يقرّ برؤيته ، ويصدق بوحدانيته جهنم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ الَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَدَارُ
الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾

❖❖ يقول تعالى ذكره : وقيل للفريق الآخر ، الذين هم أهل إيمان وتقوى لله (ماذا أنزل ربكم ؟ قالوا خيراً) يقول : قالوا : أنزل خيراً . وكان بعض أهل العربية من الكوفيين يقول : إنما اختلف الأعراب في قوله (قالوا أساطير الأولين) ، وقوله (خيراً) ، والمسئلة قبل الجوابين كليهما واحدة ، وهي قوله (ماذا أنزل ربكم) لأن الكفار جحدوا التنزيل ، فقالوا حين سمعوه : أساطير الأولين : أى هذا الذى جئت به أساطير الأولين ، ولم ينزل الله منه شيئاً . وأما المؤمنون فصدقوا بالتنزيل ، فقالوا خيراً ، بمعنى أنه أنزل خيراً ، فانتصب بوقوع الفعل من الله على الخير ، فلهذا افرقا ، ثم ابتدأ الخبر فقال (للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة) . وقد بينا القول في ذلك فيما مضى قبل بما أغنى عن إعادته .

وقوله (للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة) يقول تعالى ذكره : للذين آمنوا بالله في هذه الدنيا ورسوله ، وأطاعوه فيها ، ودعوا عباد الله إلى الإيمان والعمل بما أمر الله به حسنة ، يقول : كرامة من الله (ولدار الآخرة خيراً) يقول : ولدار الآخرة خير لهم من دار الدنيا ، وكرامة الله التى أعدّها لهم فيها أعظم من كرامته التى عجلها لهم فى الدنيا (ولنعيم دار المتقين) يقول : ولنعم دار الذين خافوا الله فى الدنيا فاتقوا عقابه بأداء فرائضه وتجنب معاصيه دار الآخرة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم ؟ قالوا خيراً للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة) وهؤلاء مؤمنون ، فيقال لهم (ماذا أنزل ربكم ؟) فيقولون (خيراً للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة) : أى آمنوا بالله وأمروا بطاعة الله ، وحثوا أهل طاعة الله على الخير ودعوهم إليه .

القول فى تأويل قوله تعالى

جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٤١﴾

❖❖ يعنى تعالى ذكره بقوله (جنات عدن) بساتين للمقام . وقد بينا اختلاف أهل التأويل فى معنى عدن فيما مضى بما أغنى عن إعادته (يَدْخُلُونَهَا) يقول : يدخلون جنات عدن ، وفى رفع جنات : أوجه ثلاثة : أحدها : أن يكون مرفوعاً على الابتداء ، والآخر بالعائد من الذكر فى قوله (يَدْخُلُونَهَا) . والثالث : على أن يكون خبر النعم ، فيكون المعنى : إذا جعلت خبر النعم ولنعم دار المتقين جنات عدن ، ويكون (يَدْخُلُونَهَا) فى موضع حال ، كما يقال : نعم الدار دار تسكنها أنت ، وقد يجوز أن يكون إذا كان الكلام بهذا التأويل : يدخلونها ، من صلة جنات عدن : وقوله (تجرى من تحتها الأنهار)

يقول : تجرى من تحت أشجارها الأنهار (لَهْمُ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ) يقول : للذين أحسنوا في هذه الدنيا في جنات عدن ما يشاءون مما تشتهى أنفسهم ، وتلذذ أعينهم (كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ) يقول : كما يجزي الله هؤلاء الذين أحسنوا في هذه الدنيا بما وصف لكم أيها الناس أنه جزاهم به في الدنيا والآخرة ، كذلك يجزي الذين اتقوه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه .

القول في تأويل قوله تعالى :

الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٦﴾

يقول تعالى ذكره : كذلك يجزي الله المتقين الذين تتقبض أرواحهم ملائكة الله ، وهم طيبون بتطيب الله إياهم بنظافة الإيمان ، وطهر الإسلام في حال حياتهم وحال مماتهم .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ) قال : أحياء وأمواتا ، قدر الله ذلك لهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقوله (يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ) يعني جل ثناؤه أن الملائكة تقبض أرواح هؤلاء المتقين ، وهي تقول لهم : سلام عليكم صيروا إلى الجنة بشارة من الله تبشرهم بها الملائكة .

كما حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني أبو صخر ، أنه سمع محمد ابن كعب القرظي يقول : إذا استنقعت نفس العبد المؤمن جاءه ملك فقال : السلام عليك ولى الله ، الله يقرأ عليك السلام ، ثم نزع بهذه الآية (الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ) . . . إلى آخر الآية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، قوله (فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ) قال : الملائكة يأتونه بالسلام من قبيل الله ، وتخبره أنه من أصحاب اليمين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا الأشبُّ أبو علي ، عن أبي رجاء ، عن محمد بن مالك ، عن البراء ، قال : قوله (سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ) قال : يسلم عليه عند الموت .

وقوله (بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) يقول : بما كنتم تصيبون في الدنيا أيام حياتكم فيها طاعة الله ، طلب مرضاته .

القول في تأويل قوله تعالى :

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٢٣﴾

❖❖ يقول تعالى ذكره : هل ينتظر هؤلاء المشركون إلا أن تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم ، أو يأتي أمر ربك بحشرهم لموقف القيامة (كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) يقول جل ثناؤه : كما يفعل هؤلاء من انتظارهم ملائكة الله لقبض أرواحهم ، أو إتيان أمر الله فعل أسلافهم من الكفرة بالله ، لأن ذلك في كل مشرك بالله (وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ) يقول جل ثناؤه : وما ظلمهم الله بإحلال سُخْطِهِ (وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) بمعصيتهم ربهم وكفرهم به ، حتى استحقوا عقابه ، فَعَجَّلَ لَهُمْ . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ) قال : بالموت ، وقال في آية أخرى (وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ) وهو ملك الموت ، وله رسل ، قال الله تعالى (أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ) ذاكم يوم القيامة . حدثني المثنى ، قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ) يقول : عند الموت حين تتوفاهم ، أو يأتي أمر ربك ذلك يوم القيامة .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٤﴾

❖❖ يقول تعالى ذكره : فأصاب هؤلاء الذين فعلوا من الأمم الماضية فعل هؤلاء المشركين من قريش سيئات ما عملوا ، يعني عقوبات ذنوبهم ، ونقم معاصيه التي اكتسبوها (وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) يقول : وحل بهم من عذاب الله ما كانوا يستهزئون منه ، ويسخرون عند إنذارهم ذلك رسل الله ، ونزل ذلك بهم دون غيرهم من أهل الإيمان بالله .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾

❖ يقول تعالى ذكره : وقال الذين أشركوا بالله فعبدوا الأوثان والأصنام من دون الله : ما نعبد هذه الأصنام إلا لأن الله قد رضى عبادتنا هؤلاء ، ولا نحرم ما حرمنا من البحائر والسوائب ، إلا أن الله شاء منا ومن آباءنا تحريمها ورضيه ، لولا ذلك لقد غير ذلك ببعض عقوباته أو بهدايته إيانا إلى غيره من الأفعال . يقول تعالى ذكره : كذلك فعل الذين من قبلهم من الأمم المشركة الذين استنّ هؤلاء سنتهم ، فقالوا مثل قولهم ، وسلكوا سبيلهم في تكذيب رسل الله ، واتباع أفعال آباءهم الضلال . وقوله (فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) يقول جل ثناؤه : فهل أيها القائلون : لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ، على رسلنا الذين نرسلهم بانذاركم عقوبتنا على كفركم ، إلا البلاغ المبين : يقول : إلا أن تبلغكم ما أرسلنا إليكم من الرسالة . ويعنى بقوله (الْمُبِينُ) : الذى يبين عن معناه لمن أبلغه ، ويفهمه من أرسل إليه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ
وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ ﴿٤٦﴾

❖ يقول تعالى ذكره : ولقد بعثنا أيها الناس في كل أمة سلفت قبلكم رسولا ، كما بعثنا فيكم بأن اعبدوا الله وحده لا شريك له ، وأفردوا له الطاعة ، وأخلصوا له العبادة (وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) يقول : وابتعدوا من الشيطان ، واحذروا أن يغويكم ، ويصدكم عن سبيل الله ، فتضلوا ، (فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ) يقول : فمن بعثنا فيهم رسلنا من هدى الله ، فوفيته لتصديق رسله ، والقبول منها ، والإيمان بالله ، والعمل بطاعته ، ففماز وأفلاح ، ونجا من عذاب الله (وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ) يقول : ومن بعثنا رسلنا إليه من الأمم آخرون حققت عليهم الضلالة ، فمجاروا عن قصد السبيل ، فكفروا بالله ، وكذبوا رسله ، واتبعوا الطاغوت ، فأهلكهم الله بعقابه . وأنزل عليهم بأسه الذى لا يرد عن القوم المجرمين ، (فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ) يقول تعالى ذكره لمشركى قريش : إن كنتم أيها الناس غير مصدقى رسولنا فيما يخبركم به عن هؤلاء الأمم الذين حل بهم ما حل من بأسنا بكفرهم بالله ، وتكذيبهم رسوله ، فسيروا في الأرض التى كانوا يسكنونها ، والبلاد التى كانوا يعمرونها ، فانظروا إلى آثار الله فيهم ، وآثار سخطه النازل بهم . كيف أعقبهم تكذيبهم رسل الله ما أعقبهم ، فإنكم ترون حقيقة ذلك ، وتعلمون به صحة الخبر الذى يخبركم به محمد صلى الله عليه وسلم .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴿٤٧﴾

❖❖ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : إن تحرص يا محمد على هدى هؤلاء المشركين إلى الإيمان بالله واتباع الحق (فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ) .
 واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقراءته عامة قراء الكوفيين (فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ) بفتح الياء من يهدى ، وضمها من يضل . وقد اختلف في معنى ذلك قارئوه كذلك ، فكان بعض نحوي الكوفة يزعم أن معناه : فإن الله من أضله لا يهتدي . وقال : العرب تقول : قد هدى الرجل : يريدون قد اهتدى ، وهدى واهتدى بمعنى واحد . وكان آخرون منهم يزعمون أن معناه : فإن الله لا يهدى من أضله ، بمعنى : أن من أضله الله فإن الله لا يهديه . وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والشام والبصرة (فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي) بضم الياء من يهدى ومن يضل ، وفتح الدال من يهدى بمعنى : من أضله الله فلا هادى له .
 وهذه القراءة أولى القراءتين عندي بالصواب ، لأن يهدى بمعنى : يهتدى قليل في كلام العرب غير مستفيض ، وأنه لا فائدة في قول قائل : من أضله الله فلا يهديه ، لأن ذلك مما لا يجمله أحد . وإذا كان ذلك كذلك ، فالقراءة بما كان مستفيضا في كلام العرب من اللغة بما فيه الفائدة العظيمة أولى وأحرى .

فتأويل الكلام : لو كان الأمر على ما وصفنا : إن تحرص يا محمد على هداهم ، فإن من أضله الله فلا هادى له ، فلا تجهد نفسك في أمره ، وبلغه ما أرسلت به لتتم عليه الحجة (وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ) يقول : وما لهم من ناصر ينصرهم من الله إذا أراد عقوبتهم ، فيحول بين الله وبين ما أراد من عقوبتهم .
 وفي قوله (إِنَّ تَحْرِيصًا) لغتان : فمن العرب من يقول : حرص يحرص بفتح الراء في فعل وكسرها في يفعل . وحرص يحرص بكسر الراء في فعل ، وفتحها في يفعل ، والقراءة على الفتح في الماضي ، والكسر في المستقبل ، وهي لغة أهل الحجاز .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ بَلَىٰ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّا أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٨﴾

❖❖ يقول تعالى ذكره : وحلف هؤلاء المشركون من قريش بالله جهداً أيما حلفهم ، لا يبعث الله من يموت بعد مماته . وكذبوا وأبطلوا في أيماهم التي حلفوا بها كذلك ، بل سيبعثه الله بعد مماته ، وعدا عليه أن يبعثهم وعد عباده . والله لا يخلف الميعاد (وَلَكِنَّا أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) يقول : ولكن أكثر قريش لا يعلمون وعد الله عباده ، أنه باعثهم يوم القيامة بعد مماتهم أحياء .
 وبنحو الذي قلنا في ذلك . قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدًا)

أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ) تكذيباً بأمر الله أو بأمرنا ، فإن الناس صاروا في البعث فريقين : مكذب ومصدق . ذكر لنا أن رجلاً قال لابن عباس : إن ناساً بهذا العراق يزعمون أن علياً مبعوث قبل يوم القيامة ، ويتأولون هذه الآية ، فقال ابن عباس : كذب أولئك ، إنما هذه الآية للناس عامة ، ولعمري لو كان علياً مبعوثاً قبل يوم القيامة ما أنكحنا نساءه ، ولا قسمنا ميراثه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : قال ابن عباس : إن رجلاً يقولون : إن علياً مبعوث قبل يوم القيامة ، ويتأولون (وأقسموا بالله جهنم لا يبعث الله من يموت ، بلى وعداً عليه حقاً ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون) قال : لو كنا نعلم أن علياً مبعوث ، ما تزوجنا نساءه ، ولا قسمنا ميراثه ، ولكن هذه للناس عامة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن أبيه ، عن الربيع ، في قوله (وأقسموا بالله جهنم لا يبعث الله من يموت) قال : حلف رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عند رجل من المكذبين ، فقال : والذي يرسل الروح من بعد الموت ، فقال : وإنك لتزعم أنك مبعوث من بعد الموت ، وأقسم بالله جهنم لا يبعث الله من يموت .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حماد ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، قال : كان لرجل من المسلمين على رجل من المشركين دين ، فأتاه يتقاضاه ، فكان فيما تكلم به : والذي أرجوه بعد الموت إنه لكذا ، فقال المشرك : إنك تزعم أنك تبعث بعد الموت ، فأقسم بالله جهنم لا يبعث الله من يموت ، فأقسم بالله جهنم لا يبعث الله من يموت ، بلى وعداً عليه حقاً ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حماد ، عن عطاء بن أبي رباح أنه أخبره أنه سمع أبا هريرة يقول : « قال الله : سبى ابن آدم ، ولم يكن ينبغى له أن يسبى ، وكذبى ولم يكن ينبغى له أن يكذبى ، فأما تكذبه إياي ، فقال (وأقسموا بالله جهنم لا يبعث الله من يموت) قال : قلت (بلى وعداً عليه حقاً) . وأما سبه إياي ، فقال : (إن الله ثالث ثلاثة) ، وقلت : (قل هو الله أحد) ، الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . »

القول في تأويل قوله تعالى :

لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ ﴿٣٩﴾

❖ يقول تعالى ذكره : بل لبيعتن الله من يموت وعداً عليه حقاً ، ليبين لهؤلاء الذين يزعمون أن الله لا يبعث من يموت ، ولغيرهم الذي يخلفون فيه من إحياء الله خلقه بعد فناءهم ، وليعلم الذين جحدوا صحة ذلك ، وأنكروا حقيقته أنهم كانوا كاذبين في قيلهم : لا يبعث الله من يموت .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلِفُونَ فِيهِ) قال : للناس عامة .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَاءَ لِأَخِرَةٍ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾

❖❖ يقول تعالى ذكره : إنا إذا أردنا أن نبعث من يموت فلا تعب علينا ولا نصب في إحيائناهم ، ولا في غير ذلك مما نخلق ونكوّن ونحدث ، لأننا إذا أردنا خلقه وإنشاءه ، فإنما نقول له : كن فيكون ، لا معاناة فيه ، ولا كلفة علينا .

واختلفت القراء في قراءة قوله : يكون ، فقرأه أكثر قراء الحجاز والعراق على الابتداء ، وعلى أن قوله (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ) كلام تام مكتف بنفسه عما بعده ، ثم يبتدأ فيقال : فيكون ، كما قال الشاعر :

يُرِيدُ أَنْ يُعْرِبَهُ فَيُعْجِمُهُ ١

وقرأ ذلك بعض قراء أهل الشام ، وبعض المتأخرين من قراء الكوفيين (فَيَكُونُ) نصبا ، عطفا على قوله (أَنْ نَقُولَ لَهُ) . وكان معنى الكلام على مذهبهم : ما قولنا لشيء إذا أردناه إلا أن نقول له : كن ، فيكون . وقد حكى عن العرب سماعا : أريد أن آتيك فيمنعني المطر ، عطفا بيمينني على آتيك .

وقوله (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً) يقول تعالى ذكره : والذين فارقوا قومهم ودورهم وأوطانهم عداوة لهم في الله على كفرهم إلى آخرين غيرهم (مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا) يقول : من بعد ما نيل منهم في أنفسهم بالكاره في ذات الله (لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً) يقول : لنسكنهم في الدنيا مسكنا يرضونه صالحا .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

(١) هذا بيت من مشطور الرجز من شواهد الفراء في معاني القرآن (ص ١٦١) والشاهد في البيت : أن قوله فيعجمه بالرفع ليس معطوفا على أن يعربه وإنما هو كلام مستأنف ، أي فهو يعجمه ولا يعربه . ومثله قوله تعالى « أن نقول له كن فيكون » بالرفع وليس معطوفا على « أن نقول » . ومثله أيضا قوله تعالى « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل » بالرفع ، وليس بالنصب على الجواب للنفي ومثله قوله تعالى « لنبين لكم ، ونقر في الأرحام » برفع نقر على الاستئناف وقوله تعالى في براءة « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم » ثم قال « ويتوب الله على من يشاء » . قال الفراء : فإذا رأيت الفعل منصوبا ، وبعده فعل قد نسق عليه بواو أو فاء أو ثم ، فإن كان يشاكل معنى الفعل الذي قبله ، نسقته عليه ، وإن رأيت غير مشاكل لمعناه ، استأنفته فرفعته . ومنه قوله :

وَالشَّعْرُ لَا يَسْتَطِيعُهُ مِنْ يَظْلِمُهُ يُرِيدُ أَنْ يُعْرِبَهُ فَيُعْجِمُهُ

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَنْبُوْتَنَّهُمْ) قال : هؤلاء أصحاب محمد ظلمهم أهل مكة ، فأخرجوهم من ديارهم ، حتى لحق طوائف منهم بالحبشة ، ثم بوأهم الله المدينة بعد ذلك فجعلها لهم دار هجرة ، وجعل لهم أنصارا من المؤمنين .

حدثت عن القاسم بن سلام ، قال : ثنا هشيم ، عن داود بن أبي هند ، عن الشعبي (لَنَنْبُوْتَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً) قال : المدينة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَنْبُوْتَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً) قال : هم قوم هاجروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل مكة بعد ظلمهم ، وظلمهم المشركون . وقال آخرون : عن بقوله (لَنَنْبُوْتَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً) ليرزقهم في الدنيا رزقا حسنا .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (لَنَنْبُوْتَنَّهُمْ) ليرزقهم في الدنيا رزقا حسنا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حماد ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . حدثني الحرث ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا هشيم ، عن العوام ، عن حدثه أن عمر بن الخطاب كان إذا أعطى الرجل من المهاجرين عطاءه يقول : خذ بارك الله لك فيه ، هذا ما وعدك الله في الدنيا ، وما ذخره لك في الآخرة أفضل ، ثم تلا هذه الآية (لَنَنْبُوْتَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ، وَلَا جَزَاءُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) .

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال : معنى (لَنَنْبُوْتَنَّهُمْ) : لنحنهم ولنسكنهم ، لأن التبوأ في كلام العرب الحلول بالمكان والنزول به . ومنه قول الله تعالى (وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبُوتَا صِدْقٍ) وقيل : إن هذه الآية نزلت في أبي جندل بن سهيل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : ثنا جعفر بن سليمان ، عن داود بن أبي هند ، قال : نزلت (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا) . . . إلى قوله (وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) في أبي جندل بن سهيل .

وقوله (وَلَا جَزَاءُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) يقول : ولثواب الله إياهم على هجرتهم فيه في الآخرة أكبر ، لأن ثوابه إياهم هنالك الجنة التي يدوم نعيمها ولا يبديد .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قال الله (وَلَا جُرْ الْآخِرَةَ أَكْبَرُ) أي والله لما يثيبهم الله عليه من جنته أكبر (لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٦﴾

❖ يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين وصفنا صفتهم ، وآتيناهم الثواب الذي ذكرناه ، الذين صبروا في الله على ما نابهم في الدنيا (وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) يقول : وباللَّه يثقون في أمورهم ، وإليه يستندون في نوائب الأمور التي تنوبهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾

❖ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وما أرسلنا من قبلك يا محمد إلى أمة من الأمم ، للدعاء إلى توحيدنا ، والانهاء إلى أمرنا ونهينا ، إلا رجالا من بني آدم نوحى إليهم وحينئذ لا ملائكة ، يقول : فلم نرسل إلى قومك إلا مثل الذي كنا نرسل إلى من قبلهم من الأمم من جنسهم ، وعلى مناهجهم (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ) يقول لمشركي قريش : وإن كنتم لا تعلمون أن الذين كنا نرسل إلى من قبلكم من الأمم رجال من بني آدم مثل محمد صلى الله عليه وسلم ، وقلتم : هم ملائكة : أي ظننتم أن الله كلمهم قبلا ، فاسألوا أهل الذكر ، وهم الذين قد قرءوا الكتب من قبلهم : التوراة والإنجيل ، وغير ذلك من كتب الله التي أنزلها على عباده .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربي ، عن ليث ، عن مجاهد (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ) قال : أهل التوراة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربي ، عن سفيان ، قال : سألت الأعمش ، عن قوله (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ) قال : سمعنا أنه من أهل التوراة والإنجيل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (وَمَا

أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ ، فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)
قال : هم أهل الكتاب .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد ، عن ابن عباس
(فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) قال : قال لمشركي قريش : إن محمداً في التوراة
والإنجيل .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثمان بن سعيد ، قال : ثنا بشر بن عمار ، عن أبي روق ، عن الضحاک
عن ابن عباس ، قال : لما بعث الله محمداً رسولاً ، أنكرت العرب ذلك ، أو من أنكر منهم ، وقالوا :
الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً مثل محمد ، قال : فأنزل الله (أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ
مِنْهُمْ ؟) وقال : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ
لَا تَعْلَمُونَ ، بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ) فاسئلوا أهل الذكر : يعني أهل الكتب الماضية ، أبشرا كانت الرسل التي
أتتكم أم ملائكة ؟ فإن كانوا ملائكة أنكرتم ، وإن كانوا بشراً فلا تنكروا أن يكون محمد رسولاً ، قال :
ثم قال : وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم من أهل القرى : أي ليسوا من أهل السماء كما قلتم .

وقال آخرون في ذلك ما حدثنا به ابن وكيع ، قال : ثنا ابن يمان ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن
أبي جعفر (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) قال : نحن أهل الذكر .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ
إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) قال : الذكر : القرآن . وقرأ (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)
وقرأ (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ) . . . الآية .

القول في تأويل قوله تعالى :

بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٤﴾

❖❖ يقول تعالى ذكره : أرسلنا بالبينات والزُّبُرِ رجالاً نوحي إليهم .

فإن قال قائل : وكيف قيل بالبينات والزُّبُرِ ، وما الجالب لهذه الباء في قوله (بِالْبَيِّنَاتِ) فإن قلت :
جاءها قوله (أَرْسَلْنَا) وهي من صلته ، فهل يجوز أن تكون صلة « ما » قبل « إلا » بعدها ، وإن قلت :
جاءها غير ذلك ، فما هو ، وأين الفعل الذي جلبها . قيل : قد اختلف أهل العربية في ذلك ، فقال بعضهم :
الباء التي في قوله (بِالْبَيِّنَاتِ) من صلة أرسلنا ، وقال : إلا في هذا الموضع ، ومع الجحد والاستفهام
في كل موضع بمعنى غير ، وقال : معنى الكلام : وما أرسلنا من قبلك بالبينات والزُّبُرِ غير رجال نوحي
إليهم ، ويقول على ذلك : ما ضرب إلا أخوك زيदा ، وهل كلم إلا أخوك عمرا ، بمعنى : ما ضرب زيदा غير
أخيك ، وهل كلم عمرا إلا أخوك ؟ ، ويحتج في ذلك بقول أوس بن حجر :

أَبْنِي لُبَيْتِي لَسْتُمْ بِيَدٍ إِلَّا يَدٌ لَيْسَتْ لَهَا عَضُدٌ ١
 ويقول : لو كانت « إلا » بغير معنى لفسد الكلام ، لأن الذي خفض الباء قبل إلا لا يقدر على إعادته بعد إلا
 لخفض اليد الثانية ، ولكن معنى إلا معنى غير ، ويستشهد أيضا بقول الله عز وجل (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ
 إِلَّا اللَّهُ) ويقول : إلا بمعنى : غير في هذا الموضع . وكان غيره يقول : إنما هذا على كلامين : يريد :
 وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا أرسلنا بالبينات والزبر . قال : وكذلك قول القائل : ماضرب إلا أخوك زيدا
 معناه : ماضرب إلا أخوك ، ثم يبتدئ ضرب زيدا ، وكذلك مامرر إلا أخوك بزید مامرر إلا أخوك ، ثم
 يقول : مرر بزید ، ويستشهد على ذلك ببيت الأعشى :

وَلَيْسَ مُجِيرًا إِنْ أَتَى الْحَيَّ خَائِفٌ وَلَا قَائِلًا إِلَّا هُوَ الْمُتَعَيَّبُ ٢
 ويقول : لو كان ذلك على كلمة لكان خطأ ، لأن المتعيبا من صلة القائل ، ولكن جاز ذلك على كلامين .
 وكذلك قول الآخر :

نُبِّئْتُهُمْ عَذَّبُوا بِالنَّارِ جَارَهُمْ وَهَلْ يُعَذَّبُ إِلَّا اللَّهُ بِالنَّارِ ٣

(١) رواية هذا البيت في الكتاب لسيبويه (١ : ٣٦٢) :

يَابْنِي لُبَيْتِي لَسْتُمْ بِيَدٍ إِلَّا يَدًا لَيْسَتْ لَهَا عَضُدٌ
 ينصب يد التي بعد إلا على محل بيد التي قبلها . قال الشنتمري في الكلام على الشاهد : الشاهد فيه نصب ما بعد إلا ، على البدل من موضع
 الباء وما عملت فيه . والتقدير : لستما يدا إلا يدا لا عضد لها . ولا يجوز الجر على البدل من المجرور ، لأن ما بعد « إلا » مجرور ،
 والباء : مؤكدة للنفي . ويروى : مخبولة العضد . والخبيل : الفساد ، أي أنتم في الضعف وقلة النفع كيد بطل عضدها . اهـ .
 وقال الفراء في معاني القرآن (١ : ١٧٢) : ورأيت الكسائي يجعل إلا مع الجحد والاستفهام بمنزلة غير وقال في قوله
 تعالى : « لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدتا » لا أجد المعنى إلا : لو كان فيهما آلهة غير الله لفسدتا . واحتج بقول الشاعر :

أبني لبيني لستم بيد إلا يد ليست لها عضد

فقال : لو كان المعنى إلا لكان الكلام فاسدا في هذا ؛ لأنني لا أقدر في هذا البيت على إعادة خفض بضمير ، وقد ذهب ههنا مذهبا . قلت :
 وقد جوز الشيخ خالد في يد التي بعد إلا النصب على الاستثناء ، وعلى البدلية ، كما مر في كلام الأعمى الشنتمري . وجوز وجهها ثالثا
 تبعا للكسائي وأنشد بيته الشاهد ، وهذا الوجه : هو جره على الصفة ليد الأولى . التصريح بمضمون التوضيح ١ : ٤٢٤ (طبعة
 الأميرية ، باب الاستثناء) .

وقال الشيخ يس العليمي الحمصي في حاشيته على التصريح في هذا الموضع : « أبني لبيني : بصيغة المثني ، بدليل قوله « لستما » أي
 في رواية صاحب التصريح . وهو منادى حذف منه حرف النداء ، وليس في قوله : « إلا يد » وصف الشيء بنفسه ، لأن المعتمد
 بالصفة ليد الأولى صفة يد الثانية ، و« يد » الثانية صفة موطئة .

(٢) البيت لأعشى بنى ثعلبة ميمون بن قيس (ديوانه طبعة القاهرة ص ١١٣) يقول : إنه لا يملك أن يؤمن رجلا ، فيجعله
 في جواره ، لأن الناس لا يحترمون هذا الجوار ، وإنما يحترمون جوار الأقوياء ، فلا يجرمون أن ينالوا جارهم بأذى ، والمتعيب
 اسم مفعول من تعيبه إذا نسبه إلى العيب : أي ولا قائل إلا هو . وقد بين المؤلف وجه استشهاد بعض النحويين (وهو
 الكسائي) بالبيت . وأن المتعيبا منصوب بقائلا المحذوف . والتقدير : ولا قائل إلا هو « قائل » المعيبا . وهو معنى قوله ، ولكن جاز
 ذلك على كلامين . اهـ .

(٣) هذا البيت كسابقه : شاهد على أن قوله « بالنار » من صلة الفعل « يعذب » وما قبل إلا لا يعمل فيما بعدها ، فأخره ونوى
 كلامين ، فيكون « بالنار » من صلة « يعذب » المحذوف . والتقدير : وهل يعذب إلا الله ، يعذب بالنار . والبيت من شواهد الفراء
 في معاني القرآن (١ : ١٧٢) .

فتأويل الكلام إذن : وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم أرسلناهم بالبينات والزبر ، وأنزلنا إليك الذكر . والبينات : هي الأدلة والحجج التي أعطاها الله رسله أدلة على نبوتهم شاهدة لهم على حقيقة ما أتوا به إليهم من عند الله . والزُّبُرُ : هي الكتب ، وهي جمع زَبُور ، من زَبَرْتُ الكتاب وذَبَرْتَه : إذا كتبته . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ) قال : الزبر : الكتب .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ) قال : الآيات . والزبر : الكتب . حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : الزُّبُرُ : الكُتُبُ .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضمحاك يقول في قوله (وَالزُّبُرِ) يعني : بالكتب .

وقوله (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ) يقول : وأنزلنا إليك يا محمد هذا القرآن تذكيرا للناس وعظة لهم ، (لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ) يقول : لتعرفهم ما أنزل إليهم من ذلك (وَلَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) يقول : وليتدكروا فيه ويعتبروا به : أي بما أنزلنا إليك ؛ وقد حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : ثنا الثوري ، قال : قال مجاهد (وَلَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) قال : يطيعون .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَفَأَمِّنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾

❖❖❖ يقول تعالى ذكره : أفأمن الذين ظلموا المؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فراموا أن يفتنواهم عن دينهم من مشركي قريش الذين قالوا : إذ قيل لهم : ما ذا أنزل ربكم : أساطير الأولين ، صدأ منهم لمن أراد الإيمان بالله عن قصد السبيل ، أن يخسف الله بهم الأرض على كفرهم وشركهم ، أو يأتيهم عذاب الله من مكان لا يشعرون به ، ولا يدرى من أين يأتيه . وكان تجاهد يقول : عنى بذلك نمرود ابن كنعان .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح

عن مجاهد (أَفَامِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ) . . . إلى قوله (أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ) قال : هو نمروذ بن كنعان وقومه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

*** وإنما اخترنا القول الذي قلناه في تأويل ذلك ، لأن ذلك تهديد من الله أهل الشرك به ، وهو عقيب قوله (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ ، فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)

فكان تهديد من لم يقرّ بحجة الله الذي جرى الكلام بخطابه قبل ذلك أخرى من الخبر عن انقطع ذكره عنه .

وكان قتادة يقول في معنى السيئات في هذا الموضع ، ما حدثنا به بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال :

ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَفَامِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ) : أى الشرك .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ ۖ فَتَاهُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ

رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾

*** يعنى تعالى ذكره بقوله (أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ) أو يهلكهم في تصرفهم في البلاد ، وترددهم في أسفارهم (فَتَاهُمْ بِمُعْجِزِينَ) يقول جل ثناؤه : فإنهم لا يعجزون الله من ذلك إن أراد أخذهم كذلك . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى وعلي بن داود ، قالا : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن

عباس ، قوله (أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ) يقول : في اختلافهم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

قوله (أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ) فَتَاهُمْ بِمُعْجِزِينَ) قال : إن شئت أخذته في سفر .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي

تَقْلِبِهِمْ) في أسفارهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، مثله .

وقال ابن جريج في ذلك ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج

(أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ) قال : التقلب : أن يأخذهم بالليل والنهار .

وأما قوله (أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ) فإنه يعنى : أو يهلكهم بتخوُّف ، وذلك بنقص من أطرافهم

ونواحيهم الشيء بعد الشيء حتى يهلك جميعهم ، يقال منه : تخوَّفَ مال فلان الإنفاق : إذا انتقصه ، ونحو

تخوَّفه من التخوُّف بمعنى : التناقص ، قول الشاعر :

تَخَوَّفَ السَّيْرُ مِنْهَا تَامِكًا قَرِدًا . كَمَا تَخَوَّفَ عُوْدَ النَّبَعَةِ السَّفَنُ ١
يعنى بقوله : تخوَّفَ السير : تنقص سنامها . وقد ذكرنا عن الهيثم بن عدى أنه كان يقول : هى لغة لأزد شنوءة معروفة لهم ؛ ومنه قول الآخر :

تَخَوَّفَ عَدُوَّهُمْ مَالِي وَأَهْمَدَى سَلَسِلٍ فِي الْحُلُوقِ لَهَا صَلِيلٌ ٢
وكان الفراء يقول : العرب تقول : تخوَّفته : أى تنقصته ، تخوَّفا : أى أخذته من حافاته وأطرافه ، قال : فهذا الذى سمعته ، وقد أتى التفسير بالحاء وهما بمعنى . قال : ومثله ما قرئ بوجهين قوله : إن لك فى النهار سبباً وسبباً .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن المسعودى ، عن إبراهيم بن عامر بن مسعود ، عن رجل ، عن
عمر أنه سأله عن هذه الآية (أَوْ يَأْخُذْهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ . أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى
تَخَوُّفٍ) فقالوا : ما نرى إلا أنه عند تنقص ما يردده من الآيات ، فقال عمر : ما أرى إلا أنه على
ما تنتقصون من معاصى الله ، قال : فخرج رجل من كان عند عمر ، فلقى أعرابياً ، فقال : يا فلان ما فعل
ربك ، قال : قد تخيفته ، يعنى تنقصته ، قال : فرجع إلى عمر فأخبره ، فقال : قد ر الله ذلك .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا عمى ، قال : ثنا أبى ، عن ابن عباس
(أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ) يقول : إن شئت أخذته على أثر موت صاحبه وتخوَّف بذلك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حماد ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراسانى ، عن
ابن عباس (على تَخَوُّفٍ) قال : التنقص والتفريع .

(١) البيت لابن مقبل (لسان العرب : خوف) قال : التخوف : التنقص . وفى التنزيل : « أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ » . قال الفراء
فى التفسير بأنه التنيص قال : والعرب تقول : تخوَّفته أى تنقصته من حافاته . قال : فهذا الذى سمعته . قال : وقد أتى التفسير بالحاء .
قال الزجاج : ويجوز أن يكون معناه : أو يأخذهم بعد أن يخيفهم بأن يهلك قرية ، فيتخاف التى تليها . وقال ابن مقبل : تخوف ... الخ
والسفن : الحديد التى تبرد بها القسى ، أى تنقص ، كما تأكل هذه الحديد خشب القسى . وكذلك التخويف ، يقال : خوفه وخوف
منه . قال ابن السكيت : يقال : هو يتخوف المال (بالمهمله) ويتخوفه ، أى يتنقصه ، ويأخذ من أطرافه . وقال ابن الأعرابى :
تخوفته وتخيفته ، وتخوفته وتخيفته إذا تنقصته . والتامك السنام أو السنام المرتفع . والقرد : الذى تجمع شعره ، أو الذى تراكم لحمه من السمن .
وفى « فتح القدير » للشوكانى : التخوف بالفاء : التنيص : لغة لأزد شنوءة . والنبع من شجر الجبال نتخذ منه القسى ، الواحدة نبعة .
(٢) البيت من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣٦٠) قال : « على تخوف » مجازه : على التنيص ، وأنشد بيتين ثانيهما
بيت الشاهد ، وأولهما :

أَلَامٌ عَلَى الْهَيْجَاءِ وَكُلُّ يَوْمٍ يُبْلَقِيْنِي مِنَ الْجَيْرَانِ غُولٌ

أى تنقص غدرهم مالى . سلاسل : يريد القوافى تنشد ، فهو صليلها . وهو قلائد فى أعناقهم . وفى رواية أبى عبيدة والقرطبى غدرهم ،
فى مكان عدوهم . أى اعتداؤهم . قلت . وفى اللسان أيضاً (خون) تخونه ، وخونه ، وخون منه : نقصه . يقال : تخوننى فلان حتى
إذا تنقصك .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (أو)
يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ) على تنقص .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال :
ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (على تَخَوُّفٍ) قال : تنقص .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أو) يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ) فيعاقب

أو يتجاوز .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أو) يَأْخُذَهُمْ عَلَى
تَخَوُّفٍ) قال : كان يقال : التَخَوُّفُ : التَنَقُّصُ ، ينتقصهم من البلدان من الأطراف .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول
في قوله (أو) يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ) يعني : يأخذ العذاب طائفة ويترك أخرى ، ويعذب القرية
ويهلكها ، ويترك أخرى إلى جنبها .

وقوله (فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ) يقول : فإن ربكم إن لم يأخذ هؤلاء الذين مكروا السيئات
بعذاب معجل لهم ، وأخذهم بموت وتنقص بعضهم في أثر بعض ، لرءوف بخلقه ، رحيم بهم ، ومن رأفته
ورحمته بهم لم يخسف بهم الأرض ، ولم يعجل لهم العذاب ، ولكن يخوفهم وينقصهم بموت .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ عَنِ الِّمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾

اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقراءته عامة قراء الحجاز والمدينة والبصرة (أو لم يروا) بالياء على
الخبر عن الذين مكروا السيئات . وقرأ ذلك بعض قراء الكوفيين (أو لم تروا) بالتاء على الخطاب .

❖ وأولى القراءتين عندي بالصواب قراءة من قرأ بالياء على وجه الخبر عن الذين مكروا السيئات ، لأن ذلك
في سياق قَصَصِهِمْ ، والخبر عنهم ، ثم عقب ذلك الخبر عن ذهابهم عن حجة الله عليهم ، وتركهم النظر
في أدلته والاعتبار بها . فتأويل الكلام إذن : أو لم يرهؤلاء الذين مكروا السيئات ، إلى ما خلق الله من جسم
قائم ، شجر أو جبل أو غير ذلك ، يتفياً ظلاله عن اليمين والشمال ، يقول : يرجع من موضع إلى موضع ،
فهو في أول النهار على حال ، ثم يتقلص ، ثم يعود إلى حال أخرى في آخر النهار .

وكان جماعة من أهل التأويل يقولون في اليمين والشمال ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد

عن قتادة ، قوله (أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَّالَهُ عَنِ الِْيَمِينِ وَالشَّمَالِ سُجَّدًا لِلَّهِ) أما اليمين : فأول النهار ؛ وأما الشمال : فأخر النهار .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، بنحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (يَتَفَيَّأُ ظِلَّالَهُ عَنِ الِْيَمِينِ وَالشَّمَالِ) قال : الغدو والآصال ، إذا فاءت الظلال ، ظلّ كل شيء بالغدو سجدت لله ، وإذا فاءت بالعشي سجدت لله .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (يَتَفَيَّأُ ظِلَّالَهُ عَنِ الِْيَمِينِ وَالشَّمَالِ) يعني : بالغدو والآصال ، تسجد الظلال لله غدوة إلى أن يبيء الظلّ ، ثم تسجد لله إلى الليل ، يعني : ظلّ كل شيء .

وكان ابن عباس يقول في قوله (يَتَفَيَّأُ ظِلَّالَهُ) ما حدثنا المثني ، قال : أخبرنا أبو صالح ، قال ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (يَتَفَيَّأُ ظِلَّالَهُ) يقول : تتميل . واختلاف في معنى قوله (سُجَّدًا لِلَّهِ) فقال بعضهم : ظلّ كل شيء سجدده . ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يَتَفَيَّأُ ظِلَّالَهُ) قال : ظلّ كل شيء : سجدده .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا إسحاق الرازيّ ، عن أبي سنان ، عن ثابت عن الضحاك (يَتَفَيَّأُ ظِلَّالَهُ) قال : سجد ظلّ المؤمن طوعا ، وظلّ الكافر كرها . وقال آخرون : بل عنى بقوله (يَتَفَيَّأُ ظِلَّالَهُ) كلا عن اليمين والشمال في حال سجودها ، قالوا : وسجود الأشياء غير ظلالها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ؛ وحدثني نصر بن عبد الرحمن الأوديّ ، قال : ثنا حكام ، عن أبي سنان ، عن ثابت عن الضحاك ، في قول الله (أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَّالَهُ) قال : إذا فاء النوى توجه كل شيء ساجدا قبيل القبلة ، من نبت أو شجر ، قال : فكانوا يستحبون الصلاة عند ذلك .

حدثني المثني ، قال : أخبرنا الحمانيّ ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، قال : ثنا شريك ، عن منصور ، عن مجاهد ، في قول الله (يَتَفَيَّأُ ظِلَّالَهُ) قال : إذا زالت الشمس سجد كل شيء لله عز وجل .

وقال آخرون : بل الذي وصف الله بالسجود في هذه الآية ظلال الأشياء ، فإنما يسجد ظلالها دون التي لها الظلال .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (أَوْ لَمْ

يَتَرَوْنَ إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَتِّهًا ظِلَالُهُ) قال : هو سجود الظلال ، ظلال كل شيء ما في السموات وما في الأرض من دابة ، قال : سجود ظلال الدواب ، وظلال كل شيء .
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَوْ لَمْ يَتَرَوْنَ إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَتِّهًا ظِلَالُهُ) ما خلق من كل شيء عن يمينه وشماله ، فلفظ ما لفظ عن اليمين والشمال ، قال : ألم تر أنك إذا صليت الفجر ، كان ما بين مطلع الشمس إلى مغربها ظلا ، ثم بعث الله عليه الشمس دليلا ، وقبض الله الظل .

❖ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله أخبر في هذه الآية أن ظلال الأشياء هي التي تسجد ، وسجودها : ميلانها ودورانها من جانب إلى جانب ، وناحية إلى ناحية ، كما قال ابن عباس : يقال من ذلك : سجدت النخلة إذا مالت ، وسجد البعير وأسجد : إذا أميل للركوب . وقد بينا معنى السجود في غير هذا الموضع بما أغنى عن إعادته .

وقوله (وَهُمْ دَاخِرُونَ) يعني : وهم صاغرون ، يقال منه : دخر فلان لله يدخر دخرا ودخورا : إذا ذل له وخضع ؛ ومنه قول ذي الرمة :

فَلَسَمَّ يَبْتَقِي إِلَّا دَاخِرًا فِي مُخَيَّسٍ وَمُنْجَحِرًا فِي غَيْرِ أَرْضِكَ فِي جُحْرٍ
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَهُمْ دَاخِرُونَ) : صاغرون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَهُمْ دَاخِرُونَ) : أي صاغرون .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة مثله .

وأما توحيد اليمين في قوله (عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَالِ) فجمعها ، فإن ذلك إنما جاء كذلك ، لأن معنى الكلام : أُولَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَتِّهًا ظِلَالًا مَا خَلَقَ مِنْ شَيْءٍ عَنْ يَمِينِهِ : أي ما خلق ، وشماله ، فلفظ « ما » لفظ واحد ، ومعناه معنى الجمع ، فقال : عن اليمين بمعنى : عن يمين ما خلق ، ثم رجع إلى معناه في الشمال . وكان بعض أهل العربية يقول : إنما تفعل العرب ذلك ، لأن أكثر الكلام مواجهاة الواحد الواحد ، فيقال للرجل : خذ عن يمينك ، قال : فكأنه إذا وحد ذهب إلى واحد من القوم ، وإذا جمع

(١) البيت شاهد على أن معنى الداخر : الصاغر . قال أبو عبيدة في مجاز القرآن : وهم داخرون : أي صاغرون يقال : فلان دخر

الله : أي ذل وخضع . و (في اللسان : دخر) : دخر الرجل بالفتح يدخر دخورا ، فهو داخر ، ودخر دخرا (كفرح) ذل وصغر يصغر صغارا ، وهو الذي يفعل ما يؤمر به ، شاء أو أبى ، صاغرا قميئا . وفي (اللسان : خيس) : وكل سجن : نخيس ونخيس (بتشديد الياء مفتوحة ومكسورة) . وأنشد البيت ونسبه إلى الفرزدق . والمنجحر : الداخل في الحجر ، يقال : أبحره فانجحر : أدخله الحجر ، فدخله . والحجر : كل شيء تحتفره الهوام والسباع لأنفسها . والجمع : أبحار وجررة .

فهو الذي لامسالة فيه ، واستشهد لفعل العرب ذلك بقول الشاعر :

بِنِي الشَّامَتِينَ الصَّخْرُ إِن كَانَ هَدَانِي رَزِيَّةُ شَيْبَلِي مُخْسِدِيرٍ فِي الضَّرَاغِمِ^١

فقال : بِنِي الشَّامَتِينَ ، ولم يقل : بأفواه ؛ وقول الآخر :

الْوَارِدُونَ وَتَسِيمٌ فِي ذَرَا سَبِيلٍ قَدْ عَضَّ أَعْنَاقَهُمْ جِلْدُ الْجَوَامِيسِ^٢

ولم يقل : جلود .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُسْتَكْبِرُونَ ﴿١٦﴾

يقول تعالى ذكره : والله يخضع ويستسلم لأمره ما في السموات وما في الأرض من دابة يدب عليها ، والملائكة التي في السموات ، وهم لا يستكبرون عن التذلل له بالطاعة (وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ، قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ) وظلالهم تنفياً عن اليمين والشمال يسجدوا لله وهم داخرون .

وكان بعض نحوي البصرة يقول : اجتزى بذكر الواحد من الدواب عن ذكر الجميع . وإنما معنى الكلام : والله يسجد ما في السموات وما في الأرض من الدواب والملائكة ، كما يقال : ما أتاني من رجل ، بمعنى : ما أتاني من الرجال .

كان بعض نحوي الكوفة يقول : إنما قيل : من دابة ، لأن « ما » وإن كانت قد تكون على مذهب الذي ، فإنها غير مؤقتة ، فإذا أبهمت غير مؤقتة أشبهت الجزاء ، والجزاء يدخل من فيما جاء من اسم بعده من النكرة ، فيقال : من ضربه من رجل فاضربوه ، ولا تسقط « من » من هذا الموضع كراهية أن تشبه أن تكون حالاً لمن وما ، فجعلوه بمن ليدل على أنه تفسير لما ومن لأنهما غير مؤقتتين ، فكان دخول من فيما بعدهما تفسيراً لمعناهما ، وكان دخول من أدل على ما لم يوقت من من وما ، فلذلك لم تلغيا .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿١٧﴾

يقول تعالى ذكره : يخاف هؤلاء الملائكة التي في السموات ، وما في الأرض من دابة ، ربهم من

(١) هذا البيت من شواهد الفراء في (معاني القرآن ١ : ١٧٢) استشهد به عند قوله تعالى : (يتفياً ظلاله عن اليمين والشمال) قال : الظل يرجع على كل شيء من جوانبه ، فذلك تقيؤه ، ثم نسر فقال : عن اليمين والشمال ، وكل ذلك جائز في العربية ، قال الشاعر : « بفي الشامتين . . الخ البيت » . قال ولم يقل : بأفواه الشامتين . قلت : يريد أن جمع الشمال وإفراد اليمين ، جائز في العربية ، واستشهد عليه بالبيت . وقد وجهه المؤلف في التفسير توجيهاً حسناً .

(٢) وهذا البيت أيضاً كالشاهد قبله من شواهد الفراء ، في (معاني القرآن ، بعد سابقه ١ : ١٧٢) على أن الشاعر قال : جلد الجواميس بالإفراد ، ولم يقل : جلود الجواميس ، في مقابلة أعناقهم ولم تقف على البيت في المراجع ، ولا على قائله .

فوقهم ، أن يعذبهم إن عصوا أمره ، ويفعلون ما يؤمرون . يقول : ويفعلون ما أمرهم الله به ، فيؤدون حقوقه ، ويجتنبون سُخطه .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَارِهَبُونَ ﴾

يقول تعالى ذكره : وقال الله لعباده : لا تتخذوا لي شريكا أيها الناس ، ولا تعبدوا معبودين ، فإنكم إذا عبدتم معي غيري جعلتم لي شريكا ، ولا شريك لي ، إنما هو إله واحد ، ومعبود واحد ، وأنا ذلك ، فأياي فارهبون : يقول : فأياي فاتقوا وخافوا عقابي بمعصيتكم إياي إن عصيتموني وعبدتم غيري ، أو أشركتم في عبادتكم لي شريكا .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴾

يقول تعالى ذكره : ولله ملك ما في السموات والأرض من شيء ، لا شريك له في شيء من ذلك ، هو الذي خلقهم ، وهو الذي يرزقهم ، وبيده حياتهم وموتهم . وقوله (وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا) يقول جل ثناؤه : وله الطاعة والإخلاص دائما ثابتا واجبا ، يقال منه : وَصَبَ الدِّينُ يُصِيبُ وَصُوبًا وَوَصَبًا ؛ كما قال الديلمي :

لا أبتغي الحمْدَ القليلَ ببقاؤه
يوما بدم الدهرِ أجمعِ واصِبا

ومنه قول الله (وَ لَهُمُ عَذَابٌ وَاصِبٌ) ؛ وقول حسان :

غَيْرَتَهُ الرِّيحُ تَسْفِي بِهِ وَهَزِيمٌ
رَعْدُهُ وَاصِبٌ

فأما من الألم ، فإنما يقال : وصب الرجل يوصب وصبًا ، وذلك إذا أعيأ ومل ؛ ومنه قول الشاعر :

(۱) البيت لأبي الأسود الدؤلي ، ويقال فيه الدليل أيضا ، استشهد به أبو عبيدة في مجاز القرآن (۱ : ۳۶۱) على أن معنى « واصبا » : دائما . وروايته فيه كرواية المؤلف (الطبري) . واستشهد به كذلك القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (۱۰ : ۱۱۴) ورواه بروايتين : الأولى كرواية المؤلف ، وقال قبلها : أنشد الغزنوي والشعلبي وغيرهما . . . البيت . والأخرى باختلاف في الشطر الثاني . وهو : « بدم يكون الدهر أجمع واصبا » وظاهر أن هذه الرواية محرفة عن الأولى . وقال صاحب لسان العرب في « وصب » : وفي التنزيل العزيز : « وله الدين واصبا » قال أبو إسحاق : قيل في معناه : دائبا : أي طاعته دائمة واجبة أبدا . قال : ويجوز ، والله أعلم أن يكون « وله الدين واصبا » : أي له الدين والطاعة ، رضى العبد بما يؤمر به ، أو لم يرض به ، سهل عليه ، أو لم يسهل ، فله الدين وإن كلن فيه الوصب . والوصب : شدة التعب . وفيه : « بعذاب واصب » أي دائم ثابت . وقيل : موجه .

(۲) البيت لحسان بن ثابت (ديوانه طبع ليدن سنة ۱۹۱۰ ص ۶۱) وقبله بيت وهو المطلع :

قَدْ تَعَفَّى بَعْدَنَا عَازِبٌ مَا بِهِ بَادٍ وَلَا قَارِبٌ

وتسنى به : تحمل إليه التراب . والهزيم : السحاب المتشقق بالمطر . يقول : غير هذا المكان ما تسفيه الريح عليه من التراب ، وما يأتي به السحاب من مطر رعده دائم .

لا يَغْمِزُ السَّاقَ مِنْ أَيْنٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا يَعَضُّ عَلَى شُرْسُوفِهِ الصَّفْرُ

وقد اختلف أهل التأويل في تأويل الواصب ، فقال بعضهم : معناه : ما قلنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن قيس ، عن الأغر بن الصباح ، عن خليفة بن حصين

عن أبي نصر ، عن ابن عباس (وَلَهُ الدِّينُ وَأَصِيبًا) قال : دائماً .

حدثني إسماعيل بن موسى ، قال : أخبرنا شريك ، عن أبي حصين ، عن عكرمة ، في قوله (وَلَهُ

الدِّينُ وَأَصِيبًا) قال : دائماً .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن قيس ، عن يعلى بن النعمان ، عن عكرمة ، قال دائماً .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحرث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال أخبرنا : إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ؛ وحدثني المثنى ،

قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل جميعاً ، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد (وَلَهُ الدِّينُ وَأَصِيبًا)

قال : دائماً .

حدثنا القاسم قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَلَهُ الدِّينُ

وأصيباً) قال : دائماً .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبدة وأبو معاوية ، عن جوير ، عن الضحاك (وَلَهُ الدِّينُ وَأَصِيبًا)

قال : دائماً .

حدثني المثنى ، قال : أخبرنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جوير ، عن الضحاك ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَهُ الدِّينُ وَأَصِيبًا) : أى دائماً ، فإن الله

تبارك وتعالى لم يدع شيئاً من خلقه إلا عبده طائعاً أو كارهاً .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَأَصِيبًا) قال : دائماً ،

ألا ترى أنه يقول (عَذَابٌ وَأَصِيبٌ) : أى دائم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَهُ الدِّينُ وَأَصِيبًا) قال :

دأماً ، والواصب : الدائم .

(١) هذا البيت لأعشى باهلة ، واسمه عامر بن الحارث جهرة أشعار العرب محمد بن أبي الخطاب القرشي (١٣٥ - ١٣٧) من

قصيدة يقولها في أخ له اسمه المنتشر ، قتله بنو الحارث بن كعب وقطعوه إرباً إرباً (عضوا عضواً) برجل منهم كان فعل منه مثل

ذلك . ورواية البيت فيه وفي اللسان (صفر) :

لا يَتَأَسَى إِمَّا فِي الْقَدْرِ بِرَقْبِهِ وَلَا يَعْضُّ عَلَى شُرْسُوفِهِ الصَّفْرُ

قال : والصفردويبة تكون في البطن ، تدعيها الأعراب ، ويكون منها الجوع . وخطأ رواية البيت الصاغاني ، وأورده كرواية المؤلف .

(انظر هامش اللسان : أرى) . والغمز : العصر باليد . والشرسوف : جمعه شرا سيف ، وهى أطراف أضلاع الصدر التي تشرف على

البطن .

وقال آخرون : الواصب في هذا الموضع : الواجب .
ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عطية ، عن قيس ، عن يعلى بن النعمان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قوله (وَلَهُ الدِّينُ وَأَصِيبًا) قال : واجبا .
وكان مجاهد يقول : معنى الدين في هذا الموضع : الإخلاص . وقد ذكرنا معنى الدين في غير هذا الموضع بما أغنى عن إعادته .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَلَهُ الدِّينُ وَأَصِيبًا) قال : الإخلاص .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : الدين : الإخلاص .

وقوله (أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ) يقول تعالى ذكره : أفغير الله أيها الناس تتقون : أي ترهبون وتحذرون أن يسلبكم نعمة الله عليكم بإخلاصكم العبادة لربكم ، وإفرادكم الطاعة له ، وما لكم نافع سواه .
القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ ﴿٥٣﴾

اختلف أهل العربية في وجه دخول الفاء في قوله (فَمِنَ اللَّهِ) فقال بعض البصريين : دخلت الفاء ، لأن « ما » بمنزلة « من » فجعل الخبر بالفاء . وقال بعض الكوفيين : « ما » في معنى جزاء ، ولها فعل مضمرة كأنك قلت : ما يكن بكم من نعمة فمن الله ، لأن الجزاء لا بد له من فعل مجزوم ، إن ظهر فهو مجزوم ، وإن لم يظهر فهو مضمرة ؛ كما قال الشاعر :

إِنِ الْعَقْلُ فِي أَمِّهِ لَانْضِقُ بِهِ ذِرَاعًا وَإِنْ صَبْرًا فَتَعْرِفُ لِلصَّبْرِ

وقال : أراد : إن يكن العقل فأضممه ، قال : وإن جعلت « ما بكم » في معنى الذي جاز ، وجعلت صلته بكم

(١) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (١ : ١٧٣) عند قوله تعالى « وما بكم من نعمة فمن الله » قال : ما : في معنى جزاء ، ولها فعل مضمرة ، كأنك قلت : ما يكن بكم من نعمة فمن الله ؛ لأن الجزاء لا بد له من فعل مجزوم ، إن ظهر فهو مجزوم ، وإن لم يظهر فهو مضمرة ، كما قال الشاعر : « إن العقل . . . » البيت . أراد : إن يكن ، فأضمرها . ولو جعلت « ما بكم » في معنى « الذي » : جاز ، وجعلت صلته « بكم » ، والذي حينئذ : في موضع رفع ، بقوله « فمن الله » . وأدخل الفاء ، كما قال تعالى : « قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملائكم » . وكل اسم وصل ، مثل من وما ، والذي ، فقد يجوز دخول الفاء في خبره ؛ لأنه مضارع للجزاء ، والجزاء قد يجاب بالفاء ، ولا يجوز : أخوك فهو قائم ، لأنه اسم غير موصول .
والعقل في البيت معناه : الدية .

و « ما » في موضع رفع بقوله (فَمِنْ اللَّهِ) وأدخل الفاء ، كما قال (إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَتَقَرَّبُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ) وكل اسم وصل مثل من وما والذي ، فقد يجوز دخول الفاء في خبره لأنه مضارع للجزاء والجزاء قد يجاب بالفاء ، ولا يجوز أخوك فهو قائم ، لأنه اسم غير موصول ، وكذلك تقول : مالك لي ، فإن قلت : مالك ، جاز أن تقول : مالك فهو لي ، وإن أقيمت الفاء فصواب .

وتأويل الكلام : ما يكن بكم في أبدانكم أيها الناس من عافية وصحة وسلامة ، وفي أموالكم من نماء ، فالله المنعم عليكم بذلك لا غيره ، لأن ذلك إليه وبيده (ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمْ الضُّرُّ) يقول : إذا أصابكم في أبدانكم سقم ومرض ، وعلّة عارضة ، وشدة من عيش (فَإِلَيْهِ تَجَاءرُونَ) يقول : فإلى الله تصرخون بالدعاء وتستغيثون به ، ليكشف ذلك عنكم . وأصله : من جوار الثور ، يقال منه : جأر الثور بجأر جواراً ، وذلك إذا رفع صوتاً شديداً من جوع أو غيره ؛ ومنه قول الأعشى :

وَمَا أَيْبُئِي عَلَى هَيْكَلِ بِنَاهُ وَصَلَبَ فِيهِ وَصَارَا
يُرَاوِحُ مِينَ صَلَوَاتِ الْمَلِكِ طَوْرًا سُجُودًا وَطَوْرًا جُورًا ۱

يعني بالجوار : الصياح إما بالدعاء ، وإما بالقراءة .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحرث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، جميعاً عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (فَإِلَيْهِ تَجَاءرُونَ) قال : تضرعون دعاء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
حدثني المثنى ، قال : أخبرنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، رضي الله عنهما ، قال : الضُّرُّ : السُّقْمُ .

القول في تأويل قوله تعالى :

ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَاءِ الْيَدْنِهِمْ فَمَسَّوْا
فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾

(١) البيتان من شعر الأعشى ميمون بن قيس (ديوانه طبع القاهرة ص ٥٣) من قصيدة له سبعون بيتاً ، يمدح بها قيس بن معد يكرب . والأبيل : الراهب صاحب الأبل ، وهي العصا التي يدق بها الناقوس . والهيكل : موضع في صدر الكنيسة ، يقرب فيه القربان . صلب صور فيه الصليب . وفي اللسان صار : صور عن أبي علي الفارسي . ويلوح لي أن المراد بصور في البيت : هو مقاله الأعشى في بيت آخر وهو قوله في وصف الخمر « وصلى على دنها وارتسم » . ومعنى ارتسم : أشار بيده على جبهته وقلبه و صدره يمينا ويسرة ، كما يفعل =

❖ يقول تعالى ذكره : ثم إذا وهب لكم ربكم العافية ، ورفع عنكم ما أصابكم من المرض في أبدانكم ، ومن الشدة في معاشكم ، وفرج البلاء عنكم (إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ) يقول : إذا جماعة منكم يجعلون لله شريكا في عبادتهم ، فيعبدون الأوثان ، ويذبحون لها الذبائح شكرا لغير من أنعم عليهم بالفرج مما كانوا فيه من الضر (لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ) يقول : ليحمدوا الله نعمته فيما آتاهم من كشف الضر عنهم (فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) ، وهذا من الله وعيد لهؤلاء الذين وصف صفتهم في هذه الآيات ، وتهديد لهم ، يقول لهم جل ثناؤه : تمتعوا في هذه الحياة الدنيا إلى أن توافيكم آجالكم ، وتبلغوا الميقات الذي وقته لحياتكم ، وتمتعكم فيها ، فإنكم من ذلك ستصيرون إلى ربكم ، فتعلمون ببقائه وبال ما كسبت أيديكم ، وتعرفون سوء مغبة أمركم ، وتندمون حين لا ينفعكم الندم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تُفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾

❖ يقول تعالى ذكره : ويجعل هؤلاء المشركون من عبادة الأوثان ، لما لا يعلمون منه ضرا ولا نفعا ، نصيبا . يقول : حضا وجزاء مما رزقناهم من الأموال ، إشراكا منهم له الذي يعلمون أنه خالقهم ، وهو الذي ينفعهم ويضرهم دون غيره .

كالذي حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ) قال : يعلمون أن الله خالقهم ، ويضرهم وينفعهم . ثم يجعلون لما لا يعلمون أنه يضرهم ولا ينفعهم نصيبا مما رزقناهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ) وهم مشركو العرب ، جعلوا لأوثانهم نصيبا مما رزقناهم ، وجزءا من أموالهم يجعلونه لأوثانهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ) قال : جعلوا لآلهتهم التي ليس لها نصيب ولا شيء ، جعلوا لها نصيبا مما قال الله من الحرث والأنعام ، يسمون عليها أسماءها ويذبحون لها .

وقوله (تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تُفْتَرُونَ) يقول تعالى ذكره : والله أيها المشركون الجاعلون الآلهة والأنداد نصيبا فيما رزقناكم شركا بالله وكفرا ، ليسألنكم الله يوم القيامة عما كنتم في الدنيا تفترون ، يعني : تختلقون من الباطل والإفك على الله بدعواكم له شريكا ، وتصيرونكم لأوثانكم فيما رزقكم نصيبا ، ثم ليعاقبنكم عقوبة تكون جزاء لكفرانكم نعمه وافتراءكم عليه .

= المسيحيون . وراوح بين العمليين : تداول هذا مرة ، وهذا مرة . وجار إلى الله جوارا : تضرع إليه بالدعاء والاستغاثة . يقول : ليس الراهب المعتكف في هيكله أمام صليبه ، دائما على صلواته سجودا وتضرعا إلى الله ، بأعظم منه تقى في الحساب (خبر ما : في البيت الذي بعد البيتين) .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾

❖ يقول تعالى ذكره : ومن جهل هؤلاء المشركين وخبث فعلهم ، وقبح فيريتهم على ربهم ، أنهم يجعلون لمن خلقهم ودبرهم وأنعم عليهم ، فاستوجب بنعمه عليهم الشكر ، واستحق عليهم الحمد : البنات . ولا ينبغي أن يكون لله ولد ذكر ولا أنثى سبحانه ، نزه جلّ جلاله بذلك نفسه عما أضافوا إليه ونسبوه من البنات ، فلم يرضوا بجهلهم إذ أضافوا إليه ما لا ينبغي إضافته إليه . ولا ينبغي أن يكون له من الولد أن يضيفوا إليه ما يشتهونه لأنفسهم ، ويجبونه لها ، ولكنهم أضافوا إليه ما يكرهونه لأنفسهم ، ولا يرضونه لها من البنات ما يقتلونها إذا كانت لهم ، وفي « ما » التي في قوله (وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ) وجهان من العربية النصب عطفًا لها على البنات ، فيكون معنى الكلام : إذا أريد ذلك : ويجعلون لله البنات وهم البنين الذين يشتهون ، فتكون « ما » للبنين ، والرفع على أن الكلام مبتدأ من قوله (وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ) فيكون معنى الكلام : ويجعلون لله البنات وهم البنون .

وقوله (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا) يقول : وإذا بشر أحد هؤلاء الذين جعلوا لله البنات بولادة ما يضيفه إليه من ذلك له ، ظلّ وجهه مسودًا من كراهته له (وَهُوَ كَظِيمٌ) يقول قد كظّم الحزن ، وامتلاً غما بولادته له ، فهو لا يظهر ذلك .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد : قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ ، وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ) ، ثم قال (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ) . . . إلى آخر الآية ، يقول : يجعلون لله البنات ترضونهنّ لي ، ولا ترضونهنّ لأنفسكم ، وذلك أنهم كانوا في الجاهلية إذا ولد للرجل منهم جارية أمسكها على هون ، أو دسها في التراب وهي حية .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد . عن قتادة ، قوله (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ) وهذا صنيع مشركي العرب . أخبرهم الله تعالى ذكره بخبث صنيعهم فأما المؤمن فهو حقيق أن يرضى بما قسم الله له ، وقضاء الله خير من قضاء المرء لنفسه ، ولعمري ما يدري أنه خير ، لرّبّ جارية خير لأهلها من غلام . وإنما أخبركم الله بصنيعهم لتجتنبوه وتنتهوا عنه ، وكان أحدهم يغذو كلبه ، ويثد ابنته .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (وَهُوَ كَظِيمٌ) قال : حزين .
 حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، في قوله (وَهُوَ كَظِيمٌ) قال : الكظيم : الكميد . وقد بينا ذلك بشواهد في غير هذا الموضع .
 القول في تأويل قوله تعالى :

يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٠﴾

❖❖ يقول تعالى ذكره : يتوارى هذا المبتسر بولادة الأنثى من الولد له من القوم ، فيغيب عن أبصارهم (مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ) يعني : من مساعته إياه ممیلاً بين أن يمسكه على هون : أى على هوان ، وكذلك ذلك في لغة قريش فيما ذكر لي ، يقولون للهوان : الهون ؛ ومنه قول الخطيئة :
 فَلَمَّا خَشِيتُ الْهُونَ وَالْعَيْرُ مُمْسِكٌ عَلَى رَغْمِهِ مَا أَثْبَتَ الْحَبْلَ حَافِرُهُ
 وبعض بني تميم جعل الهون مصدراً للشيء الهين . ذكر الكسائي أنه سمعهم يقولون : إن كنت لقليل هون المؤنة منذ اليوم ؛ قال : وسمعت : الهوان في مثل هذا المعنى ، سمعت منهم قائلًا يقول لبعير له : ما به بأس غير هوانه ، يعني خفيف الثمن ، فإذا قالوا : هو يمشى على هوانه ، لم يقولوه إلا بفتح الهاء ، كما قال تعالى (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا) . (أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ) يقول : يدفنه حياً في التراب فيئده .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين . قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (أَيْ يُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ) يئد ابنته .
 وقوله (أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) يقول : ألا ساء الحكم الذي يحكم هؤلاء المشركون ، وذلك أن جعلوا لله ما لا يرضون لأنفسهم ، وجعلوا لما لا ينفعهم ولا يضرهم شركاً فيما رزقهم الله ، وعبدوا غير من خلقهم ، وأنعم عليهم .

(١) البيت في ديوان الخطيئة طبع التقدم بالقاهرة ص ١٠ قال شارحه : يقول : مادام الحمار مقيداً فهو ذليل ، معترف بالهوان . وهذا مقلوب ، أراد : ما أثبت الحبل حافره (الحبل فاعل أثبت ، والحافر مفعول) فقلب ، فجعل الفاعل مفعولاً ، والمفعول فاعلاً ، ومثله :
 أسلموها في دمشق كما أسلمت وحشية وهنقا
 أراد : كما أسلم وحشية وهنق (والوهنق : الحبل المغار فيه أنشوطه ، فتؤخذ فيه الدابة والإنسان ، جمعه أوهاق...) : وقال عروة ابن الورد :

فلو أني شهدت أبا سعاد غداً غداً بمهجته يفوق

فديت بنفسه نفسي ومالي وما آلود إلا ما أطيق

أى لا أترك جهداً ، أراد : فديت نفسه بنفسى ، فقلب .

القول في تأويل قوله تعالى :

لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦١﴾

و هذا خبر من الله جل ثناؤه أن قوله (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدَهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ) ، والآية التي بعدها مثل ضربه الله لهؤلاء المشركين الذين جعلوا لله البنات ، فبين بقوله (لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّءِ) أنه مثل ، وعنى بقوله جل ثناؤه (لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ) للذين لا يصدقون بالمعاد والثواب والعقاب من المشركين (مَثَلُ السَّوِّءِ) وهو القبيح من المثل ، وما يسوء من ضرب له ذلك المثل (وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ) يقول : والله المثل الأعلى ، وهو الأفضل والأطيب ، والأحسن ، والأحل ، وذلك التوحيد والإذعان له بأنه لا إله غيره .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ) قال : شهادة أن لا إله إلا الله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّءِ ، وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ) الإخلاص والتوحيد .
وقوله (وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) يقول تعالى ذكره : والله ذو العزة التي لا يمتنع عليه معها عقوبة هؤلاء المشركين الذين وصف صفتهم في هذه الآيات ، ولا عقوبة من أراد عقوبته على معصيته إياه ، ولا يتعذر عليه شيء أراده وشاءه ، لأن الخلق خلقه ، والأمر أمره ، الحكيم في تدبيره ، فلا يدخل تدبيره خذلان ، ولا خطأ .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكُوا عَلَيْهِمْ دَابَّةً وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّىٰ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَحْزِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦٢﴾

يقول تعالى ذكره : (وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ) عصاة بني آدم بمعاصيهم (مَا تَرَكُوا عَلَيْهِمْ) يعني على الأرض (مِّنْ دَابَّةٍ) تدب عليها (وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ) يقول : ولكن بحلمه يؤخر هؤلاء الظلمة فلا يعاجلهم بالعقوبة (إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى) يقول : إلى وقتهم الذي وقَّت لهم ، (فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ) يقول : فإذا جاء الوقت الذي وقَّت لهلاكهم (لَا يَسْتَحْزِرُونَ) عن الهلاك ساعة فيمهلون (وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) له حتى يستوفوا آجالهم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، قال : كاد الجعَل أن يعذب بذنوب بني آدم ، وقرأ (لَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكُوا عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ) .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا إسماعيل بن حكيم الخزاعي ، قال : ثنا محمد بن جابر الجعفي ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، قال : سمع أبو هريرة رجلاً وهو يقول : إن الظالم لا يضر إلا نفسه ، قال : فالتفت إليه فقال : بلى ، والله إن الجباري لتموت في وكرها هزلاً بظلم الظالم .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا أبو عبيدة الحداد ، قال : ثنا قررة بن خالد السدوسي ، عن الزبير بن عدي ، قال : قال ابن مسعود : خطيئة ابن آدم قتلت الجعَل .

حدثنا أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، قال : قال عبد الله : كاد الجعَل أن يهلك في جحر في جحر بنخطيئة ابن آدم .

حدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ، قال الله : (فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) قال : نرى أنه إذا حضر أجله فلا يؤخر ساعة ، ولا يقدم ، ما لم يحضر أجله ، فإن الله يؤخر ما شاء ، ويقدم ما شاء .

القول في تأويل قوله تعالى:

وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَأَجْرًا إِنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ ﴿١٦﴾

❖ يقول تعالى ذكره: ويجعل هؤلاء المشركون لله ما يكرهونه لأنفسهم (وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ) يقول : وتقول ألسنتهم الكذب وتفتريه ، أن لهم الحسنى ، فأن في موضع نصب ، لأنها ترجمة عن الكذب . وتأويل الكلام : ويجعلون لله ما يكرهونه لأنفسهم ، ويزعمون أن لهم الحسنى ، الذي يكرهونه لأنفسهم ، البنات يجعلون لله تعالى ، وزعموا أن الملائكة بنات الله . وأما الحسنى التي جعلوها لأنفسهم : فالذكور من الأولاد ، وذلك أنهم كانوا يثدنون الإناث من أولادهم ، ويستبقون الذكور منهم ، ويقولون : لنا الذكور والله البنات ، وهو نحو قوله (وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ ، وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ) .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا

إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَتَصِفُ أَلْسِنَتَهُمْ
لِلْكَذِبِ أَنْ لَهُمُ الْحُسَيْنِي) قال : قول قريش : لنا البنون ، والله البنات .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله ، إلا أنه
قال : قول كفار قريش .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ،
وَتَصِفُ أَلْسِنَتَهُمُ الْكَذِبَ) : أى يتكلمون بأن لهم الحسينى : أى الغلمان .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أَنْ لَهُمُ الْحُسَيْنِي)
قال : الغلمان .

وقوله (لاجِرَمَ أَنْ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ) يقول تعالى ذكره : حقا واجبا أن هؤلاء
القائلين لله البنات ، الجاعلين له ما يكرهونه لأنفسهم ، ولأنفسهم الحسينى عند الله يوم القيامة النار .
وقد بينا تأويل قول الله (لاجِرَمَ) فى غير موضع من كتابنا هذا بشواهد ، بما أغنى عن إعادته
فى هذا الموضع .

وروى عن ابن عباس فى ذلك : ما حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ،
عن ابن عباس ، قوله (لاجِرَمَ) يقول : بلى .

وقوله (لاجِرَمَ) كان بعض أهل العربية يقول : لم تُنصَبَ جِرَمَ بلا كما نصبت الميم من قول : لا غلام
لك ؛ قال : ولكنها نُصِبَتْ لأنها فعل ماض ، مثل قول القائل : قَعَدْتُ فلان وجلس ، والكلام : لارد لكلامهم
أى ليس الأمر هكذا ، جِرَمَ : كَسَبَ ، مثل قوله : لأقسم ، ونحو ذلك . وكان بعضهم يقول : نصب جِرَمَ
بلا ، وإنما هو بمعنى : لا بد ، ولا محالة ؛ ولكنها كثرت فى الكلام حتى صارت بمنزلة حقا .
وقوله (وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ) يقول تعالى ذكره : وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ متروكون فى النار ، منسيون فيها .
واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال أكثرهم بنحو ما قلنا فى ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار وابن وكيع ، قالا : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن
سعيد بن جبير فى هذه الآية (لاجِرَمَ أَنْ لَهُمُ النَّارَ ، وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ) قال : منسيون مُضَيَّعُونَ .
حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروقي ، قال : ثنا زيد بن حباب ، قال : أخبرنا سعيد ، عن أبي بشر ،
عن سعيد بن جبير ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا بهز بن أسد ، عن شعبة ، قال : أخبرنى أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، مثله .
حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله (لاجِرَمَ
أَنْ لَهُمُ النَّارَ ، وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ) قال : متروكون فى النار ، منسيون فيها .
حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : حصين ، أخبرنا ، عن سعيد بن جبير ، بمثله .

حدثني المثنى ، قال : أخبرنا الهجاج بن المهال ، قال : ثنا هشيم ، عن حصين ، عن سعيد بن جبير بمثله .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَأَنَّهُمْ
مُفْرَطُونَ) قال : منسيون .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال :
ثنا شبيل ؛ وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، جميعاً عن ابن أبي نجيح ،
عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبدة وأبو معاوية وأبو خالد ، عن جوير ، عن الضحاك (وَأَنَّهُمْ
مُفْرَطُونَ) قال : متروكون في النار .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن القاسم ، عن مجاهد :
(مُفْرَطُونَ) قال : منسيون .

حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد ، قال : ثنا أبي ، عن الحسين ، عن قتادة (وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ)
يقول : مُضَاعُونَ .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا بدل ، قال : ثنا عباد بن راشد ، قال : سمعت داود بن أبي هند ، في قول
الله (وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ) قال : منسيون في النار .

وقال آخرون : معنى ذلك : أنهم مُعْجَبُونَ إلى النار مقدمون إليها ، وذهبوا في ذلك إلى قول العرب
أفرطنا فلانا في طلب الماء إذا قدموه لإصلاح الدلاء والأرشية ، وتسوية ما يحتاجون إليه عند ورودهم عليه
فهو مُفْرَطٌ . فأما المتقدم نفسه فهو فارط ، يقال : قد فرط فلان أصحابه يفرطهم فرطاً وفرطاً : إذا
تقدمهم وجمع فارط : فرطاً ؛ ومنه قول القطامي :

وَاسْتَعْجَلُونَا وَكَانُوا مِن صَحَابَتِنَا
كَمَا تَعَجَّلَ فَرَّاطٌ لِيُرَادِ
ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم « أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ » : أي متقدمكم إليه وسابقكم « حتى
تَرِدُوهُ » .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ) يقول : مُعْجَبُونَ

إلى النار .

(١) البيت في ديوان القطامي (طبعة ليدن سنة ١٩٠٢) وفيه « فاستعجلونا » بالفاء . يقول : استعجلونا : أي أعجلونا ، يريد
تقدمونا ، والفرط : الذين يتقدمون الواردة ، فيصلحون الأرشية ، حتى يأتي القوم بعدهم . وفي اللسان : فرط : وفرط القوم يفرطهم
فرطاً (من باب قتل) وفرطاً : تقدمهم إلى الورد ، لإصلاح الأرشية والدلاء ، ومدد الحياض والسق فيها ، فأنا فارط ، وهم
الفرط ؛ قال القطامي : فاستعجلونا . . . الخ البيت . وفي الصحاح : كما تعجل في موضع : كما تقدم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ)
قال : قد أفرطوا في النار : أي مُعْجِلُونَ .
وقال آخرون : معنى ذلك : مُبْعَدُونَ في النار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أشعث السَّمان ، عن الربيع ، عن أبي بشر ، عن سعيد
(وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ) قال : مُخْسِئُونَ مُبْعَدُونَ .
* وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، القول الذي اخترناه ، وذلك أن الإفراط الذي هو بمعنى التقديم ، إنما
يقال فيمن قدم مقدماً لإصلاح ما يقدم إليه إلى وقت ورود من قدمه عليه ، وليس بمقدم من قدم إلى
النار من أهلها لإصلاح شيء فيها لو ارد يرد عليها فيها فيوافقه مصلحا ، وإنما تقدم من من قدم إليها لعذاب
يُعجّل له . فإذا كان معنى ذلك الإفراط الذي هو تأويل التعجيل ففسد أن يكون له وجه في الصحة ، صحح
المعنى الآخر ، وهو الإفراط الذي بمعنى التخليف والترك . وذلك أنه يحكى عن العرب : ما أفرطت ورأى
أحدًا : أي ما خلفته ؛ وما فرطته : أي لم أخلفه .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقراءته عامة قراء المصيرين الكوفة والبصرة (وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ)
بتخفيف الراء وفتحها ، على معنى ما لم يُسم فاعلاه من أفرط فهو مُفْرَطٌ . وقد بينت اختلاف قراءة ذلك كذلك
في التأويل . وقرأه أبو جعفر القاري (وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ) بكسر الراء وتشديدها ، بتأويل : أنهم مفرطون
في أداء الواجب الذي كان لله عليهم في الدنيا ، من طاعته وحقوقه ، ونصيحو ذلك ، من قول الله تعالى (يا حسرتنا
على ما فرطت في جنب الله) . وقرأ نافع بن أبي نعيم (وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ) بكسر الراء وتخفيفها .
حدثني بذلك يونس ، عن ورش عنه ، بتأويل : أنهم مُفْرَطُونَ في الذنوب والمعاصي ، مُسْرِفُونَ على
أنفسهم مكثرون منها ، من قولهم : أفرط فلان في القول : إذا تجاوز حدّه ، وأسرف فيه .
* والذي هو أولى القراءات في ذلك بالصواب قراءة الذين ذكرنا قراءتهم من أهل العراق لموافقها تأويل
أهل التأويل الذي ذكرنا قبل ، وخروج القراءات الأخرى عن تأويلهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ

عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧﴾

* يقول تعالى ذكره مقسماً بنفسه عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : والله يا محمد لقد أرسلنا رسلاً
من قبلك إلى أممها بمثل ما أرسلناك إلى أممتك من الدعاء إلى التوحيد لله ، وإخلاص العبادة له ، والإذعان له
بالطاعة ، وخلع الأنداد والآلهة (فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ) يقول : فحسّن لهم الشيطان ما كانوا

عليه من الكفر بالله وعبادة الأوثان مقيمين ، حتى كذبوا رسلهم ، وردوا عليهم ما جاءوهم به من عند ربهم (فَهَوَّوْا وَلِيَهُمْ الْيَوْمَ) يقول : فالشيطان ناصرهم اليوم في الدنيا ، وبئس الناصر (وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) في الآخرة عند ورودهم على ربهم ، فلا ينفعهم حينئذ ولاية الشيطان ، ولا هي تنفعهم في الدنيا ، بل ضررتهم فيها ، وهي لهم في الآخرة أضر .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِلْبَيِّنِ لَهُمْ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٤﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وما أنزلنا يا محمد عليك كتابنا وبعثناك رسولا إلى خلقنا إلا لتبين لهم ما اختلفوا فيه من دين الله ، فتعرفهم الصواب منه ، والحق من الباطل ، وتقيم عليهم بالصواب منه حجة الله الذي بعثك بها .

وقوله (وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) يقول : وهدى بيانا من الضلالة ، يعنى بذلك الكتاب ، ورحمة لقوم يؤمنون به ، فيصدقون بما فيه ، ويقرّون بما تضمن من أمر الله ونهيه ، ويعملون به ، وعطف بالهدى على موضع ليبين ، لأن موضعها نصب . وإنما معنى الكلام : وما أنزلنا عليك الكتاب إلا بيانا للناس فيما اختلفوا فيه هدى ورحمة .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿١٥﴾

يقول تعالى ذكره منبه خلقه على حججه عليهم في توحيدهم ، وأنه لا تنبغى الألوهة إلا له ، ولا تصلح العبادة لشيء سواه : أيها الناس معبودكم الذي له العبادة دون كل شيء (أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) يعنى : مطرا ، يقول : فأنبت بما أنزل من ذلك الماء من السماء الأرض الميتة التي لازرع بها ولا عشب ولا نبت (بَعْدَ مَوْتِهَا) بعد ما هي ميتة لاشيء فيها (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً) يقول تعالى ذكره : إن في إحيائنا الأرض بعد موتها بما أنزلنا من السماء من ماء لدليلا واضحا ، وحجة قاطعة ، عذر من فكر فيه (لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ) يقول : لقوم يسمعون هذا القول فيتدبرونه ويعقلونه ، ويطيعون الله بما دلهم عليه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا يَغِي الشَّرِيبَ ﴿١٦﴾

❖ يقول تعالى ذكره : وإن لكم أيها الناس لعظة في الأنعام التي نُسقيكم مما في بطونه .
واختلفت القراء في قراءة قوله (نُسْقِيكُمْ) فقرأته عامة أهل مكة والعراق والكوفة والبصرة ، سوى
عاصم ؛ ومن أهل المدينة أبو جعفر (نُسْقِيكُمْ) بضمّ النون ، بمعنى : أنه أسقاهم شرابا دائما . وكان
الكسائي يقول : العرب تقول : أسقيناهم نهرًا ، وأسقيناهم لبنا : إذا جعلته شربًا دائمًا ، فإذا أرادوا أنهم
أعطوه شربة قالوا : سقيناهم فنحن نَسْقِيهِمْ بغير ألف ؛ وقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة سوى أبي جعفر ؛
ومن أهل العراق عاصم (نَسْقِيكُمْ) بفتح النون من سقاه الله ، فهو يَسْقِيهِ ، والعرب قد تدخل الألف فيما
كان من السقي غير دائم ، وتنزعهما فيما كان دائمًا . وإن كان أشهر الكلامين عندها ما قال الكسائي ، يدل
على ما قلنا من ذلك ، قول لبيد في صفة سحاب :

سَقَى قَوْمِي بِنِي مَجْدٍ وَأَسْقَى نَمْسِيرًا وَالْقَبَائِلَ مِنْ هِلَالٍ

فجمع اللغتين كليهما في معنى واحد ، فإذا كان ذلك كذلك ، فبأية القراءتين قرأ القارئ فمصيب ، غير أن
أعجب القراءتين إلى قراءة ضمّ النون لما ذكرت من أن أكثر الكلامين عند العرب فيما كان دائمًا من السقي
أسقى بالألف فهو يُسْقَى ، وما أسقى الله عباده من بطون الأنعام فدائم لهم غير منقطع عنهم . وأما قوله (مِمَّا
فِي بَطُونِهِ) وقد ذكر الأنعام قبل ذلك ، وهي جمع ، والهاء في البطون موحدة ، فإن لأهل العربية في ذلك
أقوالا ، فكان بعض نحوِّي الكوفة يقول : النعم والأنعام شيء واحد ، لأنهما جميعا جمعان ، فردّ للكلام
في قوله (مِمَّا فِي بَطُونِهِ) إلى التذكير مرادا به معنى النعم ، إذ كان يؤدي عن الأنعام ، ويستشهد لقوله
ذلك بـرجز بعض الأعراب :

إِذَا رَأَيْتَ أَنْجُمًا مِنَ الْأَسَدِ جِبْهَتَهُ أَوْ الْحِرَّاءَ وَالكَتْدَ

بِالْسَّهِيلِ فِي الْفَضِيحِ فَفَسَدَ وَطَابَ اللَّبَانُ اللَّقَّاحِ فَبَرَدَ

ويقول : رجع بقوله : « فبرد » إلى معنى اللبن ، لأن اللبن والألبان تكون في معنى واحد ، وفي تذكير
النعم قول الآخر :

(١) البيت للبيد (لسان العرب : سقى) قال : السقى : معروف ، والاسم : السقيا بالضم . وسقاه الله الغيث وأسقاه ، وقد جمعهما
لبيد في قوله : « سقى قومي » . وقال الفراء في معاني القرآن : (١٧٤) العرب تقول لكل ما كان من بطون الأنعام ومن لسان أو نهر
يجري لقوم : أسقيت . فإذا سقك الرجل ماء لشفتك ، قالوا : سقاه ، ولم يقولوا : أسقاه ، كما قال الله عز وجل : « وسقاهم رهم
شرابا طهورا » . وقال : « الذي يطعمني ويسقين » . وربما قالوا لما في بطون الأنعام ولما السماء سقى وأسقى ، كما قال لبيد : « سقى
قومي . . . » البيت . وقد اختلف القراء ، وقرأ بعضهم نسقيكم ، وبعضهم : يسقيكم .

(٢) الأبيات الثلاثة الأولى في (اللسان : جبه) قال الأزهرى : الجبهة النجم الذي يقال له : جبهة الأسد ، وهي أربعة أنجم
ينزلها القمر ، قال الشاعر : « إذا رأيت . . . » وفي (اللسان : خرت) : والخراتان نجمان من كواكب الأسد ، وهما كوكبان بينهما
قدر سوط ، وهما كتفا الأسد ، وأحدتهما خراة وأنشد الأبيات الأربعة . وفي (اللسان : كتد) : والكتد : نجم ، أنشد ثعلب : « إذا
رأيت . . . » الأبيات وفي (اللسان : سهيل) الأزهرى : سهيل كوكب لا يرى بخراسان ، ويرى بالعراق . وقال ابن كنانة ،
سهيل يرى بالحجاز ، وفي جميع أرض العرب ، ولا يرى بأرض أرمينية . وقال الأزهرى : سهيل كوكب يمان . وفي (اللسان : فضخ)
الفضيخ : عصير العنب ، وهو أيضا شراب يتخذ من البسر المفضوخ وحده ، من غير أن تمسه النار ، وهو المشدوخ . =

أَكُلَّ عامٍ نَعَمٌ تَحْوُونَهُ يُلْقِحُهُ قَوْمٌ وَتَنْتَجُونَهُ^١
 فذكر النعم ؛ وكان غيره منهم يقول : إنما قال (مِمَّا فِي بَطُونِهِ) لأنه أراد : مما في بطون ما ذكرنا ؛
 وينشد في ذلك رَجَا لِبَعْضِهِمْ :

مِثْلُ الْفِرَاحِ نَتِفَتَ حَوَاصِلُهُ^٢ :

وقول الأسود بن يَعْفَرُ :

إِنَّ الْمَنِيَّةَ وَالْحَتُوفَ كِلَاهُمَا يُؤْفَى الْمَخَارِمَ يَرْقُبَانِ سَوَادِي^٣

فقال : كلاهما ، ولم يقل : كِلَاتَهُمَا ؛ وقول الصَّلْتَانِ الْعَبْدِيَّ :
 إِنَّ السَّمَاحَةَ وَالْمُرُوءَةَ ضَمْنًا قَبْرًا بَمَرِّوَا عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ ؛

وقول الآخر :

وقول الآخر :

= وفضخت البسر وافتضخته ، قال الراجز : « بال سهيل في الفضيخ ففسد » يقول : لما طلع سهيل ذهب زمن البسر وأرطب ، فكانه
 بال فيه . وأصل هذه الشواهد من شواهد الفراء في معاني القرآن ، قال : (ص ١٧٤) : وأما قوله « مما في بطونه » ، ولم يقل « بطونها »
 فإنه قيل - والله أعلم - إن النعم والأنعام شيء واحد ، وهما جمعان ، فرجع التذكير إلى معنى « النعم » ، إذ كان يؤدي عن الأنعام .
 أنشدني بعضهم : إذا رأيت أنجما . . الخ الأبيات الأربعة ، وهي من مشطور الرجز . فرجع (ضمير قوله فبرد) إلى اللبن ،
 والألبان يكون في معنى واحد . قال : وقال الكسائي « نسقيكم مما في بطونه » : بطون ما ذكرنا . وهو صواب . أنشدني بعضهم « مثل
 الفراخ نتفت حواصله » .

(١) هذا الرجز لقيس بن الحصين بن يزيد الحارثي ، أنشده أبو عبيدة في (مجاز القرآن ١ : ٣٦٢) وأنشد بعد بيتي الشاهد بيتا ثالثا
 وهو : « أربابه نوكي ولا يحمونه » . والشاهد فيه أن الأنعام يذكر ويؤنث . قال : وقال آخرون : المعنى على النعم ، لأن النعم ،
 يذكر ويؤنث . وأنشده في اللسان (نعم) قال : وقال آخر في تذكير النعم :

فِي كُلِّ عامٍ نَعَمٌ يَحْوُونَهُ يُلْقِحُهُ قَوْمٌ وَتَنْتَجُونَهُ

وذكر الرجز البغدادي في الخزانة (١ : ١٩٦ - ١٩٧) وزاد فيه أبياتا ، قال : وتنتجونه بقاء الخطاب : يقال نتج الناقة أهلها :
 إذا استولدوها . وأنتجت الفرس بالهمزة : حان نتاجها . والنتاج بالكسر : اسم يشمل وضع البهائم من الغنم وغيرها . وإذا ولي الإنسان
 ناقة أو شاة ما خضا حتى تضع قيل نتجها نتجا من باب ضرب ، فالإنسان كالقابلة ، لأنه يتلقى الولد ويصلح من شأنه ؛ فهو ناتج ،
 والبهيمة منتوجة ، والولد : نتيجة .

يقول : يحملون الفحولة على النوق ، فإذا حملت أغرتم أنتم عليها . ورواية البيت في الخزانة كرواية المؤلف . والأبيات : قيلت
 في يوم الكلاب الثاني ، وهو ماء لبني تميم بين الكوفة والبصرة ،

(٢) هو مثل الشاهد السابق على سابقه . أنشده الفراء في معاني القرآن (ص ١٧٤) شاهدا على أن قوله نتفت حواصله ، أي حواصل
 ما ذكرنا ، كما فسره الكسائي . ونقله صاحب اللسان في (نعم) مع أشباه له .

(٣) البيت للأسود بن يعفر النهشلي التميمي (المفضليات : ١٠١) والمنية : الموت . والحتوف : جمع حتف ، يريد أنواع الأخطار
 التي تؤدي إلى الموت . والمخارم : جمع مخرم : الطريق في الغلظ ، عن السكري ، وقيل : الطرق في الجبال ، وأفواه الفجاج . وسواد
 الإنسان : شخصه . والشاهد في البيت قوله كلاهما بالتذكير ، مع أن المنية والحتوف مؤنثان . وكان حقه أن يقول : كِلَاتَهُمَا ، لأن
 الشاعر لم يحفل بهذا التأنيث ، واعتبر المذكور أولا مذكرا ، بمعنى الشيتين .

(٤) الشاهد في البيت أن السباحة والمروءة لفظتان مؤنثتان ولم يؤنث الفعل المتحمل ضميرهما ، فقال الشاعر : ضمنا ، ولم يقل
 ضمنتا ، لأنه اعتبر ما رجع إليه الضمير قبل الفعل شيتين مذكرين ، أو خلقين ، فلذلك لم يؤنث الفعل المسند إلى ضميرهما .

وَعَفْرَاءُ أَدَوْنِي النَّاسِ مِثِّي مَنُودَةً وَعَفْرَاءُ عَمَّتِي الْمُعْرِضُ الْمُتَوَانِي ١

ولم يقل : المعرضة المتوانية ؛ وقول الآخر :

إِذَا النَّاسُ نَاسٌ وَالْبِلَادُ بَغِيطَةٌ وَإِذَا أُمُّ عَمَّارٍ صَدِيقٌ مُسَاعِفٌ ٢

ويقول : كل ذلك على معنى هذا الشيء وهذا الشخص والسواد ، وما أشبه ذلك ، ويقول من ذلك قول الله تعالى ذكره (فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي) بمعنى : هذا الشيء الطالع . وقوله (إِنَّ هَذِهِ تَذْكَرَةٌ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ) ولم يقل ذكرها ، لأن معناه : فمن شاء ذكر هذا الشيء . وقوله (وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ . فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ) ، ولم يقل جاءت وكان بعض البصريين يقول : قيل (مِمَّا فِي بَطُونِهِ) لأن المعنى : نسقيكم من أى الأنعام كان في بطونه ، ويقول : فيه اللبن مضمراً ، يعنى : أنه يسقى من أيها كان ذا لبن ، وذلك أنه ليس لكأها لبن ، وإنما يسقى من ذوات اللبن . والقولان الأولان أصح مخرجا على كلام العرب من هذا القول الثالث .

وقوله (مِثِّي مَنُودَةً) بين فرثٍ ودمٍ لبنا خالصاً) يقول : نسقيكم لبنا ، نخرجه لكم من بين فرث ودم خالصاً : يقول : خلص من مخالطة الدم والفرث ، فلم يختلطا به (سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ) يقول : يسوغ لمن شربه فلا يغص به كما يغص الغاص ببعض ما يأكله من الأطعمة . وقيل : إنه لم يغص أحد باللبن قط .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٧٧﴾

❖ يقول تعالى ذكره : ولكم أيضا أيها الناس عبرة فيما نسقيكم من ثمرات النخيل والأعناب ما تتخذون منه سكرًا وريزقا حسنا ، مع ما نسقيكم من بطون الأنعام من اللبن الخارج من بين الفرث والدم . وحذف من قوله (وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ) الاسم ، والمعنى ما وصفت ، وهو : ومن ثمرات النخيل والأعناب ما تتخذون منه للدلالة « مِثِّي » عليه : لأن « من » تدخل في الكلام مبعضة ، فاستغنى بدلالتها ومعرفة السامعين بما يقتضى من ذكر الاسم معها . وكان بعض نحويي البصرة يقول في معنى الكلام : ومن ثمرات النخيل والأعناب شيء تتخذون منه سكرًا ، ويقول : إنما ذكرت الهاء في قوله (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ) لأنه أريد بها الشيء ، وهو عندنا عائد على المتروك ، وهو « ما » . وقوله (تَتَّخِذُونَ) من صفة « ما » المتروكة .

(١) استشهد المؤلف بهذا البيت على أن المعرض وهو خبر لعفراء ، لم يطابق المبتدأ في التانيث وهو عفراء ، لأن الشاعر ذهب إلى معنى الحبيب أو الشخص ، مما هو مذكور في المعنى .

(٢) وهذا الشاهد كسابقه ، لأن الشاعر ذهب إلى أن أم عمار شخص ، فلذلك قال صديق على التأويل ولم يقل صديقة على المطابقة . والصديق المساعف : أى الموصل : الذى يدنو من صديقه ويسعد حاجته .

واختلف أهل التأويل في معنى قوله (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) فقال بعضهم : عنى بالسَّكَّرِ : الحمر ، وبالرزق الحسن : التمر والزبيب ، وقال : إنما نزلت هذه الآية قبل تحريم الحمر ، ثم حرمت بعد .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عبيد المحاربي ، قال : ثنا أيوب بن جابر السُّحَيْمِيُّ ، عن الأسود ، عن عمرو بن سفيان ، عن ابن عباس ، قوله (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) قال : السَّكَّرُ : ما حرّم من شرابه ، والرزق الحسن : ما أحلّ من ثمرته .

حدثنا ابن وكيع وسعيد بن الربيع الرازي ، قالا : ثنا ابن عيينة ، عن الأسود بن قيس ، عن عمرو بن سفيان ، عن ابن عباس (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) قال : الرزق الحسن : ما أحلّ من ثمرتها ، والسَّكَّرُ : ما حرّم من ثمرتها .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن الأسود ، عن عمرو بن سفيان ، عن ابن عباس مثله . حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن الأسود بن قيس ، عن عمرو بن سفيان ، عن ابن عباس ، بنحوه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ، قال : ثنا سفيان ، عن الأسود بن قيس ، عن عمرو بن سفيان ، عن ابن عباس بنحوه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الأسود بن قيس ، قال : سمعت رجلاً يحدث عن ابن عباس في هذه الآية (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) قال : السَّكَّرُ : ما حرّم من ثمرتهما ، والرزق الحسن : ما أحلّ من ثمرتهما .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا الحسن بن صالح ، عن الأسود بن قيس ، عن عمرو بن سفيان ، عن ابن عباس ، بنحوه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو غسان ، قال : ثنا زهير بن معاوية ، قال : ثنا الأسود بن قيس ، قال : ثنا عمرو بن سفيان ، قال : سمعت ابن عباس يقول : وذكرت عنده هذه الآية (وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) قال : السَّكَّرُ : ما حرّم منهما ، والرزق الحسن : ما أحلّ منهما .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا سفيان ، عن الأسود بن قيس ، عن عمرو بن سفيان البصرى ، قال : قال ابن عباس ، في قوله (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) قال : فأما الرزق الحسن : فما أحلّ من ثمرتهما ، وأما السَّكَّرُ : فما حرّم من ثمرتهما .

حدثني المثنى ، قال : أخبرنا الحمّاني ، قال : ثنا شريك ، عن الأسود ، عن عمرو بن سفيان البصرى ، عن ابن عباس (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) قال : السَّكَّرُ : حرامه ، والرزق الحسن : حلاله .

حدثني المثنى ، قال : أخبرنا العباس بن أبي طالب ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن الأسود ، عن عمرو بن سفيان ، عن ابن عباس قال : السَّكَّرُ : ما حرّم من ثمرتهما ، والرزق الحسن : ما أحلّ من ثمرتهما .
حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : الرزق الحسن : الحلال : والسَّكَّرُ : الحرام .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سُكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) قال : ما حرم من ثمرتهما ، وما أحلّ من ثمرتهما .
حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، قال : السكر خمر ، والرزق الحسن الحلال .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن مسعر وسفيان ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، قال : الرزق الحسن : الحلال ، والسَّكَّرُ : الحرام .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، بنحوه .
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، في هذه الآية (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سُكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) قال : السَّكَّرُ : الحرام ، والرزق الحسن : الحلال .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن أبي رزين (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سُكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) قال : نزل هذا وهم يشربون الخمر ، فكان هذا قبل أن ينزل تحريم الخمر .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ثنا شعبة ، عن المغيرة ، عن إبراهيم والشعبي وأبي رزين ، قالوا : هي منسوخة في هذه الآية (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سُكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) .
حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا أبو قطن ، عن سعيد ، عن المغيرة ، عن إبراهيم والشعبي ، وأبي رزين بمثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، في قوله (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سُكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) قال : هي منسوخة نسخها تحريم الخمر .
حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا هوزة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، في قوله (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سُكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) قال : ذكر الله نعمته في السكر قبل تحريم الخمر .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن منصور وعوف ، عن الحسن ، قال السكر : ما حرّم الله منه ، والرزق : ما أحلّ الله منه .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن الحسن ، قال : الرزق الحسن : الحلال ، والسَّكَّرُ : الحرام .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سلمة ، عن الضحاك ، قال : الرزق الحسن : الحلال ، والسَّكَّرُ : الحرام .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن أبي كدينة يحيى بن المهلب ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : السكر : الخمر ، والرزق الحسن : الرطاب والأعنان .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن ليث ، عن مجاهد (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سُكْرًا) قال : هي الخمر قبل أن تحرم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سُكْرًا) قال : الخمر قبل تحريمها (وَرِزْقًا حَسَنًا) قال : طعاما .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد بنحوه ، حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سُكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) أما السُّكْرُ : فخمور هذه الأعاجم ، وأما الرزق الحسن : فما تنتبذون ، وما تَتَّخِذُونَ ، وما تأكلون ، ونزلت هذه الآية ولم تحرم الخمر يومئذ ، وإنما جاء تحريمها بعد ذلك في سورة المائدة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبدة بن سليمان ، قال : قرأت على ابن أبي عميرة ، قال : هكذا سمعت قتادة (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سُكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) ثم ذكر نحو حديث بشر .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (سُكْرًا) قال : هي خمور الأعاجم ، ونُسخت في سورة المائدة ، والرزق الحسن : ما تنتبذون وتَتَّخِذُونَ وتأكلون .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سُكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) وذلك أن الناس كانوا يسمون الخمر سكرًا ، وكانوا يشربونها ، قال ابن عباس : مرّ رجال بوادي السكران الذي كانت قريش تجتمع فيه ، إذا تَلَقَّوْا مسافرينهم إذا جاءوا من الشام ، وانطلقوا معهم يشيعونهم حتى يبلغوا وادي السكران ثم يرجعوا منه ، ثم سماها الله بعد ذلك الخمر حين حرمت ، وقد كان ابن عباس يزعم أنها الخمر ، وكان يزعم أن الحبشة يسمون الخمر السكر ، قوله (وَرِزْقًا حَسَنًا) يعني بذلك : الحلال التمر والزبيب ، وما كان حلالا لا يسكر .

وقال آخرون : السُّكْرُ بمنزلة الخمر في التحريم ، وليس بخمر ، وقالوا : هو نقيع التمر والزبيب إذا اشتدّ وصار يسكر شاربه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو ، في قوله (وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ)

(١) قوله : قال ابن عباس إلى يرجعوا منه . كذا في النسخ . وهو كالمقحم وسط الكلام ، وقد أسقطه السيوطي من الدر المنثور حين

روى هذا الحديث .

والأعنابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سُكَّرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) قال ابن عباس : كان هذا قبل أن ينزل تحريم الخمر والسكر حرام مثل الخمر ؛ وأما الحلال منه ، فالزبيب والتمر والحل ونحوه .

حدثني المثنى ، وعلى بن داود ، قالا : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سُكَّرًا) فحرم الله بعد ذلك ، يعنى بعد ما أنزل في سورة البقرة من ذكر الخمر ، والميسر والأنصاب والأزلام ، السكّر مع تحريم الخمر لأنه منه ، قال (وَرِزْقًا حَسَنًا) فهو الحلال من الحلّ والنبيذ ، وأشباه ذلك ، فأقره الله ، وجعله حلالا للمسلمين .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن موسى ، قال : سألت مرّة عن السكّر فقال : قال عبد الله : هو خمر .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي فروة ، عن أبي عبد الرحمن بن أبي ليلى ، قال : السكر : خمر .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي الهيثم ، عن إبراهيم ، قال : السكر : خمر . حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا حسن بن صالح ، عن مغيرة ، عن إبراهيم وأبي رزين ، قالا : السكر : خمر .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سُكَّرًا) يعنى : ما أسكر من العنب والتمر (وَرِزْقًا حَسَنًا) يعنى : ثمرتها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سُكَّرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) قال : الحلال ما كان على وجه الحلال حتى غيروها فجعلوا منها سكّرا .

وقال آخرون : السكّر : هو كلّ ما كان حلالا شربه ، كالنبيذ الحلال والحلّ والرطب ، والرزق الحسن : التمر والزبيب .

ذكر من قال ذلك

حدثني داود الواسطي ، قال : ثنا أبو أسامة ، قال أبو روق : ثنى قال : قلت للشعبي : رأيت قوله تعالى (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سُكَّرًا) أهو هذا السكّر الذي تصنعه النبيط ؟ قال : لا ، هذا خمر ، إنما السكر الذي قال الله تعالى ذكره : النبيذ والحلّ ؛ والرزق الحسن : التمر والزبيب .

حدثني يحيى بن داود ، قال : ثنا أبو أسامة ، قال : وذكر مجالد ، عن عامر ، نحوه . حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا مندل ، عن ليث ، عن مجاهد (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سُكَّرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) قال : ما كانوا يتخذون من النخل النبيذ ، والرزق الحسن : ما كانوا يصنعون من الزبيب والتمر .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا مندل ، عن أبي روق ، عن الشعبي ، قال : قلت له :

ما تتخذون منه سَكْرًا؟ قال : كانوا يصنعون من النبيذ والحلّ ؛ قلت : والرزق الحسن ؟ قال : كانوا يصنعون من التمر والزبيب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة وأحمد بن بشير ، عن مجالد ، عن الشعبي ، قال : السَّكْرُ : النبيذ والرزق الحسن : التمر الذي كان يؤكل ، وعلى هذا التأويل ، الآية غير منسوخة ، بل حكمها ثابت .

❖❖❖ وهذا التأويل عندي هو أولى الأقوال بتأويل هذه الآية ، وذلك أن السكر في كلام العرب على أحد أوجه أربعة : أحدها : ما أسكر من الشراب . والثاني : ما طعم من الطعام ، كما قال الشاعر :

جَعَلْتُ عَيْبَ الْأَكْرَمِينَ سَكْرًا ١

أى طعاما . والثالث : السُّكُونُ من قول الشاعر :

جَعَلْتُ عَيْنَ الْحَرُورِ تَسْكُرُ ٢

وقد بيّنا ذلك فيما مضى . والرابع : المصدر من قولهم : سكر فلان يسكر سَكْرًا وسَكْرًا وسَكْرًا ، فإذا كان ذلك كذلك ، وكان ما يُسَكَّر من الشراب حراما بما قد دللنا عليه في كتابنا المسمى : « لطيف القول في أحكام شرائع الإسلام » وكان غير جائز لنا أن نقول : هو منسوخ ، إذ كان المنسوخ هو ما نفي حكمه الناسخ ، وما لا يجوز اجتماع الحكم به وناسخه ، ولم يكن في حكم الله تعالى ذكره بتحريم الخمر دليل على أن السَّكْر الذي هو غير الخمر ، وغير ما يسكر من الشراب ، حرام ، إذ كان السكر أحد معانيه عند العرب ، ومن نزل بلسانه القرآن هو كل ما طعم ، ولم يكن مع ذلك ، إذ لم يكن في نفس التنزيل دليل على أنه منسوخ ، أو ورد بأنه منسوخ خبر من الرسول ، ولا أجمعت عليه الأمة ، فوجب القول بما قلنا من أن معنى السَّكْر في هذا الموضع : هو كل ما حلّ شربه ، مما يتخذ من ثمر النخل والكرم ، وفسد أن يكون معناه الخمر أو ما يسكر من الشراب ، وخرج من أن يكون معناه السَّكْر نفسه ، إذ كان السَّكْر ليس مما يتخذ من النَّخْلِ والكَرْم ، ومن أن يكون بمعنى السكون .

وقوله (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) يقول : فيما إن وصفنا لكم من نعمنا التي آتيناكم أيها

(١) تقدم الكلام على هذا الشاهد في صفحة ١٣ من هذا الجزء . وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن (١ : ٣٦٣) عند قوله تعالى : « تتخذون منه سكرًا » : أى طعاما ، وهذا له سكر : أى طعم . وقال جندل « جعلت عيب الأكرمين من سكرًا » . قال : وله موضع آخر ، مجازه سكرنا . وروايته البيت في اللسان :

جَعَلْتُ أَعْرَاضَ الْكَرَامِ سَكْرًا

أى جعلت ذمهم طعاما لك .

(٢) تقدم الكلام على هذا الشاهد في صفحة ؟ من هذا الجزء واستشهد به أبو عبيدة في مجاز القرآن (١ : ٣٦٣) بعد الشاهد السابق ، وعرفه عليه بقوله : وقال :

جاء الشتاء واجتأل القنبر وجعلت عين الحرور تسكر

أى يسكن حرها ويخبو . ويقال : ليلة ساكرة : أى ساكنة . وقال :

تريد الليالي في طولها وليست بطلق ولا ساكرة

ويروى : تزيد ليالي في طولها . اهـ . وفي (اللسان : سكر) : تزداد .

الناس من الأنعام والنخل والكرم ، لدلالة واضحة وآية بيّنة لقوم يعقلون عن الله حججه ، ويفهمون عنه مواعظه ، فيتعظون بها .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾

❖❖❖ يقول تعالى ذكره : وأهم ربك يا محمد النحل إيجاء إليها (أن اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ) يعني : مما يبنون من السقوف ، فرفعوها بالبناء . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل . ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا مروان ، عن إسحاق التيمي ، وهو ابن أبي الصباح ، عن رجل ، عن مجاهد (وأوحى ربك إلى النحل) قال : ألهمها إلهاما . حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، قال : بلغني ، في قوله (وأوحى ربك إلى النحل) قال : قذف في أنفسها . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى أبو سفيان ، عن معمر ، عن أصحابه ، قوله (وأوحى ربك إلى النحل) قال : قذف في أنفسها أن اتخذى من الجبال بيوتا . حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه عن ابن عباس ، قوله (وأوحى ربك إلى النحل) . . . الآية ، قال : أمرها أن تأكل من الثمرات ، وأمرها أن تتبع سبل ربها ذللا . وقد بيّنا معنى الإيجاء ، واختلاف المختلفين فيه فيما مضى بشواهده ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضوع ، وكذلك معنى قوله (يعرشون) . وكان ابن زيد يقول في معنى يعرشون ، ما حدثني به يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (يعرشون) قال : الكرم .

القول في تأويل قوله تعالى :

ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾

❖❖❖ يقول تعالى ذكره : ثم كلّي من كلّ الثمرات (فاسلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا) يقول : فاسلُكِي طرق ربك (ذُلُلًا) يقول : مُدَّة لِّلَّة لَكَ ، والذُّلُّل : جمع ذُلُول .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله تعالى (فاسئلكي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا) قال : لا يتوعر عليها مكان سلكته . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فاسئلكي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا) قال : طُرُقًا ذُلُلًا ، قال : لا يتوعر عليها مكان سلكته . وعلى هذا التأويل الذي تأوله مجاهد ، الدال من نعت السبل .

والتأويل على قوله (فاسئلكي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا) الدُّلُّ لك : لا يتوعر عليك سبيل سلكته ، ثم أسقطت الألف واللام فنصب على الحال .

وقال آخرون في ذلك بما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فاسئلكي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا) : أي مطيعة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (ذُلُلًا) قال : مطيعة . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فاسئلكي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا) قال : الذلول : الذي يُقَاد وَيُذْهَبُ بِهِ حَيْثُ أَرَادَ صَاحِبُهُ ، قَالَ : فَهَمَّ يَخْرُجُونَ بِالنَّحْلِ يَنْتَجِعُونَ بِهَا وَيَذْهَبُونَ ، وَهِيَ تَتَّبِعُهُمْ . وَقَرَأَ (أَوْ لَمْ يَرَوْا) أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ، وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ) . . . الآية ، فعلى هذا القول ، الدُّلُّ من نعت النحل ، وكلا القولين غير بعيد من الصواب في الصحة وجهان مخرجان ، غير أنا اخترنا أن يكون نعتا للسبل لأنها إليها أقرب . وقوله (يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ) يقول تعالى ذكره : يخرج من بطون النحل شراب ، وهو العسل ، مختلف ألوانه ، لأن فيها أبيض وأحمر وأسعر ، وغير ذلك من الألوان .

قال أبو جعفر : أسعر : ألوان مختلفة مثل أبيض يضرب إلى الحمرة .

وقوله (فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ) اختلف أهل التأويل فيما عادت عليه الهاء التي في قوله (فِيهِ) ، فقال بعضهم : عادت على القرآن ، وهو المراد بها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا نصر بن عبد الرحمن ، قال : ثنا المحاربي ، عن ليث ، عن مجاهد (فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ) قال : في القرآن شفاء .

وقال آخرون : بل أريد بها العسل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ)

مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ) ففيه شفاء كما قال الله تعالى من الأدوية ، وقد كان ينهى عن تفريق النحل ، وعن قتلها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : « جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكر أن أخاه اشتكى بطنه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اذْهَبْ فَاسْتَقِ أَخَاكَ عَسَلًا ، ثم جاءه فقال : ما زاده إلا شدة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اذْهَبْ فَاسْتَقِ أَخَاكَ عَسَلًا ، فَقَدِّدْ صَدَقَ اللَّهُ وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ ، فسقاه ، فكأنما نُشِطَ من عِقَالٍ . »

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ) قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحوه . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ، قال : شفاءان العسل شفاء من كل داء ، والقرآن شفاء لما في الصدور .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عيسى ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ) العسل .

وهذا القول ، أعنى قول قتادة ، أولى بتأويل الآية ، لأن قوله (فِيهِ) في سياق الخبر عن العسل فإن تكون الهاء من ذكر العسل ، إذ كانت في سياق الخبر عنه أولى من غيره .

وقوله (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) يقول تعالى ذكره : إن في إخراج الله من بطون هذه النحل : الشراب المختلف ، الذي هو شفاء للناس ، لدلالة وحجة واضحة على من سخّر النحل وهداها لأكل الثمرات التي تأكل ، واتخاذها البيوت التي تنحت من الجبال والشجر والعروش ، وأخرج من بطونها ما أخرج من الشفاء للناس ، أنه الواحد الذي ليس كمثل شيء ، وأنه لا ينبغي أن يكون له شريك ، ولا تصح الألوهة إلا له .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾

يقول تعالى ذكره : والله خلقكم أيها الناس وأوجدكم ، ولم تكونوا شيئاً ، لا الآلهة التي تعبدون من دونه ، فاعبدوا الذي خلقكم دون غيره (ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ) يقول : ثم يقبضكم (وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ) يقول : ومنكم من يرّم ، فيصير إلى أَرْدَلِ الْعُمُرِ ، وهو أَرْدؤه ، يقال منه : رذل الرجل وفسل ، يرذل رذالة ورذولة ورذولته أنا . وقيل : إنه يصير كذلك في خمس وسبعين سنة .

حدثني محمد بن إسماعيل الفزاري ، قال : أخبرنا محمد بن سوار ، قال : ثنا أسد بن عمران ، عن سعد بن

طريف ، عن الأصبع بن نباتة ، عن عليّ ، في قوله (وَمِنْكُمْ مَن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ) قال : خمسٌ وسبعون سنة .

وقوله (لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا) يقول : إنما نردّه إلى أرذل العمر ليعود جاهلاً كما كان في حال طفولته وصباه ، بعد علم شيئاً : يقول : لئلا يعلم شيئاً بعد علم كان يعلمه في شبابه ، فذهب ذلك بالكبر ونسي ، فلا يعلم منه شيئاً ، وانسلخ من عقله ، فصار من بعد عقل كان له لا يعقل شيئاً (إن الله عليمٌ قديرٌ) يقول : إن الله لا ينسى ، ولا يتغير علمه ، عليمٌ بكلّ ما كان ويكون ، قديرٌ على ما شاء لا يجهل شيئاً ، ولا يُعجزه شيءٌ أراده .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى الْبَعْضِ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦﴾

❖❖ يقول تعالى ذكره : والله أيها الناس فضل بعضكم على بعض في الرزق الذي رزقكم في الدنيا ، فما الذين فضلهم الله على غيرهم بما رزقهم (برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم) يقول : بمشركي مما ليكهم فيما رزقهم من الأموال والأزواج (ففهم فيه سواء) يقول : حتى يستووا هم في ذلك وعبيدهم ، يقول تعالى ذكره : فهم لا يرضون بأن يكونوا هم ومما ليكهم فيما رزقهم سواء ، وقد جعلوا عبيدي شركائي في ملكي وسلطاني ، وهذا مثل ضرب به الله تعالى ذكره للمشركين بالله . وقيل : إنما عني بذلك ، الذين قالوا : إن المسيح ابن الله من النصارى . وقوله (أفبنعمة الله يجحدون) يقول تعالى ذكره : أفبنعمة الله التي أنعمها على هؤلاء المشركين من الرزق الذي رزقهم في الدنيا يجحدون بإشراكهم غير الله من خلقه ، في سلطانه ومملكه ؟

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى الْبَعْضِ فِي الرِّزْقِ ، فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ) يقول : لم يكونوا يشركون عبيدهم في أموالهم ونسائهم ، فكيف يشركون عبيدي معي في سلطاني ، فذلك قوله (أفبنعمة الله يجحدون) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : هذه الآية في شأن عيسى بن مريم ، يعني بذلك نفسه ، إنما عيسى عبد ، فيقول الله : والله ما تشركون عبيدكم في الذي لكم ، فتكونوا أنتم وهم سواء ، فكيف ترضون لي بما لا ترضون لأنفسكم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (بِرَادَى رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) قال : مثل آلهة الباطل مع الله تعالى ذكره .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ، فَمَا الَّذِينَ فَضَّلُوا بَرَادَى رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ) وهذا مثل ضرب به الله ، فهل منكم من أحد شارك مملوكه في زوجته وفي فراشه ، فتعدلون بالله خلقه وعباده ، فإن لم ترض لنفسك هذا ، فالله أحق أن ينزهه منه من نفسك . ولا تعدل بالله أحدا من عباده وخلقته .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَمَا الَّذِينَ فَضَّلُوا بَرَادَى رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) قال : هذا الذي فضل في المال والولد . لا يشرك عبده في ماله وزوجته ، يقول : قد رضيت بذلك لله ، ولم ترض به لنفسك ، فجعلت لله شريكا في ما يملكه وخلقته .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرِزْقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٦﴾

يقول تعالى ذكره (وَاللَّهُ) الذي (جَعَلَ لَكُمْ) أيها الناس (مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا) يعني أنه خلق من آدم زوجته حواء (وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً) . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا) : أي والله خلق آدم ، ثم خلق زوجته منه ثم جعل لكم بنين وحفدة .

واختلف أهل التأويل في المعنيين بالحفدة ، فقال بعضهم : هم الأختان ، أختان الرجل على بناته .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب وابن وكيع ، قالا : ثنا أبو معاوية . قال : ثنا أبان بن تغلب : عن المنهال بن عمرو ، عن ابن حبيش ، عن عبد الله (بَنِينَ وَحَفَدَةً) قال : الأختان .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو بكر ، عن عاصم ، عن ورقاء سألت عبد الله : ما تقول في الحفدة ؟ هم حشم الرجل يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : لا ، ولكنهم الأختان .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ؛ وحدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قالا جميعا :

ثنا سفيان ، عن عاصم بن بهدلة ، عن زير بن حبيش ، عن عبد الله ، قال : الحفدة : الأختان .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان باسناده عن عبد الله ، مثله .

حدثنا ابن بشار وأحمد بن الوليد القرشي وابن وكيع وسوار بن عبد الله العنبري ومحمد بن خلف بن

خِرَاش والحسن بن خلف الواسطيّ، قالوا : ثنا يحيى بن سعيد القطان ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، قال : الحَفْدَة : الأختان .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا هشيم ، عن المغيرة ، عن إبراهيم ، قال : الحَفْدَة : الأختان .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير (بنين وحفدة) قال : الحَفْدَة : الأختان .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : الحَفْدَة : الحسَن .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عاصم ، عن زرّ ، عن عبد الله ، قال : الأختان .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حفص ، عن أشعث ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : الأختان .

وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ عن ابن عباس ، قوله (وحفدة) قال : الأصهار .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، عن عاصم ، عن زرّ ، عن ابن مسعود ، قال : الحَفْدَة : الأختان .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عاصم بن أبي النجود ،

عن زرّ بن حبيش ، قال : قال لي عبد الله بن مسعود : ما الحَفْدَة يا زرّ ؟ قال : قلت : هم أحفاد الرجل ، من ولده وولد ولده ، قال : لا ، هم الأصهار .

وقال آخرون : هم أعوان الرجل وخدمه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن خالد بن خدّاش ، قال : ثنا سالم بن قتيبة ، عن وهب بن حبيب الأسديّ ، عن

أبي حمزة ، عن ابن عباس سئل عن قوله (بنين وحفدة) قال : من أعانك فقد حَفَدَكَ ، أما سمعت قول الشاعر :

حَفَدَ الْوَلَائِدُ حَوَلَهُنَّ وَأُسْدِمَتَ بِأَكْفَهَيْنِ أَرْمَةَ الْأَجْمَالِ

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة ، في قوله (بنين وحفدة) قال :

الحفدة : الخُدّام .

(١) استشهد بالبيت أبو عبيدة في مجاز القرآن : (١ : ٣٦٤) ونسبه لجميل بن عبد الله بن معمر العذري . قال عند قوله تعالى

« بنين وحفدة » : أعوانا وخداما ، قال جميل : « حَفَدَ الْوَلَائِدُ . . . الخ » واحدهم حَفْدٌ خرج مخرج كامل . والجميع : كلمة وقال في (اللسان : حَفْدٌ) يحفد بالكسر حَفْدًا ، وحفدانا . واحتفد : خف في العمل وأسرع . وحفد يحفد حَفْدًا : خدم . الأزهرى : الحفد في الخدمة والعمل : الحفّة ، وأنشد (حَفَدَ الْوَلَائِدُ . . .) البيت .

حدثني محمد بن خالد بن خدّاش ، قال : ثنا ساسم بن قتيبة ، عن حازم بن إبراهيم البجلي ، عن سماك ، عن عكرمة ، قال : قال : الحفدة : الخدّام .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمران بن عينة ، عن حصين ، عن عكرمة ، قال : هم الذين يُعِينون الرجل من ولده وخدمه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة : (وَحَفَدَةٌ) قال : الحفدة : من خدمك من ولدك .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن سلام بن سليم ، وقيس عن سماك ، عن عكرمة ، قال : هم الخدم .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سلام أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة ، مثله .
حدثني محمد بن خالد ، قال : ثنا سلمة ، عن أبي هلال ، عن الحسن . في قوله (بَنِينَ وَحَفَدَةً) قال : البنين وبنى البنين ، من أعانك من أهل وخدام فمقد حفدك .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن منصور ، عن الحسن ، قال : هم الخدّام .

حدثني محمد بن خالد وابن وكيع ، ويعقوب بن إبراهيم ، قالوا : ثنا إسماعيل بن علية ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : الحفدة : الخدّام .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ؛ وحدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، جميعاً عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (بَنِينَ وَحَفَدَةً) قال : ابنه وخدامه .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله تعالى (بَنِينَ وَحَفَدَةً) قال : أنصاراً وأعوانا وخداماً .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا زمعة ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، قال : الحفدة : الخدم .
حدثنا ابن بشار مرة أخرى ، قال : ابنه وخدامه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قال : (وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً) مَهْنَةٌ يَمْهِنُونَكَ وَيُخَدُّونَكَ مِنْ وَلَدِكَ ، كرامة أكرمكم الله بها .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الله ، عن إسرائيل ، عن السدي ، عن أبي مالك : الحفدة ، قال : الأعوان .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن حصين ، عن عكرمة ، قال : الذين يعينونه .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، في قوله (بَنِينَ وَحَفَدَةً) قال : الحفدة : من خدمك من ولدك وولد ولدك .
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن التيمي ، عن أبيه ، عن الحسن ، قال : الحفدة : الخدم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن حصين ، عن عكرمة (بَنِينَ وَحَفَدَةً) قال : ولده الذين يعينونه .

وقال آخرون : هم ولد الرجل وولد ولده .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (وَحَفَدَةً) قال : هم الولد وولد الولد .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن مجاهد وسعيد بن جبير ، عن ابن عباس في هذه الآية (بَنِينَ وَحَفَدَةً) قال : الحفدة : البنون .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا غندر ، عن شعبة ، عن أبي بشر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي بكر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ،

قال : بنوك حين يخدمونك ويرفدونك ويعينونك ويخدمونك ، قال حميد :

حَفَدَ الْوَالِدُ حَوْلَهُنَّ وَأُسَامِتَ بِأَكْفُهُنَّ أَرْمَةَ الْأَجْمَالِ

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ

أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً) قال : الحفدة : الخدم من ولد الرجل هم ولده ، وهم يخدمونه ؛ قال : وليس تكون العبيد من الأزواج كيف يكون من زوجي عبد ، إنما الحفدة : ولد الرجل وخدمه .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت

الضحاك يقول ، في قوله (بَنِينَ وَحَفَدَةً) يعني : ولد الرجل يخدمونه ويخدمونه ، وكانت العرب إنما

تخدمهم أولادهم الذكور .

وقال آخرون : هم بنو امرأة الرجل من غيره .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

قوله (وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً) يقول : بنو امرأة الرجل ليسوا منه ، ويقال :

الحفدة : الرجل يعمل بين يدي الرجل ، يقول : فلان يخدم لنا ، ويزعم رجال أن الحفدة أختان الرجل .

والصواب من القول في ذلك عندى أن يقال : إن الله تعالى أخبر عباده معرفتهم نعمه عليهم ، فيما جعل

(١) سبق الاستشهاد بالبيت قريبا في صفحة ١٤٤ فراجعه ثمة .

(٢) الأختان : جمع ختن ، بسكون التاء ، وهو زوج بنت الرجل .

لهم من الأزواج والبنين ، فقال تعالى (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ، وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً) فأعلمهم أنه جعل لهم من أزواجهم بنين وحفدة ، والحفدة في كلام العرب : جمع حafd ، كما الكذبة : جمع كاذب ، والفسقة : جمع فاسق . والحafd في كلامهم : هو المتخفف في الخدمة والعمل . والحفد : خفة العمل . يقال : مرّ البعير بحفد حفد أنا : إذا مرّ يُسرّع في سيره . ومنه قولهم : « إلبك نسعى ونحفد » : أى نسرع إلى العمل بطاعتك . يقال منه : حفد له يحفد حفدا وحفودا وحفدانا ومنه قول الراعى :

كَلَفْتُ مَجْهُولَهَا نُوْقًا يَمَانِيَةً إِذَا الحُدَادُ عَلَى أَكْسَائِهَا حَفَدُوا ۱

وإذا كان معنى الحفدة ما ذكرنا من أنهم المسرعون في خدمة الرجل ، المتخففون فيها ، وكان الله تعالى ذكره أخبرنا أن مما أنعم به علينا أن جعل لنا حفدة تحفد لنا ، وكان أولادنا وأزواجنا الذين يصلحون للخدمة منا ومن غيرنا وأختاننا الذين هم أزواج بناتنا من أزواجنا وخدمنا من ممالئنا إذا كانوا يحفدوننا ، فيستحقون اسم حفدة ، ولم يكن الله تعالى دلّ بظاهر تنزيهه ، ولا على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا بحجة عقل ، على أنه عنى بذلك نوعا من الحفدة ، دون نوع منهم ، وكان قد أنعم بكل ذلك علينا ، لم يكن لنا أن نوجه ذلك إلى خاص من الحفدة دون عام ، إلا ما اجتمعت الأمة عاياه أنه غير داخل فيهم . وإذا كان ذلك كذلك فلكل الأقوال التي ذكرنا عن ذكرنا وجه في الصحة ، ومخرج في التأويل . وإن كان أولى بالصواب من القول ما اخترنا ، لما بيننا من الدليل .

وقوله (وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ) يقول : ورزقكم من حلال المعاش والأرزاق والأقوات ، (أَفْبَابِاطِلٍ يُؤْمِنُونَ) يقول تعالى ذكره : يحرم عليهم أولياء الشيطان من البحائر والسوائب والوصائل ، فيصدق هؤلاء المشركون بالله (وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ) يقول : وبما أحل الله لهم من ذلك ، وأنعم عليهم بإحلاله . يكفرون . يقول : ينكرون تحلياه ، ويجحدون أن يكون الله أحاه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٦﴾ فَلَا تَضُرُّوهُ بِاللَّهِ الْأَمْثَالُ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٧﴾

يقول تعالى ذكره : ويعبد هؤلاء المشركون بالله من دونه أوثانا لا تملك لهم رزقا من السموات ، لأنها لا تقدر على إنزال قطر منها لإحياء موتان الأرضين ، والأرض . يقول : ولا تملك لهم أيضا رزقا من الأرض

(١) الأكساء : واحدها كسى ، بوزن قفل ، وهو مؤخر العجز ، أو مؤخر كل شيء ، والجمع أكساء (اللسان : كسا) . وقال في (كسا) : كسء كل شيء وكسوه : مؤخره . وكسء الشهر وكسوه : آخره ، قدر عشر بقين منه . . . وأنشد أبو عبيدة :

كلفت مجهولها إذا الحداد حفدوا

ولعل الحداد في رواية الأزهرى محرفة عن الحداة .

لأنها لا تقدر على إخراج شيء من نباتها وثمارها لهم ، ولا شيئاً مما عدّ تعالى في هذه الآية أنه أنعم بها عليهم (وَلَا يَسْتَطِيعُونَ) يقول : ولا تملك أوثانهم شيئاً من السموات والأرض ، بل هي وجميع ما في السموات والأرض لله ملك ، ولا يستطيعون : يقول : ولا تقدر على شيء . قوله (فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ) يقول : فلا تمثلوا لله الأمثال ، ولا تشبّهوا له الأشباه ، فإنه لا مثيل له ، ولا شبهة . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : الأمثال الأشباه . وحدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ) يعني اتخذهم الأصنام ، يقول : لا تجعلوا معي إلهاً غيري ، فإنه لا إله غيري .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ) قال : هذه الأوثان التي تعبد من دون الله لا تملك لمن يعبدها رزقاً ولا ضرراً ولا نفعاً ، ولا حياة ولا نشوراً . وقوله (فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ) فإنه أحد صمد ، لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد (إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) يقول : والله أيها الناس يعلم خطأ ما تمثلون وتضربون من الأمثال وصوابه ، وغير ذلك من سائر الأشياء ، وأنتم لا تعلمون صواب ذلك من خطئه .

واختلف أهل العربية في الناصب قوله (شَيْئًا) فقال بعض البصريين : هو منصوب على البدل من الرزق ، وهو في معنى : لا يملكون رزقاً قليلاً ولا كثيراً . وقال بعض الكوفيين : نصب شيئاً بوقوع الرزق عليه ، كما قال تعالى ذكره (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا) : أي تكفت الأحياء والأموات ، ومثله قوله تعالى ذكره (أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيًّا ذَامِقْرَبَةً أَوْ مِسْكِينًا ذَامِئْرَبَةً) قال : ولو كان الرزق مع الشيء لجاز خفضه ، لا يملك لكم رزق شيء من السموات ، ومثله (فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلْتُم مِّنَ النَّعَمِ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَن رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٥﴾

يقول تعالى ذكره : وشبّهه لكم تشبهاً أيها الناس للكافر من عبده ، والمؤمن به منهم . فأما مثل الكافر :

فإنه لا يعمل بطاعة الله ، ولا يأتي خيراً ، ولا ينفق في شيء من سبيل الله ماله لغلبة خذلان الله عاياه ، كالعبد المملوك ، الذي لا يقدر على شيء فينفقه . وأما المؤمن بالله فإنه يعمل بطاعة الله ، وينفق في سبيله ماله كالحر الذي آتاه الله مالا ، فهو ينفق منه سرا وجهرا ، يقول : بعلم من الناس وغير علم (هَلْ يَسْتَوُونَ) يقول هل يستوى العبد الذي لا يملك شيئا ولا يقدر عليه ، وهذا الحر الذي قد رزقه الله رزقا حسنا ، فهو ينفق كما وصّف ، فكذلك لا يستوى الكافر العاقل بمعاصي الله المخالف أمره ، والمؤمن العاقل بطاعته .
وبنحو ما قلنا في ذلك ، كان بعض أهل العلم يقول .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قواه (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ) هذا مثل ضربه الله للكافر ، رزقه مالا فلم يقدم فيه خيرا ، ولم يعمل فيه بطاعة الله ، قال الله تعالى ذكره (وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنْنَا رِزْقًا حَسَنًا) فهذا المؤمن أعطاه الله مالا ، فعمل فيه بطاعة الله ، وأخذ بالشكر ، ومعرفة حق الله ، فأثابه الله على ما رزقه الرزق المقيم الدائم لأهله في الجنة ، قال الله تعالى ذكره (هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا) ، والله ما يستويان (الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) .
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ) قال : هو الكافر لا يعمل بطاعة الله ، ولا ينفق خيرا (وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنْنَا رِزْقًا حَسَنًا) قال : المؤمن يطبع الله في نفسه وماله .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قواه (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ) يعني : الكافر أنه لا يستطيع أن ينفق نفقة في سبيل الله (وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنْنَا رِزْقًا حَسَنًا) ، فهو ينفق منه سرا وجهرا) يعني المؤمن ، وهذا المثل في النفقة .

وقواه (الْحَمْدُ لِلَّهِ) يقول : الحمد الكامل لله خالصا دون ما تدعون أيها القوم من دونه من الأوثان فإياه فاحمدوا دونها . وقواه (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) يقول : ما الأمر كما تفعلون ، ولا القول كما تقولون ، ما للأوثان عندهم ، من يد ولا معروف ، فتسجد عليه ، إنما الحمد لله ، ولكن أكثر هؤلاء الكفرة الذين يعبدونها لا يعلمون أن ذلك كذلك ، فهم بجهلهم بما يأتون ويبدرون يجعونها لله شركاء في العبادة والحمد .

وكان مجاهد يقول : ضرب الله هذا المثل ، والمثل الآخر بعده لنفسه ، والآلهة التي تعبد من دونه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا
يُوجَّهَ لَا يَأْنِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾

❖ وهذا مثل ضربه الله تعالى لنفسه والآلهة التي تُعبد من دونه ، فقال تعالى ذكره : (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ ، أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ) يعني بذلك الصنم أنه لا يسمع شيئاً ، ولا ينطق ، لأنه إما خشب منحوت ، وإما نحاس مصنوع لا يقدر على نفع لمن خدمه ، ولا دفع ضرر عنه ، وهو ككلّ على مولاه . يقول : وهو عيال على ابن عمه وحافائه وأهل ولايته ، فكذلك الصنم ككلّ على من يعبده ، يحتاج أن يحماه ، ويضعه ويخدمه ، كالأبكم من الناس الذي لا يقدر على شيء ، فهو ككلّ على أوليائه من بنى أعمامه وغيرهم (أَيْنَمَا يُوجِّهُهُ لَأَيَّاتٍ بَخْسِيرٍ) يقول : حينما يوجهه لآيات بخير ، لأنه لا يفهم ما يُقال له ، ولا يقدر أن يعبر عن نفسه ما يريد ، فهو لا يفهم ، ولا يفهم عنه ، فكذلك الصنم ، لا يعقل ما يقال له ، فيأتمر لأمر من أمره ، ولا ينطق فيأمر وينهى ، يقول الله تعالى (هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ) يعني : هل يستوى هذا الأبكم الككلّ على مولاه الذي لا يأتي بخير حيث توجه ومن هو ناطق متكلم يأمر بالحق ، ويدعو إليه ، وهو الله الواحد القهار ، الذي يدعو عباده إلى توحيده وطاعته ، يقول : لا يستوى هو تعالى ذكره ، والصنم الذي صفتة ما وصف . وقوله (وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) يقول : وهو مع أمره بالعدل ، على طريق من الحق في دعائه إلى العدل ، وأمره به مستقيم ، لا يعوجّ عن الحق ، ولا يزول عنه .

وقد اختلف أهل التأويل في المضروب له هذا المثل ، فقال بعضهم في ذلك بنحو الذي قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ) قال : هو الوثن (هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ) قال : الله يأمر بالعدل (وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) وكذلك كان مجاهد يقول : إلا أنه كان يقول : المثل الأول أيضا ضربه الله لنفسه وللوثن . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء . وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله تعالى ذكره (عَبَدُوا مِمَّا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ ، وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنْنَا رِزْقًا حَسَنًا - وَرَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ - وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ) قال : كل هذا مثل إله الحق ، وما يدعى من دونه من الباطل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن جويبر ، عن الضحاك (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ) قال : إنما هذا مثل ضربه الله .

وقال آخرون : بل كلا المثليين للمؤمن والكافر ، وذلك قول يروى عن ابن عباس ، وقد ذكرنا

الرواية عنه في المثل الأول في موضعه .

وأما في المثل الآخر ، فحدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن

أبيه ، عن ابن عباس (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ) . . . إلى آخر الآية ، يعنى بالأبكم : الذي هو كَلٌّ على مولاة الكافر ، وبقوله (وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ) المؤمن ، وهذا المثل في الأعمال .

حدثنا الحسن بن الصباح البزار ، قال : ثنا يحيى بن إسحاق السيلحيني ، قال : ثنا حماد ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن إبراهيم ، عن عكرمة ، عن يعلى بن أمية ، عن ابن عباس ، في قوله (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا) قال : نزلت في رجل من قريش وعبدته . وفي قوله (مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ) . . . إلى قوله (وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) قال : هو عثمان بن عفان ، قال : والأبكم الذي أينا يُوجَّهُ لآيات بخير ، ذاك مولى عثمان بن عفان ، كان عثمان ينفق عليه ويكفله ويكفيه المئونة ، وكان الآخر يكره الإسلام ويأباه وينهاه عن الصدقة والمعروف ، فنزلت فيهما .
 وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في المثل الأول لأنه تعالى ذكره مثل مثل الكافر بالعبد الذي وصف صفته ، ومثل مثل المؤمن بالذي رزقه رزقا حسنا ، فهو ينفق مما رزقه سرًّا وجهرا ، فلم يجز أن يكون ذلك لله مثلا ، إذ كان الله إنما مثل الكافر الذي لا يقدر على شيء بأنه لم يرزقه رزقا ينفق منه سرًّا ؛ ومثل المؤمن الذي وفقه الله لطاعته فهداه لرشده ، فهو يعمل بما يرضاه الله ، كالحر الذي بسط له في الرزق ، فهو ينفق منه سرًّا وجهرا ، والله تعالى ذكره هو الرزاق غير المرزوق ، فغير جائز أن يمثل إفضاله وجوده بإنفاق المرزوق الرزق الحسن . وأما المثل الثاني ، فإنه تمثيل منه تعالى ذكره من مثله الأبكم الذي لا يقدر على شيء والكفار لا شك أن منهم من له الأموال الكثيرة ، ومن يضر أحيانا الضر العظيم بمساده ، فغير كائن ما لا يقدر على شيء ، كما قال تعالى ذكره مثلا لمن يقدر على أشياء كثيرة . فإذا كان ذلك كذلك كان أولى المعاني به تمثيل ما لا يقدر على شيء ، كما قال تعالى ذكره بمثابه ما لا يقدر على شيء ، وذلك الوثن الذي لا يقدر على شيء ، بالأبكم الكَلٌّ على مولاة الذي لا يقدر على شيء كما قال ووصف .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾

يقول تعالى ذكره : والله أيها الناس ملك ما غاب عن أبصاركم في السموات والأرض دون آلهتكم التي تدعون من دونه ، ودون كل ما سواه ، لا يملك ذلك أحد سواه (وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ) يقول : وما أمر قيام القيامة والساعة التي تنشر فيها الخلق للوقوف في موقف القيامة : إلا كمنظرة من البصر ، لأن ذلك إنما هو أن يقال له : كن فيكون .

كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ) والساعة : كلمح البصر ، أو أقرب .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (وما أمر الساعة إلا كلمح البصير) قال : هو أن يقول : كن ، فهو كلمح البصر ، فأمر الساعة كلمح البصر أو أقرب ؛ يعنى يقول : أو هو أقرب من لمح البصر .
 وقوله (إن الله على كل شيء قدير) يقول : إن الله على إقامة الساعة في أقرب من لمح البصر قادر ، وعلى ما يشاء من الأشياء كلها ، لا يمتنع عليه شيء أراده .
 القول في تأويل قوله تعالى :

وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾

يقول تعالى ذكره : والله تعالى أعلمكم ما لم تكونوا تعلمون من بعد ما أخرجكم من بطون أمهاتكم ، لاتعلمون شيئاً ولا تعلمون ، فرزقكم عقولا تفقهون بها ، وتميزون بها الخير من الشر وبصركم بها ما لم تكونوا تبصرون ، وجعل لكم السمع الذى تسمعون به الأصوات ، ويفقه بعضكم عن بعض ما تتحاورون به بينكم ؛ والأبصار التى تبصرون بها الأشخاص ، فتتعارفون بها ، وتميزون بها بعضا من بعض . والأفئدة : يقول : والقاب التى تعرفون بها الأشياء فتحفظونها ، وتفكرون فتفقهون بها (لعلائكم تشكرون) يقول : فعلنا ذلك بكم ، فاشكروا الله على ما أنعم به عليكم من ذلك ، دون الآلهة والأنداد ، فجعلنا لكم شركاء فى الشكر ، ولم يكن له فيما أنعم به عليكم من نعمه شريك .
 وقوله (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا) كلام متناه ، ثم ابتدئ الخبر ، فقيل : وجعل الله لكم السمع والأبصار والأفئدة . وإنما قلنا ذلك كذلك ، لأن الله تعالى ذكره جعل العبادة والسمع والأبصار والأفئدة ، قبل أن يخرجهم من بطون أمهاتهم ، وإنما أعطاهم العلم والعقل بعد ما أخرجهم من بطون أمهاتهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾

يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين : ألم تروا أيتها المشركون بالله إلى الطير مسخرات فى جو السماء ، يعنى : فى هواء السماء بينها وبين الأرض ، كما قال إبراهيم بن عمران الأنصارى :
 وَيَلُّ أُمَّهَا مِنْ هَوَاءِ الْجَوِّ طَالِبَةً وَلَا كَهَذَا الَّذِي فِي الْأَرْضِ مَطْلُوبٌ ۱

(١) البيت نسبه المؤلف إلى إبراهيم بن عمران الأنصارى . ونسبه البغدادي في الخزانة (٢ : ١١٢) لامرىء القيس بن حجر الكندي .

يعنى : فى هواء السماء (ما يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ) يقول : ما طيرانها فى الجوِّ إلا بالله ، وبسخره إياها بذلك ، ولو سلبها ما أعطها من الطيران لم تقدر على النهوض ارتفاعا . وقوله (إنَّ فى ذلكَ لآياتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) يقول : إن فى تسخير الله الطير ، وتمكينه لها الطيران فى جوِّ السماء ، لعلامات ودلالات على أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأنه لاحظ للأصنام والأوثان فى الألوهة (لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) يعنى : لقوم يقرّون بوجدان ما تعابنه أبصارهم ، وتحسه حواسهم .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (مُسَخَّرَاتٍ فى جَوِّ السَّمَاءِ) :
أى فى كبد السماء .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَا وَمَتَعَا إِلَى حِينٍ ﴿٥٠﴾

يقول تعالى ذكره (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ) أيها الناس (مِنْ بُيُوتِكُمْ) التى هى من الحجر والمدر (سَكَنًا) تسكنون أيام مقامكم فى دوركم وبلادكم (وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا) وهى البيوت من الأنطاع والفساطيط من الشعر والصوف والوبر (تَسْتَخِفُّونَهَا) يقول : تستخفون حماها ونقلها (يَوْمَ ظَعْنِكُمْ) من بلادكم وأمصاركم لأسفاركم (وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ) فى بلادكم وأمصاركم (وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَا) .

وبنحو الذى قلنا فى معنى السكن ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

= وعزى فى الكتاب لسيبويه مرة إلى امرئ القيس (١ : ٣٥٣) ومرة (٢ : ٢٧٢) إلى النعمان بن بشير الأنصارى . وذكر البغدادى المقتوعة التى منها البيت ، وهى عشرة أبيات ، ونسبها لامرئ القيس ، ومطلعها :

أخيراً ما طلعت شمس وما غربت مطلب بنواحى الظيل معصوب

وبيت الشاهد هو الثامن فى المقتوعة ، وأوله : « لا كالتى فى هواء » . الخ . وقال ابن رشيقي فى العمدة : هذا البيت عند دعبل ، أشعر بيت قالته العرب ، وبه قدمه على الشعراء . وقوله : ويلمها : هفاً فى صورة الدعاء على الشئ والمراد به التعجب . والضمير المؤنث يراد به العقاب . والجو : ما بين السماء والأرض ، وأراد بالمطلوب الذئب ، لأنه وصف عقاباً تبعت ذئباً لتصيده ، فتعجب منها فى شدة طلبها ، وتعجب من الذئب أيضاً فى سرعته وشدة هربه منها .

واستشهد المؤلف بالبيت عند تفسير قوله تعالى « ألم يروا إلى الطير مسخرات فى جو السماء » أى فى هواء السماء ، بينها وبين الأرض

كما استشهد أبو عبيدة من قبله فى مجاز القرآن (١ : ٣٦٥) على أن جو السماء : أى الهواء .

قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله تعالى (مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا) قال : تسكنون فيه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . وأما الأشعار فجمع شعرٌ تثقل عينه وتخفف ، وواحد الشعرُ شَعْرَةٌ . وأما الأثاث فإنه متاع البيت لم يسمع له بواحد ، وهو في أنه لا واحد له مثل المتاع . وقد حكى عن بعض النحويين أنه كان يقول : واحد الأثاث أثاثة ، ولم أر أهل العلم بكلام العرب يعرفون ذلك ، ومن الدليل على أن الأثاث هو المتاع ، قول الشاعر :

أهَاجَتِكَ الظَّعَائِنُ يَنُومَ بَانُوا بِنَدَى الرَّئِيِّ الْجَمِيلِ مِنْ الْأَثَاثِ

ويروى : بنى الزى ، وأنا أرى أصل الأثاث اجتماع بعض المتاع إلى بعض حتى يكثر كالشعر الأثاث وهو الكثير المتلف ، يقال منه ، أثّ شعر فلان يثّ أثّا : إذا كثر والتف واجتمع .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أثاثا) يعني بالأثاث : المال .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله تعالى (أثاثا) قال : متاعا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أثاثا) قال : هو المال .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن حرب الرازي ، قال : أخبرنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن حميد بن عبد الرحمن ، في قوله (أثاثا) قال : الثياب .

وقوله (وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ) فإنه يعني : أنه جعل ذلك لهم بلاغا ، يتبلاغون ويكتفون به إلى حين آجالهم للموت .

كما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ) فإنه يعني : زينة : يقول : ينتفعون به إلى حين .

(١) البيت لمحمد بن نمير الثقفى ، وكان يشبب بزینب أخت الحجاج بن يوسف الثقفى فتوعده ، فهرب منه (خبره فى الكامل للمبرد ٢٨٩) والبيت من كلمة له (الكامل ٣٧٦) ، وفى (اللسان : رأى) قال قال : الفراء الرئى : المنظر وأهل المدينة يقرءون الآية (ورىا) بغير همز . قال : وهو وجه جيد من رأيت ، لأنه من آيات لسن مهموزات الأواخر . وقال الجوهري : من همزه جعله من المنظر من رأيت ، وهو : ما رآته العين من حال حسنة ، وكسوة ظاهرة . وأنشد أبو عبيد محمد بن نمير الثقفى :

أشأقتك الظعائن يوم بانوا بنى الرئى الجميل من الأثاث

ومن لم يهمزه : إما أن يكون على تخفيف الهمزة ، أو يكون من رويت ألوانهم وجلودهم ، أى ابتلأت وحسنت . وأثاثا : أى متاعا . قال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣٦٥) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ) قال : إلى الموت .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ) إلى أجل وبلغة .
القول في تأويل قوله تعالى :

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْبَأْسَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾

❖ يقول تعالى ذكره : ومن نعمة الله عليكم أيها الناس أن جعل لكم مما خلق من الأشجار وغيرها ظلالا تستظلون بها من شدة الحرّ وهى جمع ظلّ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو ، عن قتادة ، فى قوله (مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا) قال : الشجر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا) إلى والله من الشجر ومن غيرها .

وقوله (وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا) يقول : وجعل لكم من الجبال مواضع تسكنون فيها ، وهى جمع كنّ .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا) يقول : غيرانا من الجبال يسكن فيها (وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ) يعنى ثياب القطن والكتان والصوف وقمصها .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ) من القطن والكتان والصوف .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ) قال : القطن والكتان .

وقوله (سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْبَأْسَ) يقول : ودروعا تقيكم بأسكم ، والبأس : هو الحرب ، والمعنى : تقيكم فى بأسكم السلاح أن يصل إليكم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْبَأْسَ) من هذا الحديد .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَسَرَّابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ)

قال : هي سراويل من حديد .

وقوله (كَذَلِكَ يَتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ) يقول تعالى ذكره : كما أعطاكم ربكم هذه الأشياء التي وصفها في هذه الآيات نعمة منه بذلك عليكم ، فكذا يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون . يقول : لتخضعوا لله بالطاعة ، وتذل منكم بتوحيده النفوس ، وتخلصوا له العبادة ، وقد روى عن ابن عباس ، أنه كان يقرأ (لَعَلَّكُمْ تَسْلَمُونَ) بفتح التاء .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن أبي حماد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن حنظلة ، عن شهر بن حوشب ، قال : كان ابن عباس يقول (لَعَلَّكُمْ تَسْلَمُونَ) قال : يعني من الجراح . حدثنا أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم بن سلام ، قال : ثنا عباد بن العوام ، عن حنظلة السدوسي ، عن شهر بن حوشب ، عن ابن عباس ، أنه قرأها (لَعَلَّكُمْ تَسْلَمُونَ) من الجراحات ، قال أحمد بن يوسف : قال أبو عبيد : يعني بفتح التاء واللام .

فتأويل الكلام على قراءة ابن عباس هذه : كذلك يتم نعمته عليكم بما جعل لكم من السراويل التي تقيكم بأسكم ، لتسلموا من السلاح في حروبكم . والقراءة التي لأستجيز القراءة بخلافها بضم التاء من قوله : (لَعَلَّكُمْ تَسْلَمُونَ) وكسر اللام من أسلمت تسلم ياهذا ، لإجماع الحجة من قرأ الأمصار عليها . فإن قال لنا قائل : وكيف جعل لكم سراويل تقيكم الحر ، فمخص بالذکر الحر دون البرد ، وهي تقي الحر والبرد ، أم كيف قيل (وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا) وترك ذكر ما جعل لهم من السهل ؟ قيل له : قد اختلف في السبب الذي من أجاه جاء التنزيل كذلك ، وسند ذكر ما قيل في ذلك ، ثم ندل على أولى الأقوال في ذلك بالصواب .

فروى عن عطاء الخراساني في ذلك ما حدثني الحارث ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا محمد بن كثير ، عن عثمان بن عطاء ، عن أبيه ، قال : إنما نزل القرآن على قدر معرفتهم ، ألا ترى إلى قول الله تعالى ذكره (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا ، وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا) وما جعل لهم من السهل أعظم وأكثر ، ولكنهم كانوا أصحاب جبال ، ألا ترى إلى قوله (وَمِنَ الْأَصْوَافِهَا وَأُوبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ) وما جعل لهم من غير ذلك أعظم منه وأكثر ، ولكنهم كانوا أصحاب وبر وشعر ، ألا ترى إلى قوله (وَيُنزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ) يعجبهم من ذلك ، وما أنزل من الثلج أعظم وأكثر ، ولكنهم كانوا لا يعرفون به ، ألا ترى إلى قوله (وَسَرَّابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ) وما أتى من البرد أكثر وأعظم ، ولكنهم كانوا أصحاب حر ، فالسبب الذي من أجله خص الله تعالى ذكره السراويل بأنها تقي الحر دون البرد على هذا القول ، هو أن المخاطبين بذلك كانوا أصحاب حر ، فذكر الله تعالى ذكره نعمته عليهم بما يقيهم مكره ما به عرفوا مكرهه ، دون ما لم يعرفوا مبلغ مكرهه ، وكذلك ذلك في سائر الأحرف الأخر . وقال آخرون : ذكر ذلك خاصة اكتفاء بذكر أحدهما من ذكر الآخر ، إذ كان معلوما عند المخاطبين

به معناه : وأن السرابيل التي تقي الحرّ تقي أيضا البرد ، وقالوا : ذلك موجود في كلام العرب مستعمل ،
واسشهدوا لقولهم بقول الشاعر :

وَمَا أَدْرِي إِذَا يَمَّمْتُ وَجْهًا أُرِيدُ الْخَيْرَ أَيُّهُمَا يَلِينِي أ

فقال : أيهما يليني : يريد الخير أو الشرّ ، وإنما ذكر الخير لأنه إذا أراد الخير فهو يتقى الشرّ .
❖❖ وأولى القولين في ذلك بالصواب : قول من قال : إن القوم خوطبوا على قدر معرفتهم ، وإن كان في ذكر
بعض ذلك ، دلالة على ما ترك ذكره ، لمن عرف المذكور والمتروك ، وذلك أن الله تعالى ذكره ، إنما عدّد نعمه
التي أنعمها على الذين قُصدوا بالذكر في هذه السورة دون غيرهم ، فذكر أباديه عندهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَمَا عَلَيْكَ الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴾ ﴿٨٧﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٨﴾

❖❖ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فإن أدبر هؤلاء المشركون يا محمد عما أرسلتك به إليهم
من الحقّ ، فلم يستجيبوا لك وأعرضوا عنه ، فما عليك من لوم ولا عدل ، لأنك قد أدّيت ما عليك في ذلك ،
إنه ليس عليك إلا بلاغهم ما أرسلت به . ويعني بقوله (المُبِينُ) الذي يبين لمن سمعه حتى يفهمه .
وأما قوله (يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا) فإن أهل التأويل اختلفوا في المعنى بالنعمة التي
أخبر الله تعالى ذكره عن هؤلاء المشركين أنهم ينكرونها ، مع معرفتهم بها ، فقال بعضهم : هو النبيّ صلى
الله عليه وسلم عرفوا نبوته ثم جحدوها وكذبوه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن السديّ (يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ

ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا) قال : محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن السديّ ، مثله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك أنهم يعرفون أن ما عدّد الله تعالى ذكره في هذه السورة من النعم من

عند الله ، وأن الله هو المنعم بذلك عليهم ، ولكنهم ينكرون ذلك ، فيزعمون أنهم ورثوه عن آبائهم .

(١) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (ص ١٧٦) قال : وقوله « سرابيل تقيكم الحر » ولم يقل (والبرد) فترك ، لأن

معناه معلوم ، والله أعلم ، كقول الشاعر : « وما أدري . . الخ البيت » . يريد أن الخير والشر يليني ، لأنه إذا أراد الخير ، فهو

يتقى الشر اه . وقد أفصح الشاعر في البيت الذي بعده عن مراده ، وهو موافق لما قالوا :

أَخْيَرُ الَّذِي أَنَا أَبْتَغِيهِ أَمْ الشَّرُّ الَّذِي هُوَ يَبْتَغِينِي ؟

والبيتان : لسحيم بن وثيل الرياحي ، من قصيدة مطلعها :

أَفَاطِمَ قَبْلَ بَيْنِكَ مَتَّعِينِي وَمَنْعُكَ مَا سَأَلْتُ كَأَنْ تَبِينِي

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنا المثنى ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا) قال : هي المساكن والأنعام ، وما يرزقون منها ، والسرابيل من الحديد والثياب ، تعرف هذا كفار قريش ، ثم تنكره بأن نقول : هذا كان لأبائنا ، فروحونا إياه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه ، إلا أنه قال : فورتونا إياها ، وزاد في الحديث عن ابن جريج ، قال ابن جريج : قال عبد الله بن كثير : يعلمون أن الله خلقهم وأعطاهم ما أعطاهم ، فهو معرفتهم نعمته ، ثم إنكارهم إياها كفرهم بعد .

وقال آخرون في ذلك ، ما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا معاوية ، عن عمرو ، عن أبي إسحاق الفزاري ، عن ليث ، عن عون بن عبد الله بن عتبة (يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا) قال : إنكارهم إياها أن يقول الرجل : لولا فلان ما كان كذا وكذا ، ولولا فلان ما أصبت كذا وكذا .

وقال آخرون : معنى ذلك أن الكفار إذا قيل لهم : من رزقكم ؟ أقرّوا بأن الله هو الذي رزقهم ، ثم يُنكرون ذلك بقولهم : رزقنا ذلك بشفاعة آلهتنا .

❖ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، وأشبهها بتأويل الآية ، قول من قال : عني بالنعمة التي ذكرها الله في قوله (يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ) النعمة عليهم بارسال محمد صلى الله عليه وسلم إليهم داعيا إلى ما بعثه بدعائهم إليه ، وذلك أن هذه الآية بين آيتين كلتاها خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعمما بعث به ، فأولى ما بينهما أن يكون في معنى ما قبله وما بعده ، إذ لم يكن معنى يدل على انصرافه عما قبله وعمما بعده ، فالذي قبل هذه الآية قوله (فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ . يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا) وما بعده (وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا) وهو رسوله . فإذا كان ذلك كذلك ، فعنى الآية : يعرف هؤلاء المشركون بالله نعمة الله عليهم يا محمد بك ، ثم ينكرونك ويحسدون نبوتك (وَأَكْثَرُهُمْ الْكَافِرُونَ) يقول : وأكثر قومك الجاحدون نبوتك ، لا المقرّون بها .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾

❖ يقول تعالى ذكره : يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها اليوم ويستنكرون (يَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا) وهو الشاهد عليها بما أجابت داعي الله ، وهو رسوله الذي أرسل إليهم (ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا) يقول : ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار ، فيعتذروا مما كانوا بالله وبرسوله يكفرون (وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ) فيتركوا الرجوع إلى الدنيا ، فينيبوا ويتوبوا ، وذلك كما قال تعالى (هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ) .

(١) قال في اللسان : في حديث أم زرع : وأراح على نعمائنا : أي أعطاني . قال : والترويح : كالإراحة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا) وشاهدها نبيها ، على أنه قد بلغ رسالات ربه ، قال الله تعالى (وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ)

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾

❖❖ يقول تعالى ذكره : وإذا عاين الذين كذبوك يا محمد ، وجحدوا نبوتك ، والأثم الذين كانوا على منهاج مشركي قومك عذاب الله ، فلا ينجيهم من عذاب الله شيء ، لأنهم لا يؤذن لهم ، فيعتذرون ، فيخفف عنهم العذاب بالعدر الذي يدعون (وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ) يقول : ولا يرجئون بالعقاب ، لأن وقت التوبة والإنابة قد فات ، فليس ذلك وقتا لهما ، وإنما هو وقت للجزاء على الأعمال ، فلا ينظر بالعقاب ليعتب بالتوبة .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذْ رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ ۖ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨٦﴾

❖❖ يقول تعالى ذكره : وإذا رأى المشركون بالله يوم القيامة ما كانوا يعبدون من دون الله من الآلهة والأوثان وغير ذلك ، قالوا : ربنا هؤلاء شركاؤنا في الكفر بك ، والشركاء الذين كنا ندعوهم آلهة من دونك ، قال الله تعالى ذكره (فَأَلْقَوْا) يعني : شركاءهم الذين كانوا يعبدونهم من دون الله القول : يقول : قالوا لهم : إنكم لكاذبون أيها المشركين ، ما كنا ندعوكم إلى عبادتنا .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن . قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ) قال : حدثوهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَلْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّامَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾

❖❖ يقول تعالى ذكره : وألقى المشركون إلى الله يومئذ السلم : يقول : استسلموا يومئذ وذاتوا الحكمه فيهم ، ولم تغن عنهم آلهتهم التي كانوا يدعون في الدنيا من دون الله ، وتبرأت منهم ، ولا قومهم ، ولا عشائرهم الذين كانوا في الدنيا يدافعون عنهم ، والعرب تقول : ألقىت إليه كذا تعنى بذلك قلت له . وقوله (وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) يقول : وأخطأهم من آلهتهم ما كانوا يباؤملون من الشفاعة عند الله بالنجاة . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأَلْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامَ) يقول : ذلوا واستسلموا يومئذ (وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) .
القول في تأويل قوله تعالى :

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾

❖❖ يقول تعالى ذكره : الذين جحدوا يا محمد نبوتك وكذبوك فيما جثتهم به من عند ربك ، وصدوا عن الإيمان بالله وبرسوله ، ومن أراد زدنهم عذابا يوم القيامة في جهنم فوق العذاب الذي هم فيه قبل أن يزداه . وقيل : تلك الزيادة التي وعدهم الله أن يزيدهموها عقارب وحيات .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرة ، عن مسروق ، عن عبد الله (زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ) قال : عقارب لها أنياب كالنخل .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرة ، عن مسروق ، عن عبد الله مثاه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية وابن عيينة ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرة ، عن مسروق ، عن عبد الله (زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ) قال : زيدوا عقارب لها أنياب كالنخل الطوال .
حدثنا إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني ، قال : ثنا جعفر بن عون ، قال : أخبرنا الأعمش ، عن عبد الله ابن مرة ، عن مسروق ، عن عبد الله ، مثله .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن سعيد ، عن سليمان ، عن عبد الله بن مرة ، عن مسروق ، عن عبد الله ، نحوه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن السدي ، عن مرة ، عن عبد الله ، قال (زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ) قال : أفاعي .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الله ، عن إسرائيل ، عن السدي . عن مرة ، عن عبد الله ، قال : أفاعي في النار .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مرة ، عن عبد الله ، مثله .
حدثنا مجاهد بن موسى والفضل بن الصباح ، قالا : ثنا جعفر بن عون ، قال : أخبرنا الأعمش ، عن
مجاهد ، عن عبيد بن عمير ، قال : إن بلجهم جبابا فيها حيات أمثال البخت ، وعقارب أمثال البغال الدهم
يستغيث أهل النار إلى تلك الجباب أو الساحل ، فتشب إليهم فتأخذ بشفاههم وشفارهم إلى أقدامهم ،
فيستغيثون منها إلى النار ، فيقولون : النار النار ، فتبعهم حتى تجد حرها فترجع ، قال : وهي في أسراب .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني حبي بن عبد الله ، عن أبي عبد الرحمن الحبلي
عن عبد الله بن عمرو ، قال : إن بلجهم سواحل فيها حيات وعقارب أعناقها كأعناق البخت .
وقوله (بِمَا كَانُوا يَفْسِدُونَ) يقول : زدناهم ذلك العذاب على ما بهم من العذاب بما كانوا
يفسدون ، بما كانوا في الدنيا يعصون الله ، ويأمرون عباده بمعصيته ، فذلك كان إفسادهم ، اللهم إنا
نسألك العافية يا مالك الدنيا والآخرة الباقية .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا
عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾

❖ يقول تعالى ذكره (وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ) يقول : نسأل
نبيهم الذي بعثناه إليهم للدعاء إلى طاعتنا ، وقال (مِنْ أَنْفُسِهِمْ) لأنه تعالى ذكره كان يبعث إلى أم
أنبياءها منها ، ماذا أجابوكم ، وما ردوا عليكم (وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ) يقول لنبيه محمد صلى
الله عليه وسلم : وجئنا بك يا محمد شاهدا على قومك وأمتك الذين أرسلتك إليهم بما أجابوك ، وماذا عملوا
فيما أرسلتك به إليهم . وقوله (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ) يقول : نزل عليك يا محمد
هذا القرآن بيانا لكل ما بالناس إليه الحاجة من معرفة الحلال والحرام والثواب والعقاب (وَهُدًى) من
الضلالة (وَرَحْمَةً) لمن صدق به ، وعمل بما فيه من حدود الله ، وأمره ونهيه ، فأحل حلاله ، وحرّم
حرامه (وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ) يقول : وبشارة لمن أطاع الله وخضع له بالتوحيد ، وأذعن له بالطاعة ،
يبشره بجزيل ثوابه في الآخرة ، وعظيم كرامته .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، قال : ثنا أبان بن
تغلب ، عن الحكم ، عن مجاهد (تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ) قال : مما أحلّ وحرّم .

(١) البخت : هي الإبل الحراسانية ، وهي جمال طوال الأعناق ، الواحد : بنتى . (اللسان) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن ابن عيينة ، عن أبان بن تغلب ، عن مجاهد ، في قوله (تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ) مما أحلّ لهم وحرّم عليهم .
 حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، قوله (تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ) قال : ما أمر به ، وما نهى عنه .
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، في قوله (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ) قال : ما أمروا به ، ونهوا عنه .
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن أشعث ، عن رجل ، قال : قال ابن مسعود : أنزل في هذا القرآن كل علم وكل شيء قد بين لنا في القرآن ، ثم تلا هذه الآية .
 القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ
 وَالْبَغْيِ بَعْضُكُمْ لِعَظْمِكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٠﴾

❖ يقول تعالى ذكره : إن الله يأمر في هذا الكتاب الذي أنزله إليك يا محمد بالعدل ، وهو الإنصاف ، ومن الإنصاف : الإقرار بمن أنعم علينا بنعمته ، والشكر له على إفضاله ، وتولى الحمد أهله . وإذا كان ذلك هو العدل ، ولم يكن للأوثان والأصنام عندنا يد تستحق الحمد عليها كان جهلا بنا حمدها وعبادتها ، وهي لا تنعم فتشكر ، ولا تنفع فتعبد ، فلزمنا أن نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ولذلك قال : من قال : العدل في هذا الموضع : شهادة أن لا إله إلا الله .
 ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، وعلى بن داود ، قالا : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ) قال : شهادة أن لا إله إلا الله . وقوله والإحسان ، فإن الإحسان الذي أمر به تعالى ذكره مع العدل الذي وصفنا صفته : الصبر لله على طاعته فيما أمر ونهى ، في الشدة والرخاء ، والمكروه والمنشيط ، وذلك هو أداء فرائضه .
 كما حدثني المثنى وعلى بن داود ، قالا : ثنا عبدالله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ . عن ابن عباس : والإحسان : يقول : أداء الفرائض .

وقوله (وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ) يقول : وإعطاء ذى القربى الحق الذي أوجبه الله عليك بسبب القرابة والرحم .
 كما حدثني المثنى وعلى ، قالا : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس (وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ) يقول : الأرحام .
 وقوله (وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ) قال : الفحشاء في هذا الموضع : الزنا .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، وعلى بن داود ، قالا : ثنا عبد الله بن صالح ، عن علي ، عن ابن عباس (وَيَسْتَهَيِّ
عَنِ الْفَحْشَاءِ) يقول : الزنا ، وقد بيننا معنى الفحشاء بشواهد في ما مضى قبل .
وقوله (وَالْبَغْيِ) قيل : عني بالبغي في هذا الموضع : الكبر والظلم .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، وعلى بن داود ، قالا : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن
ابن عباس (وَالْبَغْيِ) يقول : الكبر والظلم . وأصل البغي : التعدى ، ومجاوزة القدر والحد من كل
شيء . وقد بيننا ذلك فيما مضى قبل .

وقوله (يَعْظُمُكُمْ لِعَعْلَتِكُمْ تَذَكَّرُونَ) يقول : يذكركم أيها الناس ربكم لتذكروا فتنبوا إلى
أمره ونهيه ، وتعرفوا الحق لأهله .

كما حدثني المثنى وعلى بن داود ، قالا : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس
(يَعْظُمُكُمْ) يقول : يوصيكم (لِعَعْلَتِكُمْ تَذَكَّرُونَ) . وقد ذكر عن ابن عيينة أنه كان يقول
في تأويل ذلك : إن معنى العدل في هذا الموضع استواء السريرة والعلانية من كل عامل لله عملاً ، وإن معنى
الإحسان : أن تكون سريرته أحسن من علانيته ، وإن الفحشاء والمنكر أن تكون علانيته أحسن من سريرته .
وذكر عن عبد الله بن مسعود أنه كان يقول في هذه الآية ، ما حدثني المثنى ، قال : ثنا الهجاج ، قال :
ثنا معتمر بن سليمان ، قال : سمعت منصور بن النعمان ، عن عامر ، عن شتير بن شكيل ، قال : سمعت
عبد الله يقول : إن أجمع آية في القرآن في سورة النحل (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ
ذِي الْقُرْبَى) . . . إلى آخر الآية .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن الشعبي ، عن شتير بن شكيل ، قال :
سمعت عبد الله يقول : إن أجمع آية في القرآن لخير أو لشر ، آية في سورة النحل (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ
وَالْإِحْسَانِ) . . . الآية .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ
وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى) . . . الآية ، إنه ليس من خلق حسن كان أهل الجاهلية يعملون به ويستحسنونه ، إلا
أمر الله به ، وليس من خلق سيئ كانوا يتعابرونه بينهم إلا نهى الله عنه وقدّم فيه . وإنما نهى عن سفاسف
الأخلاق ومذامها .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ
كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١١﴾

❦ يقول تعالى ذكره : وأوفوا بميثاق الله إذا واثقتموه ، وعقده إذا عاقدتموه ، فأوجبتم به على أنفسكم حقا لمن عاقدتموه به وواثقتموه عليه (وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا) يقول : ولا تخالفوا الأمر الذي تعاقدتم فيه الأيمان ، يعني بعد ما شددتم الأيمان على أنفسكم ، فتحنثوا في أيمانكم وتكذبوا فيها ، وتنقضوها بعد إبرامها ، يقال منه : وكَدَّ فلان يمينه يوكدُها يؤكدُها : إذا شددها ، وهي لغة أهل الحجاز ، وأما أهل نجد ، فإنهم يقولون : أكدتها أوكدُها تؤكدُها . وقوله (وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا) يقول : وقد جعلتم الله بالوفاء بما تعاقدتم عليه على أنفسكم راعيا يرعى الموفاي منكم بعهد الله الذي عاهد على الوفاء به والناقض .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل على اختلاف بينهم فيمن عُنِيَ بهذه الآية ، وفيما أنزلت ، فقال بعضهم : عُنِيَ بها الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام ، وفيهم أنزلت .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمارة الأسدي ، قال : ثنا عبد الله بن موسى ، قال : أخبرنا أبو ليلى ، عن بريدة ، قوله (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ) قال : أنزلت هذه الآية في بيعة النبي صلى الله عليه وسلم كان من أسلم بايع على الإسلام ، فقالوا (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ) هذه البيعة التي بايعتم على الإسلام (وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا) البيعة ، فلا يحملكم قلة محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وكثرة المشركين ، أن تنقضوا البيعة التي بايعتم على الإسلام ، وإن كان فيهم قلة . والمشركين فيهم كثرة . وقال آخرون : نزلت في الحائف الذي كان أهل الشرك تخالفوا في الجاهلية ، فأمرهم الله عز وجل في الإسلام أن يوفوا به ولا ينقضوه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله تعالى (وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا) قال : تغليظها في الحلف .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا) يقول : بعد تشديدها وتغليظها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : هؤلاء قوم كانوا حلفاء لقوم تخالفوا وأعطى بعضهم العهد ، فجاءهم قوم ، فقالوا : نحن أكثر وأعز وأمنع ، فانقضوا عهد هؤلاء وارجعوا إلينا ففعلوا ، فذلك قول الله تعالى (وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ

كَفِيلًا) أن تكون أمة هي أربي من أمة ، هي أربي أكثر من أجل أن كان هؤلاء أكثر من أولئك ، نقضتم العهد فيما بينكم وبين هؤلاء ، فكان هذا في هذا .
 حدثني ابن البرقي ، قال : ثنا ابن أبي مريم ، قال : أخبرنا نافع بن يزيد ، قال : سألت يحيى بن سعيد ، عن قول الله (وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا) قال : العهود .
 والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله تعالى أمر في هذه الآية عباده بالوفاء بعهوده التي يجعلونها على أنفسهم ، ونهاهم عن نقض الأيمان بعد توكيدها على أنفسهم لآخرين ، بعقود تكون بينهم بحق ، مما لا يكرهه الله . وجائز أن تكون نزلت في الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنهبهم عن نقض بيعتهم ، حذرا من قلة عدد المسلمين ، وكثرة عدد المشركين ، وأن تكون نزلت في الذين أرادوا الانتقال بحافهم عن حلفائهم لقلة عددهم في آخرين لكثرة عددهم . وجائز أن تكون في غير ذلك ، ولا خبر تشبث به الحجة أنها نزلت في شيء من ذلك دون شيء ؛ ولا دلالة في كتاب ولا حجة عقل أي ذلك عني بها ، ولا قول في ذلك أولى بالحق مما قلنا لدلالة ظاهره عليه ، وأن الآية كانت قد نزلت لسبب من الأسباب ، ويكون الحكم بها عاما في كل ما كان بمعنى السبب الذي نزلت فيه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَقَدْ جَعَلْتُمْ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا) قال : وكيفا . . .

وقوله (إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ) يقول تعالى ذكره : إن الله أيها الناس يعلم ما تفعلون في العهود التي تعاهدون الله من الوفاء بها ، والأحلاف والأيمان التي تؤكدونها على أنفسكم ، أتبرون فيها أم تنقضونها وغير ذلك من أفعالكم : محص ذلك كله عليكم ، وهو مسائلكم عنها ، وعماعلمت فيها ، يقول : فاحذروا الله أن تلقوه وقد خالفتم فيها أمره ونهيه ، فتستوجبوا بذلك منه ما لا قبيل لكم به من أليم عقابه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَضَتْ غَزْلَهُمَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَالًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبُلُوكُمُ اللَّهُ بِهِمْ وَلِيَبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٤﴾

يقول تعالى ذكره ناهيا عباده عن نقض الأيمان بعد توكيدها ، وأمرها بوفاء العهود ، وممثلا ناقض ذلك بناقضة غزلها من بعد إبرامه ، وناكثته من بعد إحكامه ؛ ولا تكونوا أيها الناس في نقضكم أيمانكم بعد توكيدها وإعطائكم الله بالوفاء بذلك العهود والمواثيق (كَالَّذِينَ نَقَضَتْ غَزْلَهُمَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ) يعني : من بعد إبرام . وكان بعض أهل العربية يقول : القوّة : ما غزل على طاقة واحدة ولم يثن . وقيل : إن التي كانت تفعل ذلك امرأة حقا معروفة بمكة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني عبد الله بن كثير (كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ) قال : خرّقاء كانت بمكة ، تنقضه بعد ما تُسبرمه .
 حدثنا المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، عن صدقة ، عن السدي (وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ) قال : هي خرّقاء بمكة كانت إذا أبرمت غزلها نقضته .
 وقال آخرون : إنما هذا مثل ضربه الله لمن نقض العهد ، فشبهه بامرأة تفعل هذا الفعل ، وقالوا : في معنى نقضت غزلها من بعد قوّة ، نحو ما قلنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا) فلو سمعتم بامرأة نقضت غزلها من بعد إبرامه لقلتم : ما أحق هذه ، وهذا مثل ضربه الله لمن نكث عهده .
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ) قال : غزلها : حبّلها تنقضه بعد إبرامها إياه ، ولا تنتفع به بعد .
 حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ) قال : نقضت حبّلها من بعد إبرام قوّة .
 حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا) قال : هذا مثل ضربه الله لمن نقض العهد الذي يعطيه ، ضرب الله هذا له مثلا بمنزل التي غزلت ثم نقضت غزلها ، فقد أعطاهم ثم رجع ، فنكث العهد الذي أعطاهم . وقوله (أَنْكَاثًا) يعني : أنقاضا ، وكلّ شيء نُقِضَ بعد الفتل فهو أنكاث ، واحدها : نِكْثٌ حبلا كان ذلك أو غزلا ، يقال منه : نَكَّثَ فلان هذا الحبيل فهو يَنْكُثُهُ نكثا ، والحبيل مننكث : إذا انتقضت قواه . وإنما عني به في هذا الموضع نكث العهد والعقد . وقوله (تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ) ، أن تَكُونُوا أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ) يقول تعالى ذكره : تجعون أيمانكم التي تحالفون بها على أنكم موفون بالعهد لمن عاقدتموه (دَخَلًا بَيْنَكُمْ) يقول : خديعة وغرورا ليطمئنوا إليكم ، وأنتم مضمرون لهم الغدر ، وترك الوفاء بالعهد ، والنقطة عنهم إلى غيرهم من أجل أن غيرهم أكثر عددا منهم . والدَّخَلٌ في كلام العرب : كلُّ أمر لم يكن صهيحا ، يقال منه : أنا أعلم دَخَلُ فلان ودَخَلُهُ ، وداخلة أمره ودخلته ودخيلته .

وأما قوله (أنْ تَكُونُ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ) فإن قوله أَرْبَى : أفعل من الربا ، يقال : هذا أَرْبَى من هذا وأربأ منه ، إذا كان أكثر منه ؛ ومنه قول الشاعر :

وَأَسْمَرَ خَطِيَّ كَأَنَّ كُعُوبَهُ نَوَى الْقَسْبِ قَدِ أَرْبَى ذَرَاعًا عَلَى الْعَشْرِ ١

وإنما يقال : أَرْبَى فلان من هذا وذلك للزيادة التي يزيد بها على غريمه على رأس ماله .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى وعلي بن داود ، قالا : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (أنْ تَكُونُ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ) يقول : أكثر .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أنْ تَكُونُ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ) يقول : ناس أكثر من ناس .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (أنْ تَكُونُ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ) قال : كانوا يحالفون الحلفاء ، فيجدون أكثر منهم وأعز ، فينقضون حلف هؤلاء ، ويحالفون هؤلاء الذين هم أعز منهم ، فنهوا عن ذلك .

حدثنا ابن المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ٢ وحدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَالًا بَيْنَكُمْ) يقول : خيانة وغدرا بينكم (أنْ تَكُونُ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ) أن يكون قوم أعز وأكثر من قوم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا أبو ثور ، عن معمر ، عن قتادة (دَخَالًا بَيْنَكُمْ) قال : خيانة بينكم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَالًا بَيْنَكُمْ) يغر بها ، يعطيه العهد يؤمنه ، وينزاه من مأمنه ، فتزل قدمه ، وهو في مأمن ، ثم يعود يريد الغدر ، قال : فأول بدو هذا قوم كانوا حلفاء لقوم تحالفوا ، وأعطى بعضهم بعضا العهد ، فجاءهم قوم قالوا : نحن أكثر وأعز وأمنع ، فانقضوا عهد هؤلاء ، وارجعوا إلينا ، ففعلوا ، وذلك قول

(١) (البيت في اللسان : قسب) قال : القسب : التمر اليابس . يتفتت في الفم ، صلب النواة قال الشاعر يصف رجلا : « وأسمر خطيا . . . إلى آخر البيت » . . . قال ابن بري : هذا البيت يذكر أنه لحاتم الطائي ، ولم أحده في شعره . وأربي وأرمي : لغتان . ونوى القسب أصلب النوى . والخطى نسبة إلى الخط : بلد عند البحرين ، مشهور بصنع الرماح . واستشهد المؤلف هنا بالبيت على أن معنى أربي : أكثر . وكذلك قال أبو عبيدة في مجاز القرآن (١ : ٣٦٧) .

(٢) أي مثله ، وكثيرا ما يأتي بالسند ويترك المتن إذا تقدم ، ولا يأتي بلفظ نحوه أو مثله ، وقد تقدمت الإشارة إلى بعض ذلك في مواضعه

(٣) في الأصل : هو ، ولعله تحريف من الناسخ .

الله تعالى (وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا - أَنْ تَكُونُ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ) هي أربي : أكثر من أجل أن كانوا هؤلاء أكثر من أولئك نقضتم العهد فيما بينكم وبين هؤلاء ، فكان هذا في هذا ، وكان الأمر الآخر في الذي يعاهده ، فينزله من حصنه ، ثم ينكث عليه ، الآية الأولى في هؤلاء القوم ، وهي مبدؤه ، والأخرى في هذا .
 حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول ، في قوله (أَنْ تَكُونُ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ) يقول : أكثر ، يقول : فعليكم بوفاء العهد .

وقوله (إِنَّمَا يَبْتَلُواكُمُ اللَّهُ بِهِ) يقول تعالى ذكره : إنما يختبركم الله بأمره إياكم بالوفاء بعهد الله إذا عاهدتم ، ليتبين المطيع منكم المنتهي إلى أمره ونهيه ، من العاصي المخالف أمره ونهيه (وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) يقول تعالى ذكره : وليبين لكم أيها الناس ربكم يوم القيامة إذا وردتم عليه بمجازاة كل فريق منكم على عمله في الدنيا ، المحسن منكم باحسانه ، والمسيء بإساءته ، ما كنتم فيه تختلفون . والذي كانوا فيه يختلفون في الدنيا أن المؤمن بالله كان يقرّ بوحدانية الله ونبوة نبيه . ويصدق بما ابتعث به أنبياءه ، وكان يكذب بذلك كله الكافر ، فذلك كان اختلافهم في الدنيا الذي وعد الله تعالى ذكره عباده أن يبينه لهم عند ورودهم عليه بما وصفنا من البيان .

القول في تأويل قوله تعالى :

**وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَلِتَسْأَلَنَّ
 عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾**

✽ يقول تعالى ذكره : ولو شاء ربكم أيها الناس للطف بكم بتوفية من عنده ، فصرتم جميعا جماعة واحدة ، وأهل ملة واحدة لا تختلفون ولا تفرقون ، ولكنه تعالى ذكره خالف بينكم ، فجعلكم أهل مال شتى ، بأن وفق هؤلاء للإيمان به ، والعمل بطاعته ، فكانوا مؤمنين ، وخذل هؤلاء فحرمهم توفيقه فكانوا كافرين ، وليسألنكم الله جميعا يوم القيامة عما كنتم تعملون في الدنيا فيما أمركم ونهاكم ، ثم ليجازينكم جزاء المطيع منكم بطاعته ، والعاصي له بمعصيته .

القول في تأويل قوله تعالى :

**وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَالِينَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمُ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ
 سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧﴾**

✽ يقول تعالى ذكره : ولا تتخذوا أيمانكم بينكم دخلا وخديعة بينكم ، تغفرون بها الناس (فتزِلَّ قَدَمٌ)

بَعْدَ ثُبُوتِهَا) يقول : فهلكوا بعد أن كنتم من الهلاك آمنين . وإنما هذا مثل لكل مبتلى بعد عافية ، أو ساقط في ورطة بعد سلامة ، وما أشبه ذلك : « زَلَّتْ قَدَمُهُ » ، كما قال الشاعر :
 سَيَمْنَعُ مِنْكَ السَّبْقُ إِنْ كُنْتَ سَابِقًا وَتُلْطَعُ إِنْ زَلَّتْ بِكَ النَّعْلَانِ ١
 وقوله (وَتَذُوقُوا السُّوءَ) يقول : وتذوقوا أنتم السوء وذلك السوء : هو عذاب الله الذي يعذب به أهل معاصيه في الدنيا ، وذلك بعض ما عذب به أهل الكفر (بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) يقول : بما فتنتم من أراد الإيمان بالله ورسوله عن الإيمان (وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) في الآخرة ، وذلك نار جهنم ، وهذه الآية تدل على أن تأويل بريدة الذي ذكرنا عنه ، في قوله (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ) والآيات التي بعدها ، أنه عني بذلك : الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام ، عن ٢ مفارقة الإسلام لقلة أهله ، وكثرة أهل الشرك هو الصواب ، دون الذي قال مجاهد : أنهم عنوا به ، لأنه ليس في انتقال قوم تحالفوا عن حلفائهم إلى آخرين غيرهم ، صد عن سبيل الله ، ولا ضلال عن الهدى ، وقد وصف تعالى ذكره في هذه الآية فاعلى ذلك ، أنهم باتخاذهم الإيمان دخلا بينهم ، ونقضهم الإيمان بعد توكيدها ، صادون عن سبيل الله ، وأنهم أهل ضلال في التي قبلها ، وهذه صفة أهل الكفر بالله لاصفة أهل النقلة بالحلف عن قوم إلى قوم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٥﴾ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٦﴾

يقول تعالى ذكره : ولا تنقضوا عهودكم أيها الناس ، وعقودكم التي عاقدتموها من عاقدتم مؤكدا بها بأيمانكم ، تطلبون بنقضكم ذلك عرضا من الدنيا قليلا ، ولكن أوفوا بعهد الله الذي أمركم بالوفاء به يشبكم الله على الوفاء به ، فإن ما عند الله من الثواب لكم على الوفاء بذلك ، هو خير لكم إن كنتم تعلمون ، فضل ما بين العوضين اللذين أحدهما الثمن القليل ، الذي تشترون بنقض عهد الله في الدنيا ؛ والآخر الثواب الجزيل في الآخرة على الوفاء به ، ثم بين تعالى ذكره ، فرق ما بين العوضين وفضل ما بين الثوابين ، فقال : ما عندكم أيها الناس مما تملكونه في الدنيا ، وإن كثر فنافد فان ، وما عند الله لمن أوفى بعهده وأطاعه من الخيرات باق غير فان ، فلما عنده فاعملوا وعلى الباقي الذي لا يفنى فأحرصوا . وقوله (وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) يقول تعالى ذكره : وليثيبن الله الذين صبروا على

(١) في (اللسان : لطم) : اللطم أن تضرب مؤخر الإنسان برجلك . تقول : لطمته (بالكسر) أطمعه لطمعا . وقوله تعالى : « فزَلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا » قال أبو عبيدة في مجاز القرآن (١ : ٣٦٧) : مثل يقال لكل مبتلى بعد عافية ، أو ساقط في ورطة بعد سلامة ونحو ذلك : زلت قدمه .

(٢) « عن » هنا : للتعليل ، أي بسبب مفارقة الإسلام ، مثلها في قوله تعالى (وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك) : أي لأجله .

طاعتهم إياه في السراء والضراء ، ثوابهم يوم القيامة على صبرهم عليها ، ومسايرتهم في رضاه ، بأحسن ما كانوا يعملون من الأعمال دون أسوأها ، وليغفرن الله لهم سيئها بفضلها .

القول في تأويل قوله تعالى :

مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾

❖❖ يقول تعالى ذكره : من عمل بطاعة الله ، وأوفى بعهود الله إذا عاهد من ذكر أو أنثى من بنى آدم وهو مؤمن : يقول : وهو مصدق بثواب الله الذي وعد أهل طاعته على الطاعة ، وبوعيد أهل معصيته على المعصية (فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً) .

واختلاف أهل التأويل في الذي عتني الله بالحياة الطيبة التي وعد هؤلاء القوم أن يحييهموها ، فقال بعضهم : عني أنه يحييهم في الدنيا ما عاشوا فيها بالرزق الحلال .
ذكر من قال ذلك

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن إسماعيل بن سميع ، عن أبي مالك ، عن ابن عباس (فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً) قال : الحياة الطيبة : الرزق الحلال في الدنيا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن إسماعيل بن سميع ، عن أبي مالك وأبي الربيع ، عن ابن عباس ، بنحوه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن إسماعيل بن سميع ، عن أبي الربيع ، عن ابن عباس ، في قوله (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً) قال : الرزق الحسن في الدنيا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن إسماعيل بن سميع ، عن أبي الربيع ، عن ابن عباس (فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً) قال : الرزق الطيب في الدنيا .

حدثني المنثني ، قال : ثنا الفضل بن دكين ، قال : ثنا سفيان ، عن إسماعيل بن سميع ، عن أبي الربيع ، عن ابن عباس (فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً) قال : الرزق الطيب في الدنيا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً) يعني في الدنيا .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن مطرف ، عن الضحاك (فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً) قال : الرزق الطيب الحلال .

حدثني عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنا عون بن سلام القرشي ، قال : أخبرنا بشر بن عمار ، عن

(١) إسماعيل بن سميع ، بالسین مفتوحة ، الحنفی ، أبو محمد ، وثقه جماعة ، وكان خارجياً .

أبي روق ، عن الضحاك ، فى قوله (فلنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً) قال : يأكل حلالا ويلبس حلالا .
وقال آخرون (فلنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً) بأن نرزقه القناعة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن المنهال بن خليفة ، عن أبى خزيمه سليمان التمار ، عن
ذكره عن على (فلنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً) قال : القنوع .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو عصام ، عن أبى سعيد ، عن الحسن البصرى ، قال :

الحياة الطيبة : القناعة .

وقال آخرون : بل يعنى بالحياة الطيبة : الحياة مؤمنا بالله ، عاملا بطاعته .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول
فى قوله (فلنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً) يقول : من عمل عملا صالحا وهو مؤمن فى فاقة أو ميسرة ، فحياته
طيبة ، ومن أعرض عن ذكر الله فلم يؤمن ولم يعمل صالحا ، عيشته ضنكة لاخير فيها .

وقال آخرون : الحياة الطيبة : السعادة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى وعلى بن داود ، قالا : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ،

قوله (فلنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً) قال : السعادة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : الحياة فى الجنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هبؤذة ، عن عوف ، عن الحسن (فلنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً) قال :

لا تطيب لأحد حياة دون الجنة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن عوف ، عن الحسن (فلنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً) قال :

ما تطيب الحياة لأحد إلا فى الجنة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ

أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً) فإن الله لا يشاء عملا إلا فى إخلاص ، ويوجب من
عمل ذلك فى إيمان ، قال الله تعالى (فلنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً) وهى الجنة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حماد ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فلنُحْيِيَنَّهٗ

حَيَاةً طَيِّبَةً) قال : الآخرة يحيمهم حياة طيبة فى الآخرة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ

ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً) قال : الحياة الطيبة فى الآخرة : هى الجنة ،

تلك الحياة الطيبة ، قال (وَلَسَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) وقال : ألا تراه يقول : (يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي) قال : هذه آخرته . وقرأ أيضا (وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ) قال : الآخرة دار حياة لأهل النار وأهل الجنة ، ليس فيها موت لأحد من الفريقين .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، في قوله (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ) قال : الإيمان : الإخلاص لله وحده ، فبين أنه لا يقبل عملا إلا بالإخلاص له .

وأولى الأقوال بالصواب قول من قال : تأويل ذلك : فلنحيينه حياة طيبة بالقناعة ، وذلك أن من قنعه الله بما قسم له من رزق لم يكثر للدنيا تبعه ، ولم يعظم فيها نصيبه ، ولم يتكدر فيها عيشه باتباعه بغية ما فاته منها وحرصه على ما لعله لا يدركه فيها .

وإنما قلت : ذلك أولى التأويلات في ذلك بالآية ، لأن الله تعالى ذكره أوعده قوما قبلها على معصيتهم إياه إن عصوه أذاقهم السوء في الدنيا ، والعذاب في الآخرة ، فقال تعالى (وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمُ ، فَيُنزَلَ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا ، وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ) فهذا لهم في الدنيا ، ولهم في الآخرة عذاب عظيم ، فهذا لهم في الآخرة . ثم أتبع ذلك ما لم ين أوفى بعهد الله وأطاعه فقال تعالى : ما عندكم في الدنيا ينفد ، وما عند الله باق ، فالذي هذه السيئة بحكمته أن يعقب ذلك الوعد لأهل طاعته بالإحسان في الدنيا ، والغفران في الآخرة ، وكذلك فعّل تعالى ذكره .

وأما القول الذي روى عن ابن عباس أنه الرزق للحلال ، فهو محتمل أن يكون معناه الذي قلنا في ذلك ، من أنه تعالى يقنعه في الدنيا بالذي يرزقه من الحلال ، وإن قل فلا تدعوه نفسه إلى الكثير منه من غير حله ، لأنه يرزقه الكثير من الحلال ، وذلك أن أكثر العاملين لله تعالى بما يرضاه من الأعمال لم نرهم رزقوا الرزق الكثير من الحلال في الدنيا ، ووجدنا ضيق العيش عليهم أغلب من السعة .

وقوله (وَلَسَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) فذلك لاشك أنه في الآخرة ، وكذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن إسماعيل بن سميع ، عن أبي مالك ، عن ابن عباس : (وَلَسَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) قال : إذا صاروا إلى الله جزاهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن إسماعيل بن سميع ، عن أبي مالك ، وأبي الربيع ، عن ابن عباس ، مثله .

(١-١) هذه العبارة قد سقطت منها كلمات ، ولعل الأصل : فالذي أوعده أهل المعاصي بإذاقهم هذه السيئة بحكمته ، أراد أن يعقب الخ

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن إسماعيل بن سميع ، عن أبي الربيع ، عن ابن عباس (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ) قال : في الآخرة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن إسماعيل بن سميع ، عن أبي الربيع ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) يقول : يجزيهم أجرهم في الآخرة بأحسن ما كانوا يعملون .

وقيل : إن هذه الآية نزلت بسبب قوم من أهل ملل شتى تفاخروا ، فقال أهل كل ملة منها : نحن أفضل ، فبين الله لهم أفضل أهل الملل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يعلى بن عبيد ، عن إسماعيل ، عن أبي صالح ، قال : جلس ناس من أهل الأوثان وأهل التوراة وأهل الإنجيل ، فقال هؤلاء ، نحن أفضل ، وقال هؤلاء : نحن أفضل ، فأنزل الله تعالى (مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ، وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وإذا كنت يا محمد قارئاً القرآن ، فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم . وكان بعض أهل العربية يزعم أنه من المؤخر الذي معناه التقديم . وكأن معنى الكلام عنده : وإذا استعذت بالله من الشيطان الرجيم ، فاقراً القرآن ، ولا وجه لما قال من ذلك ، لأن ذلك لو كان كذلك لكان متى استعاذ مستعيد من الشيطان الرجيم ، لزمه أن يقرأ القرآن ، ولكن معناه ما وصفناه ، وليس قوله (فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) بالأمر اللازم . وإنما هو إعلام وندب . وذلك أنه لا خلاف بين الجميع ، أن من قرأ القرآن ولم يستعذ بالله من الشيطان الرجيم . قبل قرأته أو بعدها أنه لم يضع فرضاً واجباً . وكان ابن زيد يقول في ذلك نحو الذي قلنا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) قال : فهذا دليل من الله تعالى دل عباده عليه .

وأما قوله (إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) فإنه يعني بذلك : إن الشيطان ليست له حجة على الذين آمنوا بالله ورسوله ، وعملوا بما أمر الله به ، وانتهوا عما نهاهم الله عنه (وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) يقول : وعلى ربهم يتوكلون فيما نابهم من مهمات أمورهم (إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ) يقول : إنما حجته على الذين يعبدونه (وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ) يقول : والذين هم بالله مشركون .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا ورقاء ، وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إِنَّمَا سُلْطَانُهُ) قال : حجته .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ) قال : يطيعونه .

واختلف أهل التأويل في المعنى الذي من أجله لم يسلط فيه الشيطان على المؤمن .

فقال بعضهم بما حدثت عن واقد بن سليمان ، عن سفيان ، في قوله (إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) قال : ليس له سلطان على أن يحملهم على ذنب لا يغفر . وقال آخرون : هو الاستعاذة ، فإنه إذا استعاذ بالله منع منه ، ولم يسلط عليه ، واستشهد لصحة قوله ذلك بقول الله تعالى (وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) وقد ذكرنا الرواية بذلك في سورة الحجر .

وقال آخرون في ذلك : بما حدثني به المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، في قوله (إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) إلى قوله (وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ) يقال : إن عدو الله إبليس قال (لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ . إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) فهؤلاء الذين لم يجعل للشيطان عليهم سبيل ، وإنما سلطانه على قوم اتخذوه وليا ، وأشركوه في أعمالهم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) يقول : السلطان على من تولى الشيطان وعمل بمعصية الله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ) يقول : الذين يطيعونه ويعبدونه .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، قول من قال : معناه : إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا ،

فاستعاذوا بالله منه ، بما ندب الله تعالى ذكره من الاستعاذة (وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) على ما عرض لهم من خطراته ووساوسه .

وإنما قلنا : ذلك أولى التأويلات بالآية ، لأن الله تعالى ذكره أتبع هذا القول (فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) وقال في موضع آخر : (وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) فكان بيننا بذلك أنه إنما ندب عباده إلى الاستعاذة منه في هذه الأحوال ليُعِيدَهُمْ مِنْ سُلْطَانِهِ .

وأما قوله (وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ) فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، فقال بعضهم فيه بما قلنا : إن معناه : والذين هم بالله مشركون .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن . قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ) قال : يعدلون برب العالمين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ) قال : يعدلون بالله .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ) عدلوا إبليس بربهم ، فإنهم بالله مشركون . وقال آخرون : معنى ذلك : والذين هم به مشركون ، أشركوا الشيطان في أعمالهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع (وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ) أشركوه في أعمالهم .

والقول الأول ، أعنى قول مجاهد ، أولى القولين في ذلك بالصواب ، وذلك أن الذين يتولون الشيطان إنما يشركونه بالله في عبادتهم وذبائحهم ومطاعمهم ومشاربهم ، لأنهم يشركون بالشيطان . ولو كان معنى الكلام ما قاله الربيع ، لكان التنزيل : الذين هم مشركوه ، ولم يكن في الكلام به ، فكان يكون لو كان التنزيل كذلك ، والذين هم مشركوه في أعمالهم ، إلا أن يوجه موجه معنى الكلام ، إلى أن القوم كانوا يدينون بألوهة الشيطان ، ويشركون الله به في عبادتهم إياه ، فيصح حينئذ معنى الكلام ، ويخرج عما جاء التنزيل به في سائر القرآن ، وذلك أن الله تعالى وصف المشركين في سائر سور القرآن أنهم أشركوا بالله ، ما لم ينزل به عليهم سلطانا ، وقال في كل موضع تقدم إليهم بالزجر عن ذلك ، لا تشركوا بالله شيئا ، ولم نجد في شيء من التنزيل : لا تشركوا الله بشيء ، ولا في شيء من القرآن ، خبرا من الله عنهم أنهم أشركوا الله بشيء ،

فيه جواز لنا توجيه معنى قوله (وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ) إلى والذين هم بالشيطان مشركو الله ، فبين إذاً إذ كان ذلك كذلك ، أن الهاء في قوله (وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ) عائدة على الرب في قوله (وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٧٦﴾

يقول تعالى ذكره : وإذا نسخنا حكم آية ، فأبدلنا مكانه حكم أخرى ، والله أعلم بما ينزل : يقول : والله أعلم بالذي هو أصلح لخلقهم فيما يبدل ويغير من أحكامه ، قالوا : إنما أنت مفتر : يقول : قال المشركون بالله ، المكذوبو رسوله لرسوله : إنما أنت يا محمد مفتر : أي مكذب تخرص بتقول الباطل على الله ، يقول الله تعالى : بل أكثر هؤلاء القائلين لك يا محمد : إنما أنت مفتر جهال ، بأن الذي تأتيهم به من عند الله ناصحه ومنسوخه ، لا يعلمون حقيقة صحته .

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله (وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ) رفعناها فأنزلنا غيرها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ) قال : نسخناها ، بدلناها ، رفعناها ، وأثبتنا غيرها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ) هو كقوله (مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِئُهَا) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ) قالوا : إنما أنت مفتر ، تأتي بشيء وتنقضه ، فتأتي بغيره . قال : وهذا التبديل ناسخ ، ولا تبدل آية مكان آية إلا بنسخ .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٧٧﴾

❖ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد للقائلين لك : إنما أنت مفتر فيما تتلو عليهم من آي كتابنا ، أنزله روح القدس : يقول : قل جاء به جبرئيل من عند ربي بالحق . وقد بيّنت في غير هذا الموضع معنى : روح القدس ، بما أغنى عن إعادته .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنا جعفر بن عون العمري ، عن موسى بن عبيدة الربدي ، عن محمد بن كعب ، قال : روح القدس : جبرئيل .
وقوله (لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا) يقول تعالى ذكره : قل نزل هذا القرآن ناسخه ومنسوخه روح القدس على من ربي ، تثبيتاً للمؤمنين ، وتقوية لإيمانهم ، ليزدادوا بتصديقهم لئاسخه ومنسوخه إيماناً لإيمانهم ، وهدى لهم من الضلالة ، وبُشْرَى للمسلمين الذين استسلموا لأمر الله ، وانقادوا لأمره ونهيه ، وما أنزله في آي كتابه ، فأقرّوا بكل ذلك ، وصدقوا به قولاً وعملاً .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّلسَانِ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾

❖ يقول تعالى ذكره : ولقد نعلم أن هؤلاء المشركين يقولون جهلاً منهم : إنما يعلم محمد هذا الذي يتاوه بشر من بني آدم ، وما هو من عند الله ، يقول الله تعالى ذكره مكذبهم في قيلهم ، وذلك : ألا تعلمون كذب ما تقولون ، إن لسان الذي تلحدون إليه : يقول : تملون إليه بأنه يعلم محمد أعجمي ، وذلك أنهم فيما ذُكر كانوا يزعمون أن الذي يعلم محمد هذا القرآن عبد رومي ، فلذلك ، قال تعالى (لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ ، وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ) يقول : وهذا القرآن لسان عربي مبين .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل على اختلاف منهم في اسم الذي كان المشركون يزعمون أنه يعلم محمد صلى الله عليه وسلم هذا القرآن من البشر ، فقال بعضهم : كان اسمه بلعام ، وكان قيناً بمكة نصرانياً .

ذكر من قال ذلك

حدثني أحمد بن محمد الطوسي ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا إبراهيم بن طهمان ، عن مسلم بن عبد الله الملائني ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم قيناً بمكة ، وكان أعجمي اللسان ، وكان اسمه بلعام ، فكان المشركون يرون رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يدخل عليه ، وحين يخرج من عنده ، فقالوا : إنما يعلمه بلعام ، فأنزل الله تعالى ذكره (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّلسَانِ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ ، وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ) .

وقال آخرون : اسمه يعيش .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن حبيب ، عن عكرمة ، قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرئ غلاما لبني المغيرة أعجميا ، قال سفيان : أراه يقال له : يعيش ، قال : فذلك قوله (لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ ، وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يِقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ) وقد قالت قريش : إنما يعلمه بشر ، عبد لبني الحضرمي يقال له يعيش ، قال الله تعالى (لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ ، وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) وكان يعيش يقرأ الكتب .
وقال آخرون : بل كان اسمه جبر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني كثيرا ما يجلس عند المروة إلى غلام نصراني يقال له جبر ، عبد لبني بياضة الحضرمي ، فكانوا يقولون : والله ما يعلم محمدا كثيرا مما يأتي به إلا جبر النصراني غلام الحضرمي ، فأنزل الله تعالى في قولهم (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يِقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ، لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ ، وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال عبد الله بن كثير : كانوا يقولون : إنما يعلمه نصراني على المروة ، ويعلم محمدا رومي يقولون اسمه جبر ، وكان صاحب كتب عبد لابن الحضرمي ، قال الله تعالى (لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ) قال : وهذا قول قريش : إنما يعلمه بشر ، قال الله تعالى (لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ ، وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ)
وقال آخرون : بل كانا غلامين اسم أحدهما يسار ، والآخر جبر .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن حصين ، عن عبد الله بن مسلم الحضرمي أنه كان لهم عبدان من أهل عير الين ، وكانا طفلين ، وكان يُقال لأحدهما يسار ، والآخر جبر ، فكانا يقرآن التوراة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما جلس إليهما ، فقال كفار قريش : إنما يجلس إليهما يتعلم منهما ، فأنزل الله تعالى (لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ ، وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا معن بن أسد ، قال : ثنا خالد بن عبد الله ، عن حصين ، عن عبد الله بن مسلم الحضرمي ، نحوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن حصين ، عن عبد الله بن مسلم ، قال : كان لنا غلامان

فكان يقرآن كتابا لهما بلسانهما ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يمرّ عليهما ، فيقوم يستمع منهما ، فقال المشركون : يتعلم منهما ، فأنزل الله تعالى ما كذبهم به ، فقال (لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ لِإِيَّهِ اعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) .
وقال آخرون : بل كان ذلك سَلَمَانَ الفارسي .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ لِإِيَّهِ اعْجَمِيٌّ) كانوا يقولون : إنما يعلمه سَلَمَانُ الفارسي .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَكْفَامَهُمْ بِتَقْوَاهُمْ لِيَسْمَعُوا كَلِمًا بَشْرًا) قال : قول كفار قريش : إنما يعلم محمد عبد بن الحضرمي ، وهو صاحب كتاب ، يقول الله (لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ لِإِيَّهِ اعْجَمِيٌّ ، وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) .
وقيل : إن الذي قال ذلك : رجل كاتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ارتد عن الإسلام .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرني سعيد بن المسيب أن الذي ذكر الله إنما يعلمه بشر ، إنما افتتن إنه كان يكتب الوحي ، فكان يملئ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : سميع عليم ، أو عزيز حكيم ، وغير ذلك من خواتم الآي ، ثم يشتغل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على الوحي ، فيستفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقول : أعزير حكيم ، أو سميع عليم ، أو عزيز عليم ؟ فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي ذلك كتبت فهو كذلك ، ففتنه ذلك ، فقال : إن محمدا يكل ذلك إلى ، فأكتب ما شئت ، وهو الذي ذكر لي سعيد بن المسيب من الحروف السبعة .

واختلف القراء في قراءة قوله (يُلْحِدُونَ) فقراءته عامة قراء المدينة والبصرة (لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ لِإِيَّهِ) بضم الياء من ألحد يلحد إلحادا ، بمعنى يعترضون ، يعدلون إليه ، ويعرجون إليه من قول الشاعر :
قَدْنِي مَنْ نَصَرَ الْحُبَيْبَيْنِ قَدِي لَيْسَ أَمِيرِي بِالشَّحِيحِ الْمُلْحِدِ ١

(١) قدني : اسم فعل بمعنى كفى . والحبيبين : مثنى مصفر . وهما عبد الله بن الزبير وأخوه مصعب أو هما خبيب بن عبد الله بن الزبير وأحد إخوته من بني عبد الله بن الزبير ، وهم حمزة وثابت وعباد وقيس وعامر وموسى . وقيل إن لفظ الحبيبين جمع خبيب ، يريد خبيبا ومن معه . أو يريد أنصار عبد الله بن الزبير ، وكان يلقب أبا خبيب . والملحد : قال صاحب المصباح : من ألحد في الحرم بالألف : إذا استحل حرمة و انتهكها . وألحد إلحادا : جادل ومارى . ولحد (بلا ألف) بمعنى : جار وظلم . وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن (١ : ٣٦٨) « لسان الذي يلحدون إليه أعجمي » أي يعدلون إليه . ويقال : ألحد فلان : أي جار . وأعجمي : أضيف إلى أعجم اللسان . والبيتان من مشطور الرجز ، وهما لحميد الأرقط (انظر خزائن البغدادى ٢ : ٤٥٣) .

وقرأ ذلك عامة قرآء أهل الكوفة (لِسَانُ الَّذِي يَلْسَحِدُونَ إِلَيْهِ) بفتح الياء ، يعنى : يميلون إليه من لحد فلان إلى هذا الأمر يلحد لحددا ولحدودا ، وهما عندى لغتان بمعنى واحد ، فبأيتهما قرأ القارىء فصيب فيهما الصواب . وقيل (وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) يعنى : القرآن كما تقول العرب لقصيدة من الشعر يعرضها الشاعر : هذا لسان فلان : تريد قصيدته ؛ كما قال الشاعر :

لِسَانُ السُّوءِ تُهْدِيهَا إِلَيْنَا رَاةٌ وَحِينَتَ وَمَا حَسِبْتُكَ أَنْ تَحِينَنَا

يعنى باللسان القصيدة والكلمة .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِي
الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٥﴾

❖❖❖ يقول تعالى : إن الذين لا يؤمنون بحجج الله وأدلته ، فيصدقون بما دلّت عليه (لا يهديهم الله) يقول : لا يوفقهم الله لإصابة الحق ، ولا يهديهم لسبيل الرشيد في الدنيا (وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ) وعند الله إذا وردوا عليه يوم القيامة عذاب مؤلم موجه . ثم أخبر تعالى ذكره المشركين الذين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : إنما أنت مفتر ، أنهم هم أهل الفرية والكذب ، لانبي الله صلى الله عليه وسلم ، والمؤمنون به ، وبرأ من ذلك نبيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فقال : إنما يتخرص الكذب ، ويتقول الباطل ، الذين لا يصدقون بحجج الله وإعلامه ، لأنهم لا يرجون على الصدق ثوابا ، ولا يخافون على الكذب عقابا ، فهم أهل الإفك وافتراء الكذب ، لامن كان راجيا من الله على الصدق الثواب الجزيل ، وخائفا على الكذب العقاب الأليم . وقوله (وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ) يقول : والذين لا يؤمنون بآيات الله هم أهل الكذب لا المؤمنون .
القول في تأويل قوله تعالى :

مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مِنْ أُرْثُوهُ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ
صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾

❖❖❖ اختلف أهل العربية في العامل في « مَنْ » من قوله (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ) ، ومن قوله (وَلَكِنْ مَنْ) شرح بالكفر صدرا فقال بعض نحوي البصرة : صار قوله (فَعَلَيْهِمْ) خبرا لقوله (وَلَكِنْ مَنْ) شرح بالكفر صدرا ، وقوله (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ) فأخبر لهم بخبر واحد ، وكان ذلك

(١) في (اللسان : لسن) : اللسان : جارحة الكلام ، وقد يكتفى بها عن الكلمة فيؤنث حينئذ قال أعشى باهلة : « أتنتى لسانا لا أسر بها » . قال ابن بري : اللسان هنا : الرسالة والمقالة . وقد يذكر على معنى الكلام ، قال الخطيئة : « ندمت على لسان فات منى » . وحن يحين حيننا : هلك . وشاهد المؤلف في البيت : أن اللسان قد يحيى ، مؤنثا بمعنى الكلمة والقصيدة .

يدلّ على المعنى . وقال بعض نحوي الكوفة : إنما هذان جزءان اجتماعاً ، أحدهما منعقد بالآخر ، فجوابهما واحد كقول القائل : من يأتنا فن يحسن نكرمه ، بمعنى : من يحسن ممن يأتنا نكرمه . قال : وكذلك كلّ جزءين اجتماعاً ، الثانى منعقد بالأوّل ، فالجواب لهما واحد . وقال آخر من أهل البصرة : بل قوله (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ) مرفوع بالردّ على الذين فى قوله (إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ) ومعنى الكلام عنده : إنما يفتري الكذب من كفر بالله من بعد إيمانه ، إلا من أكره من هؤلاء ، وقلبه مطمئن بالإيمان ، وهذا قول لاوجه له . وذلك أن معنى الكلام لو كان كما قال قائل هذا القول ، لكان الله تعالى ذكره قد أخرج ممن افتري الكذب فى هذه الآية الذين ولدوا على الكفر وأقاموا عليه ، ولم يؤمنوا قط ، وخصّ به الذين قد كانوا آمنوا فى حال ، ثم راجعوا الكفر بعد الإيمان ، والتنزيل يدلّ على أنه لم يخصّ بذلك هؤلاء دون سائر المشركين الذين كانوا على الشرك مقيمين ، وذلك أنه تعالى أخبر خبر قوم منهم أضافوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم افتراء الكذب ، فقال (وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا : إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ ، بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) وكذب جميع المشركين بافتراءهم على الله وأخبر أنهم أحقّ بهذه الصفة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : (إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ) ، ولو كان الذين عنوا بهذه الآية هم الذين كفروا بالله من بعد إيمانهم ، وجب أن يكون القائلون لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنما أنت مفتر حين يدلّ الله آية مكان آية ، كانوا هم الذين كفروا بالله بعد الإيمان خاصة دون غيرهم من سائر المشركين ، لأن هذه فى سياق الخبر عنهم ، وذلك قول إن قاله قائل ، فبين فسادهم مع خروجه عن تأويل جميع أهل العلم بالتأويل . والصواب من القول فى ذلك عندى أن الرفع لمن الأولى والثانية ، قوله (فَعَمَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ) والعرب تفعل ذلك فى حروف الجزاء إذا استأنفت أحدهما على آخر .

وذكر أن هذه الآية نزلت فى عمار بن ياسر وقوم كانوا أسلموا ، ففتنهم المشركون عن دينهم ، فثبت على الإسلام بعضهم ، وافتتن بعض .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا عمى ، قال : ثنا أبى ، عن ابن عباس ، قوله (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ) . . . إلى آخر الآية ، وذلك أن المشركين أصابوا عمار بن ياسر فعذبوه ، ثم تركوه ، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحدثه بالذى لقي من قريش ، والذى قال : فأنزل الله تعالى ذكره عنده (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ) . . . إلى قوله (وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ) قال : ذكر لنا أنها نزلت فى عمار بن ياسر ، أخذه بنو المغيرة فغطوه فى بئر ميمون وقالوا : اكفر بمحمد ، فتابعهم على ذلك وقابه كاره ، فأنزل الله تعالى ذكره

(إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ، وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا) : أى من أتى الكفر على اختيار واستحباب (فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن عبد الكريم الجزرى ، عن أبي عبيدة ابن محمد بن عمار بن ياسر ، قال : «أخذ المشركون عمار بن ياسر ، فعذبوه حتى باراهم في بعض ما أرادوا فشكا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : كَيْفَ تَجِدُ قَلْبَكَ ؟ قال : مطمئنا بالإيمان ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : فَإِنْ عَادُوا فَاعْتَدُوا » .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن حصين ، عن أبي مالك ، في قوله (إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ) قال : نزلت في عمار بن ياسر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن الشعبي ، قال : لما عذب الأعبد أعطوهم ما سألوا إلا خباب بن الأرت ، كانوا يضحجونه على الرضف فلم يستقوا منه شيئا .
 ❖ فتأويل الكلام إذن : من كفر بالله من بعد إيمانه ، إلا من أكره على الكفر . فنطق بكلمة الكفر باسائه وقلبه مطمئن بالإيمان ، موقن بحقيقته ، صحيح عليه عزمه ، غير مفسوح الصدر بالكفر ، لكن من شرح بالكفر صدرا فاختره وآثره على الإيمان ، وباح به طائعا ، فعليهم غضب من الله ، ولهم عذاب عظيم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ورد الخبر ، عن ابن عباس .
 حدثني علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله (إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ) فأخبر الله سبحانه أنه من كفر من بعد إيمانه ، فعليه غضب من الله ، وله عذاب عظيم ، فأما من أكره فتكلم به لسانه وخالفه قلبه بالإيمان لينجو بذلك من عدوه . فلا حرج عليه ، لأن الله سبحانه إنما يأخذ العباد بما عقدت عليه قلوبهم .

القول فى تأويل قوله تعالى : **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ**

لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١١٧﴾

❖ يقول تعالى ذكره : حل بهؤلاء المشركين غضب الله ، ووجب لهم العذاب العظيم ، من أجل أنهم اختاروا زينة الحياة الدنيا على نعيم الآخرة ، ولأن الله لا يوفق القوم الذين يجحدون آياته مع إصرارهم على جحودها .

القول فى تأويل قوله تعالى :

أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعَتْهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١١٨﴾ **لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ** ﴿١١٩﴾

❖ يقول تعالى ذكره : هؤلاء المشركون الذين وصفت لكم صفتهم فى هذه الآيات أيها الناس ، هم القوم

الذين طبع الله على قلوبهم ، فخم عليها بطابعه ، فلا يؤمنون ، ولا يهتدون ، وأصمّ أسمعهم فلا يسمعون ، داعى الله إلى الهدى ، وأعمى أبصارهم فلا يبصرون بها حجج الله لإبصار معتبر ومتعظ (وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) يقول : وهؤلاء الذين جعل الله فيهم هذه الأفعال هم الساهون ، عما أعدّ الله لأمثالهم من أهل الكفر ، وعما يراد بهم .

وقوله (لَاجِرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ) الهالكون ، الذين غبّونا أنفسهم حظوظها من كرامة الله تعالى .

القول في تأويل قوله تعالى :

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٠﴾

يقول تعالى ذكره : ثم إن ربك يا محمد للذين هاجروا من ديارهم ومساكنهم وعشائرهم من المشركين ، وانتقلوا عنهم إلى ديار أهل الإسلام ومساكنهم وأهل ولايتهم ، من بعد ما فتنهم المشركون الذين كانوا بين أظهرهم قبل هجرتهم عن دينهم ، ثم جاهدوا المشركين بعد ذلك بأيديهم بالسيف وبألسنتهم بالبراءة منهم ، ومما يعبدون من دون الله ، وصبروا على جهادهم (إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) يقول : إن ربك من بعد فعلتهم هذه لهم لغفور ، يقول : لذو ستر على ما كان منهم من إعطاء المشركين ما أرادوا منهم من كلمة الكفر بألسنتهم ، وهم لغيرها مضمرون ، والإيمان معتقدون ، رحيم بهم أن يعاقبهم عليها مع إنابتهم إلى الله وتوبتهم .

وذكر عن بعض أهل التأويل أن هذه الآية نزلت في قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كانوا تخلفوا بمكة بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم ، فاشتدّ المشركون عليهم حتى فتنوهم عن دينهم ، فأيسوا من التوبة ، فأنزل الله فيهم هذه الآية ، فهاجروا ولحقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ) قال : ناس من أهل مكة آمنوا ، فكتب إليهم بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، أن هاجروا ، فإننا لانراكم منا حتى تهاجروا إلينا ، فخرجوا يريدون المدينة ، فأدركتهم قريش بالطريق ، ففتنوهم وكفروا مكرهين ، ففهم نزلت هذه الآية .

حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .

قال ابن جريج : قال الله تعالى ذكره (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ) ثم نسخ واستثنى ، فقال

(ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) ذكر لنا أنه لما أنزل الله أن أهل مكة لا يقبل منهم إسلام حتى يهاجروا ، كتب بها أهل المدينة إلى أصحابهم من أهل مكة ؛ فلما جاءهم ذلك تبايعوا بينهم على أن يخرجوا ، فإن لحق بهم المشركون من أهل مكة قاتلواهم حتى ينجوا أو يلحقوا بالله ، فخرجوا فأدركهم المشركون ، فقاتلوهم ، فمهم من قتل ، ومنهم من نجا ، فأنزل الله تعالى (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا) . . . الآية .

حدثنا أحمد بن منصور ، قال : ثنا أبو أحمد الزبيري ، قال ثنا محمد بن شريك ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان قوم من أهل مكة أسلموا ، وكانوا يستخفون بالإسلام ، فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم ، فأصيب بعضهم ، وقتل بعض ، فقال المسلمون : كان أصحابنا هؤلاء مسلمين ، وأكروها فاستغفروا لهم ، فنزلت (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ) . . . إلى آخر الآية ؛ قال : وكتب إلى من بقي بمكة من المسلمين هذه الآية لاعتذر لهم ، قال : فخرجوا فلحقهم المشركون ، فأعطوهم الفتنة ، فنزلت هذه الآية (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ ، فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ) . . . إلى آخر الآية ، فكتب المسلمون إليهم بذلك ، فخرجوا وأيسوا من كل خير ، ثم نزلت فيهم (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) فكتبوا إليهم بذلك : إن الله قد جعل لكم مخرجاً ، فخرجوا ، فأدركهم المشركون فقاتلوهم ، ثم نجا من نجا ، وقتل من قتل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : نزلت هذه الآية في عمّار بن ياسر وعياش ابن أبي ربيعة ، والوليد بن الوليد (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا) .

وقال آخرون : بل نزلت هذه الآية في شأن ابن أبي سرح .

ذكر من قال ذلك

حدثني ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، عن الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة والحسن البصرى ، قالوا في سورة النحل (مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ ، وَلَكِنْ مَن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا ، فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) ثم نسخ واستثنى من ذلك ، فقال (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) وهو عبد الله بن أبي سرح الذي كان يكتب لرسول الله صلى الله

عليه وسلم ، فأزله الشيطان ، فلحق بالكفار ، فأمر به النبي صلى الله عليه وسلم أن يقتل يوم فتح مكة ، فاستجار له أبو عمرو ١ ، فأجاره النبي صلى الله عليه وسلم .

القول في تأويل قوله تعالى .

يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ بِجَدِلٍ عَنِ نَفْسِهَا وَتُوْفَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾

❖ يقول تعالى ذكره : إن ربك من بعدها لغفور رحيم (يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ) تخاصم عن نفسها ، وتحتج عنها بما أسأمت في الدنيا من خير أو شر أو إيمان أو كفر ، (وَتُوْفَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا عَمِلَتْ) في الدنيا من طاعة ومعصية (وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) : يقول : وهم لا يفعل بهم إلا ما يستحقونه ويستوجبونه بما قدموه من خير أو شر فلا يجزي المحسن إلا بالإحسان ، ولا المسيء إلا بالذي أسلف من الإساءة ، لا يعاقب محسن ولا يبغض جزاء إحسانه ، ولا يثاب مسيء إلا ثواب عمله .

واختلاف أهل العربية في النسب الذي من أجله قيل تجادل ، فأنت الكل ، فقال بعض نحوئي البصرة : قيل ذلك لأن معنى كل نفس : كل إنسان ، وأنت لأن النفس تذكر وتؤنث ، يقال : ما جاءني نفس واحد وواحدة . وكان بعض أهل العربية يرى هذا القول من قائله غلطا ويقول : كل إذا أضيفت إلى نكرة واحدة خرج الفعل على قدر النكرة ، كل امرأة قائمة ، وكل رجل قائم ، وكل امرأتين قائمتان ، وكل رجلين قائمتان ، وكل نساء قائمات ، وكل رجال قائمون ، فيخرج على عدد النكرة وتأنيتها وتذكيرها ، ولا حاجة به إلى تأنيث النفس وتذكيرها .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾

❖ يقول الله تعالى ذكره : ومثل الله مثلا لمكة التي سكانها أهل الشرك بالله هي القرية التي كانت آمنة مطمئنة ، وكان أمنها أن العرب كانت تتعادي ، ويقتل بعضها بعضا ، ويسبي بعضها بعضا ، وأهل مكة لا يغار عليهم ، ولا يحاربون في بلادهم ، فذلك كان أمنها . وقوله (مُّطْمَئِنَّةً) يعني : قارة بأهلها ، لا يحتاج أهلها إلى النجوع ، كما كان سكان البوادي يحتاجون إليها (يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا) يقول : يأتي أهلها معاشهم واسعة كثيرة . وقوله (مِنْ كُلِّ مَكَانٍ) يعني : من كل فج من فيجاج هذه القرية ، ومن كل ناحية فيها . وبنحو الذي قلنا في أن القرية التي ذكرت في هذا الموضع أريد بها مكة ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

(١) أبو عمرو : يريد عثمان بن عفان رحمه الله ، وكان أخا عبد الله بن سعد من الرضاعة ، قاله ابن إسحاق في السيرة .

قوله (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ)
يعنى : مكة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،
قال : ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً) قال : مكة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ
آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً) قال : ذكر لنا أنها مكة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً) قال :
هي مكة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد . في قوله (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا
قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً) . . . إلى آخر الآية . قال : هذه مكة .

وقال آخرون : بل القرية التي ذكر الله في هذا الموضع مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثني ابن عبد الرحيم البرقي ، قال : ثنا ابن أبي مريم . قال : أخبرنا نافع بن يزيد ، قال : ثنا
عبد الرحمن بن شريح ، أن عبد الكريم بن الحارث الحضرمي ، حدث أنه سمع مِشْرَحَ بن عاهان . يقول :
سمعت سليم بن نمير يقول : صدرنا من الحج مع حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وعثمان محصور
بالمدينة ، فكانت تسأل عنه ما فعل ، حتى رأت راكبين ، فأرسلت إليهما تسألهما ، فقالا : قتل ، فقالت
حفصة : والذي نفسي بيده إنها القرية ، تعنى المدينة التي قال الله تعالى (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ
آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ، فَكَيْفَ فَتَرْتُ أَنْعُمَ اللَّهُ) قرأها ، قال أبو شريح
وأخبرني عبد الله بن المغيرة عن حدثه ، أنه كان يقول : إنها المدينة ، وقوله : (فَكَيْفَ فَتَرْتُ أَنْعُمَ اللَّهُ)
يقول : فكفر أهل هذه القرية بأنعم الله التي أنعم عليها .

واختلف أهل العربية في واحد الأنعم ، فقال بعض نحوئي البصرة : جمع النعمة على أنعم ، كما قال الله
(حتى إذا بلغ أشده) فزعم أنه جمع الشدة . وقال آخر منهم الواحد نَعْمٌ ، وقال : يقال : أيام طَعْمٍ
ونعم : أي نعيم ، قال : فيجوز أن يكون معناها : فكفرت بنعيم الله لها . واستشهد على ذلك بقول الشاعر :

وعندي قُرُوضُ الحَيْرِ والشَّرِّ كَأَنَّه فَبُؤُسٌ لَدَى بُؤُسٍ وَنُعْمٌ بِأَنْعُمٍ ۱

(١) في مجاز القرآن لأبي عبيدة (١ : ٣٦٩) عند الآية : واحدها « نعم » بضم النون وسكون العين ، ومعناه : نعمة ، وهما
واحد . قالوا : نادى منادى النبي صلى الله عليه وسلم بمنى « إنها أيام طعم ونعم ، فلا تصوموا » . وفي (اللسان : نعم) : وجمع
الزئمة : نعم ، وأنعم . كشدة وأشد حكاه سيبويه . وقال النابغة :

فَلَنْ أَذْكَرَ النُّعْمَانَ إِلَّا بِصَالِحٍ فَإِنَّ لَهُ عِنْدِي يَدِيًّا وَأَنْعُمًا

والنعم : خلاف البؤس ، ويقال : يوم نعم ، ويوم بؤس . والجمع : أنعم ، وأبؤس .

وكان بعض أهل الكوفة يقول : أنعم : جمع نعماء ، مثل بأساء وأبؤس ، وضراء وأضرّ ؛ فأما الأشدّ فإنه زعم أنه جمع شدّ .
 وقوله (فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ) يقول تعالى ذكره : فأذاق الله أهل هذه القرية لباس الجوع ، وذلك جوع خالط أذاه أجسامهم ، فجعل الله تعالى ذكره ذلك لمخالطته أجسامهم بمنزلة اللباس لها ، وذلك أنهم سلط عليهم الجوع سنين متوالية بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أكلوا العلهز والجحيف . قال أبو جعفر : والعهز : الوبر يعجن بالدم والقُرَادُ يأكلونه ؛ وأما الخوف فإن ذلك كان خوفهم من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم التي كانت تطيف بهم . وقوله (بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) يقول : بما كانوا يصنعون من الكفر بأنعم الله ، ويجحدون آياته ، ويكذبون رسوله ، وقال : بما كانوا يصنعون ، وقد جرى الكلام من ابتداء الآية إلى هذا الموضع على وجه الخبر عن القرية ، لأن الخبر وإن كان جرى في الكلام عن القرية ، استغناء بذكر أهلها لمعرفة السامعين بالمراد منها ، فإن المراد أهلها ، فلذلك قيل (بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) فردّ الخبر إلى أهل القرية ، وذلك نظير قوله (فَجَاءَهَا بِأَسْنًا بَيَاتًا أَوْهَمٌ قَائِلُونَ) ولم يقل قائله ، وقد قال قبله (فَجَاءَهَا بِأَسْنًا) ، لأنه رجع بالخبر إلى الإخبار عن أهل القرية ؛ ونظائر ذلك في القرآن كثيرة .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾

يقول تعالى ذكره : ولقد جاء أهل هذه القرية التي وصف الله صفتها في هذه الآية التي قبل هذه الآية (رَسُولٌ مِنْهُمْ) يقول : رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم . يقول : من أنفسهم يعرفونه ، ويعرفون نسبه وصدق لهجته ، يدعوهم إلى الحق ، وإلى طريق مستقيم (فَكَذَّبُوهُ) ولم يقبلوا منه ما جاءهم به من عند الله (فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ) وذلك لباس الجوع والخوف مكان الأمن والطمأنينة والرزق الواسع الذي كان قبل ذلك يرزقونه ، وقتل بالسيف (وَهُمْ ظَالِمُونَ) يقول : وهم مشركون ، وذلك أنه قتل عظماءهم يوم بدر بالسيف على الشرك .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ) إلى الله ، يعرفون نسبه وأمره ، (فَكَذَّبُوهُ) ، فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ) ، فأخذهم الله بالجوع والخوف والقتل .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾

❖❖ يقول تعالى ذكره: فكلوا أيها الناس مما رزقكم الله من بهائم الأنعام التي أحلها لكم حلالاً طيباً منذ كآة غير محرمة عليكم (وَأَشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ) يقول: واشكروا الله على نعمه التي أنعم بها عليكم في تحليله ما أحل لكم من ذلك، وعلى غير ذلك من نعمه (إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) يقول: إن كنتم تعبدون الله، فتطيعونه فيما يأمركم وينهاكم. وكان بعضهم يقول: إنما عنى بقوله (فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا) طعاماً كان بعث به رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين من قومه في سبب الجذب والقحط رقة عليهم، فقال الله تعالى للمشركين: فكلوا مما رزقكم الله من هذا الذي بعث به إليكم حلالاً طيباً، وذلك تأويل بعيد مما يدل عليه ظاهر التنزيل، وذلك أن الله تعالى قد أتبع ذلك بقوله (إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ) . . . الآية والتي بعدها، فبين بذلك أن قوله (فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا) إعلام من الله عباده أن ما كان المشركون يحرّمونه من البحائر والسوائب والوصائل، وغير ذلك مما قد بيننا قبل فيما مضى لا معنى له، إذ كان ذلك من خطوات الشيطان، فإن كل ذلك حلال لم يحرّم الله منه شيئاً.

القول في تأويل قوله تعالى:

إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٥﴾

❖❖ يقول تعالى ذكره: وكذباً المشركين الذين كانوا يحرّمون ما ذكرنا من البحائر وغير ذلك: ما حرّم الله عليكم أيها الناس إلا الميتة والدم ولحم الخنزير، وما ذبح للأصنام. فسمى عليه غير الله، لأن ذلك من ذبائح من لا يحل أكل ذبيحته، فمن اضطرّ إلى ذلك أو إلى شيء منه لمجاعة حلت فأكاه (غير باغٍ ولا عاد، فإن الله غفورٌ رحيم) يقول: ذوستر عليه أن يؤاخذ به بأكله ذلك في حال الضرورة، رحيم به أن يعاقبه عليه.

وقد بيننا اختلاف المختلطين في قوله (غير باغٍ ولا عادٍ) والصواب عندنا من القول في ذلك بشواهد

فيما مضى بما أغنى عن إعادته.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ) . . . الآية: قال: وإن الإسلام دين يطهره الله من كل سوء، وجعل لك فيه يا ابن آدم سعة إذا اضطررت إلى شيء من ذلك. قوله (فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ) غير باغٍ في أكاه ولا عاد أن يتعدى حلالاً إلى حرام، وهو يجد عنه مندوحة.

القول في تأويل قوله تعالى:

وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتِكُمُ الْكُذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنُفْتِرُوا عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ **مَنْعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴿١١٧﴾

اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق (وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ) فتكون تصف الكذب، بمعنى : ولا تقولوا لوصف ألسنتكم الكذب، فتكون « ما » بمعنى المصدر. وذكر عن الحسن البصري أنه قرأ (وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ) هذا بخفض الكذب، بمعنى : ولا تقولوا للكذب الذي تصفه ألسنتكم (هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ) فيجعل الكذب ترجمة عن « ما » التي في لِمَا، فتخفضه بما تخفض به « ما ». وقد حكى عن بعضهم (لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبُ) برفع الكذب، فيجعل الكذب من صفة الألسنة، ويخرج على فُعُل على أنه جمع كذُوب وكذب، مثل شُكُور وشُكْر.

والصواب عندي من القراءة في ذلك نصب الكذب لإجماع اللمجة من القراء عليه، فتأويل الكلام إذ كان ذلك كذلك لما ذكرنا : ولا تقولوا لوصف ألسنتكم الكذب فيما رزق الله عباده من المطاعم : هذا حلال، وهذا حرام، كى تفتروا على الله بقتيلكم ذلك الكذب، فإن الله لم يجرم من ذلك ما تحرمون، ولا أحل كثيرا مما تحلون، ثم تقدم إليهم بالوعيد على كذبهم عليه، فقال (إِنَّ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ) يقول : إن الذين يتخرون على الله الكذب ويختلقونه، لا يخلدون في الدنيا، ولا يبقون فيها، إنما يتمتعون فيها قليلا. وقال (مَتَاعٌ قَلِيلٌ) فرجع، لأن المعنى الذي هم فيه من هذه الدنيا متاع قليل، أولهم متاع قليل في الدنيا. وقوله (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) يقول : ثم إنا مرجعهم ومعادهم، ولهم على كذبهم وافتراءهم على الله بما كانوا يفترون عذاب عند مصيرهم إليه أليم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو، قال : ثنا أبو عاصم، قال : ثنا عيسى : وحدثني الحارث، قال : ثنا الحسن، قال : ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله تعالى (لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ) في البحيرة والسائبة. حدثنا القاسم، قال : ثنا الحسين، قال : ثنى حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قال : البحائر والسوائب.

القول في تأويل قوله تعالى :

وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْتَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾

يقول تعالى ذكره : وحرّمنا من قبلك يا محمد على اليهود ما أنبأناك به من قبل في سورة الأنعام، وذلك كل ذي ظفر، ومن البقر والغنم، حرّمنا عليهم شحومهما، إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا، أو ما اختلط

بعظم (وما ظلمناهم) بتحريرنا ذلك عليهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) فجزيناهم ذلك
 بغيرهم على ربهم . وظلمهم أنفسهم بمعصية الله ، فأورثهم ذلك عقوبة الله .
 وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل . ذكر من قال ذلك .
 حدثني يعقوب . قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، عن الحسن . في قوله (وعلى الذين هادوا
 حرمنا ما قصصنا عليك من قبل) قال : في سورة الأنعام .
 حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أيوب ، عن عكرمة . في قوله (وعلى الذين هادوا
 حرمنا ما قصصنا عليك من قبل) قال في سورة الأنعام .
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد . قال : ثنا سعيد . عن قتادة . قوله (وعلى الذين هادوا
 ما قصصنا عليك من قبل) قال : ما قص الله تعالى في سورة الأنعام حيث يقول : وعلى الذين هادوا
 حرمنا كل ذي ظفر) . الآية .
 القول في تأويل قوله تعالى :

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْدَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا
 لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾

❖❖ يقول تعالى ذكره : إن ربك للذين عصوا الله فجهاوا بركوبهم ما ركبوا من معصية الله ، وسفهاوا بذلك
 ثم راجعوا طاعة الله والندم عليها ، والاستغفار والتوبة منها ، من بعد ما سلف منهم ما سلف من ركوب
 المعصية ، وأصلح فعلهم بما يحب الله ويرضاه (إن ربك من بعد ها) يقول : إن ربك يا محمد من
 بعد توبتهم له (لغفور رحيم) .
 القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِنًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ أَجْنَبًا لَهُ وَهَدَاهُ إِلَى
 صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾

❖❖ يقول تعالى ذكره : إن إبراهيم خليل الله كان معلما خيرا ، ياتم به أهل الهدى قانتا ، يقول : مطيعا لله
 حنيفا : يقول : مستقيما على دين الإسلام (ولم يك من المشركين) يقول : ولم يك يشرك بالله شيئا ،
 فيكون من أولياء أهل الشرك به ، وهذا إعلام من الله تعالى أهل الشرك به من قريش أن إبراهيم منهم برىء
 وأنهم منه برآء (شاكرا لأنعمه) يقول : كان يخلص الشكر لله فيما أنعم عليه ، ولا يجعل معه في شكره
 في نعمه عليه شريكا من الآلهة والأنداد وغير ذلك ، كما يفعل مشركو قريش (اجنبا له) يقول : اصطفاه

واختاره لخطته ، وهداه (إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) يقول : وأرشده إلى الطريق المستقيم ، وذلك دين الإسلام لا اليهودية ولا النصرانية .

وبنحو الذي قلنا في معنى (أُمَّةٌ قَانِتًا) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني زكريا بن يحيى ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن الأعمش ، عن الحكم ، عن يحيى بن الحزار ، عن أبي العبيدين ، أنه جاء إلى عبد الله فقال : من نسأل إذا لم نسألك ؟ فكان ابن مسعود رقيقاً له ، فقال : أخبرني عن الأمة ، قال : الذي يُعَلِّمُ الناس الخير .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، عن مسلم البطين ، عن أبي العبيدين أنه سأل عبد الله بن مسعود ، عن الأمة القانت : قال : الأمة : معلم الخير ، والقانت : المطيع لله ورسوله .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن منصور ، يعني ابن عبد الرحمن ، عن الشعبي ، قال : ثنا فروة بن نوفل الأشجعي ، قال : قال ابن مسعود : إن معاذاً كان أُمَّةً قَانِتًا لله حنيفاً ، فقلت في نفسي : غلط أبو عبد الرحمن ، إنما قال الله تعالى (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ) فقال : تدري ما الأمة ، وما القانت ؟ قلت : الله أعلم ، قال : الأمة : الذي يعلم الخير ، والقانت : المطيع لله ورسوله ، وكذلك كان معاذ بن جبل يعلم الخير ، وكان مطيعاً لله ورسوله .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : سمعت فراساً يحدث ، عن الشعبي ، عن مسروق ، عن عبد الله بن مسعود : أنه قال : إن معاذاً كان أُمَّةً قَانِتًا لله ، قال : فقال رجل من أشجع يقال له فروة بن نوفل : نسي إنما ذاك إبراهيم ، قال : فقال عبد الله : من نسي إنما كنا نشبهه بإبراهيم ، قال : وسئل عبد الله عن الأمة : فقال : معلم الخير ، والقانت : المطيع لله ورسوله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن فراس ، عن الشعبي ، عن مسروق ، قال : قرأت عند عبد الله هذه الآية (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ) فقال : كان معاذاً أُمَّةً قَانِتًا ، قال : هل تدري ما الأمة ، الأمة الذي يعلم الناس الخير ، والقانت : الذي يطيع الله ورسوله .

حدثنا أبو هشام الرفاعي ، قال : ثنا ابن فضيل ، قال : ثنا بيان بن بشر البجلي ، عن الشعبي ، قال : قال عبد الله : إن معاذاً كان أُمَّةً قَانِتًا لله حنيفاً ولم يك من المشركين ، فقال له رجل : نسيت ، قال : لا ولكنه شبيه إبراهيم ، والأمة : معلم الخير ، والقانت : المطيع .

حدثني علي بن سعيد الكندي ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، عن ابن عون ، عن الشعبي ، في قوله (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا) قال : مطيعاً .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو بكر ، قال : قال عبد الله : إن معاذاً كان أُمَّةً قَانِتًا معلم الخير .

وذكر في الأمة أشياء مختلف فيها ، قال (وَادَّكَّرَ بَعْدَ أُمَّةٍ) يعني : بعد حين (وَأُمَّةٌ وَسَطًا)

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن سعيد بن سابق ، عن ليث ، عن شهر بن حوشب ، قال : لم تبق الأرض إلا وفيها أربعة عشر يدفع الله بهم عن أهل الأرض ، وتخرج بركتها إلا زمن إبراهيم ، فإنه كان وحده .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : أخبرنا هشيم ، قال : أخبرنا سيار ، عن الشعبي . قال : وأخبرنا زكريا ومجالد ، عن الشعبي ، عن مسروق ، عن ابن مسعود ، نحو حديث يعقوب ، عن ابن عسمة وزاد فيه : الأُمَّة : الذي يعلم الخير ، ويؤتم به ، ويقتدى به ؛ والقانت : المطيع لله وللرسول ، قال له أبو فروة الكندي : إنك وهمت .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إن إبراهيم كان أُمَّةً) على حدة (قانتا لله) قال : مطيعا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حماد ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله ، إلا أنه قال : مطيعا لله في الدنيا .

قال ابن جريج : وأخبرني عويمر ، عن سعيد بن جبير ، أنه قال : قانتا : مطيعا . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إن إبراهيم كان أُمَّةً قانتاً لله) قال : كان إمام هُدًى مطيعا تتبَعُ سنته وميلته .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، أن ابن مسعود قال : إن معاذ بن جبل كان أُمَّةً قانتا ، قال غير قتادة : قال ابن مسعود : هل تدرون : ما الأُمَّة ؟ الذي يعلم الخير . حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن فراس ، عن الشعبي ، عن مسروق ، قال : قرأت عند عبد الله بن مسعود (إن إبراهيم كان أُمَّةً قانتا) فقال : إن معاذ كان أُمَّةً قانتا ، قال : فأعادوا ، فأعاد عليهم ، ثم قال : أتدرون ما الأُمَّة ؟ الذي يعلم الناس الخير ، والقانت الذي يطيع الله .

وقد بينا معنى الأمة ووجوهها ، ومعنى القانت باختلاف المختلفين فيه في غير هذا الموضع من كتابنا بشواهد ، فأغنى بذلك عن إعادته في هذا الموضع .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَيُّنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾

❖❖❖ يقول تعالى ذكره : وآتيننا إبراهيم على قنوته لله ، وشكره له على نعمه ، وإخلاصه العبادة له في هذه الدنيا ذكرا حسنا ، وثناء جميلا باقيا على الأيام (وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ) يقول : وإنه في الدار الآخرة يوم القيامة لمن صلح أمره وشأنه عند الله ، وحسنت فيها منزلته وكرامته .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً) قال : لسان صدق . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً) فليس من أهل دين إلا يتولاه ويرضاه .

القول في تأويل قوله تعالى :

ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ
عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ثم أوحينا إليك يا محمد ، وقلنا لك : اتبع ملة إبراهيم الحنيفية المسلمة . حنيفا : يقول : مسلما على الدين الذي كان عليه إبراهيم ، بريئا من الأوثان والأنداد التي يعبدها قومك ، كما كان إبراهيم تبرا منها .

وقوله (إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ) يقول تعالى ذكره : ما فرض الله أيها الناس تعظيم يوم السبت إلا على الذين اختلفوا فيه ، فقال بعضهم : هو أعظم الأيام ، لأن الله تعالى فرغ من خالق الأشياء يوم الجمعة ، ثم سببت يوم السبت .

وقال آخرون : بل أعظم الأيام يوم الأحد ، لأنه اليوم الذي ابتداء فيه خالق الأشياء ، فاختروه وتركوا تعظيم يوم الجمعة الذي فرض الله عليهم تعظيمه واستحلوه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ) اتبعوه وتركوا الجمعة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ) قال :

أرادوا الجمعة فأخطئوا ، فأخذوا السبت مكانه .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اِخْتَلَفُوا فِيهِ) استحله بعضهم ، وحرّمه بعضهم .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا سفيان ، عن السدي ، عن أبي مالك وسعيد بن جبير (إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اِخْتَلَفُوا فِيهِ) قال : باستحلالهم يوم السبت .

حدثني يونس ، قال : أخبرني ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اِخْتَلَفُوا فِيهِ) قال : كانوا يطالبون يوم الجمعة فأخطئوه ، وأخذوا يوم السبت فجاءه عليهم .

وقوله (وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) يقول تعالى ذكره : إن ربك يا محمد ليحكم بين هؤلاء المختلفين بينهم في استحلال السبت وتحريمه عند مصيرهم إليه يوم

القيامة ، فيقضى بينهم في ذلك وفي غيره مما كانوا فيه يختلفون في الدنيا بالحق ، ويفصل بالعدل بمجازاة المصيب فيه جزاءه ، والمخطئ فيه منهم ما هو أهله .

القول في تأويل قوله تعالى :

ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِ لَهُمُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (ادْعُ) يا محمد من أرسلك إليه ربك بالدعاء إلى

طاعته (إلى سَبِيلِ رَبِّكَ) يقول : إلى شريعة ربك التي شرعها لخلقك ، وهو الإسلام (بِالْحُكْمِ) يقول

بوحى الله الذي يوحى إليك ، وكتابه الذي ينزل عليك (وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ) يقول : وبالعبارة الجميلة

التي جعلها الله حجة عليهم في كتابه ، وذكرهم بها في تنزيله ، كالتى عدد عليهم في هذه السورة من حججه ،

وذكرهم فيها ما ذكرهم من آياته (وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) يقول : وخصمهم بالخصومة التي

هي أحسن من غيرها أن تصفح عما نالوا به عرضك من الأذى ، ولا تعصه في القيام بالواجب عليك من

تبليغهم رسالة ربك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)

أعرض عن أذاهم إياك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله ؛

وقوله (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله

عليه وسلم : إن ربك يا محمد هو أعلم بمن جار عن قصد السبيل من المختلفين في السبب وغيره من خلقه ، وحادّ الله ، وهو أعلم بمن كان منهم سالكا قصد السبيل ، ومحجّة الحقّ ، وهو مجازٍ جميعهم جزاءهم عند ورودهم عليه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾

❖ يقول تعالى ذكره للمؤمنين : وإن عاقبتم أيها المؤمنون من ظالمكم واعتدى عليكم ، فعاقبوه بمثل الذى نالكم به ظالمكم من العقوبة ، ولئن صبرتم عن عقوبته ، واحتسبتم عند الله ما نالكم به من الظلم ، ووكلمت أمره إليه ، حتى يكون هو المتولى عقوبته (لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ) يقول : للصبر عن عقوبته بذلك خير لأهل الصبر احتسابا ، وابتغاء ثواب الله ، لأن الله يعوّضه من الذى أراد أن يناله بانتقامه من ظالمه على ظلمه إياه من لذّة الانتصار ، وهو من قوله (لَهُوَ) كناية عن الصبر ، وحسن ذلك ، وإن لم يكن ذكر قبل ذلك الصبر لدلالة قوله (وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ) عليه .

وقد اختلف أهل التأويل في السبب الذى من أجله نزلت هذه الآية . وقيل : هى منسوخة أو محكمة ، فقال بعضهم : نزلت من أجل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أقسموا حين فعل المشركون يوم أحد ما فعلوا بقتلى المسلمين من التمثيل بهم أن يجاوزوا فعلهم في المشاة بهم إن رزقوا الظفر عليهم يوما ، فهاهم الله عن ذلك بهذه الآية ، وأمرهم أن يقتصروا في التمثيل بهم ، إن هم ظفروا على مثل الذى كان منهم ، ثم أمرهم بعد ذلك بترك التمثيل ، وإيثار الصبر عنه بقوله (وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ) فنسخ بذلك عندهم ما كان أذن لهم فيه من المثلة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت داود ، عن عامر أن المسلمين قالوا : لما فعل المشركون بقتلاهم يوم أحد : لئن ظهرونا عليهم لننفعنّ ولننفعنّ ، فأنزل الله تعالى (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ، وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ) قالوا : بل نصبر .

حدثنا محمد بن المنثرى ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، قال : لما رأى المسلمون ما فعل المشركون بقتلاهم يوم أحد ، من تبقير البطون ، وقطع المذاكير ، والمثلة السيئة ، قالوا : لئن أظفرونا الله بهم ، لننفعنّ ولننفعنّ ، فأنزل الله فيهم (وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سامة ، عن محمد بن إسحاق ، عن بعض أصحابه ، عن عطاء بن يسار ، قال : نزلت سورة النحل كلها بمكة ، وهى مكية ، إلا ثلاث آيات فى آخرها نزلت فى المدينة بعد أحد ، حيث

قُتِلَ حِزَّةٌ وَمِثْلٌ بِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَسِنٌ ظَهَرْنَا عَلَيْهِمْ لَنُؤْمِلَنَّ بِثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْهُمْ » فَمَا سَمِعَ الْمُسْلِمُونَ بِذَلِكَ ، قَالُوا : وَاللَّهِ لَسِنٌ ظَهَرْنَا عَلَيْهِمْ لَنُؤْمِلَنَّ بِهِمْ مُثْلَهُ لَمْ يَمِثْلُهَا أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ بِأَحَدٍ قَطُّ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ، وَلَسِنٌ صَبْرٌ تُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ) . . . إلى آخر السورة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ) قال المسلمون يوم أحد فقال (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ) . . . إلى قوله (لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ) ، ثم قال بعد (وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : لما أصيب في أهل أحد المثل ، فقال المسلمون : لئن أصبناهم لنمثان بهم ، فقال الله (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ، وَلَسِنٌ صَبْرٌ تُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ) ثم عزم وأخبر فلا يمثّل ، فهي عن المثل ، قال مثل الكفار يقتل أحد ، إلا حنظلة بن الراهب ، كان الراهب أبو عامر مع أبي سفيان ، فتركوا حنظلة لذلك . وقال آخرون : نسخ ذلك بقوله في براءة (اقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) قالوا : وإنما قال (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ) خبراً من الله للمؤمنين أن لا يبدؤوهم بقتال حتى يبدؤوهم به ، فقال (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ، وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ) قال : هذا خبر من الله نبيه أن يُقاتل من قاتله . قال : ثم نزلت براءة ، وانسلاخ الأشهر الحرم ، قال : فهذا من المنسوخ . وقال آخرون : بل عنى الله تعالى بقوله (وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ) نبي الله خاصة دون سائر أصحابه ، فكان الأمر بالصبر له عزيمة من الله دونهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ) قال : أمرهم الله أن يعفوا عن المشركين ، فأسلم رجال لهم منعة ، فقالوا : يا رسول الله ، لو أذن الله لنا لانتصرنا من هؤلاء الكلاب ، فنزل القرآن (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ، وَلَسِنٌ صَبْرٌ تُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ) واصبر أنت يا محمد ، ولا تكن في ضيق ممن ينتصر ، وما صبرك إلا بالله ، ثم نسخ هذا وأمره بجهادهم ، فهذا كله منسوخ .

(١) أي مقالهم السابق : لئن ظهرنا . . . الخ .

وقال آخرون : لم يُعْنَى بهاتين الآيتين شيء مما ذكره هؤلاء، وإنما عُنِيَ بهما أن من ظلم بظلمة، فلا يحلّ له أن ينال ممن ظلمه أكثر مما نال الظالم منه ، وقالوا : الآية محكمة غير منسوخة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن خالد ، عن ابن سيرين (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوْقِبْتُمْ بِهِ) يقول : إن أخذ منك رجل شيئا ، فخذ منه مثله .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قال : إن أخذ منك شيئا فخذ منه مثله ؛ قال الحسن : قال عبد الرزاق : قال سفيان : ويقولون : إن أخذ منك دينارا فلا تأخذ منه إلا دينارا ، وإن أخذ منك شيئا فلا تأخذ منه إلا مثل ذلك الشيء .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوْقِبْتُمْ بِهِ) لاتعتدوا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله تعالى ذكره ، أمر من عوقب من المؤمنين بعقوبة أن يعاقب من عاقبه بمثل الذي عوقب به ، إن اختار عقوبته ، وأعلمه أن الصبر على ترك عقوبته ، على ما كان منه إليه خير وعزم على نبيه صلى الله عليه وسلم أن يصبر ، وذلك أن ذلك هو ظاهر التنزيل ، والتأويلات التي ذكرناها عن ذكرها عن ذكرها عنه ، محتملها الآية كلها . فإذا كان ذلك كذلك ، ولم يكن في الآية دلالة على أي ذلك عني بها من خبر ولا عقل كان الواجب علينا الحكم بها إلى ناطق لادلالة عليه ؛ وأن يقال : هي آية محكمة أمر الله تعالى ذكره عباده أن لا يتجاوزوا فيما وجب لهم قِبَل غيرهم من حق من مال أو نفس ، الحق الذي جعله الله لهم إلى غيره ، وأنها غير منسوخة ، إذ كان لادلالة على نسخها ، وأن للقول بأنها محكمة وجها صحيحا . فهو ما .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٧﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واصبر يا محمد على ما أصابك من أذى في الله ، (وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ) يقول : وما صبرك إن صبرت إلا بمعونة الله ، ونوفيقه إياك لذلك (وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ) يقول : ولا تحزن على هؤلاء المشركين الذين يكذبونك ، وينكرون ما جئتهم به في آن ولوا عنك وأعرضوا عما أتيتهم به من النصيحة (وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ) يقول : ولا يضق صدرك

(١) لعله كان الواجب علينا تعميم الحكم بها ، لا تأويلها إلى خاص لا دلالة عليه . . الخ .

بما يقولون من الجهل ، ونسبتهم ما جئتهم به إلى أنه سحر أو شعر أو كهانة . مما يمكرون : مما يحتالون بالخدع في الصدّ عن سبيل الله ، من أراد الإيمان بك ، والتصديق بما أنزل الله إليك .
واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء العراق (وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ) بفتح الضاد في الضيق على المعنى الذي وصفت من تأويله . وقرأه بعض قراء أهل المدينة (وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ) بكسر الضاد .

❖ وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندنا قراءة من قرأه في ضَيْقٍ ، بفتح الضاد ، لأن الله تعالى إنما نهي نبيه صلى الله عليه وسلم أن يَضِيق صدره مما يلقي من أذى المشركين على تبليغه إياهم وحى الله وتنزيهه ، فقال له (فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لَتُسْأَلَنَ بِهِ) وقال (فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ ، أَن يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كِتَابٌ ، أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَائِكَةٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ) ، وإذا كان ذلك هو الذي نهاه تعالى ذكره ، ففتح الضاد هو الكلام المعروف من كلام العرب في ذلك المعنى ، تقول العرب في صدرى من هذا الأمر ضيق ، وإنما تكسر الضاد في الشيء المعاش ، وضيق المسكن ، ونحو ذلك ؛ فإن وقع الضيق بفتح الضاد في موضع الضيق بالكسر ، كان على الذي يتسع أحيانا ، ويضيق من قلة أحد وجهين ، إما على جمع الضيقة ، كما قال أعشى بنى ثعلبة :
فَلَيْتَ رَبُّكَ مِنْ رَحْمَتِهِ
كَشَفَ الضَّيْقَةَ عَنَّا وَفَسَحًا
والآخر على تخفيف الشيء الضيِّق ، كما يخفف الهين اللّين ، فيقال : هو هين لّين .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٧٨﴾

❖ يقول تعالى ذكره (إِنَّ اللَّهَ) يا محمد (مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا) الله في محارمه فاجتنبوها ، وخافوا عقابه عليها ، فأحجموا عن التقدم عليها (وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ) يقول : وهو مع الذين يحسنون رعاية فرائضه ، والقيام بحقوقه ، ولزوم طاعته فيما أمرهم به ونهاهم عنه .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن سفيان ، عن رجل ، عن الحسن (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ) قال : اتقوا الله فيما حرّم عليهم ، وأحسنوا فيما افترض عليهم .
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن رجل ، عن الحسن ، مثله .

(١) البيت في ديوان أعشى بنى ثعلبة ميمون بن قيس (طبع القاهرة ص ٢٣٧) من قصيدة يمدح بها إياس بن قبيصة الطائي ، وهو الرابع في القصيدة . وفي (اللسان : ضيق) : الضيق : الشك يكون في القلب من قوله تعالى : « وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مَّا يَمْكُرُونَ » : وقال الفراء : الضيق ما ضاق عنه صدرك . والضيق (بالكسر) ما يكون في الذي يتسع ويضيق ، مثل الدار والشوب . وإذا رأيت الضيق (بالفتح) قد وقع في موضع الضيق (بالكسر) كان على أحد أمرين : أحدهما أن يكون جمعا للضيقة كما قال الأعشى : فلئن ربك . . . الخ البيت . والوجه الآخر : أن يراد به شيء ضيق ، فيكون ضيق مخففا ، وأصله التشديد ، ومثله : هين ولين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أن هَرَمَ بن حَيَّان العَبْدِي لما حضره الموت ، قيل له : أوص ، قال : ما أدري ما أوصي ، ولكن بيعوا درعي ، فاقضوا عني ديني ، فإن لم تف ، فبيعوا فرسي ، فإن لم يَف فبيعوا غلامي ، وأوصيكم بخواتيم سورة النحل (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ، إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ، وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ، وَلَكِنَّ صَبْرًا خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ) ذكر لنا «أن نبي الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية قال بَلِّغْ نَصْرًا» .

آخر تفسير سورة النحل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 (هـ) بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

